التيسير في التفسير

(٨)

الطبعَة الأولى

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٤م

9 789933 935047

دار اللُّبَاب

للدِّرَاسَاتِ وَتَحقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا

00902125255551

00905454729850

دمشق ـ سوريا

00963993151546

info@allobab.com

Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان

009615813966

0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ العلَّامةِ

الإمامِ أبي نصرٍ القُشَيْرِيِّ

أبي نصرٍ عبدِ الرَّحيمِ ابْنِ الأُسْتاذِ أبي القاسمِ

عبدِ الكَريمِ بْنِ هوازنَ القُشَيْرِيِّ

المُتوفَّى سنةَ ٥١٤هـ

رحمهُ اللهُ تعالى

يَحْتوي هذا المجلَّدُ على القِطْعةِ الأخيرةِ منَ التَّفْسيرِ
مِنْ (سُورةِ القيامةِ) حتَّى (سُورةِ النَّاسِ)
وهِيَ قِطْعةٌ نفيسةٌ تَشْتمِلُ على النِّصفِ الثَّاني منَ الكِتابِ،
كُتِبَتْ سنةَ (٥٤٨هـ)، وُقِفَ عليْها بعْدَ طَبْعِ الكِتابِ

المُجلَّدُ الثَّامِنُ

دارُ اللُّبابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمةُ المجلَّد الثَّامن

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ للهِ الكريمِ المنَّان، ذي الفضلِ والإحسان، والعطايا الحِسان، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ الرَّفيعِ الشَّان، وعلى آله وصحبِه وتابعيهم ما تعاقبَ الحَدَثان، وتاقَ المؤمنونَ إلى فراديسِ الجِنان.

وبعدُ:

فإنَّ تفسيرَ الإمامِ أبي نصرٍ عبد الرَّحيمِ بن الإمامِ عبد الكريمِ بن هوازنَ القشيريِّ المسمَّى بـ: «التيسير في التفسير» يعدُّ من أجلِّ التَّفاسيرِ المتقدِّمةِ وأيسرِها وأقربِها، لما لمصنِّفِه من مكانةٍ ساميةٍ في العلمِ، ولِما حواه التَّفسيرُ مِن نقولٍ عزيزةٍ، وما فيه مِن عظيمِ الفوائدِ، وجليل العوائدِ، وقد أفادَ منه عددٌ من المفسِّرينَ بعده، فكثرت النُّقول عنه، وصار حقًّا على أهلِ العلمِ أن يتصدَّوا للبحثِ عن هذا التَّفسيرِ الجليلِ، وإخراجِه في حُلَّةٍ زاهيةٍ تليقُ بمكانةِ هذا التفسيرِ وصاحبِه.

وقد يسَّرَ اللهُ لنا في دارِ اللبابِ تحقيقَ الكتابِ لأوَّلِ مرَّةٍ بعدَ أن كان حبيسَ خزائنِ المخطوطات، اعتمادًا على أربعِ نسخٍ خطيَّةٍ؛ ثلاثٌ منها ناقصةٌ، والرَّابعةُ تامَّةٌ إلا أنَّ فيها ما فيها، وهي كلُّ ما تيسَّرَ جمعُه والوقوفُ على خبرِه حينئذٍ[1].

---

(١) سبق تفصيلُ الكلامِ عن النسخ المعتمدةِ في مقدمة التحقيقِ في الجزء الأول، وهذا بيانُها مختصرًا:

١ ـ النسخة الأولى: (ف): نسخة مكتبة فيض الله، بروايةِ تلميذِ المؤلفِ وصهره أبي حفص الصفَّار، كتبت سنة ٥٦٤هـ، وتنتهي عند آخر سورة الكهف. =

وخرجَ الكتابُ في سبعِ مجلَّداتٍ كبارٍ، مشفوعًا بملحقٍ خاصٍّ بما ألحقَه ناسخُ النُّسخةِ (أ) ممَّا ثبتَ أنَّه ليس مِن كلامِ الإمامِ أبي نصرٍ القشيريِّ[1].

وقد كانت النُّسَخُ الأربعُ المعتمدةُ في مُجملِها كثيرةَ التَّصحيفِ والتَّحريفِ والأسقاطِ، ولا يمكنُ تقديمُ نسخةٍ على أخرى، بل لا بدَّ مِن تعاضُدِ النُّسَخِ جميعًا للوصولِ إلى نصٍّ سليمٍ قدرَ الإمكانِ.

وقد قاسينا في تحقيقِ القسمِ الثَّاني من الكتابِ ـ من بعد سورة مريم إلى آخرِ الكتابِ ـ صعوباتٍ كثيرةً؛ للاعتمادِ في جانبٍ كبيرٍ منه على النُّسخةِ (أ) وحدها؛ لانفرادِها بقسمٍ لا بأسَ به عن باقي النُّسَخِ المذكورةِ، ثمَّ هي نسخةٌ كثيرةُ التحريفِ والتَّصحيفِ والسقطِ في هذا القسمِ خصوصًا، حتى إن ناسخَها كان يرسمُ بعضَ الكلماتِ رسمًا دون تبيُّنِ معناها وسياقِها، وكأنَّه كان يُعاني في قراءتِها ومعرفتِها، وكنَّا نعاني معه في ذلك، على خلافِ القسمِ الذي قبلَه، مما يجعلُنا نتساءلُ حولَ حالِ الأصلِ الذي نقلَ عنه النَّاسخُ، والبلايا التي أصابَتْه، حتى كان النَّقلُ عنه بهذه الصَّورة.

= ٢ ـ النسخة الثَّانية: (أ): نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث، وهي نسخة تامَّةٌ ـ عدا ما وقع في آخرها مما ليس من تفسير المصنف، وفي أثنائها من أسقاط ـ، كتبت سنة ١٠٤٤هـ.

٣ ـ النسخة الثالثة: (ج): نسخة مكتبة جاريث في هولندا، كتبت سنة ٥٦٤هـ، وهي قطعة تبدأ من سورة الإسراء إلى آخرِ سورة المؤمنون.

٤ ـ النسخة الرابعة: (م): نسخة مكتبة جامعة إسطنبول، كتبت سنة ٨٦٦هـ، وهي عبارة عن مختصر لتفسير أبي نصر القشيري، من أول القرآن إلى آخر سورة لقمان. وهي نسخة تخللها كثير من السقوطات.

(١) قد بينّا في مقدِّمةِ التَّحقيقِ في المجلد الأول (١/ ٥٥ ـ ٥٦) الأسبابَ التي جعلتنا نتثبتُ أنَّ هذه القطعة من التفسير ليست من كلام الإمام أبي نصر القشيري، ونجملُها هنا للإيضاحِ:

١ ـ اختلاف أسلوب التأليف.

٢ ـ النقل عن علماء متأخرين عن زمن المؤلف.

٣ ـ اختلاف ما نقله القرطبي في هذا القسم من التفسير عما هو موجودٌ في النسخةِ المشار إليها.

ترميم النصِّ

ولَمَّا كانت هذه هي الحالُ في نُسَخِ الكتابِ، والواجبُ يقتضي أن نجتهدَ ما أمكنَ لإبرازِ الكتابِ على الوجه المرْضيّ؛ اجتهدنا في ترميمِ النَّصِّ وإصلاحِه بقدرِ الإمكانِ، اعتمادًا على نسخةِ مختصرِ تفسيرِ أبي نصرٍ القُشيريِّ إلى نهايةِ سورة لقمان حيثُ تنتهي نُسخة المختصَر.

ولم نُغفِلْ أيضًا في ترميمِ النصِّ المصادرَ التي نقلَ عنها القشيري، ومن أهمِّها: «البسيط» للواحديِّ، وكذلك لم نُغفلِ المصادرَ التي نقلت عن القشيريِّ، وأوفرها نقلًا: «تفسير القرطبي».

وترميمُ النُّصوصِ وإصلاحُها، وتحقيق النُّصوصِ على نسخةٍ واحدةٍ، كلاهما محفوفٌ بكثيرٍ من المخاطرِ، ويشوبُه كثيرٌ من الإشكالاتِ، ويُعَدُّ تحدِّيًا كبيرًا لكلِّ من عرفَ تحقيقَ النصوصِ وخاضَ غِماره.

وقد عانينا في ترميمِ النصِّ وإصلاحِه في هذا القسمِ مَشَقَّةً كبيرةً، إلى أن خرج نصُّ «التيسير في التفسير» بفضلِ اللهِ وتوفيقِه سليمًا من كثيرٍ مِن الشَّوائبِ التي اعترَتْ نُسَخَه، وأُصلِحَ فيه كثيرٌ ممَّا حوتَهْ النُّسَخُ مِن التَّصحيفِ والتَّحريفِ والسَّقطِ ونحو ذلك، ولم نألُ جُهدًا في تصويبِ كثيرٍ مِن الأخطاءِ الواقعةِ في النُّسَخِ بحسبِ الوُسعِ والطَّاقةِ.

النُّسخةُ الجديدةُ:

ومِن تمامِ نعمةِ اللهِ، ومزيدِ كرمِه وإنعامِه، أن أرسلَ إلينا أحدُ أفاضلِ أهلِ العلمِ ـ حفظَه اللهُ ووفَّقَه وأثابَه، وباركَ في عِلمه وعُمره[١] ـ نُسخةً متقدِّمةً مِن «التيسير في

---

(١) وقد آثر عدم ذكر اسمه حفظه الله، وهو دليل على نُبل خلقه وصدق مقصده، متَّعه الله بالإيمان والعافية، آمين.

التفسير»، تحتوي على النِّصفِ الثَّاني مِن الكتابِ (من سورة مريم إلى آخر الكتاب).

وقد تأكَّدْنا مِن صحَّةِ هذه النُّسخةِ، وصحَّةِ نسبةِ ما فيها لتفسيرِ الإمامِ أبي نصرٍ القُشَيريِّ، وذلك بمقارنتِها مع النُّسَخِ الأخرى، وبما نقلَه الإمامُ القرطبيُّ في «تفسيره» عن تفسيرِ الإمامِ أبي نصرٍ القشيريِّ.

وبوصولِ هذه النُّسخةِ النَّفيسةِ أمكنَنا ـ بفضلِ الله وتوفيقِه ـ أن نستدركَ ما فاتَنا قبلُ مما سقطَ مِن النُّسَخِ الأخرى، وتصحيحِ ما انفردَتْ به النُّسخة (أ)، خصوصًا ما كان مُلحقًا بـ«التيسير في التفسير» مما ليس منه، واستدراكِ الأسقاطِ التي وقعَتْ في أثناءِ الكتابِ.

وفيما يلي بياناتُ هذه النُّسخةِ:

هي نُسخةٌ بغداديَّةٌ مُتقدِّمةٌ، كُتبت سنةَ ٥٤٨هـ، تبدأُ مِن قولِ المصنِّفِ أوائلَ سورةِ مريم: «وفي الخبرِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ هذه الآيةَ» في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

والنُّسخةُ من محفوظاتِ جامعةِ إسطنبولَ برقم (١٨١٠)، مبتورةُ الصَّفحاتِ الأُوَلِ، ولم يُكتب فيها عنوانٌ أو اسمُ المؤلِّفِ، فلذلك أُهمِلَت في بعضِ الفهارسِ، ونسبت غيرَ نسبتِها الحقيقيَّةِ في بعضها الآخرِ.

وتقعُ النُّسخةُ في (٢٣٤) لوحةً، في كل لوحةٍ صفحتانِ، وفي كلِّ صفحةٍ حوالي (٣٠) سطرًا، وفي كلِّ سطرٍ نحوٌ مِن (٢٠) كلمةً تقريبًا.

كُتِبَت بخطٍّ نسخيٍّ مشرقيٍّ، بمدادٍ أسودَ، وقد كتبت رؤوسُ الآيِ بخطٍّ أكبرَ قليلًا، مع مدِّ نهايتِها للتَّنبيه عليها، ولونُ المدادِ في بعضِ المواضعِ يوحي بأنَّه الكتابةَ سُوِّدت بعد أن بهتَ لونُ المدادِ الأصليِّ.

وجاءَ في خاتمةِ النُّسْخةِ:

(تمَّ على يدي عبد الحميدِ بنِ عبدِ العزيزِ........ رزقَه اللهُ فهم ما فيه، في ليلةِ الأوَّلِ مِن الشَّهرِ المباركِ ذي الحجَّةِ مِن سنةِ ثمانٍ وأربعينَ وخمسمائةٍ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ المعين، بمدينةِ السَّلام بغداد».

وتحته: «بلغَ مِن أوَّلِه إلى آخرِه على قدرِ الوسعِ......، حرَّره الفقيرُ محمد القاضي.....».

وفي هامشِ النُّسخةِ في مواضعَ كثيرةٍ: «بلغت القراءة».

وقد حَوَت هذه النُّسخةُ زياداتٍ مهمةً في عددٍ من المواضعِ، وتصويباتٍ كثيرةً لِمَا وقعَ فيه التَّحريفُ والتَّصحيفُ في النُّسخِ الأخرى، وقد وافق ترميمُ النصِّ وإصلاحُه بالاعتمادِ على المصادرِ كثيرًا مما وقعَ في هذه النُّسخةِ، فالحمدُ للهِ على توفيقِه.

وعلى تقدُّمِ هذه النُّسخةِ وقُربِها من عهدِ المؤلِّفِ، والمزايا التي امتازَتْ بها، إلا أنَّها لم تخلُ مما اعترَى نُسَخ الكتابِ، مِن كثرةِ التَّصحيفِ والتَّحريفِ والأسقاطِ، ولا أعني بالأسقاطِ سقطَ كلمةٍ أو كلمتينِ، وإنَّما سقطَ أسطرٍ كاملةٍ، وكأنَّ أصولَ الكتابِ التي نُقِلَت منها النُّسَخُ أصابَها شيءٌ من رطوبةٍ أو احتراقِ حبرٍ أو آفةٍ من آفاتِ المخطوطاتِ، مما جعَلَ النَّقلَ عنها كثيرَ الخطأ.

وفيما يلي نموذجٌ مِن الأسقاطِ الواردةِ في النُّسخةِ، ممَّا هو ثابتٌ في بقية النُّسَخِ:

السقط في النسخة الجديدة	الموضع في المطبوع
سورة مريم	
أي: ذلك عيسى ابن مريم قولا، وهو كما تقول: هذا عبد الله أسدًا عاديًا، وتقول: هذا عبد الله الأسد عاديًا	٤/ ٥٨٨ س١٤
سورة الأنبياء	
يصلي كل يوم مئة صلاة، وتوفي لك الرجل فسمي ذا الكفل. وقيل: ذو الكفلِ هو الناس، والكفل في اللغةِ: النصيبُ، والكفل أيضًا: الذي يجعل وراء الرجلِ	٥/ ٦١ س١
سورة الحج	
والكافر الذي يقول: الصنم معبودي؛ لا يقول: ضره أقربُ من نفعه، ولكنَّ المعنى: يقولُ الكافرُ: لمن ضرُّه أقربُ من نفعه في قول المسلمين معبودي وإلهي.	٥/ ١١٣ س١٥
﴿فِىٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ قيل: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: أي: قرأ، والتمني بمعنى التلاوة مشهور، ومنه: تمنى كتابَ الله آخرَ ليلة فالمعنى: ألقى الشيطان.	٥/ ١٦٣ س٥
سورة المؤمنون	
ليس الأمر على ما يظنه من أنه يجاب إلى الرجوع إلى الدنيا، بل هو كلام يطيح في أدراج الريح. وقيل: أي:	٥/ ٢٣٧ س٣
من السماء بردًا أمثال جبال قد اجتمع فيها لكثرته، كأنه يكون في السماء أمثال الجبال، فينزل	٥/ ٣١٠ س٥

سورة النمل	
أي: بفضل الله تعالى علينا، وزاد على ما ورثنا من داود عليه السلام من العلم والنبوة والخلافة في الأرض، فعلمني منطق الطير	٥/ ٤٧٢ س١٧
ومثله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾. وقال: ﴿مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ ولم يقل: (من الغائبة).	٥/ ٤٧٩ س٥
سورة القصص	
﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ فهو يقهره. ومن حمل المعاد على الجنة قال: كان فيها إذ كان آدم في الجنة؛ لأن كان	٥/ ٥٨٨ س١٢
سورة الروم	
أن يريكم، فحذف (أن) لدلالة الكلام عليه. وقال الزجاج: من آياته آية يريكم البرق، وقيل: أي: ويريكم	٥/ ٦٤٦ س١١
هذا التكرير. وفي هذا بعد. وقيل: ﴿مِّن﴾ صلةٌ؛ أي: من قبل الزرع. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾؛ أي: آيسين.	٥/ ٦٦٢ س٥
سورة السجدة	
متصل بقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾	٥/ ٧١١ س١٢
سورة الأحزاب	
وقالت أم سلمة: أدخلت رأسي في الكساء فقلت: وأنا منهم؟ قال: «نعم». والأظهر أن الآية عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهن، فلما اجتمعوا خرج الكلام على لفظ الرجال.	٥/ ٧٥٦ س٦

ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره. والتسليمُ قولك: سلام عليك، ومعناه: سَلِمَ أمرك من العيبِ والفسادِ والمكاره	٥/ ٧٨٧ س١٦
وقيل: أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿مَّلْعُونِينَ﴾. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾؛ أي: وجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ﴾؛ أي: خذوهم واقتلوهم	٥/ ٧٩٢ س٥
سورة سبأ	
بلفظ النكرة تنبيهاً على قصر أسفارهم؛ أ: كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر، لوجود ما	٦/ ٢٨ س١١
سورة الزمر	
يعني بالحسنة الأولى: الطاعة، وبالثانية: الثواب في الجنة. وقيل: للذين أحسنوا في الدنيا حسنةٌ في الدنيا	٦/ ٢٨٢ س١٤
قبض قدرة، لا أنه يحتاج إلى عضو، ويتصوَّر أن يكون له عضوٌ. ويقال: قدَرَ فلانٌ كذا؛ أي: عرَفَ أن مقداره خطيرٌ.	٦/ ٣١٩ س٦
سورة غافر	
ثم حذر الكفار أن ينزل بهم من عذاب الدنيا ما نزل بالكفار من قبلُ؛ أي: ما تسيرون في الأرضِ	٦/ ٣٤٣ س٧
وإنما ينتقمُ من الأعداءِ في الآخرةِ، أو بعد انقضاءِ ومانِهم. وقيل: هو خاصٌّ بالرسل الذين نصرهم الله عز وجل في الدنيا	٦/ ٣٥٩ س٢٠
وفيه حذفٌ؛ أي: أتينا أمرَك طائعين. ولما خوطبت السماءُ والآرضُ أُجريت مُجرى ما يعقل فقال: ﴿طَآئِعِينَ﴾	٦/ ٣٨١ س٣

سورة فصلت	
كقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: ما كانت تتلو، وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون قوله: ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾	٦/ ٣٨٣ س٧
سورة الشورى	
وقرئ: ﴿وَيَعۡلَمُ﴾ بالنَّصب ردًّا على الجزمِ؛ إلا أنَّه صُرِفَ، والجزمُ إذا صُرِفَ عنه معطوفُه نُصِبَ، قال الفرَّاء، قال: ولو جُزِمَ	٦/ ٤٤٠ س١٣
سورة الزخرف	
أي: هذا التمويه من فرعون أثَّرَ فيهم وأطاعوه لخفَّةِ أحلامهم وقلَّةِ عقولهم، يُقال: استخفَّه الفرح	٦/ ٤٨٤ س١١
أي: وجدهم خفاف العقول، وهذا لا يدل علة أنه يجب أن يطيعوه، فلا بد من أن يدعي هذا على هذا القول إضمارًا بعيدًا، فيقول: وجدهم خفاف العقول، فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه	٦/ ٤٨٤ س١٤
سورة الجاثية	
ف(ما) في قوله: ﴿فِيمَا﴾ بمنزلة الذي، و﴿إِنَّ﴾ بمنزلة: ما. وقال القتيبي: أي: مكنَّهم فيما مكَّنَّاكم فيه.	٦/ ٥٨٣ س١٣
وأما المؤمنون فيستمعون إلى القرآن فيزيدهم هدًى لأن يقينهم يتضاعف. ﴿زادهم﴾؛ أي: زادهم الله هدًى	٦/ ٦٠٧ س٩

سورة ق

فإن الله قال: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾، وقوم تبع هم حِمير، وفي خبر: لا تسبوا تبَّعًا، فإنه قد أسلم. وقيل: كان قومه يعبدون النار، فأسلم تبَّعٌ ودعا قومه إلى الإسلامِ فأبوا، فأحرقهم الله بالنار. ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: كلُّ قومٍ كذَّبوا ورسولَهم.	٦/ ٧٠٢
إذا أحييناهم للحساب. وقال الكلبيُّ: الواو لا تقتضي ترتيبًا؛ أي: نحن نميتُ في الدُّنيا، ونُحيي للبعثِ، وإلينا المصير.	٦/ ٧١٨ س١

سورة الذاريات

وقال أبو عبيدة والمبرد: الحُبُك: الطرائق، الواحدة: حباك، وحباك الحمام: طرائق على جناحه، وطرائق الماء: حبكه.	٦/ ٧٢٣ س٣
وقت السحر، فسمى الصلاة استغفارًا. قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ قيل: أراد صدقة الفرض، وقيل: النفل؛	٦/ ٧٢٧ س١٢

سورة الطور

فيموت عن قريب، كما هلك من قبلُ الشُّعراء، فإن أباه مات شابًّا، فربما يموت عن قريبٍ كما مات أبوه، وقال الأخفش: نتربَّص به	٦/ ٧٦١ س١٣

وغير ذلك كثيرٌ.

ومع هذا؛ فإنَّ فوائدَ هذه النُّسخةِ أكثرُ من عيوبِها، وهذا ما حَدَانا إلى أن نَنْشُرَ القسمَ الذي سقطَ مِن الكتابِ، وأن نستبدله بالقسمِ الملحقِ مما ليس منه، وهو مِن سورةِ القيامةِ إلى آخرِ الكتابِ، مُحققًا مصححًا على قدرِ الوسعِ والطَّاقةِ، مع نشرِ الأسقاطِ التي نبَّهنا عليها في مقدِّمةِ التَّحقيقِ[١].

وبإكمالِ هذا القسمِ، يبرزُ هـذا التَّفسيرُ الجليلُ لأوَّلِ مرَّةٍ كاملًا، بعدَ أن تفرَّقَتْ نُسَخُه أيادي سبا، وعدَتْ عليها عَـوادي الدَّهرِ، لكـنَّ اللهَ تمَّمَ وأنعمَ، وتفضَّلَ ومـنَّ وأكرَمَ، وهو وليُّ التَّوفيقِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

المحقق

* * *

(١) وعددها أربعة أسقاط: من سورة الفرقان، وسورة النور، وسورة القلم، وسورة الممتحنة.

صور المخطوطات



صورة اللوحة الأولى من نسخة جامعة إسطنبول



صورة اللوحة الأخيرة من نسخة جامعة إسطنبول

التيسير في التفسير

تأليف الإمام المفسِّر العلَّامة

الإمام أبي نصر القشيري

أبي نصر عبد الرحيم ابن الأستاذ أبي القاسم

عبد الكريم بن هوازن القُشَيْري

المُتوفَّى سنة ٥١٤هـ

رحمه الله تعالى

تفسيرُ سورةِ القيامةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: أقسمُ بيومِ القيامةِ، وأقسمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامةِ، ثمَّ فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّ ﴿لَآ﴾ صلةٌ.

والثَّاني: أنَّه ردٌّ لكلامٍ سبقَ، وهوَ سائغٌ وإن كانَ هذا أوَّلَ السُّورةِ؛ لأنَّ القرآنَ كالسُّورةِ الواحدةِ، ولهذا قد يُذكَرُ الشَّيءُ في سورةٍ ويَجيءُ جوابُه في سورةٍ أخرى؛ كقولِه تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، وجوابُه في سورةٍ أخرى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ [القلم: ٢].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿لَأُقۡسِمُ﴾[1]، وقرأَ الجميعُ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

وإنَّما أقسمَ بيومِ القيامةِ تعظيماً لشأنِه، وعلى قراءةِ ابنِ كثيرٍ: أقسمَ بالأولى، ولم يُقسِمْ بالثَّانية.

قولُه: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قيلَ: هيَ كلُّ نفسٍ تلومُ نفسَها يومَ القيامةِ؛ فالمحسِنُ يقولُ: لِمَ لمْ أزددْ إحساناً؟ والمسيءُ يقولُ: لمَ اقترفتُ عصياناً[2]؟

---

(١) هي قراءة ابن كثير بخلف عن البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) أورده السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٢٠) من قول عمر رضي الله عنه، وذكر نحوه الواحدي في

وقالَ الحسنُ: هيَ النَّفسُ المؤمنةُ لا تراها إلّا تلومُ نفسَها على كلِّ حالٍ(١).

وقالَ مقاتلٌ: هيَ النَّفسُ الكافرةُ تلومُ نفسَها غداً(٢).

وقيلَ: المعنى: أقسمُ بيومِ القيامةِ، ولا أقسمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامة الَّتي هيَ إمَّا كافرةٌ ولا قَدْرَ لها، وإمَّا مؤمنةٌ اقترفَت ذنباً فلامَت نفسَها، وليسَ للعاصي أيضًا خطرٌ يُقسَمُ به.

قولُه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أقسمَ بيومِ القيامةِ وبالنَّفسِ اللَّوّامةِ ليجمعَنَّ العظامَ للبعثِ، فهذا جوابُ القسمِ(٣).

وقالَ النَّحّاسُ: جوابُ القسمِ محذوفٌ؛ أي: لتُبعثُنَّ(٤).

نزلَت في عديِّ بنِ ربيعةَ، قالَ للنَّبيِّ عليه السّلامُ: حدِّثني عن يومِ القيامةِ، متى

«البسيط» (٢٢/ ٤٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء.

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٦١٦)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٤)، بلفظ: «لا يُلْقى المؤمنُ إلَّا يعاتبُ نَفْسَه: ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردتُ بأَكلتي؟ ماذا أردتُ بشَربتي. والعاجزُ يمضي قُدُمًا لا يُعاتبُ نفْسَهُ».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١)، وليس كلامه صريحاً فيما نقله عنه المصنف من أن ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هو جواب القسم، بل الذي ذكره أن هذا وما بعده من قوله: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ دل على الجواب، المعنى كما قال: أُقسِم بيوم القيامة والنَّفسِ اللَّوَّامة لنجمعنَّها قادرين على أن نسوِّي بنانه.

وما ذكره المصنف أقرب إلى كلام الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٧٧) حيث قال: وجواب القسم في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إلى قوله: ﴿قَٰدِرِينَ﴾.

(٤) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٧٧٣)، وكلامه قريب من كلام شيخه الزجاج، حيث قال: جواب القسم محذوف يدل عليه ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ﴾ والتقدير: أقسم لتُبعثُن ولتحاسبن.

يكونُ؟ وكيفَ يكونُ أمرُها وحالُها؟ فأخبرَه النَّبيُّ بذلك، فقال: لو عايَنْتُ ذلك اليومَ لم أصدِّقكَ يا محمَّدُ، ولم أُؤمِن به، أوَ يجمعُ اللهُ هذه العظامَ[1]؟!

وقيلَ: نزلَت هذه الآيةُ في أبي جهلٍ[2].

﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: بلى نجمعُها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ نصبٌ على الحالِ؛ أي: بلى نجمعُها قادرينَ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾.

قيلَ: المضمَرُ «كنّا»؛ أي: بلى كنَّا قادرين في الابتداءِ، وقد اعترفَ به المشركون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ﴾ بنانَ الإنسانِ، فنبَّهَ بالبنانِ على بقيَّةِ الأعضاءِ؛ أي: قدَرْنا على خلقِ الإنسانِ ابتداءً، ومَن قدَرَ على الابتداءِ قدَرَ على الإعادةِ.

أو: كنَّا قادرينَ على أنْ نسوِّيَ بنانَه حتَّى يكونَ كالشَّيءِ الواحدِ، حتَّى تلحقَ الرّاحةُ بالأناملِ من غيرِ أن تقبلَ التَّثنِّيَ، فتكونُ يدُ الإنسانِ ورجلُه كخفِّ البعيرِ وحافرِ الحمارِ، فيتناولُ الأشياءَ بفيهِ كالبهائمِ، فإذ اعترفتُم بقدرتِه على هذا، فلمَ تُنكرونَ قدرتَه على الإعادةِ؟

وقيلَ: المضمرُ «نجمعُها»؛ أي: بلى نجمعُها قادرينَ على تسويةِ البنانِ؛ أي: نقدرُ على أن نُعيدَ الإنسانَ في هيئةِ البهائمِ، فكيفَ في صورتِه الَّتي كانَ عليها؟ وهوَ كقولِه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠ ـ ٦١].

وقيلَ: أي: نجعلُ الأصابعَ على هيئةٍ واحدةٍ من غيرِ اختلافٍ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٠)، ولم يذكروا له سنداً ولا راوياً.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١٤) وفيه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ يعني: أبا جهل إلى آخر السورة، وفي «البسيط» (٢٢/ ٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: أبا جهل، أيحسب أن لن يبعث.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: نقدرُ على جمعِ السُّلامياتِ على صغرِها، فنُعيدُها كما كانَت، فما الظَّنُّ ببقيّةِ الأجزاءِ[1]؟

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

قولُه: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ الإنسانُ هاهنا: الكافرُ؛ أي: لو فكَّرَ لعَرَفَ قدرةَ الرَّبِّ، ولكنَّه ركبَ رأسَه في الغفلةِ، فهو مكذِّبٌ بالبعثِ، فيفعلُ ما يشاءُ لأنَّه اعتقدَ الأمنَ منَ العذابِ.

وقيلَ: أي: يريدُ الإنسانُ ليُكذِّبَ بيومِ القيامةِ، وإذا كذَّبَ بها فقد فجَرَ فيما هوَ أمامَه؛ أي: في البعثِ الّذي هو أمامَه.

وقيلَ: بل يريدُ الإنسانُ ليفجُرَ في مستقبَلِ أيّامِه فلا ينزجِرَ عن معصيتِه، فقولُه: ﴿أَمَامَهُۥ﴾ كنايةٌ عن إقدامِه على المعصيةِ في مستقبلِ أوقاتِه.

وقيلَ: أي: يعزمُ على المعصيةِ أبداً، وإن كانَ لا يعيشُ إلّا مُدّةً قليلةً.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ: يُعجِّلُ المعصيةَ، ويُسوِّفُ التَّوبةَ[2].

---

(١) بمعناه في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١)، ولفظ المصنف أقرب إلى كلام ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٠٦)، حيث قال: «بلى، فاعلموا أنّا نقدر على رد السّلاميات على صغرها ونؤلّف بينها حتى يستوي البنان، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر». وهكذا ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٨) جامعاً كلام القتبي مع كلام الزجاج.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٠) من رواية عطاء والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٠٥)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٧٣)، عن أبي وكيع عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «يقدم الذنب ويؤخر التوبة»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٨) وصححه، وعنه البيهقي في «الشعب» (٧٢٣٢)، عن

وقيلَ: يُطيُل الأملَ، ويَنسى الموتَ.

وقيلَ: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليُكذِّبَ بيومِ البعثِ، والمكذِّبُ بالبعثِ فاجرٌ.

* * *

(٧ ـ ١٠) ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾.

قولُـه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾؛ أي: فـإذا تحيَّرَ البصرُ بمـا يَرى من أهـوالِ القيامةِ تحقَّقَ له أنَّـه قصَّرَ.

قُرِئَ: ﴿بَرِقَ﴾ بكسرِ الرّاءِ: فزِعَ وتحيَّرَ، وقُرِئَ: ﴿فإذا بَرَقَ البصر﴾ بفتحِ الرّاءِ[1]، وهو بمعنى: تحيَّرَ، فـ«بَرَقَ» و«بَرِقَ» بمعنًى واحدٍ.

وقيلَ: ﴿بَرِقَ﴾ بالفتحِ؛ أي: شخَصَ البصرُ.

وقال الزَّجّاجيُّ: «برِق يبرَقُ» بمعنى: تحيَّرَ، مثلَ: حَمِدَ يَحمَدُ، وأصلُه: أن يُكثرَ الإنسانُ النَّظرَ إلى لمعانِ البرقِ، ويؤثِّرَ ذلك في ناظرِه، وهوَ كما يُقالُ: قَمِرَ بصرُه؛ أي: فسدَ من النَّظرِ إلى القمرِ، ثمَّ استُعيرَ في الحيرةِ[2].

ثمَّ قيلَ: هذا البرقُ والدَّهَشُ في القيامةِ. وقيلَ: عندَ الموتِ. وقيلَ: عندَ رؤيةِ جهنَّمَ.

قولُـه: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي: ذهـبَ ضـوءُه، والخسـوفُ فـي الدُّنيا إلـى انجلاءٍ، وغـداً[3] لا يعـودُ ضوءُه.

إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، بلفظ: «سوف أتوب»، وهكذا علقه البخاري عن ابن عباس قبل الحديث (٤٩٢٧).

(١) قرأ بها نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) ذكره عن الزجاجي الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٥).

(٣) في (الأصل): «وهذا».

قولُه: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جُمِعا كالبعيرينِ القَرينينِ[١].

وقالَ الكلبيُّ: كالثَّورينِ العقيرينِ[٢].

وقالَ الزَّجَّاجُ والفرَّاءُ: جُمِعا في ذهابِ نورِهما[٣].

وقالَ الفرَّاءُ: لـم يقل: جُمِعَت؛ لأنَّ المعنى: جُمِعَ بينهما[٤].

وقالَ أبو عُبيدةَ: لتذكيرِ القمرِ[٥].

وقالَ الكسائيُّ: أي: جُمِعَ النُّوران[٦].

وقيلَ: هذا الجمعُ: أنَّهما يُجمَعانِ ويُقرَّبانِ من النّاسِ، فيلحقُهم العَرَقُ لشدَّةِ الحرِّ، فكأنَّ المعنى: يُجمَعُ حرُّهما عليهم.

وقيلَ: يُجمَعُ الشَّمسُ والقمرُ فلا يكونُ ثَمَّ تعاقُبُ ليلٍ ونهارٍ.

ومَن قالَ: ﴿بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾ عندَ الموتِ، يعني: معنى خسوفِ القمرِ عندَ الموتِ؛ أنَّ ضوءُ البصرِ يذهبُ عندَ الموتِ.

قولُه: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾؛ أي: يقولُ هذا الإنسانُ المنكِرُ للقيامةِ في ذلك

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٦) عن مقاتل، وجاء في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١٠): «وجمع بين الشمس والقمر كالبقرتين المقرونتين يوم القيامة».

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

(٦) ذكره عنه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٥٣)، وقال: وأولى ما قيل فيه قول الكسائي.

الوقتِ: أينَ الفرارُ؟ وقيلَ: أي: إلى أينَ الفرارُ؟ تقولُ: «فَررتُ الجبلَ» و«فَررتُ إلى الجبلِ».

وقُرِئَ: (المَفِرُّ) بكسرِ الفاءِ[1]، وهوَ الملجأُ والمهرَبُ؛ لأنَّ المكسورَ العينِ من هذا البابِ معناه الموضعُ في الغالبِ.

* * *

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ الوزرُ: الجبلُ الحصينُ الّذي يُلجأُ إليه.

قولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾؛ أي: إلى ربِّكَ المنتهَى والمصيرُ؛ أي: تَؤُولُ الأمورُ إلى حُكمِه.

وقيلَ: أي: المستقرُّ في الآخرةِ حيثُ يجعلُه اللهُ مأوًى لعبادِه، فمستقَرُّ المؤمنِ الجنَّةُ، ومستقَرُّ الكافرِ النّارُ، فليسَ الأمرُ إلى العبادِ حتّى يَفرُّوا أو يستقرُّوا حيثُ أرادوا.

قولُه: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ أي: يُخبَرُ بما قدَّمَ من أعمالِه وما أخَّرَ من عملٍ بعدَ مماتِه يعملُ به غيرُه اقتداءً به، فإنَّ وزرَ ذلك عليه إن كانَ سيِّئاً، وأجرَه له إن كانَ حَسناً.

قيلَ: ما قدَّمَ؛ أي: من معصيةٍ، وما أخَّرَ؛ أي: من طاعةٍ.

وقيلَ: يُخبَرُ بما عملَ في أيّامِ التّكليفِ بالمتقدِّمِ منه وبالمتأخِّرِ.

وقيل: بما قدَّمَ من أموالِه في الصَّدقاتِ، وما خلَّفَ لورثتِه.

وهذا الإنباءُ يكونُ في القيامةِ عندَ وزنِ الأعمالِ، ويجوزُ أن يكونَ عندَ الموتِ.

---

(١) نسبت لجمع منهم الحسين بن علي وابن عباس والحسن وعكرمة وأيوب السختياني والزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤١)، و«البحر» (٢١/ ١١٢).

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

قولُه: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾؛ أي: يُنبَّأُ الإنسانُ يومئذٍ بأعمالِه، بل لا يحتاجُ إلى أن يُخبرَه غيرُه؛ لأنَّه على نفسِه حجَّةً؛ لأنَّ جوارحَه تشهدُ عليه؛ كقولِه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، والبصيرةُ: البيِّنةُ والحجَّةُ؛ كقولِه: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقيل: جعلَه هوَ البصيرةَ، كما تقولُ للرَّجلِ: أنت حجَّةٌ على نفسِك.

وقيلَ: هوَ كما يُقالُ لمَن يَعيبُ غيرَه بفعلٍ ثمَّ يرتكبُه: أنت حجَّةٌ على نفسِك؛ لأنَّك تَعيبُ غيرَكَ، فكأنَّكَ تعيبُ نفسَك عليه أيضاً.

وأمّا تأنيثُ «البصيرةِ» فلأنَّ المرادَ بالإنسانِ هاهنا: الجوارحُ؛ لأنَّها شاهدةٌ على نفسِ الإنسانِ، فكأنَّه قالَ: بل الجوارحُ على نفسِ الإنسانِ بصيرةٌ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: هوَ كقولِك: رجلٌ علَّامةٌ وراويةٌ[(١)].

قولُه: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ هيَ جمعُ «مَعْذِرةٍ»؛ أي: فلو أدلَى بعُذرٍ لم ينفعْه ذلك؛ لأنَّ جسَدَه عليه شاهدٌ.

وقالَ الضَّحَّاكُ: أي: ولو أرخَى السُّتورَ[(٢)].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعاذيرُ: السُّتورُ، والواحدُ: مِعذارٌ[(٣)]؛ أي: وإن أرخى السِّترَ فنفسُه شاهدةٌ عليه.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٢)، ومن طريقه الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٢٢٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٥). جميعهم بلفظ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ قال: ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المعذار. وبنحو هذا رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٣).

وقيلَ: أي: يُؤاخَذُ غداً بعملِه ولا يُعذَرُ في الذَّنبِ، وإن كانَ في الدُّنيا يطلبُ تأويلاً، ويُعلِّلُ نفسَه تعليلاً.

* * *

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

قولُه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ قيلَ: كانَ عليه السّلامُ إذا نزلَ الوحيُ حرَّكَ لسانَه مع الوحي عجلاً به لئلّا يفوتَه شيءٌ، فأمرَه اللهُ بتركِ ذلكَ ووعدَه أن يجمعَ القرآنَ في صدرِه فلا ينساه(١)، وهوَ كقولِه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، و﴿قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: قراءتَه عليك.

وقيلَ: أي: إنَّ علينا جمعَه وقراءتَك إيّاهُ بأن نُقرِئَكَهُ.

وقيلَ: أي: إنَّ علينا جمعَه وتأليفَه، والقرآنُ هوَ الجمعُ، ولمَّا اختلفَ اللَّفظانِ أتى بهما، فقالَ: ﴿جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ من قولِهم: ما قرأَتْ هذهِ النّاقةُ سلًى قطُّ(٢)؛ أي: ما جمعَت، وهوَ كقولِه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨].

وقيلَ: إنَّ علينا أن نجمعَ لك أحكامَه، وأن نقرأَه عليكَ؛ أي: يقرؤه جبريلُ بأمرِنا فتحفظَه.

---

(١) روى معناه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨)، من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما، وفي آخره: «فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه».

(٢) السلى: الجلدة الرقيقة التي يكون الولد في بطن أمه ملفوفًا فيها، وهو في الدواب والإبل: السلى، وفي الناس: المشيمة. والمعنى: أنها لم تضمُمْ رحمًا على ولد. انظر: «تفسير الطبري» بتحقيق محمود شاكر (١/ ٩٥).

قولُه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾؛ أي: قرأناه عليكَ على لسانِ جبريلَ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: اتَّبع حلالَه وحرامَه.

قالَ ابنُ عبَّاس: كانَ عليه السَّلامُ بعدَ هذا إذا نزلَ جبريلُ أطرقَ، فإذا ذهبَ قرأ كما وعدَه اللهُ(١).

وقيلَ: هذا الاتِّباعُ بمعنى الاستماعِ؛ أي: فإذا قرأناه فاستمعْ له وأنصتْ.

قولُه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾؛ أي: إنَّ علينا تفسيرَ ذلك وتفصيلَ الأحكامِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: علينا أن نحفظَه عليك حتَّى يَبينَ للنّاسِ بتلاوتِك عليهم(٢).

ويجوزُ أن يكونَ البيانُ بمعنى ظهورِ الشَّيءِ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى إظهارِه.

وقيلَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ أن ننزِّلَه قرآناً عربيًّا غيرَ ذي عوجٍ.

وقيلَ: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ ثمَّ علينا بيانُ ما فيه من الوعدِ والوعيدِ وتحقيقُهما.

وقيلَ: يقالُ للإنسانِ المذكورِ في قولِه: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لا تحرِّكْ به لسانَك، بل يُخرَج له كتابُه فيقالُ: اقرأه قراءةَ متثبِّتٍ لتتذكَّرَ ما قدَّمْتَ وما أخَّرتَ.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

قولُه: ﴿**كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ**﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: لا يؤمنُ أبو جهلٍ بتفسيرِ القرآنِ وبيانِه(٣).

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٤٩٢٩)، ومسلم (٤٤٨).

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٩٣)، ولم يعزه، والظاهر أنه من كلامه، وورد معناه في حديث الصحيحين السابق عن ابن عباس، ولفظه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: علينا أنْ نُبيِّنَه بلسانك.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥٠٢) من رواية عطاء عن ابن عباس.

وقيلَ: أي: ﴿كلّا﴾ لا يُصلُّونَ ولا يُزكُّونَ ﴿بلْ يحبُّونَ العاجِلةَ﴾؛ أي: الدُّنيا، ويَتركونَ العملَ للآخرةِ.

قُرِئَ: ﴿يحبون﴾ بالياءِ والتَّاء[1].

وقيلَ: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: حقّاً يُحبُّونَ العاجلةَ.

* * *

(٢٢ ـ ٢٥) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

قولُه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يومَ القيامةِ ﴿نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي: مشرقةٌ بالنَّعيمِ، يقالُ: نَضَرَتِ الشَّجرةُ تَنْضُرُ نَضْرةً ونُضوراً فهيَ ناضِرة، فالنَّضرةُ: النَّعمةُ، والنّاضرُ: الغضُّ الحسنُ النّاعمُ.

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: نضَرَه اللهُ ـ بالتَّخفيفِ ـ فنَضِرَ يَنضَرُ مثلَ: حَمِدَ يَحمَدُ، ونَضَرَ يَنضُرُ مثلَ: دَخَلَ يَدخُلُ، لغتان، وفي الخبرِ: «نضَّرَ اللهُ عبداً سمعَ مقالتي»[2]، رُوِيَ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[3].

---

(١) بالياء ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤١٥٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح. ورواه الترمذي (٢٦٥٦) ـ وحسنه ـ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) رواه الأصمعي بالتشديد وأبو عبيدة بالتخفيف. انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٨)، و«الغريبين» (مادة: نضر)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٥٠٥)، و«مشارق الأنوار» للقاضي عياض (مادة: نضر). قال القاضي: «وأكثر الشُّيوخ يشددون وأكثر أهل الأدب يخففون قال ابن خلاد: وهو الصَّحيح»، قال القاضي: «وكلاهما صحيح».

قالَ ابنُ الأعرابيِّ: ويقالُ: نَضِرَ وجهُهُ ونَضَرَ، ونَضَّرَ وجهَهُ وأنضَرَ[١].

قولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ أي: تنظرُ إلى اللهِ فلا تُحجَبُ عنه[٢].

قالَ الحسنُ: حُقَّ لها أن تنضرَ وهيَ تنظرُ إلى ربِّها[٣].

وقالَ مجاهدٌ: أي: تنتظرُ ثوابَ ربِّها[٤].

قالَ الأزهري: هوَ خطأٌ؛ لأنَّه لا يقالُ: «نظرَ إلى كذا» بمعنى الانتظارِ[٥].

والنَّظرُ المضافُ إلى الوجهِ يكونُ بمعنى الرُّؤية، وهذا الذي [إذا][٦] أُضيفَ إلى الوجهِ فمعناهُ: صاحبُ الوجهِ، وكذلك قولُه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].

وقيلَ: ﴿إِلَىٰ﴾ واحدُ «الآلاءِ»؛ أي: نعمةَ ربِّها منتظرةٌ.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٨)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦).

(٢) في هامش (الأصل): «وقيل: منتظرة إنعامه. ورُدَّ بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه، وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، وأن المستعمل بمعناه لا يُعدَّى بـ: إلى، وأما قول الشاعر:

وإذا نظرتُ إليكَ من ملكٍ والبحرُ دونَكَ زدتني نُعما

بمعنى السؤال؛ فإن الانتظار لا يستعقب العطاء.

اعلم أن [«مِن» في] هذا البيت [مِن] قبيل التجريد، و«دونك»؛ أي: بيني وبينك، «زدتني» بعطية فوق ما آمله.

وقوله: «بمعنى السؤال» ليس معناه: أنه معناه لغة، بل المراد أنه من قبيل:

[وحسبك] بالتسليم مني تقاضِيَا

[فإن مجرد] النظر إلى الملِك لا [يو]جب الإنعام، وإنما [...] مقدمة الاستحذاء هو موجب الإنعام». وما وضعناه بين معكوفتين زيادات اقتضاها السياق.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٩) و(١٠٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٦).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٨).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٦٦).

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

وهذا أيضاً باطلٌ؛ لأنَّ واحدَ «الآلاءِ» يُكتبُ بالألفِ لا بالياءِ، ثمَّ الآلاءُ: نعمةُ الدَّفعِ، وهم في الجنَّةِ لا ينتظرونَ دفعَ محنةٍ عنهم، والمنتظِرُ للشَّيءِ مُنغَّصُ العيشِ، فلا يُوصَفُ أهلُ الجنَّةِ بذلك.

وقيلَ: أضافَ إلى الوجهِ لا العينِ في الوجهِ، وهوَ كقولِه: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، والماءُ يجري في النَّهرِ، لا النهرُ، ثمَّ قد يُذكَرُ الوجهُ بمعنى العينِ، قالَ الله تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]؛ أي: على عينِه، ثمَّ لا يَبعدُ قلبُ العادةِ غداً حتَّى تُخلقَ الرُّؤيةُ والنَّظرُ في الوجهِ، وهوَ كقولِه: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ [الملك: ٢٢]، فقيل: يا رسولَ اللهِ، كيفَ يمشونَ في النَّارِ على وجوهِهم؟ فقال: «الَّذي أمشاهُم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمشيَهم على وُجوهِهم»(١).

قولُه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾؛ أي: عابسةٌ كالحةٌ لا يُرى فيها أثرُ السُّرورِ، وهذا لأنَّها أيقنَت أنَّ العذابَ نازلٌ بها.

والفاقرةُ: الدَّاهيةُ.

قالَ الأصمعيُّ: الفَقرُ: أن يُحزَّ أنفُ البعيرِ حتَّى يُخلصَ إلى العظمِ، ثمَّ يُلوى عليه جَريرٌ، يُذلَّلُ بذلكَ الصَّعبُ، ومنه يُقالُ: عُمِلتْ به الفاقرةُ(٢).

وقيلَ: الفاقرةُ: الوسمُ الَّذي يُفقَرُ(٣) به على الأنفِ.

وقالَ المُبرِّدُ: هيَ الدَّاهيةُ الَّتي تكسِرُ الفَقارةَ والفِقرةَ، وهما واحدٌ، وجمعُها:

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٠٤).

(٣) في (الأصل): «يقلَّدُ»، والمثبت من المصادر. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٨)، «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٠٠)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٥١٢)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ١٠٤)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٥١٢).

فِقارٌ وفِقَرٌ، وفَقَرتُ الرجلَ؛ أي: كَسرْتُ فَقارُه، مثلَ: رَأَستُه؛ أي: كسرتُ رأسَه[١].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿تَظُنُّ﴾؛ أي: تستيقنُ ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ هذهِ الفاقرةُ هيَ دخولُ النَّارِ[٢].

***

(٢٦ ـ ٣٠) ـ ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يُؤمنُ الكافرُ بالقيامةِ، ثمَّ استأنفَ، فقالَ: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾؛ أي: بلغَتِ النَّفسُ أوِ الرُّوحُ التَّراقيَ، فأخبرَ عمّا لم يجرِ له ذكرٌ لعلمِ المخاطبِ به؛ كقولِه: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

والتَّراقي: جمعُ تَرقُوةٍ، مثلَ: عَرقُوةٍ، وهيَ عَظْمُ وَصلٍ[٣] بين ثُغرةِ النَّحرِ والعاتقِ منَ الجانبَينِ، ويُكنَّى عن الإشفاءِ على الموتِ ببلوغِ النَّفسِ التَّراقي، والمقصودُ: تذكيرُهم شدَّةَ الحالِ عندَ نزولِ الموتِ.

وقولُه: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾؛ أي: أهلُ هذا الَّذي أشرفَ على الموتِ يطلبونَ له راقياً؛ أي: طبيباً يَرقيه ليَسكنَ عنه بعضُ ما يجدُ منَ الكربِ وضيقِ الصَّدرِ، فلا يجدونَ له راقياً.

وقيلَ: تقولُ الملائكةُ: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾؛ أي: مَن يرقَى بروحِه ويصعدُ بها: أملائكةُ العذابِ أم ملائكةُ الرَّحمةِ؟ وهوَ من قولِه: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٢٢/ ٥١٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٣) بلفظ: تستيقن أن يفعل بها عظيم.

(٣) تحرفت في (الأصل) إلى: «وقيلَ»، والتصويب من المصادر. انظر: «المحيط في اللغة» (١/ ٤٦٥)، و«مجمل اللغة» (ص: ١٤٧)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٥١٤)، و«مفردات الراغب» (مادة: ترق). وعبارة «العين» (٥/ ١٢٦): وصلُ عظمٍ.

[الإسراء: ٩٣] يُقال: رَقَى يَرقَى رُقيّاً، وعلى الأوَّلِ هوَ من: رَقَاهُ يَرقيهِ رُقيةً.

وقيلَ: ﴿مَنْۜ رَاقٖ﴾؟! بالإنكارِ؛ أي: لا راقيَ ولا طبيبَ، أو: لا يرغبُ ملَكٌ في الرُّقيِّ بروحِه، حتَّى يقولَ ملكُ الموتِ: يا فلان، اصعدْ بها.

وأظهرَ عاصمٌ وقومٌ النُّونَ في قولِه: ﴿مَنْۜ رَاقٖ﴾، واللّامَ في قولِه ﴿بَلْۜ رَانَ﴾[(١)]؛ لئلّا يُشبهَ «مرّاق»، وهوَ بائعُ المرقةِ، و«برَّانِ» في تثنيةِ البرِّ، والصَّحيحُ: تركُ الإظهارِ وكسرُ القافِ في ﴿مَنْۜ رَاقٖ﴾، وفتحةُ النُّونِ من ﴿بَلْۜ رَانَ﴾= تكفي في زوالِ اللَّبسِ.

وأمثلُ ممّا ذُكرَ أن نقولَ: قصدَ الوقفَ على ﴿مَنْ﴾ و﴿بَلْ﴾ فأظهرَهما.

قولُه: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾؛ أي: أيقَنَ وعلمَ أنَّه الفراقُ مِنَ الدُّنيا.

قولُه: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: شدَّةُ الدُّنيا بشدَّةِ الآخرةِ[(٢)].

وقيلَ: شدَّةُ الموتِ بشدَّةِ الآخرةِ[(٣)].

واستُعملَ في الشِّدَّةِ لفظُ: ﴿ٱلسَّاقُ﴾؛ لأنَّ الإنسانَ إذا دَهَمَتْه شدَّةٌ شمَّرَ لها عن ساقِه.

وقالَ الشَّعبيُّ: أي: التفَّتِ السَّاقانِ عندَ الموتِ[(٤)].

وقالَ قتادةُ: أمَا رأيتَه إذا أشرفَ على الموتِ يضربُ برجلِه على الأخرى[(٥)].

---

(١) هي قراءة حفص عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ١١٦ و٦٦١).

(٢) روى معناه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٥) من رواية أبي الجوزاء عن ابن عباس بلفظ: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ قال: الدنيا بالآخرة شدّة.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء. وروى معناه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٦) من رواية عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ يقول: آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة، فتلتقي الشدّة بالشدة، إلا من رحم الله.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٠)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٢).

وقالَ الحسنُ: هما ساقاه إذا لُفَّتا في الكفنِ(١).

وقيلَ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾؛ أي: هوَ في آخرِ أحوالِ الدُّنيا وهوَ يعاينُ أحوالَ الآخرةِ.

وقيلَ: أهلُ الميِّتِ يجهِّزونَ جسدَه، والملائكةُ يجهِّزونَ روحَه(٢).

قولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾؛ أي: إلى حُكمِه، والمساقُ: المصدرُ مِن «ساقَ يسُوقُ» كـ: المقالِ مِن «قالَ يقُولُ».

* * *

(٣١ ـ ٣٥) ـ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾.

قولُه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ نزلَت في أبي جهلٍ(٣)؛ أي: هذا المنكِرُ للبعثِ ما صدَّقَ وما صلَّى.

وقيلَ: يرجعُ هذا إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في هذهِ السُّورةِ، وهوَ اسمُ جنسٍ.

وقيلَ: أي: ما هوَ صدَّقَ محمداً ولا صلَّى للهِ صلاةً.

وفي الخبرِ: «أرأيتَ مَن لا أكَلَ ولا شرب ولا استَهلَّ»(٤)، وهذا لأنَّ «لا» حرفُ نفيٍّ ينفي الماضيَ كما ينفي المستقبلَ.

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٩)، بلفظ: «هما ساقاك.. ».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٧)، عن الضحاك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٤) عن ابن زيد. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥٢٣) عن ابن عباس، ومقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥١٣).

(٤) رواه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١)، من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

وقالَ الكسائيُّ: «لا» بمعنى: لم، ولكنَّه يُقرَنُ بغيرِه، تقولُ العربُ: لا عبدُ اللهِ خارجٌ ولا فلانٌ، [ولا] تقولُ: مررتُ برجلٍ لا مُحسنٍ، حتَّى يقالَ: ولا مُجمِلٍ(١).

وقولُه: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾ [البلد: ١١] ليسَ من هذا القبيلِ؛ لأنَّ معناهُ: أفلا اقتحَمَ؛ أي: فهلَّا اقتحمَ، فحُذفَ ألفَ الاستفهامِ.

وقالَ الأخفشُ: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾؛ أي: لم يصدِّقْ، كقولِه: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾؛ أي: لم يقتحمْ(٢).

ولم يَشترِطْ أن يَعقبَه شيءٌ آخرُ، والعربُ تقولُ: لا ذهبَ؛ أي: لم يذهبْ.

قولُه: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: كذَّبَ بالقرآنِ، وتولَّى عن الإيمانِ.

قولُه: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾؛ أي: يتبخترُ غيرَ مُكترثٍ بتكذيبِه وشركِه، والتَّمطِّي يدلُّ على قلَّةِ الاكتراثِ، وهوَ التَّمدُّدُ، والمَطَا: الظَّهرُ، كأنَّه يمدُّ ظهرَه ويَلويه منَ التَّبخترِ.

وقيلَ: هوَ من «المطِّ»، وهوَ المدُّ، وأصلُه: التَّمطُّطُ، ثمَّ قيلَ: تمطَّى مثلَ:

تَقَضِّيَ البَازِي إذا البَازِي كَسَرْ(٣)

---

(١) انظر: «الإبانة» للعوتبي (٢/ ٣٥)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٧٣٦)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٣٧)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٨ و٥٧٩) عند تفسير كل من هاتين الآيتين.

(٣) في (الأصل): «انكسر»، والمثبت من المصادر، وهذا الرجز للعَجَّاج يمدح عمر بن معمر التيمي، وهو في «ديوانه» (ص: ٨٣)، و«الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٣٠)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٢٣)، وتقدم عند تفسير الآية (٥) من الفرقان، وقبله:

إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بَدَرْ

والمَطِيطةُ: الماءُ الخاثرُ في أسفلِ الحوضِ؛ لأنَّه يتمطَّطُ؛ أي: يتمدَّدُ، وفي الخبرِ: «إذا مشَت أُمَّتي المُطَيطاءَ، وخدَمَتهم فارسُ والرُّومُ، كانَ[١] بأسُهم بينَهم»[٢]، والمُطَيْطاءُ: التَّبختُرُ ومدُّ اليدينِ في المشي.

وعلى القولِ الأوَّلِ هوَ من «المَطَا»؛ أي: الظَّهر[٣]، أو من «المطو»، وهوَ المدُّ، وقد مُطِيَ في الشَّمسِ؛ أي: مُدَّ، وكلُّ شيءٍ مدَدْتَه فقد مَطَوتَه.

قولُه: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ هذا تهديدٌ لأبي جهلٍ؛ أي: وَلِيَكَ المكروهُ.

وقيلَ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾؛ أي: ويلٌ لك.

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾؛ أي: وعيدٌ بعدَ وعيدٍ، وقد نالَهم يومَ بدرٍ ما نالَهم، ولهم في الآخرةِ العذابُ الشَّديدُ.

وقالَ قطربٌ: ﴿أَوْلَىٰ﴾؛ أي: أقربُ؛ أي: قَرُب منكَ[٤] الوعيدُ، وقد تُركَ صرفُه لأنَّه أفعَلُ من «وليَ»؛ أي: الوعيدُ أولى لك.

وقيلَ: أفعَلُ مثلُ «أعمَى» و«أعشى»، وهوَ من «الويلِ»، وهوَ مقلوبٌ، كما

---

(١) في (الأصل): «وكانَ»، والصواب المثبت.

(٢) رواه الترمذي (٢٢٦١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٦٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث غريب.

ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٧١٦) من حديث خولة بنت قيس رضي الله عنها.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٧): رواه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن.

(٣) في (الأصل): «أي: للظَّهرِ؛ أي: الظَّهر»، والصواب المثبت. انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٣٧)، والكلام فيه كما أثبتناه.

(٤) في (الأصل): «من»، ولعل ما اثبتناه هو الصواب.

قيلَ: «أدنى» من «أدون»، وكانَ يجبُ أن يقالَ: أَوْيَلُ؛ أي: أحْرَى لك وأشْقَى لجَدِّك[(١)].

وهذا التَّكريرُ كما قيلَ:

... لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلي[(٢)]

أي: لك الويلُ ثمَّ الويلُ ثمَّ الويلُ.

وقولُه: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ خطابٌ من اللهِ لهذا الكافرِ.

وقيلَ: أُمرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ بأن يقولَها؛ أي: فقلْ يا محمد لهذا الَّذي ذهبَ إلى أهلِه يتمطَّى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾؛ أي: أجدرُ، فقد قربَ منكَ ما لا طاقةَ لك فيه.

* * *

---

(١) «أشقى لجدك» معناها والله أعلم: أتعسُ لجدك، وقد استعملها بعض المتقدمين والمتأخرين، فقد ذكر محمد بن حبيب في «شرح ديوان جرير» (٢/ ٥٧٢) أن عبد الملك بن مروان سأل جريراً في مجمع من الشعراء عن الأخطل فقال: أتعرف هذا الرجل؟ قال: لا أعرفه يا أمير المؤمنين، فانبعث الأخطل فقال: ألا تعرفني؟ أنا الذي أطلت شتمك، وأرّقت نومك، واهتضمت قومك. فقال جرير: ذاك وأبيك أشقى لجدّك، لا والذي أعمى بصيرتك وحرّم خنزيرتك وأذل عشيرتك ما فعلتَ! وقال ابن رشيق كما «الذخيرة» للشنتريني (١/ ٤٤٨):

أشقى لجدك أن تكون أديباً ... أو أن يرى فيك الورى تهذيبا

ما دمت مستوياً ففعلك كله ... عوج وإن أخطأت كنت مصيبا

كالنقش ليس يتم معنى ختمه ... حتى يكون بناؤه مقلوبا

(٢) قطعة من بيت لامرئ القيس، وهو في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٣٦)، وتمامه:

ويَومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فقالَتْ: لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرجِلِي)

(٣٦ ـ ٤٠) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

قولُه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: لم يُهْمِلْه اللهُ، بل بعثَ الرُّسلَ، وكلَّفَ الطَّاعةَ، وحذَّرَ المعصيةَ.

﴿سُدًى﴾؛ أي: مُهملاً لا يُؤمرُ ولا يُنهى ولا يُحاسبُ، يُقال: أسديتُ إبلي إسداءً؛ أي: أهملتُها.

قولُه: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ النُّطفةُ: الماءُ القليلُ؛ أي: ألم يكُ ماءً قليلاً في صُلبِ الرَّجلِ وترائبِ المرأةِ؟ والمنيُّ: ماءُ الرَّجلِ وماءُ المرأةِ الَّذي يكونُ منه الولدُ.

قُرِئَ: ﴿تُمنَى﴾ بالتَّاءِ، وقُرِئَ بالياءِ[1] ردًّا على المعنى، والإمناءُ: الصَّبُّ في الرَّحمِ.

وقيلَ: ﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياءِ؛ أي: يُقدَّرُ الإنسانُ منه.

قولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾؛ أي: ثمَّ كانَ الإنسانُ علقةً بعدَ النُّطفةِ، ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: نفخَ فيه الرُّوحَ وسوَّى خلقَه.

قولُه: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾؛ أي: أولاداً ذكوراً وإناثاً، وفيه إضمارٌ؛ أي: فخلقَه فسوَّاه وجعلَ الزَّوجينِ، وهوَ كقولِك: بأبي وأمِّي؛ أي: بأبي وأمِّي أنتَ، قالَ الله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ [غافر: ٩]؛ أي: تَقِهِ.

قولُه: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ هذا سؤالُ تقريرٍ، وكانَ عليه السَّلامُ إذا قرأَ

---

(١) قرأ حفص بالياء والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٢)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

هذهِ السُّورةَ قال: «سبحانَكَ اللَّهمَّ بلى»[١]، وفي خبرٍ آخرَ: «إذا قرأَ أحدُكم: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ فليقلْ: بلى»[٢].

* * *

(١) رواه أبو داود (٨٨٤)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٦٢٤)، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، قال: «سبحانك فبلى». فسألوه عن ذلك، قال: «سمعته من رسول الله ﷺ». ورجاله ثقات إلا أن موسى بن أبي عائشة لم يرو عن أحد من الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين، وقد ذكروا أنه كثير الإرسال. ويؤيد هذا رواية أبي عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١) عن موسى بن أبي عائشةَ، عن رجلٍ، عن آخرَ، عن آخرَ: أنه كان يَقرأ فوق بيتٍ له... الحديث.

ورواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٧٠)، وابن المنذر وابن مردويه من حديث جابر رضي اللَّه عنه، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٦٤).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٨) عن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى».

ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً بلفظ: «سبحانك اللهم وبلى». وهكذا رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٠٥١) لكن دون واو قبل «بلى».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧)، من رواية أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النووي في «المجموع» (٤/ ٦٧): فهو ضعيفٌ لأنَّ الأعرابيَّ مجهولٌ فلا يُعلم حالُه وإن كان أصحابُنا قد احتجُّوا به.

تفسيرُ سورةِ الإنسانِ

بسمِ اللّٰه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ نزلَتِ السُّورةُ في عليٍّ رضي الله عنه[1]، والمقصودُ من السُّورةِ عامٌّ، وهكذا القولُ في كلِّ ما يقالُ: إنَّه نزلَ بسببِ كذا وكذا.

و﴿هَلْ﴾ للاستفهامِ، والمرادُ التَّقريرُ، ولهذا قيلَ: معناه: قد أتى على الإنسانِ، وتقولُ: هل وعظتُك؟ أي: قد وعظتُك.

وقالَ أبو بكرٍ لمَّا قرأَ هذهِ الآيةَ: «ليتَها كانَت تمَّت فلا نُبتلَى»[2]؛ أي: ليتَ المدَّةَ الَّتي أتَت على آدمَ ولم يكُ شيئاً مذكوراً تمَّت على ذلك، فلا يلدُ ولا يُبتلى أولادُه.

﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾؛ أي: آدمَ.

---

(١) ستأتي قصته عند قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾.

(٢) ذكره عن أبي بكر رضي الله عنه ابو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٦).

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٥)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥٠)، عن عمر رضي الله عنه بلفظ: «يا ليتها تمت»، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٩٥) بلفظ: «ليت ذلك الحين». يعني: ليت الإنسان بقي شيئًا غير مذكور.

وروي نحو هذه القصة عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً، رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٥٦).

ثمَّ قالَ الفرَّاءُ: النَّفيُ يرجعُ إلى الذِّكرِ؛ أي: كانَ شيئاً ولكن لم يكنْ مذكوراً للخلقِ(١)؛ لأنَّ اللهَ تعالى خلقَ قبلَ آدمَ السَّماواتِ والأرضينَ وكثيراً من الحيواناتِ، فما كانَ عندَهم ذكرٌ من آدمَ؛ يعني: حينَ كانَ تراباً وطيناً.

قال ابنُ عبَّاسٍ: أقامَ آدمُ حينَ خُلقَ من طينٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ كانَ أربعينَ سنةً من صلصالٍ، وأربعينَ سنةً من حمأٍ مسنونٍ، فتمَّ خلقُه بعدَ مائةٍ وعشرينَ سنةً(٢).

وزادَ ابنُ مسعودٍ فقالَ: أقامَ وهوَ من ترابٍ أربعينَ سنةً، فتمَّ خلقُه بعدَ مائةٍ وستِّينَ سنة، ثمَّ نُفخَ فيه الرُّوحُ(٣).

وقيلَ: الحينُ المذكورُ هاهنا لا يعرفُ مقدارُه.

وقالَ قومٌ: النَّفيُ رجعَ إلى الشَّيءِ؛ أي: قد مضى مُددٌ من الدَّهرِ وآدمُ لم يكُ شيئاً يُذكرُ في الخليقةِ؛ لأنَّه آخرُ ما خلقَه اللهُ من أصنافِ الخليقةِ، والمعدومُ ليسَ بشيءٍ حتَّى يأتيَ عليه حِينٌ، فالمعنى: قد مضَت أزمنةٌ وما كانَ آدمُ شيئاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحدٍ من الخليقةِ.

وعلى هذا القولِ: الإنسانُ آدمُ، [و]يدخلُ فيه النَّاسُ كلُّهم، ثمَّ ذكرَ بعدَ هذا ذرِّيَّةَ آدمَ بقولِه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾.

وقد قيلَ: الإنسانُ في قولِه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾: ذرِّيةُ آدمَ، وكذلك قولُه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾؛ أي: ما كانَ مذكوراً؛ إذ كانَ عَلَقةً ومُضغةً؛ لأنَّه يكونُ في هذهِ الحالةِ جماداً لا خطرَ له.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨)، من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨).

وقالَ ابنُ عبَّاس: لم يكنْ مذكوراً لا في السَّماءِ ولا في الأرضِ[١].

وقد قِيلَ: ليسَ هذا الذِّكرُ بمعنى الإخبار، فإنَّ إخبارَ الرَّبِّ عن الكائناتِ قديمٌ، بل هذا الذِّكرُ بمعنى الخطرِ والقَدْرِ والشَّرفِ، تقولُ: فلانٌ مذكورٌ؛ أي: له شرفٌ وقَدْرٌ، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]؛ أي: شَرفٌ ونَبَاهةٌ؛ أي: قد أتى على الإنسانِ حِينٌ لم يكنْ له قَدْرٌ عندَ الخَليقةِ؛ لأنَّ الجمادَ لا قَدْرَ له، ثمَّ لمَّا عرَّفَ اللهُ الملائكةَ أنَّه جعلَ آدمَ خليفةً وحمَّلَه الأمانةَ الَّتي عجزَ عنها السَّماواتُ والأرضُ والجبالُ، ظهرَ فضيلتُه على الكلِّ، فصارَ مذكوراً.

وعلى الجملةِ: ما كانَ مذكوراً للخلقِ وإن كانَ مذكوراً للهِ.

***

(٢) ـ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ المَشْجُ: الخلطُ، يُقالُ: مَشَجَ يمشِجُ مثلَ: ضربَ يضرِبُ؛ أي: خلطَ، والأمشاجُ: الأخلاطُ، الواحد: مَشَجٌ ومَشِيجٌ.

وقالَ: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾، والنُّطفةُ واحدةٌ، والأمشاجُ جمعٌ، وهوَ كوصفِ البرمةِ بالأعشارِ، في قولِه: برمة أعشار؛ أي: قطعٌ متكسِّرةٌ.

وهذا الاختلاطُ: اختلاطُ نطفةِ الرَّجلِ بنطفةِ المرأةِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يختلطُ ماءُ الرَّجلِ وهوَ أبيضُ غليظٌ بماءِ المرأةِ وهوَ أصفرُ رقيقٌ، فيُخلقُ منهما الولدُ، فما كانَ من عَصَبٍ وعظمٍ وقوَّةٍ فمِن نطفةِ الرَّجلِ، وما كانَ من لحمٍ ودمٍ وشَعرٍ فهوَ من ماءِ المرأةِ[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٩).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٢ ـ ١٣) من قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي، ومقاتل، وعكرمة.

وقالَ مجاهدٌ: يعني بالأمشاجِ ألوانَ النُّطفةِ، ونطفةُ الرَّجلِ بيضاءُ وحمراءُ، ونطفةُ المرأةِ خضراءُ وحمراءُ[١].

وقيلَ: أمشاجُها العروقُ الَّتي تكونُ في النُّطفةِ.

وقالَ الحسنُ: يعني: من نطفةٍ مُشِجَت بدمٍ، وهوَ دمُ الحيضةِ، فإنَّ المرأةَ إذا حملَت أمسكَ حيضُها، فاختلطَت النُّطفةُ بالدَّمِ[٢].

وقالَ الزَّجّاجُ: ﴿أَمْشَاجٍ﴾؛ أي: أخلاطٍ من منيٍّ ودمٍ، ثمَّ يُنقَلُ من حالٍ إلى حالٍ[٣].

وقيلَ: أي: من نطفةٍ ذاتِ أمشاجٍ، فحُذفَ المضافُ؛ أي[٤]: ذاتِ أخلاطٍ من الطَّبائعِ الَّتي في الإنسانِ من الحرارةِ والبرودةِ والرُّطوبةِ.

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ هذا ابتداء كلامٍ؛ أي: خلقناه وابتليناه بالتَّكليفِ.

﴿فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؛ أي: جعلناه كذلك لنبتليَه.

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ السُّبيلُ: اسمٌ لِمَا نسلكُه من الطَّريقِ؛ أي: عرَّفناه سبيلَ الخيرِ والشَّرِّ، وهذا يشيرُ إلى تركيبِ العقلِ فيه، ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي: أيَّهما فعلَ فقد بيَّنَّا له ما تُؤدِّي إليه عاقبةُ أمرِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥).

(٢) رواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٤) واللفظ له.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٧).

(٤) في (الأصل): «إلى»، والصواب المثبت.

وقيلَ: أي: هديناهُ سبيلَ الرُّشدِ؛ أي: بيَّنَّا له سبيلَ التَّوحيدِ بنصبِ الأدلَّةِ عليه، ثمَّ إنْ خلَقْنا له الهدايةَ اهتدى وأمِنَ، وإن خذَلْناه كفَرَ، وهوَ كما تقولُ: قد نصَحْتُ لك إن شئتَ فاقبلْ وإن شئتَ فاترُكْ؛ أي: فإن شئتَ، فحذفَ الفاء، وكذا أرادَ: فإمّا شاكراً.

فعلى الأوَّلِ: السَّبيلُ يتناولُ سبيلَ الخيرِ والشَّرِّ، وعلى الثّاني: هوَ سبيلُ الحقِّ.

يُقالُ: هديتُه السَّبيلَ، وللسَّبيلِ، وإلى السَّبيلِ.

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ إنَّه تعبَّدَ العقلاءَ وكلَّفَهم ومكَّنَهم ممَّا أمرَهم به، فمَن كفرَ فله العقابُ، ومَن وحَّدَ وشكرَ فله الثَّوابُ.

والسَّلاسلُ: القيودُ في جهنَّمَ. قال ابنُ عبَّاسٍ: طولُ السِّلسلةِ سبعونَ ذراعاً؛ كقولِه: ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ [الحاقة: ٣٢][1] فيُستوثَقُ منهم بالسَّلاسلِ والأغلالِ، وتُشدُّ فيها أيديهِم إلى رقابِهم.

والإعتادُ: الإعدادُ للشَّيءِ حتَّى يكونَ عتيداً حاضراً متى احتِيجَ إليه.

قُرِئَ: ﴿سَلاسِلَ وأغْلالاً﴾، وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ والكسائيُّ: ﴿سَلاسِلاً﴾ منوَّنةً[2]، والمعنى واحدٌ، وصرفُ ما لا ينصرفُ سهلٌ عندَ العربِ.

وقالَ الكسائيُّ: هوَ على لغةِ مَن يُجري الأسماءَ كلَّها، إلّا قولَهم: هوَ أظرفُ منك؛ فإنَّهم لا يُجرونَه.

والسَّعيرُ: النَّارُ المُسعَّرةُ عليهم.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٩).

(٢) وقرأ بالتنوين أيضاً شعبة عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

قولُـه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ لمّـا ذكـرَ ما أعـدَّ للكافرينَ ذكَـرَ ما أعدَّ للشَّاكرينَ.

والبرُّ: مَن امتثلَ أمرَ اللهِ.

وقيلَ: البَرُّ: الموحِّدُ.

والأبرارُ: جمعُ «بارٍّ» مثلَ: شاهدٍ وأشْهادٍ، وقيلَ: جمعُ «بَرٍّ» مثلَ: نَهرٍ وأنْهارٍ.

وقالَ الحسنُ: البَرُّ الَّذي لا يُؤذي الذَّرَّ[١].

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾؛ أي: من إناءٍ فيه الشَّرابُ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ الخمرةَ[٢].

﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾؛ أي: ما يُمازجُها، ومزاجُ البدنِ: ما يُمازجُه من الصَّفراءِ والسَّوداءِ والحرارةِ والبرودةِ.

﴿كَافُورًا﴾ قـالَ ابـنُ عبَّـاسٍ: هـوَ اسـمُ عينِ مـاءٍ فـي الجنَّةِ يقـالُ لهـا: عينُ الكافـورِ[٣]؛ أي: يمازجُـه مـاءُ هـذهِ العيـنِ الَّتـي تُسـمَّى كافوراً.

وقيلَ: معنى الكافور: الَّذي له رائحةٌ طيِّبةٌ؛ أي: يمازجُه ريحُ الكافورِ أو عينُ الكافورِ ولا يكونُ فيه ضررٌ؛ لأنَّ أهلَ الجنَّةِ لا يمسُّهمُ الضَّررُ.

قالَ مقاتلٌ: ليسَ بكافورِ الدُّنيا، ولكن سمَّى اللهُ ما عندَه بما عندَكم حتَّى تهتديَ لها القلوبُ[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢ ـ ٢٣) من رواية الكلبي وعطاء عن ابن عباس.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٤)، و«البسيط» (٢٣/ ٢٣).

وقولُه: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ﴿كَانَ﴾ زيادةٌ؛ أي: من كأسٍ مزاجُها كافورٌ.

وقيلَ: أي: كانَ حُكمُ هذا الشَّرابِ في سابقِ حُكمِ اللهِ؛ أي: مزاجُه كافورٌ.

* * *

(٦) - ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

قولُه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ قالَ الفرَّاءُ: ﴿عَيْنًا﴾ تابِعةٌ كالمفسِّرةِ[1].

وقيلَ: هوَ نصبٌ على المدحِ؛ كما يُذكرُ الرَّجلُ فتقولُ: العاقلَ اللَّبيبَ؛ أي: ذكرتم العاقلَ اللَّبيبَ، فهو نصبٌ بإضمارِ «أعني».

وقالَ الزَّجّاجُ: المعنى: من عينٍ[2].

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أولياؤُه، فالمرادُ التَّخصيصُ؛ كقولِه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]؛ أي: للمؤمنينَ منهم.

وقالَ الفرّاءُ: «يشربَ بها» و«يشربُها» سواءٌ في المعنى[3].

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾؛ أي: يفجِّرونَ تلكَ العينَ في الجنَّةِ حيثُ يريدونَ، كما يُفجِّرُ الرَّجلُ النَّهرَ ليكونَ له في الدُّنيا هاهنا وهاهنا إلى حيثُ يريدُ.

والتَّفجيرُ[4]: الإجراءُ والإسالةُ، وأنَّ اللهَ سخَّرَ لهم هذهِ العينَ حتَّى تنساقَ كما يريدونَ.

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: الباءُ بمعنى «مِن»؛ أي: يشربُ مِنها عبادُ اللهِ[5].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٥)، ولفظه: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَيْنًا﴾ إن شئت جعلتها تابعة للكافور كالمفسِّرة، وإن شئت نصبتَها على القطع من الهاء في ﴿مِزَاجُهَا﴾. وتحرفت كلمة «تابعة» في (الأصل) إلى: «نابعة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٥).

(٤) في (الأصل): «الفجر»، والتصويب من «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٤٠).

(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠١).

(٧) ـ ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾.

قولُه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ عدَّ أفعالَ هؤلاءِ الأبرارِ ليُبيِّنَ أنَّهم نالوا الثَّوابَ على ما قدَّموا من صالحِ الأعمالِ، وهؤلاءِ الأبرارُ هم عبادُ اللهِ المذكورونَ في قولِه: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، فكأنَّهم لمّا أطاعوا اختصُّوا به، فكأنَّهمُ العبادُ على التَّحقيقِ، والمعنى: يشربُ بها عبادُ اللهِ الّذينَ يُوفونَ، وهوَ كقولِك: هوَ الرَّجلُ يفعلُ كذا؛ أي: الَّذي يفعلُ كذا.

ثمَّ الوفاءُ بالنَّذرِ مِن[1] فعلِهم في الدُّنيا؛ أي: يشربُ بها عبادُ اللهِ الّذينَ صفتُهم في الدُّنيا كذا وكذا.

وقالَ الجرجانيُّ: «كانوا» مُضمرٌ؛ أي: كانوا يُوفونَ بالنَّذرِ، وفي قولِه: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ زيادةٌ؛ أي: مزاجُها كافورٌ، والعربُ قد تزيدُ «كانَ» مرَّةً، وتحذفُ أخرى[2].

والنَّذرُ: ما أوجبَه المرءُ على نفسِه من شيءٍ يفعلُه، فيندرجُ فيه ما التزمَه المرءُ بإيمانِه مثلَ امتثالِ أمرِ اللهِ، وقد قالَ اللهُ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]؛ أي: أعمالَ نُسكِهم الَّتي أَلزموها أنفسَهم بإحرامِهم بالحجِّ.

وقيلَ: أرادَ به النَّذرَ المشهورَ، وهوَ ما يَنذرُ الإنسانُ فعلَه.

وقالَ الكلبيُّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾؛ أي: يُتمُّونَ العهودَ.

وقيلَ: النَّذرُ: الإيجابُ؛ أي: يُوجبونَ على أنفسِهمُ القيامَ بحقِّ اللهِ.

---

(١) في (الأصل): «ومن»، والصواب المثبت.

(٢) قاله الجرجاني في كتابه «نظم القرآن» كما في «البسيط» للواحدي (٢٣/ ٢٥)، والجرجاني هذا هو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني الجماجمي، وقد تقدم النقل عنه مراراً.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾؛ أي: يومَ القيامةِ ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾؛ أي: فاشِياً[1] مُنتشِراً بالغاً أقصى المبالغِ؛ يقالُ: استطارَ الصُّبحُ؛ أي: انتشرَ ضوءُه.

وقالَ مقاتلٌ: أي: كانَ شرُّه فاشياً في السَّماوات، فانشقَّت وتناثرَتِ الكواكبُ وفزعَتِ الملائكةُ، وفي الأرضِ نُسفَتِ الجبالُ وغارتِ المياه[2].

وقالَ ابنُ عبَّاس: نزلَت الآيةُ في عليٍّ وفاطمةَ رضي الله عنهما نذرا في مرضِ الحسنِ والحسينِ رضي الله عنهما صومَ ثلاثةِ أيّامٍ، فصحَّا من مرضِهما، فاستقرضوا من شمعونَ اليهوديِّ ثلاثةَ أصواعٍ من شعيرٍ، فطحنَت فاطمةُ رضي الله عنها صاعاً وخبزَته، فلمّا أرادوا الإفطارَ أتاهم مسكينٌ فآثروه، وفي اليومِ الثّاني يتيمٌ، وفي الثّالثِ أسيرٌ، فآثروا على أنفسِهم ولم يأكلوا، فنزلَتِ الآيةُ.

وقالَ ابنُ عبَّاس: أجَّرَ عليٌّ نفسَه في سقيِ نخلٍ بشيءٍ من شعيرٍ ليلةً حتَّى أصبحَ، وقبضَ الشَّعيرَ وطحنَ ثلاثةً، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه، فوافى مسكينٌ فأخرجوه إليه، ثمَّ عملَ الثُّلثَ الثّاني فجاءَ يتيمٌ فسألَ فأطعموه، ثمَّ عملَ الثُّلثَ الثّالثَ فجاءَ أسيرٌ من المشركينَ فسألَ فأطعموه، فطَوَوا يومَهم، فنزلتِ الآيةُ[3].

---

(١) في (الأصل): «ناشئاً»، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٤)، و«البسيط» (٢٣/ ٢٣).

(٣) وردت الرواية الأولى في خبر طويل رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثانية ذكرها الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣١) من رواية عطاء عن ابن عباس، وكلا الروايتين لا يصح، وقد أفاض صاحب «منهاج السنة» (٧/ ١٧٥ ـ ١٨٧) في بيان وجوه بطلان هذه القصة. وقال المناوي في «إتحاف السائل» (ص: ١٠٧): «هذا حديث كذب موضوع مسروق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل غبي. وممن جزم بوضعه ابن الجوزي والذهبي وزين الدين العراقي وابن حجر وغيرهم».

وقيلَ: ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾؛ أي: في العصاةِ والكفَّارِ، فأمَّا المؤمنونَ فلا يحزنُهم الفزعُ الأكبرُ، ولا خوفٌ عليهم.

* * *

(٨) ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

قولُه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؛ أي: على حبِّ الطَّعامِ وشدَّةِ حاجتِهم إليه.

وقيلَ: أي: على حبِّ الإطعامِ.

وقيلَ: على حبِّ اللهِ في طاعتِه.

﴿وَأَسِيرًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَ أسيرُهم يومئذٍ مشركاً، فأخوكَ المسلمُ أحقُّ أن تُطعمَه(١).

وإطعامُ الأسيرِ الكافرِ حسنٌ، وإن كانَ لا يجوزُ صرفُ الصَّدقاتِ المفروضةِ والكفَّاراتِ إلى الكفَّارِ.

وقيلَ: الأسيرُ هوَ المسجونُ من أهلِ القِبلةِ، وفي الخبر: أنَّه قالَ عليه السَّلامُ في هذهِ الآية: «﴿مِسْكِينًا﴾: فقيرًا، ﴿وَيَتِيمًا﴾: لا أبَ له ﴿وَأَسِيرًا﴾»، قالَ: «المملوكُ والمسجونُ»(٢).

وقيلَ: المرادُ بالأسيرِ المرأةُ، وهنَّ أُسراءُ عندَ الأزواجِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٩)، وقد تقدم أن هذه القصة لم تصح. وروى عبد الرَّزَّاق في «تفسيره» (٣٤٢٦)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١)، عن ابن عباس فِي قوله: ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال: هو المشرك.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٥)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً. قال أبو نعيم: «تفرد به عباد عن عمه». قلت: عباد بن أحمد العرزمي وعمه متروكان.

ويدخلُ في الإطعامِ كلُّ إنفاقٍ في سبيلِ اللهِ، يُقال: أكلَ فلانٌ مالَه؛ أي: أتلفَه، فيُسمَّى كلُّ إتلافٍ أكلاً، وقولُه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: ١٠] يتناولُ جميعَ التَّصرُّفاتِ.

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: للتَّوجُّهِ إليه؛ أي: لا نتوقَّعُ المكافأةَ من النّاسِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: هديَّةً ولا ثناءً(١).

والقولُ فيه مُضمرٌ؛ أي: يقولونَ: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾، وهذا يرجعُ إلى الاعتقادِ بالقلبِ دونَ التَّلفُّظِ باللِّسانِ؛ كما يقالُ: هذا قولُ فلانٍ؛ أي: مذهبُه واعتقادُه.

قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: أما واللهِ ما قالوه بألسنتِهم، ولكنَّ اللهَ علِمَه من قلوبِهم فأثنى عليهم به.

ويحتملُ أنَّه قالوا ذلك بألسنتِهم(٢).

والشُّكورُ مصدرٌ كـ: الشُّكرِ؛ مثل: الدُّخولِ، والخُروجِ، والكُفُورِ.

وقالَ الأخفشُ: إن شئتَ جعلتَه جمعَ «الشُّكرِ»، وكذلك الكُفورُ جمعُ «الكُفرِ» في قولِه: ﴿فَأَبَىٰٓ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، مثلَ: بُرْدٍ وبُرودٍ، وإن شئتَ جعلتَه مصدراً(٣).

* * *

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٦٠)

(١٠) ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾؛ أي: تَعْبِسُ الوجوهُ فيه من هولِ ذلكَ اليومِ وشدَّتِه، فوصفُ اليومِ بالعَبوسِ بمعنى: أنَّ الوجوهَ تَعبسُ فيه، كما يقالُ: يومٌ عاصفٌ؛ أي: ذو عُصوفٍ، وليلٌ نائمٌ، ونهارُ فلانٍ صائمٌ، فالمعنى: إنَّا نخافُ يوماً ذا عُبوسٍ.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: تُقبَضُ الجباهُ وما بينَ العينينِ من شدَّتِه.

قال أبو عُبيدٍ: يقالُ: رجلٌ قمطريرٌ؛ أي: منقبضُ ما بينَ العينينِ[١].

ومعنى الآيةِ: أنَّهم واسَوا المسكينَ واليتيمَ والأسيرَ خوفاً من عقابِ اللهِ.

* * *

(١١) ـ ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

قولُه: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾؛ أي: دفعَ عنهم شرَّه، وجعلَ بينه وبينَهم وقايةً حتَّى لا يصلَ إليهم مكروهٌ.

﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾؛ أي: حُسنَ الوجهِ والنُّورَ ﴿وَسُرُورًا﴾؛ أي: فرحاً لا انقطاعَ له.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

قولُه: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: على طاعةِ اللهِ، وعن معصيتِه.

وقيلَ: على جوعِهم ثلاثةَ أيّامٍ، وهيَ أيَّامُ النَّذرِ.

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٠٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٥)، وعنه نقل المصنف.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ أي: لباسَ أهلِ الجنَّةِ عوضاً عن حبسِهم أنفسَهم عن ملاذِّ الدُّنيا والملابسِ الَّتي حرَّمَ اللهُ فيها، وفي الخبرِ في الحريرِ: «مَن لَبِسَه في الدُّنيا لم يلبَسْه في الآخرةِ»[1].

* * *

(١٣) ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

قولُه: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنَّةِ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ أي: على السُّرُرِ في الحِجالِ[2] ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنَّةِ ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: أذىً من حرٍّ وبردٍ[3].

وقيلَ: الزَّمهريرُ: القمرُ؛ أي: لا يرونَ فيها شمساً كشمسِ الدُّنيا، ولا قمراً كقمرِ الدُّنيا.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

قولُه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾؛ أي: ظلالُ أشجارِ الجنَّةِ قريبةٌ من الأبرارِ، فهيَ مُظِلَّةٌ عليهم، وإن كانَ لا شمسَ ثَمَّ.

---

(١) رواه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) جمع الحجلة: وهو ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس، ويرخى على السرير، قال الشهاب: يسمى بديارنا ناموسية. انظر: «القاموس» و«المعجم الوسيط» (مادة: حجل)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٣٨).

(٣) في هامش (الأصل): «قولُه: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ من ﴿جزاهم﴾، وقولُه: ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ حالٌ من قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾؛ أعني: حالاً مُتدا[خلةً] وهي الذي يكونُ حالاً من الضمير الذي في الحالِ نحو: جاءني زيد راكبًا آكلًا؛ فإن «آكلًا» حالٌ من الضمير الذي في «راكباً»».

وانتصبَ ﴿دانية﴾ على الحالِ عطفاً على ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾؛ كما تقولُ: في الدَّارِ عبدُ اللهِ متَّكئاً ومُرسَلةً عليه[١] الحجالُ.

وقيلَ: انتصبَ نعتاً للجنَّةِ؛ أي: وجزاهم جنَّةً دانيةً، فهيَ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: إذا همَّ أن يتناولَ من ثمارِها نزلَت إليه حتَّى يتناولَ منها ما يريدُ[٢].

وتذليلُ القُطوفِ: تسهيلُ التَّناولِ، والقطوفُ: الثِّمارُ، والواحدُ: قِطفٌ، سمِّيَ به لأنَّه يُقطفُ كما يسمَّى الجَنَى لأنَّه يُجنَى.

﴿تَذْلِيلًا﴾ تأكيدٌ لِمَا وُصفَ به من الذُّلِّ، كقولِه: ﴿وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

قولُه: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾؛ أي: يُدارُ على هؤلاءِ الأبرارِ ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾؛ أي: يطوفُ الخدمُ عليهم إذا أرادوا الشُّربَ بآنيةٍ من فضّةٍ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ليسَ في الدُّنيا شيءٌ ممّا في الجنَّةِ إلَّا الأسماءُ[٣]؛ أي: ما في الجنَّةِ أشرفُ وأعلى وأبقى.

---

(١) في (الأصل): «عليهم»، والصواب المثبت.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٠)، وعنه نقل المصنف.

(٣) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٨)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٦).

ثمَّ؛ لم ينفِ الأوانيَ الذَّهبيّةَ، بلِ المعنى: يُسقونَ في أواني الفضّةِ وقد يُسقونَ في أواني الذَّهبِ، وقد قالَ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقيلَ: نبَّه بذكرِ الفضَّةِ على الذَّهبِ؛ كقولِه: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: والبردَ، فنبَّهَ بذكرِ أحدِهما على الثّاني.

وقيلَ: أرضُ الجنَّةِ من الفضّةِ، والأواني تُتَّخذُ من تربةِ الأرضِ الَّتي هيَ منها، ذكره ابنُ عبّاسٍ(١).

﴿وَأَكْوَابٍ﴾ الكوبُ: الكوزُ الَّذي لا عروةَ له، ولا يُسمَّى كوباً إلا ما كانَ ضخماً، وأفردَ الأكوابَ بالذِّكرِ على معنى: أنَّ الإناءَ ما يقعُ به الشُّربُ، والكوبُ ما يُصبُّ منه الشَّرابُ في الإناءِ كالإبريقِ.

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ وصفَها بنهايةِ البياضِ والصَّفاءِ، وهذا يرجعُ إلى الآنيةِ والأكواب، ويجوزُ أن يكونَ الشُّربُ يحصلُ بهما، وأفردَ الإناءَ بالذِّكرِ والكوبَ بالذِّكرِ؛ لأنَّه ليسَ كلُّ الآنيةِ أكواباً؛ كما قالَ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] إذ ليسَ كلُّ المؤمنينَ مهاجرينَ.

وقولُه: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾؛ أي: في علمِ اللهِ؛ كقولِه: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، والمعنى: أنَّها من فضّةٍ ولكنْ لها صفاءُ القواريرِ.

وقيلَ: هذا على التَّشبيهِ؛ أي: قواريرَ كأنَّها فضَّةٌ؛ كما تقولُ: أتانا بشرابٍ من

---

(١) ذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٤١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٦)، من قول الكلبي. فلعله مما رواه الكلبي عن ابن عباس. أما كون أرض الجنة من فضة فقد روي عن ابن عباس من طريق آخر، رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٤٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٩٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٥٤)، وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٨٦).

نورٍ؛ أي: كأنَّه نورٌ، وهوَ كقولِه: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]؛ أي: لهنَّ لونُ المرجانِ في صفاءِ الياقوتِ.

وقيلَ: ليسَ المرادُ بالقواريرِ الزُّجاجَ، ولكنَّ العربَ تُسمِّي ما استدارَ من الأواني ورقَّ وصفا قارورةً، فالمعنى: وأكوابٍ من فضَّةٍ كانَت مستديرةً رقيقةً صافيةً.

قُرِئَ: ﴿قواريرَ قواريرَ﴾ من غيرِ صرفٍ، وقُرِئَ مصروفاً، وقُرِئَ: ﴿قواريراً قواريرَ﴾ لأنَّ الأوَّلَ رأسُ آيةٍ(١).

قولُه: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذهِ بدلٌ من الأولى على أنَّها نعتٌ، لا إعادةٌ لذكرِها.

﴿قَدَّرُوهَا﴾؛ أي: هذهِ الأكوابُ والأقداحُ مقدَّرةٌ تقديراً لا تزيدُ ولا تنقصُ، والمعنى: أنَّ كلَّ ما في الجنَّةِ مُكوَّنٌ على حسَبِ مرادِهم وتقديرِهم، وهذا مبالغةٌ في أنَّ لهم ما يشاؤونَ فيها.

وقيلَ: عادةُ الشَّربِ(٢) في الدُّنيا صبُّ ما فضَلَ عن أحدِهم رفعاً لمن يُسقَى بعدَه عن شُربِ فضلِه، فجعلَ الأمرَ في الآخرةِ على إلهامِ السُّقاةِ أن يقدِّروا الشَّرابَ على مقدارٍ، فيُستغنَى عن صبِّ الفضلِ، وقولُه: ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يرجعُ إلى السُّقاةِ الطَّائفينَ عليهم بالآنيةِ.

---

(١) قرأ نافع والكسائي وأبو بكر بتنوينهما ووقفوا عليهما بالألف، وابن كثير في الأول بالتنوين ووقف عليه بالألف والثاني بغير تنوين ووقف عليه بغير ألف، والباقون بغير تنوين فيهما ووقف حمزة عليهما بغير ألف ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧).

(٢) جمع شارب؛ كصاحب وصحب.

وقيلَ: أي: إنَّ الشَّاربينَ قدَّروا لها مقاديرَ في أنفسِهم، فجاءَتهم على ما اشتهَوا وقدَّروا.

وقيلَ: هذا التَّقديرُ: أنَّ تلك الآنيةَ على مقدارِ أكفِّهم لا تزيدُ ولا تنقصُ حتَّى تؤذيَهم بثِقَلٍ أو بإفراطِ صِغَرٍ.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾.

قوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ وهيَ الخمرةُ في الإناءِ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ ﴿كَانَ﴾ صلةٌ؛ أي: مزاجُها زنجبيلٌ، أو كانَ في حكمِ اللهِ زنجبيلاً، وكانتِ العربُ تستلذُّ من الشَّرابِ ماءً يُمزَجُ بالزَّنجبيلِ لطِيبِ رائحتِه، فرُغِّبُوا في نعيمِ الآخرةِ بما اعتقَدوه نهايةَ النِّعمةِ والطِّيبِ.

وقيلَ: الزَّنجبيلُ اسمٌ لِعَينِ الماءِ الَّتي يُمزجُ منها شرابُ الأبرارِ.

وقيلَ: يُمزَجُ بالزَّنجبيلِ.

وقيلَ: أي: فيه معنى الشَّرابِ الممزوجِ بالزَّنجبيلِ، فالمعنى: كأنَّ فيها زنجبيلاً.

قولُه: ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾؛ أي: كانَ مزاجُها عيناً لها طَعمُ الزَّنجبيلِ، أو: ويُسقون عيناً، وأشارَ بهذا إلى أنَّه لا انقطاعَ له؛ لأنَّه عينٌ تجري.

﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ بيَّنَ أنَّ اسمَ هذهِ العينِ السَّلسبيلُ، ولله أن يُسمِّيَ ما أرادَ بما أرادَ، وصَرفُ «سلسبيلَ» لأنَّها رأسُ آيةٍ؛ كقولِه: ﴿الظُّنُونَا﴾ و﴿السَّبِيلَا﴾، فإذا قالَ قومٌ: ليسَ للسَّلسبيلِ اشتقاقٌ، وقالَ قومٌ: إنَّها لَلَيِّنَةٌ تتسلسلُ في الحلقِ، فهيَ سَلِسةٌ[١] لهم يصرفونَها حيثُ شاؤوا[٢].

---

(١) في (الأصل): «سلسلة»، والصواب المثبت. انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٤) عن قتادةَ في قوله تعالى: ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ قال: سَلِسةٌ لهم يَصْرِفُونها حيث شاءُوا.

قال مجاهد: سَلسَلةُ السَّبيلِ حديدةُ الجَرْيةِ[١]، تنسلُّ في حلوقِهم انسلالاً[٢].

وقالَ القفَّالُ: أي: تلك عينٌ شريفةٌ فسَلْ سَبيلاً إليها. ورُوِيَ هذا عن عليٍّ رضي الله عنه[٣]، وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه هذا عن عليٍّ رضي الله عنه[٤].

وقولُه: ﴿تُسَمَّىٰ﴾؛ أي: أنَّها مذكورةٌ عندَ الملائكةِ وعندَ الأبرارِ وأهلِ الجنَّةِ بهذا الاسمِ.

* * *

(١٩) - ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

قولُه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بيَّنَ مَنِ الّذينَ يطوفُ عليهم بالآنيةِ؛ أي: يخدمُهم ولدانٌ فإنَّهم أخفُّ في الخدمةِ، ثمَّ قالَ: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾؛ أي: باقونَ على ما هم عليه من الشَّبابِ والغضاضةِ والحُسنِ، لا يهرمونَ ولا يتغيَّرونَ على مرورِ الأزمنةِ.

وقيلَ: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾؛ أي: لا يموتونَ.

وقالَ الفرّاءُ: أي: مُسَوَّرونَ مُقَرَّطونَ مُحَلَّونَ[٥]، والتَّخليدُ: التَّحليةُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦٢) بلفظ: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾: حديدة الجرية)، وفي رواية: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾: سلسة الجرية). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٣) بلفظ: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾: شديدة الجرية).

(٢) رويت هذه العبارة عن ابن عباس في تفسير السلسبيل، ذكرها عنه ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ١٩٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٩).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧١)، والزمخشري في «الكشاف» (٩/ ٤٢٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨٠) وقال: لا يصح. وقال الزمخشري: وهذا غيرُ مُستقيم على ظاهِره إلَّا أن يُراد أنَّ جُملةَ قَولِ القائلِ: «سَلْ سَبيْلاً» جُعِلَتْ عَلَما لِلعين كما قيل: «تأبَّط شرًّا» و«ذَرَّى حَبًّا»، وسُمِّيَتْ بذلك لأنَّه لا يَشْرَبُ منها إلَّا مَن سَأَلَ إلَيْها سَبيْلاً بالعَملِ الصَّالحِ، وهوَ مَع اِستقامتِه في العَربيَّةِ تكَلُّفٌ وابتِداعٌ، وعَزْوُهُ إلى مِثْلِ عليٍّ رضي الله عنه أَبدَعُ.

(٤) قوله: «وقال هذا...» كذا وقعت العبارة في الأصل، ولعل في الكلام سقطاً أو تحريفاً.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٣)، وفيه: «محلّون مسورون، ويقال: مقرطون، ويقال:

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾؛ أي: تظنُّ أنَّهم اللآلئُ في حُسنِهم وصفاءِ ألوانِهم، [واللُّؤلؤُ][١] إذا نُثر منَ الخيطِ على البساطِ كانَ أحسنَ منه منظوماً.

وقيلَ: شبِّهوا باللُّؤلؤِ المنثورِ لانتشارِهم في الخدمةِ، ولو كانوا صفًّا لشُبِّهوا باللؤلؤِ المنظومِ، وفي الخبرِ: «أقلُّ النَّاسِ خَدماً في الجنَّةِ مَن يخدمُه ألفُ غلامٍ»[٢].

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

قولُه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ قالَ الفرّاءُ: أي: وإذا رأيتَ ما ثَمَّ، فأضمرَ «ما»؛ كقولِه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ أي: ما بينكم[٣].

وقالَ الزَّجّاجُ: «ما» موصولةٌ بقولِه: ﴿ثَمَّ﴾ على ما ذكرَه الفرّاءُ، ولا يجوزُ إسقاطُ الموصولِ وتركُ الصِّلةِ، ولكن ﴿رَأَيْتَ﴾ يتعدَّى في المعنى إلى ﴿ثَمَّ﴾، فالمعنى: إذا رأيتَ ببصرِكَ ثمَّ، ويعني بـ﴿ثَمَّ﴾: الجنَّة[٤]. وقد ذكرَ الفرّاءُ هذا أيضاً[٥].

﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾؛ أي: ثوابَ الجنَّةِ.

مخلدون دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السن، وهو أشبهها بالصواب ـ والله أعلم ـ وذلك أن العرب إذا كبر الرجل وثبت سواد شعره قيل: إنه لمخلد.. ».

(١) ما بين معكوفتين من «البسيط» (٢٣/ ٤٩)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٧)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٧٩).

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨)، وفيه: إذا رأيت ثَمَّ، يريد: إِذَا نظرت ثَمَّ [أي]: إِذَا رميت ببصرك هناك رَأَيت نعيمًا.

وفي التَّفسيرِ: المُلكُ الكبيرُ: استئذانُ المَلَكِ عليهم، وقولُهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وقالَ الكلبيُّ: هوَ أن يأتيَ الرَّسولُ من عندِ اللهِ بكرامةٍ من الكسوةِ والطَّعامِ والشَّرابِ والتُّحفِ إلى وليِّ اللهِ وهوَ في منازِله فيستأذنَ عليه، فذلك المُلكُ العظيمُ.

* * *

(٢١) ـ ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾.

قولُه: ﴿عَالِيْهم ثِيابُ سُنْدُسٍ﴾ قُرِئَ: ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ بالنَّصبِ(١).

قالَ الفرّاءُ: هوَ كقولِك: فوقَهم(٢)، والعربُ تقولُ: قومُك داخلَ الدَّارِ، فينصبونَ «داخلَ»؛ لأنَّه محلٌّ(٣).

وأنكرَ الزَّجَّاجُ هذا، وقال: هوَ ممَّا لا نعرفُه في الظُّروفِ، ولو كانَ ظرفاً لم يجزْ إسكانُ الياءِ، ولكنَّه نصبٌ على الحالِ من شيئينِ:

أحدهما: الهاءُ والميمُ في قولِه: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم﴾؛ أي: [يطوف] على الأبرارِ ولدانٌ عالياً الأبرارَ ثيابُ سندسٍ؛ أي: يطوفُ عليهم في هذهِ الحالِ [هؤلاء].

والثَّاني: أن يكونَ حالاً من الولدان؛ أي: إذا رأيتَهم حسبتَهم لؤلؤاً منثوراً في [حالِ] علوِّ الثِّيابِ إيّاهم(٤).

---

(١) قرأ نافع وحمزة بالسكون، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) في (الأصل): «قومهم»، والتصويب من «معاني القرآن» للفراء.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٢)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ٥٢)، وما بين معكوفتين منهما.

وقالَ أبو عليٍّ: العاملُ في الحالِ إمّا ﴿لقّاهم نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾، وإمّا ﴿جزاهم بِمَا صَبَرُواْ﴾.

قال: ويجوزُ أن يكونَ ظرفاً، فصوَّبَ قولَ الفرّاءِ.

وقُـرِئَ: ﴿عَالِيْهِـم﴾ بسـكونِ الياءِ، وهـوَ رفعٌ بالابتـداءِ، والخبـرُ قولُه: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾.

﴿خُضۡرٞ﴾ قُـرِئَ بالرَّفـعِ، ويرجعُ إلـى الثِّيابِ، وقُـرِئَ بالخفـضِ[1]، فيرجعُ إلى السُّندسِ.

والسُّندسُ: اسمُ جنسٍ، وأجازَ أبو الحسنِ جمعَ[2] وصفِ ما يُرادُ به الجنسُ، تقول: أهلَكَ النَّاسَ الدِّينارُ الصُّفرُ والدِّرهمُ البيضُ. ولكنَّه يستبعدُ في الكلامِ[3].

﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ فيه الرَّفعُ والجرُّ أيضاً، وقُرِئَ: ﴿خُضۡرٞ﴾ بالرَّفعِ، ﴿وإستبرقٍ﴾ بالخفضِ، وقُرِئَ على العكس[4]، والمعنى: تعلوهم هذهِ الثِّيابُ.

والسُّندسُ: ما رقَّ من الدِّيباجِ، والإستبرقُ: ما غلُظَ منه.

وقيلَ: إنَّ الّذينَ هذا لباسُهم همُ الولدانُ المخلَّدونَ.

وقيلَ: هذا من صلةِ قولِه: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾؛ أي: عاليهم فوقَ حجالِهم المضروبةِ عليهم ثيابُ سندسٍ، والمعنى: أنَّ حجالَهم من الحريرِ والدِّيباجِ.

---

(١) سيأتي.

(٢) في (الأصل): «جميع»، والصواب المثبت، والمثبت من «الحجة» وهو الصواب.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٥٧). وأبو الحسن هو الأخفش.

(٤) قرأ نافع وحفص: ﴿خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ برفعهما، وابن كثير وأبو بكر بخفض الأول ورفع الثاني، وابن عامر وأبو عمرو برفع الأول وخفض الثاني، وحمزة والكسائي بخفضهما. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤ ـ ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وظاهرُ هذا أنَّه من حُليِّ الرِّجالِ، وفي موضعٍ آخرَ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]؛ أي: لكلِّ قومٍ ما تميلُ إليه نفوسُهم، وأهلُ الجنَّةِ جُردٌ مُردٌ شُبَّان، فالحليةُ فيهم تزيدُ في الحُسنِ، فهيَ غيرُ مستبعَدةٍ.

وقيلَ: الأسورةُ من الفضَّةِ للولدانِ الّذينَ همُ الخدمُ.

وقيلَ: المعنى: أنَّ نساءَ أهلِ الجنَّةِ تلبسُ أسورةَ الذَّهبِ والفضَّةِ، ولمّا ذكرَ ما يلبسونَ عادَ الخبرُ إلى الجنسينِ، ثمَّ كلُّ جنسٍ يلبسُ ما يليقُ به.

وقيلَ: يُجمعُ بين الذَّهبِ والفضَّةِ لهم، وكانتِ العربُ تستحسنُه، والبياضُ آخذ بالقلوبِ، والقِيمُ إنَّما تكونُ في الدُّنيا، فلا يَبعدُ أن يُتزيَّنَ غداً بالفضَّةِ، وكانَ التَّزيُّنُ بالفضَّةِ عامّاً في نسوةِ العربِ، فشُوِّقُوا إلى الجنَّةِ بما تميلُ إليه أنفسُهم، كما وُصفَ اللَّبنُ والخمرُ والعسلُ والماءُ والطَّلحُ؛ لأنَّهم خُوطبوا بما اعتقدوه كمالَ النِّعمةِ.

وقالَ ابنُ المسيِّبِ: في يدِ كلِّ واحدٍ من أهلِ الجنَّةِ سوارٌ من فضَّةٍ، وسوارٌ من ذهبٍ، وسوارٌ من لؤلؤٍ[١].

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ بيَّنَ أنَّ شرابَهم من عينِ الكافورِ وعينِ الزَّنجبيلِ نظيفٌ صافٍ لا قذًى فيه ولا دنسَ ولا شيءَ ممّا يشوبُ أشربةَ الدُّنيا.

وقيلَ: من طهارةِ تلك الأشربةِ: أنَّها لا تستحيلُ بولاً، بل تنفصلُ بالرَّشحِ يفيضُ من أبدانِهم كريحِ المسكِ.

وفي الخبرِ: «يُؤتونَ بالطَّعامِ والشَّرابِ، ثمَّ يُؤتونَ بالشَّرابِ الطَّهورِ فيُطهِّرُ بطونَهم، ويفيضُ العرقُ من جلودِهم مثلَ ريحِ المسكِ» وقرأَ هذهِ الآيةَ[٢].

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٤).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٧٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٦)، وابن أبي الدنيا في

وعلى هذا: هذا الشَّرابُ الطَّهورُ غيرُ الأشربةِ الَّتي مضى ذكرُها؛ فعلى الأوَّلِ: الطَّهورُ بمعنى الطَّاهرِ، وعلى الثَّاني: بمعنى الطّاهرِ في نفسِه المُطهِّرِ لغيرِه.

وقالَ مقاتلٌ: هوَ من عينِ ماءٍ على بابِ الجنَّةِ تَنبعُ من ساقِ شجرةٍ، مَن شربَ منها نزعَ الله ما كانَ في قلبِه من غشٍّ وغلٍّ وحسدٍ، وما كانَ في جوفِه من أذًى وقَذَرٍ[1].

***

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾؛ أي: جزاءَ الأبرارِ، وفيه إضمارُ القولِ؛ أي: يقالُ لهم: إنَّما هذا جزاءٌ لكم.

وقيلَ: هذا إخبارٌ من اللهِ لعبادِه في الدُّنيا؛ أي: هذا كانَ في علمِ اللهِ وقضائِه جزاءً لكم أيُّها الأبرارُ.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: من قِبَلِ الله، وشكرُه للعبدِ: قَبولُ طاعتِه وثناؤُه عليه وإثابتُه إيّاه.

***

(٢٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾؛ أي: الآيةَ والآيتينِ، فإنَّ القرآنَ لم يُنزَّلْ بمرَّةٍ واحدةٍ، ولمّا ذكرَ أصنافَ الوعدِ والوعيدِ بيَّنَ أنَّ هذا الكتابَ يتضمَّنُ بيانَ ما بالنّاسِ حاجةٌ إليه، فليسَ بسحرٍ ولا كهانةٍ ولا شعرٍ؛ أي: لا تشكَّ في أنَّ هذا القرآنَ حقٌّ.

***

«صفة الجنة» (١٣١)، عن أبي قلابة قوله. وأبو قلابة اسمه عبد الله بن زيد الجرمي، وهو تابعي ثقة فاضل كثير الإرسال، كما في «التقريب».

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٣٢)، و«البسيط» (٢٣/ ٥٦) واللفظ له.

(٢٤) ـ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

قولُه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لِمَا حكمَ به ربُّكَ عليكَ من تبليغِ الرِّسالةِ.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؛ أي: لا تقبلْ قولَ الكفَّارِ؛ فإنَّهم أعداؤُك يجتهدونَ في صرفِك عن الحقِّ ببذلِ الأموالِ وغيرِه.

﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من مُشركي مكَّةَ ﴿آثِمًا﴾ قيلَ: عُتبةُ بنُ ربيعةَ، قالَ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: ارجعْ عن هذا الأمرِ وأُزوِّجُكَ ولدي، فإنِّي من أجملِ قريشٍ ولداً ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ يعني: الوليدَ بنَ المغيرةِ، إذ قالَ: وأنا أعطيكَ من المالِ حتَّى ترضى؛ فإنِّي من أكثرِهم مالاً[1].

وقيلَ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لِمَا حكمَ به عليكَ من الطَّاعاتِ، أوِ: انتظرْ حكمَ اللهِ إذ وعدَكَ أنَّه ينصرُك عليهم، ولا تستعجلْ فإنَّه كائنٌ لا محالةَ.

والآثمُ: رَكُوبُ المعاصي، والكَفورُ: الجاحدُ للنِّعمةِ، فيرجعُ الوصفانِ إلى شخصٍ واحدٍ.

وقيلَ: نزلَتِ الآيةُ في أبي جهلٍ[2].

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿أَوْ﴾ قريبٌ من الواو؛ كقولك: لأُعطينَّك سألتَ أو سكتَّ؛ أي: لأُعطينَّكَ على كلِّ حالٍ[3].

قالَ الزَّجّاجُ: أي: كلُّ واحدٍ منهما أهلٌ لِأنْ لا تُطيعَه؛ كقولك: جالسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين؛ أي: كلُّ واحدٍ أهلٌ لِأنْ يُجالَسَ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٨) عن مقاتل والكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٠). وهذا وجه أجازه الفراء، وأجاز غيره أيضاً.

قالَ: فإن قلتَ: لا تطعْ زيداً وعمراً، فأطاعَ أحدَهما، كانَ غيرَ عاصٍ؛ لأنَّه أمرَه أن لا يُطيعَ الاثنينِ، فإذا قالَ: لا تطعْ زيداً أو عمراً، كانَ آكدَ؛ أي: كلُّ واحدٍ منهما أهلٌ لِأنْ لا يُطاعَ[1].

وقيلَ: الآثمُ: المنافقُ، والكَفورُ: الكافرُ الَّذي يُظهرُ الكفرَ؛ أي: لا تطع منهم آثماً ولا كفوراً. وهوَ قريبٌ من قولِ الفرّاءِ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

قولُه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي: اذكرْه بالتَّوحيدِ في الصَّلاةِ في طرفَي النَّهارِ، ويدخلُ في البكرةِ والأصيلِ صلاةُ الفجرِ والظُّهرِ[2] والعصرِ، وفي قولِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ المغربُ والعشاءُ.

وقيلَ: هوَ الذِّكرُ المطلقُ سواءٌ كانَ في الصَّلاةِ أو غيرِها.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾.

قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني: صلاةَ المغربِ والعشاءِ، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني: صلاةَ اللَّيلِ؛ إمّا نفلاً، وإمّا في حالةِ ما كانَت فرضاً.

ثمَّ قيلَ: أرادَ السُّجودَ في الصَّلاةِ.

وقيلَ: السُّجودُ عينُ الصَّلاةِ؛ أي: فصَلِّ المكتوبةَ.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٠٢).

(٢) في الأصل: «الظهر والفجر»، والمثبت من «البسيط» (٢٣/ ٦٠) وعزاه لعطاء ومقاتل والكلبي.

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾؛ أي: الدُّنيا، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾؛ أي: أمامَهم، كما قيلَ في قولِه: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: أمامَهم.

وقيلَ: ويذرونَ الآخرةَ وراءَهم؛ أي: خلفَهم وراءَ ظهورِهم، فلا يعملونَ لها.

﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: عسيراً شديداً؛ كما قالَ: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]؛ أي: يتركونَ الإيمانَ بيومِ القيامةِ.

قولُه: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾؛ أي: خَلْقَهم، والأسرُ: الخَلقُ.

وقالَ أبو عُبيد[١]: يقالُ فرسٌ شديدُ الأَسرِ؛ أي: الخَلقِ.

وقالَ الفرّاءُ[٢]: الأَسرُ: القُوى كلُّها، وأصلُه عندَ العربِ: القدُّ الَّذي تُشدُّ به الأقتابُ، وقيلَ للقتبِ: المأسورُ[٣].

وقالَ الحسنُ: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾؛ أي: أوصالَهم بعضَها إلى بعضٍ بالعروقِ والعصبِ[٤].

وقالَ مجاهدٌ في تفسيرِ الأسرِ: هوَ الشَّرجُ؛ أي: إذا خرجَ البولُ والغائطُ تقبَّضَ الموضعُ[٥].

---

(١) كذا في (الأصل)، والصواب: «أبو عبيدة». انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٠)، و«البسيط» (٢٣/ ٦٣) والكلام منه.

(٢) كذا في (الأصل)، والصواب: «المبرد». انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٥٠)، و«البسيط» (٢٣/ ٦٣) والكلام منه.

(٣) في (الأصل): «القتب للمأسور»، والتصويب من «البسيط».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٦١) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠٦).

(٥) في (الأصل): «المواضع»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٩١). وذكره الواحدي في

وقيلَ: الأسرُ: القوَّةُ، وقيلَ للأسيرِ: أسيرٌ لأنَّه مربوطٌ مُستوثَقٌ منه.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباهِهم بدلاً منهم.

ثمَّ قيلَ: يعني: أمثالَهم في الخِلقةِ وإنْ كانوا أضدادَهم في العملِ.

وقيلَ: أمثالَهم في الكفرِ، والمقصودُ: بيانُ كمالِ قدرتِه؛ أي: لا يضرُّنا كُفرُ مَن كَفرَ، وإنْ [شئنا] خلَقْنا أمثالَهم في الكفرِ.

* * *

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: إنَّ هذهِ السُّورةَ تذكيرٌ ووعظٌ لمن تذكَّرَ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: وضحَ الحقُّ وأمكَنَ قصدُه، فمَن شاءَ أمكنَه النَّظرُ والاستدلالُ.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾؛ أي: الطّاعـةَ والاستـقامةَ واتِّخاذَ السَّبيلِ إلى اللهِ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لستم تشاؤونَ إلا بمشيئةِ اللهِ.

قولُه: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: في جنَّتِه، وقيلَ: في دينِ الإسلامِ.

﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرينَ.

«الوسيط» (٤/ ٤٠٦)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٠)، بلفظ: الأسر: الشرج، يعني: موضعي مصرفي البول والغائط، إذا خرج الأذى تقبضتا. ولا يصح، فإنه من رواية عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه كما ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٦١) مختصرا بلفظ: الشَرْج. وعبد الوهاب هذا متروك وكذبه الثوري كما في «التقريب»، ولعل الصواب ما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٥) من رواية ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أن معنى قوله: ﴿أَسْرَهُمْ﴾: خَلْقَهُمْ.

قال الزَّجَّاج: نصبَ ﴿الظالمين﴾[1] لأنَّ قبلَه منصوباً؛ أي: يُدخلُ مَن يشاءُ في رحمتِه ويعذِّبُ الظّالمينَ، وقولُه: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ تفسيرٌ لهذا المضمرِ.

قالَ: والاختيارُ النّصبُ وإن جازَ الرَّفعُ، تقولُ: أعطيتُ زيداً وعمراً أعددتُ له برًّا، فيُختارُ النَّصبُ؛ أي: وبررْتُ عمراً، أو: أبَرُّ عمراً.

وقولُه في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الإنسان: ٣١] ارتفعَ لأنَّه لم يُذكرْ بعدَه فعلٌ يقعُ عليه فينصبَه في المعنى، فلم يجزْ أن يُعطفَ على المنصوبِ قبلَه، فارتفعَ بالابتداءِ، وهاهنا قولُه: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يدلُّ على «ويعذِّبُ» فجازَ النَّصبُ.

* * *

---

(١) في (الأصل): «الكافرين»، والتصويب من «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٤).

تفسيرُ سورةِ المُرسَلاتِ

بسمِ اللّٰه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٧) ـ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ أقسمَ بالمرسلاتِ وما بعدَها لتحقيقِ أمرِ البعثِ.

ثمَّ قيلَ: المرسلاتُ: الرِّياحُ؛ كما قالَ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقالَ: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

﴿عُرْفًا﴾؛ أي: بعضُها في إثرِ البعضِ كعُرفِ الفرسِ يتلو بعضُه بعضاً.

وقيلَ: المرسلاتُ: الملائكةُ، ﴿عُرْفًا﴾؛ أي: أُرسلَت بالمعروفِ والخيرِ والوحي، ثمَّ يحتمِلُ أنَّه أرادَ الملائكةَ الَّذينَ يأتونَ بالوحي دونَ ملائكةِ العذابِ، ويحتمِلُ أنَّه يريدُ جميعَ الملائكةِ؛ فإنَّهم يُرسلونَ بما عُرفَ أنَّه جائزٌ، ويجوزُ من اللهِ أن يفعلَه في عبادِه من ثوابٍ وعقابٍ.

وقيلَ: ﴿عُرْفًا﴾؛ أي: بعضُهم في أثرِ بعضٍ.

وقيلَ: يعني بالمرسلاتِ: الأنبياءَ.

و﴿عُرْفًا﴾: في معنى الحالِ على الأقوالِ؛ أي: والرِّياحِ الَّتي أرسلَت متتابعةً، ويجوزُ أن يكونَ مصدراً؛ أي: تِباعاً.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يعني: الأنبياءَ، أُرسلوا بـ: لا إلهَ إلا اللهُ(١).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٧٣) من رواية عطاء عن ابن عباس.

قولُه: ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾ يعني: الرِّياحَ الشَّديدةَ الهبوبِ.

وقيلَ: الملائكةُ؛ أي: إنَّها تعصفُ بروحِ الكافرِ، يقالُ: عصَفَ بالشَّيءِ؛ أي: أبادَه وأهلكَه، وناقةٌ عَصوفٌ؛ أي: تعصفُ براكبِها فتمضي كأنَّها ريحٌ في السُّرعةِ، وعصفَتِ الحربُ بالقومِ؛ أي: ذهبَت بهم.

قولُه: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ بالواوِ؛ لأنَّه استئنافُ قَسمٍ آخرَ، والنّاشراتُ: الرِّياحُ.

وقيلَ: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾؛ أي: المطرِ، فإنَّه ينشرُ النَّباتَ والزُّروعَ والأشجارَ؛ أي: يُخرجُها كالثَّوبِ يُنشرُ.

وقيلَ: النّاشراتُ: الملائكةُ الَّتي تنشرُ الكتبَ يومَ القيامةِ للحسابِ، واليومَ لكِتْبةِ أعمالِ بني آدمَ.

ومَن حملَ على المطرِ قال: «النَّشرُ» بمعنى الإحياء، يقالُ: نشرَ اللهُ الميِّتَ وأنْشرَه؛ أي: أحياه.

قولُه: ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ همُ الملائكةُ يأتونَ بما يُفْرَقُ به بينَ الحقِّ والباطلِ والحلالِ والحرامِ.

وقيلَ: هيَ الرِّياحُ الَّتي تُفرِّقُ بين السَّحابِ وتبدِّدُه.

وقيلَ: أي: القرآن؛ فإنَّه فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقيلَ: يعني: الرُّسلَ. وقد سمَّى اللهُ القرآنَ فرقاناً(١).

قولُه: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾(٢) هيَ الملائكةُ تُلقي الوحيَ إلى الأنبياءِ.

---

(١) قوله: «وقد سمَّى اللهُ القرآنَ فرقاناً» كذا في (الأصل)، وحقه أن يتبع الوجه السابق عقب قوله: «فإنَّه فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ».

(٢) تكررت عبارة: «أي: القرآنَ، فإنَّه فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ» هنا في (الأصل).

وقيلَ: هوَ جبريلُ، وسمّيَ باسمِ الجميعِ لِمَا ذكرنا في قولِه: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ [الصافات: ٣][(١)].

وقيلَ: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾؛ أي: القرآنَ.

قولُه: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾؛ أي: عُذراً من اللهِ، ونُذراً إلى خلقِه، قُرِئَ بالتَّثقيلِ والتَّخفيفِ[(٢)]، وهوَ مصدرٌ؛ أي: إعذاراً وإنذاراً، ونصبُه على البدلِ من قولِه: ﴿ذِكْرًا﴾.

وقيلَ: نُصبَ لأنَّه مفعولٌ له؛ أي: للإعذارِ والإنذارِ.

وقالَ أبو عليٍّ: يجوزُ أن يكونَ «العُذُرُ» و«النُّذُرُ» بالتَّثقيلِ جمعَ: عاذرٍ وناذرٍ؛ كقولِه: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦]، فيكونُ نصباً على الحالِ من الإلقاءِ؛ أي: يلقونَ الذِّكرَ في حالِ العُذرِ والإنذارِ، أو يكونُ مفعولَ الذِّكرِ؛ أي: فالملقياتِ أنْ يَذكرَ عذراً أو نذراً[(٣)].

وقالَ المُبرِّد: هما بالتَّثقيلِ جمعٌ، والواحدُ: عَذيرٌ ونَذيرٌ[(٤)].

والفاءُ يتضمَّنُ نوعاً من الاتِّصالِ، فقالَ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾؛ لاتِّصالِ العصفِ بالإرسالِ، ثمَّ قالَ: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾؛ لأنَّها قد تُرسَلُ للنَّشرِ ولغيرِ النَّشرِ، فليس فيه من الاتِّصالِ ما في الفاءِ، وقولُه: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾ إنَّما هوَ لاتِّصال

---

(١) وهو أنه ذُكِرَ بلفظِ الجمع لأنَّه كبيرُ الملائكة، فلا يخلو من جنودٍ وأتباعٍ.

(٢) قرأ ﴿عُذُراً﴾ بضم الذال روح عن يعقوب، وباقي العشرة بسكونها. انظر: «النشر» (٢/ ٢١٧).

وقرأ: ﴿نُذُراً﴾ بضم الذال ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر، والباقون بإسكانها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٣٦٣)، و«البسيط» (٢٣/ ٨٠).

(٤) واختار أن يكون النصب على الحال. انظر: «البسيط» (٢٣/ ٨٠ ـ ٨١).

القسَمِ بما قبلها، وعلى الجملةِ: الواوُ والفاءُ متقاربانِ، وقد قال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ...﴾ [الذاريات: ١ ـ ٢]، فذكرَ الجميعَ بالفاءِ.

وعبَّرَ عن الملائكةِ بجمعِ الإناثِ على لفظِ الملائكةِ.

قولُه: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ هذا جوابُ القسمِ؛ أي: [إنَّ][1] ما توعدونَ من أمرِ القيامةِ لكائنٌ.

* * *

(٨ ـ ١٥) ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾؛ أي: أُذهِبَ ضوءُها ومُحِيَ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾؛ أي: صُيِّرَت لها فروجٌ في الآخرةِ بعدَ أن كانَت في الدُّنيا غيرَ ذاتِ فروجٍ.

وقيلَ: أي: شُقَّت، والفَرْجُ: الشَّقُّ، يقالُ: فرَجَه اللهُ فانفرجَ.

وقيلَ: ﴿فُرِجَتۡ﴾؛ أي: فُتحَت، قالَ الله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ: ١٩].

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾؛ أي: أُذهبَت عن وجهِ الأرضِ؛ كقولِه: ﴿فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾ [طه: ١٠٥].

وقيلَ: قُلِعَت من مكانِها.

وقيلَ: النَّسفُ: تفريقُ الأجزاءِ حتَّى تذروها الرِّياحُ، ومنه: نَسْفُ الطَّعامِ؛ لأنَّه يُحرَّكُ حتَّى تُذهِبَ الرِّيحُ بعضَ ما فيه من التِّبنِ.

---

(١) زيادة اقتضاها اقتران اللام في الخبر وهو قوله الآتي: «لكائن».

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾[١]؛ أي: جُمِعَت لوقتٍ معلومٍ[٢]، والوقتُ: الأجلُ الَّذي يكونُ عندَه الشَّيءُ المؤخَّرُ إليه؛ أي: جُمِعَتِ الرُّسلُ لميقاتِها الَّذي ضُربَ لها في إنزالِ العقابِ بمَن كذَّبهم[٣]، فإنَّ الكفَّارَ مُمهَلونَ، وإنَّما تزولُ الشُّكوكُ يومَ القيامةِ.

وقيلَ: ﴿أُقِّتَتۡ﴾؛ أي: وُعدَت وأُجِّلَت[٤].

وقالَ أبو عليٍّ: أي: جُعلَ يومُ الدِّينِ والفصلِ لها وقتاً[٥].

وقيلَ: ﴿أُقِّتَتۡ﴾؛ أي: جُمِعَت ليشهدوا على أُممِهم بالإبلاغِ. وهذا أحسنُ؛ لأنَّ هذا التَّوقيتَ معناه: شيءٌ يقعُ يومَ القيامةِ؛ كالطَّمسِ، ونسفِ الجبالِ، وتشقيقِ السماءِ، ولا يليقُ به التَّأقيتُ قبلَ يومِ القيامةِ، وعلى الأوَّلِ يعني: أنَّ الرُّسلَ حانَ وقتُها المضروبُ لهم في فصلِ الأمرِ.

وقيلَ: ﴿أُقِّتَتۡ﴾؛ أي: أُرسلَت لأوقاتٍ معلومةٍ على ما علِمَه اللهُ وأرادَه.

والهمزةُ في ﴿أُقِّتَتۡ﴾ بدلٌ من الواوِ، قالَه الفرَّاءُ[٦] أوِ الزَّجَّاجُ، وكلُّ واوٍ

---

(١) في الهامش: «أي: عُيِّنَ لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله؛ فإنه لا يتعين لهم قبل ذلك».

(٢) في الهامش: «توقيت الشيء: تعيين وقته، فلا يقع على الجثة إلا بإضمار الحدث، فلا يقال: زيد موقَّت، إلا أن يراد موقت حضورُه؛ أي: معين وقت حضوره، فباعتبار هذا المعنى قال: «عيِّنَ..» إلى آخره، وأراد وقت حضورهم للشهادة، لكن لما لم يتعين ذلك الوقت لهم قبل الحصول، فإن معنى التوقيت تحصيل الوقت وتكوينه؛ كالتشديد والتحريك بمعنى تحصيل الشدة والحركة، وهذا الذي حمله [على] التعيين بالحصول».

(٣) في الهامش: «وضربُ الأجل للجمع وتعظيم اليوم وتعجيب هوله».

(٤) في الهامش: «يعني: الرسل لأي يوم أجلت وأخرت اجتماعهم ليشهد[وا] على الأمم».

(٥) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٣٦٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

انضمَّت وكانَت ضمَّتُها لازمةً فإنَّها تبدلُ همزةً[١] أوَّلاً وثالثةً[٢]، تقولُ: «صلَّى القومُ أُحْداناً»، و: «هذه أُجُوهٌ حِسانٌ»، و«أَدْؤُرٌ» في جمعِ دارٍ، وهذا لأنَّ ضمَّةَ الواوِ ثقيلةٌ كما أنَّ كسرةَ الياءِ ثقيلةٌ، ولم يجز البدلُ في قولِه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ لأنَّ الضَّمةَ غيرُ لازمةٍ.

فأصلُ ﴿أُقِّتَتْ﴾ إذاً: الوقتُ، وقرأَ أبو عمروٍ: ﴿وإذا الرُّسلُ وقِّتت﴾ بالواوِ[٣].

قولُه: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؛ أي: لأيِّ يومٍ أُجِّلَتِ الرُّسلُ فأُخِّرَ إنزالُ العقابِ بالكفَّارِ إليه، وهذا على تعظيمِ ذلك اليومِ.

قولُه: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾؛ أي: إنَّما أُجِّلتِ الرُّسلُ في إحلالِ العقابِ بمَن كذَّبَهم ليومٍ يفصلُ اللهُ بينَ خلقِه فيه، فيُميِّزُ بينَ المطيعِ والعاصي.

وقولُه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أَتبعَ التَّعظيمَ[٤] تعظيماً؛ أي: وما عِلمُك بيومِ الفصلِ؟

قولُه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيدٌ على التَّكذيبِ بيومِ الفصلِ.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٦).

(٢) أي: حال كون هذه الهمزة أول حرف أو ثالثه كما سيأتي في الأمثلة.

(٣) قرأ بالواو والتشديد أبو عمرو، وقرأ بالواو والتخفيف أبو جعفر بخلف عن ابن جماز، والباقون بالهمز والتشديد وهو الوجه الثاني لابن جماز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦).

(٤) في (الأصل): «العظيمَ»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٥٠١).

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُـه: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ثـمَّ أخبـرَ عـن إهـلاكِ الكفّـارِ مثـلَ قـومِ نـوحٍ وعـادٍ ولوطٍ وشـعيب.

قولُـه: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ بالرَّفعِ على الاسـتئنافِ؛ أي: سـنفعلُ ذلك فنُلحِقُ الآخِـرَ بالأوَّلِ.

وقراءةُ عبد الله: (سنُتبِعُهُمُ الآخرين)(١).

وقرأَ الأعرجُ: (ثمَّ نُتبعْهم) بالجزمِ(٢)؛ أي: ثمَّ ألم نتبعْهمُ الآخرينَ(٣).

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: مثلَ ما فعلنا بمَن تقدَّمَ نفعلُ بمشركي قريشٍ، وكرَّرَ ذكرَ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ لإنكارِهم كلَّ آيةٍ ممّا ذكرَ.

* * *

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ نبَّهَ بهذا على قدرتِه على الإعادةِ.

﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾؛ أي: ضعيفٍ حقيرٍ في صُلبِ الرَّجلِ وترائبِ المرأةِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«الكشاف» (٩/ ٤٣٦)، وفيهما: (ثم سنتبعهم).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦)، و«الكشاف» (٩/ ٤٣٦).

(٣) في الهامش: «فيكون ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ المتأخرون [كذا والجادة النصب] من المهلَكين كقوم لوط وشعيب عليهما السلام، وإنما قلنا ذلك لأنَّ العطف على ﴿نُهْلِكِ﴾ يقتضي أن يكون ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ كـ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في كونهم من المهلَكين، وهؤلاء كذلك، وأما الذين كذبوا محمداً عليه السلام فما كانوا من المهلكين بعد».

قولـه: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾؛ أي: فـي رَحـمِ المرأةِ، فالرَّحمُ قـرارٌ لتلكَ النُّطفةِ ﴿مَّكِينٍ﴾؛ أي: تتمكَّنُ النُّطفةُ فيه.

قولُه: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني: مُنتهى الحملِ، والقَدَرُ: المقدَّرُ؛ أي: إلى الوقتِ الَّذي علِمَه اللهُ وكوَّنَه فيه.

قولُه: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾؛ أي: قدَّرنا الحملَ على القَدْرِ الَّذي أَرَدْنا حتَّى تمَّ خلقُه.

قُرِئَ: «قَدَر» بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[1]، ويقالُ: قدَرَ عليه الرِّزقَ وقدَّرَ.

﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾؛ أي: فملَكْنا فنعمَ المالكونَ.

وقيلَ: أي: فنعمَ المقدِّرونَ.

وقيلَ: أي: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على هذا الَّذي ذكَرْنا ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾، وهذه القدرةُ قدرةُ الإيجادِ والاختراعِ.

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾؛ أي: لم نخلقْ لكمُ الأرضَ فجعلناها تضمُّ أحياءَكم وأمواتَكم.

والكَفْتُ: الضَّمُّ والجمعُ، يقالُ: كَفَتُّ الشَّيءَ فانكَفَت؛ أي: ضمَمْتَه فانضمَّ.

وقالَ أبو عُبيدة: ﴿كِفَاتًا﴾: أوعيَةً، ويقالُ للنِّحْي: كِفتٌ وكَفِيتٌ[2]؛ لأنَّه يحوي

---

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن عامر، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨١). والنِّحي: جرة فخار يجعل فيها لبن ليمخض. انظر: «القاموس» (مادة: نحى).

اللَّبنَ ويضمُّه، وفي الخبرِ: «واكْفِتوا صِبيانَكم، فإنَّ للشَّيطانِ انتشاراً»[١]؛ أي: ضمُّوهم إليكم واحبِسوهم في البيوتِ.

ويُقالُ: كَفَتَ الشَّيءَ وكَفَّتَه؛ أي: ضمَّه إلى شيءٍ آخرَ، ومعنى ضمِّ الأرضِ الأحياءَ والأمواتَ: أنَّ الأحياءَ تَضُمُّ منازلَهم، والأمواتَ يُدفنونَ فيها، وأيضاً استقرارُ النّاسِ على الأرضِ ثمَّ اضطجاعِهم عليها انضمامٌ منهم إليها.

وقيلَ: هيَ كفاتٌ للأحياءِ بمعنى: دَفنِ ما يخرجُ من الإنسانِ من الفضلاتِ في الأرضِ؛ إذ لا ضمَّ في كونِ النّاسِ عليها، والضَّمُّ يشيرُ إلى الاحتفافِ من جميعِ الوجوهِ.

وقالَ الأخفشُ وأبو عُبيدة: الأحياءُ والأمواتُ ترجعُ إلى الأرضِ؛ أي: الأرضُ منقسمةٌ إلى حيٍّ: وهوَ الَّذي يُنبتُ، وإلى ميِّتٍ: وهوَ الَّذي لا يُنبتُ[٢].

وقالَ الفرَّاءُ: انتصبَ ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ بوقوعِ الكِفاتِ عليه؛ أي: ألم نجعلِ الأرضَ كفاتَ أحياءٍ وأمواتٍ، فإذا نُوِّنَت نُصبَت؛ كما يقرأ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥][٣].

وقيلَ: الكِفاتُ: جمعُ الكِفْتِ والكافتةِ، فـ﴿أَحْيَآءً﴾ نُصبَ على هذا بالجعلِ؛ أي: ألم نجعلِ الأرضَ أوعيةً ضامَّةً أحياءً وأمواتاً.

وقالَ الخليلُ: التَّكفيتُ: تقليبُ الشَّيءِ ظهراً لبطنٍ أو بطناً لظهرٍ، يُقالُ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥١٦٧)، والبخاري (٣٣١٦)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٤).

انكفَت القومُ إلى منازلِهم؛ أي: انقلبوا[1]، فمعنى الكِفاتِ: أنَّهم يتصرَّفونَ على ظهرِها وينقلبونَ إليها فيُدفنونَ فيها.

قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾؛ أي: خلقْنا فيها الجبالَ الشّامخةَ والرَّواسيَ الثَّوابتَ.

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾؛ أي: أنزلنا عليكم من السَّماءِ ماءً عذباً تشربونَه وتَسقونَ زروعَكم منه، وهذه الأمورُ أعجبُ من البعثِ.

* * *

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾.

قولُه: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ثمَّ بيَّنَ ما يقالُ غداً للمكذِّبينَ؛ أي: يقالُ لهم غداً: انطلقوا إلى النَّارِ الَّتي كذَّبتم بها فقد شاهَدْتُموها عِياناً.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يعني: الدُّخانَ الَّذي يرتفعُ ثمَّ يتشعَّبُ إلى ثلاثِ شُعَبٍ، وفي الآثارِ: «أنَّ الشَّمسَ تدنو يومَ القيامةِ من رؤوسِ الخلائقِ، وليسَ لهم يومئذٍ لباسٌ، وليسَ لهم أكنانٌ، فيأخذُ الوَقَدُ والكَربُ بالأنفاسِ، ثمَّ ينجِّي اللهُ برحمتِه مَن يشاءُ إلى ظلٍّ من ظلالِه، وهمُ الَّذينَ يقولونَ: ﴿منَّ اللهُ علينا ووقانا عذابَ السَّمومِ﴾ [الطور: ٢٧]، ويقالُ للمكذِّبينَ: انطلقوا إلى ظلٍّ من دخانِ نارِ جهنَّمَ[2].

وقيلَ: يخرجُ لسانٌ من النَّارِ فيظلُّهم حتَّى يُفرغَ من حسابِهم[3]، وشأنُ الدُّخانِ

---

(١) انظر: «العين» (٥/ ٣٤١).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٩٤).

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٢٤).

العظيمِ إذا ارتفعَ أنْ يتشعَّبَ، فهؤلاءِ يبقونَ في ذلكَ الدُّخانِ إلى أنْ يُفرغَ من الحسابِ، ثمَّ يُؤمَرُ بالأولياءِ إلى الجنَّةِ وبالكفَّارِ إلى النَّارِ.

وقيلَ: أرادَ بالظِّلِّ النَّارَ؛ لأنَّها تُظلُّ وتُحيطُ بهم، وتَنشعِبُ لكلِّ واحدٍ ممَّنَ صارَ إليها؛ فشعبةٌ فوقَه، وشعبةٌ عن يمينِه، وشعبةٌ عن شمالِه، وتسميةُ النَّارِ بالظِّلِّ من قولِه: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

قولُه: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: لا نفعَ في ذلكَ الظِّلِّ، فلا يُظِلُّ من الحرِّ، ولا يُكِنُّ من لهبِ النَّارِ، وهوَ كما قالَ اللهُ: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢ ـ ٤٤].

﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾؛ أي: لا ملجأَ حينئذٍ من لهبِ النَّارِ.

وقالَ قُطربٌ: اللَّهبُ هاهنا: العطشُ[١]، يقالُ: رجلٌ لهبانُ وامرأةٌ لَهبَى؛ أي: به عطَشٌ.

* * *

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ الشَّرَرُ: ما يتطايرُ من النَّارِ في كلِّ جهةٍ، وأصلُه من: شَرَرْتُ الثَّوبَ؛ أي: بسطتُه للشَّمسِ.

والقصرُ: البناءُ العالي، والعربُ تُشبِّهُ [الإبلَ][٢] في العِظَمِ بالقصورِ.

قالَ ابنُ مسعودٍ: ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: الحصونِ والمدائنِ[٣].

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٣٠).

(٢) زيادة يقتضيها السياق. انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٠٤)، و«تفسير ابن فورك» (٣/ ١٢١)، و«البسيط» (٢٣/ ٩٩).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٧٦ ـ تكملة التفسير)، والطبراني في «الأوسط» (٩١٢)،

وقيلَ: القصرُ جمعُ «قَصْرةٍ» ساكنةَ الصَّادِ؛ مثلَ: جَمْرةٍ وجَمْرٍ، وتَمْرةٍ وتَمْرٍ، والقَصْرةُ: الواحدةُ من جَزْلِ الحطبِ الغليظِ.

وسُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ عنه فقالَ: خشبٌ كنَا ندَّخرُه للشِّتاءِ، نقطعُه بقَدْرِ ذراعينِ ذراعينِ، وكنَّا نُسمِّيهِ القَصْرَ[1].

وقيلَ: هيَ أعناقُ النَّخلِ.

وقيلَ: أصولُ النَّخلِ والشَّجرِ العظامِ.

قولُه: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾؛ أي: كأنَّ ذلكَ الشَّررَ في اللَّونِ جِمالاتٌ صفرٌ، شبَّه الشَّررَ في العِظَمِ بالقصرِ، وفي اللَّونِ بالجِمالاتِ الصُّفرِ.

و﴿جِمَالَاتٌ﴾: جمعُ جِمالٍ، مثلَ: رِجالٍ[2] ورِجالاتٍ، وبُيوتٍ وبيوتاتٍ، وقُرِئَ: ﴿كأنَّه جِمالة﴾[3]، وهيَ جمعُ جَمَلٍ[4] مثلَ حَجَرٍ وحِجارةٍ، وذَكَرٍ وذِكَارةٍ.

﴿صُفْرٌ﴾؛ أي: سُودٌ، ولا ترى أسودَ من اللَّونِ إلَّا وهوَ مَشوبٌ في صُفرةٍ.

والبيهقي في «البعث» (١١٠١)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٢): فيه حديج بن معاوية وهو ضعيفٌ، وقال أبو حاتمٍ: مَحَلُّه الصِّدقُ يكتبُ حديثُه، وبقيَّةُ رجاله ثقاتٌ.

(١) في (الأصل): «الفقر»، والمثبت من المصادر، فهكذا جاء فيما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٨) وصححه، وعنه البيهقي في «البعث» (١١٠٠).

(٢) في (الأصل): «جمل»، والصواب المثبت.

(٣) قرأ بها حمزة والكسائيُّ وحفص، وباقي السبعة: ﴿جِمَالَاتٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٤) في (الأصل): «جمال»، والصواب المثبت.

وقرأَ ابنُ عبَّاسٍ: (جُمالاتٌ) بضمِّ الجيمِ[١]، وهي قراءةُ يعقوبَ[٢].

ثمَّ قيلَ: الجُمالاتُ بالضَّمِّ: الحبالُ الغِلاظُ، وهيَ حبالُ السُّفنِ.

وقيلَ: قطعُ النُّحاسِ، قالَه عليٌّ وابنُ عبَّاسٍ[٣].

وقالَ الفرَّاءُ: يجوزُ أن يكونَ الجُمالاتُ جمعَ جُمالٍ؛ كما يُقالُ: رِخْلٌ ورِخَالٌ ورُخَالٌ[٤].

والمعروفُ في الحبلِ الغليظِ: «جُمَّلٌ» بتشديدِ الميمِ.

* * *

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ ﴿يَوْمُ﴾ بالرَّفعِ؛ أي: تقولُ الملائكةُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾، وجُوِّزَ أن يكونَ قولُه: ﴿انطَلِقُوا﴾ من قولِ الملائكةِ، ثمَّ يقولُ اللهُ لأوليائِه: هذا يومُ لا ينطِقُ الكفَّارُ.

ومعنى اليومِ: السَّاعةُ والوقتُ، ويومُ القيامةِ يومٌ طويلٌ، ولا ينطقونَ في ساعةٍ معيَّنةٍ، وقالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، وأخبرَ أنَّهم يقولونَ: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [الأنعام: ٢٣] فهذا في ساعةٍ أخرى.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٧) عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأبي رجاء وقتادة.

(٢) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعن علي ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ١٧٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٥).

وقيـلَ: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾؛ أي: بمـا فيـهِ حجَّـةٌ ونفـعٌ، ومَن نطـقَ بما لا يفيـدُ فكأنَّه مـا نطقَ.

قالَ الحسنُ: أي: لا ينطقونَ بحجَّةٍ وإن كانُوا ينطقونَ(١).

قولُه: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قالَ الفرَّاءُ: الفاءُ نَسَقٌ(٢)؛ أي: ولا يعتذرونَ، واختيرَ ذلكَ لأنَّ الآياتَ بالنُّونِ، ولو قيلَ: «فيعتذروا» لم يوافقِ الآياتِ، وقد قالَ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦] بالنَّصبِ، كلُّه صوابٌ، ومثلُه: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] بالنَّصبِ والرَّفعِ(٣).

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُـه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؛ أي: ويقـالُ لهـم: هـذا اليـومُ الَّـذي يُفصَـلُ فيـهِ بين الخلائـقِ؛ فيَبيـنُ المحـقُّ مـن المُبطلِ.

﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ يعني: الَّذين كذَّبوا سائرَ الأنبياءِ، وجمعناكم مع سائرِ الخلقِ.

قولُه: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾؛ أي: إن كانَ لكم حيلةٌ في الخلاصِ من العذابِ فاحتالوا؛ أي: لا حيلةَ لكم ولا شفاعةَ.

* * *

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ١٧١)، والرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٧٧٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥١٤).

(٢) أي: عطف على ﴿يُؤْذَنُ﴾. انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٥١٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٦).

(٤١ ـ ٤٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ ثمَّ أخبرَ بما يصيرُ إليه المتَّقونَ غداً ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾؛ أي: ظلالِ الأشجارِ وظلالِ القصورِ مكانَ الظِّلِّ ذي الشُّعَبِ الثَّلاثِ في حقِّ الكفَّار.

وقولُه: ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: لهم كلُّ ما يشتهونَ بلا تنغيصٍ.

قولُه: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾؛ أي: يقالُ لهم هذا بدلَ ما يقالُ للمشركينَ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المؤمنينَ، والإحسانُ: إحسانُ العملِ، وقد يكونُ بمعنى العلمِ، ومنه: قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُ[1]؛ أي: يَعلمُ، فتتناولُ الآيةُ كلَّ عالمٍ باللهِ وكتبِه ورسلِه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: بما ذكرْنا من حالِ الفريقينِ.

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾؛ أي: يقالُ للمكذِّبينَ هذا؛ أي: تمتَّعوا في الدُّنيا مُدَّةً معلومةً فإنَّ عاقبتَكمُ النَّارُ.

وقيلَ: هوَ أمرُ توبيخٍ، وهوَ كما يقالُ: «إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنعْ ما شئتَ»[2]؛ أي:

---

(١) رواه الشجري كما في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٦٦١) عن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٢٠)، وأحمد (١٧٠٩٠) من حديث أبي مسعود البدري.

مَن لم يَستحْيِ صنعَ ما شاءَ؛ أي: إنَّهم يأكلونَ ويتمتَّعونَ قليلاً، ولا يشكرونَ اللهَ ولا يؤمنونَ به.

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾؛ أي: مُكسبون لأنفسِكمُ العذابَ الأليمَ.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي: إذا أُمروا بالصَّلاةِ خضوعاً لله لم يُصلُّوا؛ والمعنى: أنَّهم لا يؤمنونَ بالرُّسلِ، وإنَّما ذَكرَ الصَّلاةَ لأنَّها أجلُّ الشَّرائعِ بعدَ التَّوحيدِ.

وقيلَ: أي: إذا قيلَ لهم: اخضَعوا للحقِّ لا يخضعونَ، فهوَ عامٌّ في الصَّلاةِ وغيرِها.

وقيلَ: الأمرُ بالصَّلاةِ أمرٌ بالإيمانِ؛ لأنَّها لا تصحُّ من غيرِ إيمانٍ.

وقيلَ: يُؤمرونَ يومَ القيامةِ بالرُّكوعِ فلا يستطيعونَ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إن لم يصدِّقوا بالقرآنِ، فبأيِّ شيءٍ يُصدِّقونَ، وفي الآيةِ إشارةٌ إلى إعجازِ القرآنِ، والكنايةُ في قولِه: ﴿بَعْدَهُۥ﴾ ترجعُ إلى ما مضى في هذه السُّورةِ من القرآنِ.

* * *

تفسيرُ سورةِ النَّبأِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: ﴿عَمَّ﴾ لفظُ استفهامٍ، ولذلكَ سقطَ منها ألفُ «ما»؛ ليُميَّزَ الخبرُ عنِ الاستفهامِ، وكذلكَ: «فيمَ» و«ممَّ» و«بمَ» إذا[1] استفهمتَ، والمعنى: عمَّاذا يتساءلونَ؛ أي: يسألُ بعضُهم بعضاً.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿عَمَّ﴾ أصلُه: عنْ ما، فأُدغمتِ النُّونُ في الميمِ؛ لأنَّ الميمَ تُشاركُها في الغنَّةِ في الأنفِ[2].

وكانَ كفَّارُ مكَّةَ يتساءلونَ فيما بينهم، ويقولونَ: ما الَّذي يخبرُكم به هذا الرَّجلُ؟ فكأنَّهم اختلفوا فيما بينَهم في أمرِه.

وقيلَ: ﴿عَمَّ﴾؛ بمعنى: فيمَ؛ أي: فيمَ يتشدَّدُ المشركونَ ويختصمونَ؟

وقيلَ: اللَّفظُ استفهامٌ، والمعنى تفخيمُ القصَّةِ.

قولُه: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: يتساءلونَ عنِ النَّبأِ العظيمِ، فحذفَ «يتساءلون» في الآيةِ الأولى؛ فقولُه: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ جوابُ السُّؤالِ الأوَّلِ.

---

(١) في الأصل: «وإذا»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧١).

وقيلَ: هذا متَّصلٌ بالآيةِ الأولى؛ أي: لأيِّ شيءٍ يتساءلونَ عن النَّبأ العظيمِ؛ فمعنى ﴿عَمَّ﴾: لأيِّ شيءٍ، ذكرَه الفرَّاءُ[1].

وقيلَ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ﴾؛ أي: أعنِ النبأِ العظيم؟ فاقتصرَ على الاستفهامِ في أوَّلِ الكلامِ؛ كقولِه: ﴿أإِذَا مِتنا وكنَّا تُرابًا وعِظاماً إنَّا لمَبعُوثونَ﴾ بكسرِ الألفِ من غيرِ استفهامٍ[2].

والنَّبأُ العظيمُ: القرآنُ؛ كما قالَ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨]، فالقرآنُ نبأٌ وخبرٌ وحديثٌ وقصصٌ، وهوَ نبأٌ عظيمُ الشَّأنِ.

وقيلَ: النَّبأُ العظيمُ: البعثُ بعدَ الموتِ.

وقيلَ: النَّبأُ العظيمُ: أمرُ النُّبوَّةِ؛ فإنَّهم قالوا: لمَ يجبُ علينا الانقيادُ لواحدٍ منَّا من غيرِ زيادةِ مالٍ وفضلٍ فيه؟ كما قالَ الله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢].

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ كانوا مُختلفينَ في هذه الأشياءِ الَّتي حملنا النَّبأَ العظيمَ عليها؛ فقالَ قومٌ في القرآنِ: سحرٌ، وقيلَ: شعرٌ، وقيلَ: كهانةٌ، وقيلَ: أساطيرُ، وقيلَ: افتراءٌ وتقوُّلٌ، وقالوا في البعثِ: إنَّه محالٌ، وتردَّدَ فيهِ قومٌ من غيرِ قطعٍ بنفيٍ وثبوتٍ، وقالوا في محمد: مجنونٌ، وقيلَ: شاعرٌ، وقيلَ: ساحرٌ، وقيلَ: كاهنٌ.

ويجوزُ أن يرجعَ الاختلافُ إلى المؤمنينَ والكافرينَ؛ فإنَّ المؤمنينَ صدَّقوا، والكافرينَ كذَّبوا.

ويحتملُ أن يرجعَ التَّساؤلُ إلى المؤمنينَ والكافرينَ؛ فالكفَّارُ يسألونَ المؤمنينَ سؤالَ إنكارٍ، والمؤمنونَ يسألونَ سؤالَ تقريرٍ.

---

(١) وذكر الذي قبله أيضًا. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٧).

(٢) هي قراءة نافع والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٥).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

قولُـه: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ هـذا وعيـدٌ في أثـرِ وعيدٍ للمشـركينَ؛ أي: سـيعلمونَ عاقبـةَ تكذيبِهم يـومَ القيامةِ، قُـرِئَ: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ باليـاءِ والتَّاء.

وقولُه: ﴿كَلَّا﴾ للنَّفيِّ؛ أي: لا ينبغي الاختلافُ فيه، وقيلَ: أي: لا يُؤمنونَ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ بيَّنَ كمالَ قُدرتِه، ونبَّهَ به على أنَّ عبادةَ غيرِه محالٌ.

﴿مِهَادًا﴾؛ أي: بساطاً يستقرُّون عليها.

قولُه: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾؛ أي: للأرضِ حتّى لا تميدَ بأهلِها.

***

(٨) ـ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

قولُه: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: ذكراناً وإناثاً، وقيلَ: ألواناً.

وقيلَ: يدخلُ في هذا كلُّ زوجٍ من قبيحٍ وحَسَنٍ وطويلٍ وقصيرٍ؛ لتختلفَ الأحوالُ فيقعَ الاعتبارُ، ويشكرَ الفاضلُ ويصبرَ المفضولُ.

***

(٩) ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾.

قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قالَ اللَّيثُ: السُّباتُ [من] النَّومِ: شِبهُ غَشيةٍ، يُقالُ: سُبِتَ المريضُ فهوَ مسبوتٌ(١).

---

(١) انظر: «العين» (٧/ ٢٣٩)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٨٧)، وما بين معكوفتين منهما، و«البسيط» (٢٣/ ١١٥).

فالسُّباتُ شَبَهُ الموتِ إلَّا أنَّه لم تُفارقه الرُّوحُ، وأصلُه: القطعُ، والسَّبتُ: القطعُ وحلقُ شعرِ الرَّأسِ، فكأنَّه إذا نامَ فقد انقطعَ عن النَّاس وعن الأشغالِ.

وقيلَ: أي: جعلنا نومَكم راحةً لأبدانِكم، ومنه قيلَ: يومُ السَّبتِ؛ أي: يومُ الرَّاحةِ؛ أي: قيلَ لبني إسرائيلَ: استريحوا في هذا اليومِ فلا تعملوا شيئاً[(١)].

وأنكرَ ابنُ الأنباريِّ هذا وقالَ: لا يُقالُ للرَّاحةِ: سُباتٌ[(٢)].

وقيلَ: سبتتِ المرأةُ شعرَها؛ أي: أرسلَتْه، فالسُّباتُ كالتَّمدُّدِ، ورجلٌ مسبوتُ الخلقِ؛ أي: ممدودٌ، وإذا أرادَ الرَّجلُ أن يستريحَ تمدَّدَ، فسُمِّيت الرَّاحةُ تمدُّداً.

* * *

(١٠ ـ ١٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾.

قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: لباساً للأشياءِ بظُلمتِه؛ ليسكنوا فيهِ عن التَّصرُّفِ، فيكونَ وقتَ الفراغِ والرَّاحةِ.

واللِّباسُ: ما يتغطَّى به الإنسانُ، فاللَّيلُ لباسٌ؛ أي: يُغطِّي الأشياءَ بظُلمتِه.

وقيلَ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: سَكَناً.

قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ فيهِ إضمارٌ؛ أي: وقتَ مَعاشٍ، ويعني بالمعاشِ هاهنا: المطعمَ والمشربَ وكلَّ شيءٍ يُعاشُ به؛ أي: جعلْنا النَّهارَ متصرَّفاً للعيشِ.

قولُه: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يريدُ: السَّماواتِ، وهيَ فوقنا، فينزلُ منها

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٤).

(٢) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٣٨) وزاد: إنما المعروف فيه: قطع، و«البسيط» (٢٣/ ١١٦) وزاد: ومعنى الآية: وجعلنا نومكم قطعاً لأعماركم؛ لأن أصل السبت القطع.

المطرُ والرِّزقُ، وتطلعُ منها الشَّمسُ، وغلظُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسِ مائةِ عامٍ كما في الأخبارِ[١]، ووصفَها بالشِّدَّةِ لأنَّها مُحْكَمةُ الخَلقِ وثيقةُ البُنيانِ.

قولُه: ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا﴾؛ أي: جعلنا الشَّمسَ الَّتي هيَ سراجٌ وقَّادٌ.

والوهَّاجُ: الَّذي له وهجٌ، يُقال: وَهَجَت تَهِجُ وَهْجاً ووَهَجاً ووَهَجاناً.

ويُقالُ للجوهرِ إذا تلألأَ: توهَّجَ.

***

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾.

قولُه: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا﴾ المعصراتُ: الرِّياحُ، وقيلَ: السُّحبُ، والرِّيحُ تُسمَّى إعصاراً، يُقالُ: أعصرتِ الرِّياحُ فهيَ مُعصراتٌ، والسُّحبُ أيضاً تُسمَّى المعصراتِ؛ لأنَّها تُمطرُ.

والجاريةُ المُعصِرُ: هيَ الَّتي كادَت تَحيض ولم تحِضْ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٧)، من حديث العباس رضي الله عنه. قال الحاكم: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. فتعقبه الذهبي بقوله: يحيى واه. ويحيى هو ابن العلاء الرازي البجلي.

ورواه محمد بن عثمان بن ابي شيبة في «العرش» (١٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٥)، والبيهقي في «الاسماء والصفات» (٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى هذين الحديث ابن الجوزي في «العلل» (٧) و(٨) وضعفهما.

ورواه البيهقي في «الاسماء والصفات» (٨٥٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

وقال الكرماني في «لباب التفاسير» (٩/ ٣٦٥): أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ السَّماءَ سبعٌ، غِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمس مئةِ عامٍ، وبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةُ خمس مئةِ عامٍ.

والمُعصِرُ: السَّحابةُ الَّتي حانَ لها أن تمطرَ.

وقيلَ: ﴿مِنَ﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: وأنزلنا بالمعصراتِ؛ أي: بالرِّياحِ.

وقيلَ: السَّحابُ يَعْصِرُ الماءَ.

قالَ المبرِّدُ: يُقال: سحابٌ مُعصِرٌ؛ أي: ممسِكٌ للماءِ، من «العَصَرِ» وهوَ الملجأُ، ومنه: العُصرةُ والمُعتَصَرُ، والجاريةُ الَّتي قَرُبَت من البلوغِ يُقالُ لها: مُعصِرٌ؛ لأنَّها تُحبسُ في البيتِ، فيكونُ البيتُ لها عَصَراً(١).

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ منَ الثَّجِّ، وهوَ الانصبابُ بشدَّةٍ.

ويُقالُ: ثَجَّ الماءَ ثجّاً وثُجُوجاً؛ أي: انصَبَّ، وثَجَّهُ يَثُجُّهُ؛ أي: صبَّه، فهوَ لازمٌ ومتعدٍّ.

والثَّجَّاجُ في الآيةِ: المنصَبُّ. وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: الصَّبَّابُ(٢)، فهوَ مُتعدٍّ؛ كأنَّه يَثُجُّ نفسَه؛ أي: يَصُبُّ.

قوله: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾؛ أي: بذلكَ الماءِ ﴿حَبًّا﴾؛ أي: ما أكلَه النَّاسُ من الحبوبِ ﴿وَنَبَاتًا﴾ ممَّا تأكلُه الأنعامُ، وتدخلُ فيهِ الأشجارُ أيضاً.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾؛ أي: مُلتفَّةَ الشَّجرِ، الَّتي ليسَ بينها فُرَجٌ، والواحدُ: «لِفٌّ» بالكسرِ و«لُفٌّ» بالضَّمِّ، ذكرَه الكسائيُّ، ويُقالُ: جنَّةٌ لفَّاءُ.

ثمَّ هذا الالتفافُ والانضمامُ معناه: أنَّ الأشجارَ في البستانِ تكونُ متقاربةً، أوِ الأغصانَ من كلِّ شجرةٍ متقاربةٌ لقوَّتِها.

ويُقالُ: امرأةٌ لفَّاءُ؛ أي: غليظةُ السَّاقِ مجتمعةُ اللَّحمِ.

وقيلَ: الألفافُ: جمعُ «لَفِيفٍ» كـ: شريفٍ وأشرافٍ.

---

(١) انظر: «البسيط» (٢٣/ ١٢٢) بنحوه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٢).

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ بيَّنَ قـدرتَه على الأشياءِ، فدلَّ بها على قدرتِه على البعثِ والحسابِ.

وأيضاً بيَّنَ أنَّه أنعمَ بهذه النِّعمِ، وتعبَّدَ العبادَ بالشُّكرِ، ووعدَ عليه الثَّوابَ، وأَوْعَدَ على تركِهِ بالعقابِ في يومٍ هوَ الميقاتُ، وهوَ يومُ فصلِ الأحكامِ.

قولُـه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعنـي: النَّفخـةَ الأخيـرةَ الَّتـي يكـونُ معهـا البعثُ ﴿فَتَأْتُونَ﴾؛ أي: فتُبعثـونَ مـن القبـورِ، وتأتونَ موضـعَ العـرضِ ﴿أَفْوَاجًا﴾؛ أي: زُمَراً وجماعاتٍ.

قولُه: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾؛ أي: فُتحَت لنزولِ الملائكةِ، فصارَ فَتْحُها أبواباً، وهوَ من بابِ حذفِ المضافِ(١)؛ أي: فكانَت ذاتَ أبوابٍ.

وقيـلَ: تنشـقُّ السَّـماءُ حتَّـى تصيـرَ أبوابـاً ـ أي: طُرقـاً كالأبـوابِ الَّتـي يُدخلُ فيهـا ـ بعـدَ أن كانَـت شـداداً لا فُطـورَ فيهـا، وهـذا يـدلُّ على أنَّهـا تصيرُ هكـذا ثمَّ يُفنيهـا اللهُ أو يُبقيهـا.

قولُه: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: عن وجهِ الأرضِ ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أي: هباءً منبثّاً لعينِ النَّاظرِ كالسَّرابِ.

وقيلَ: أي: فهيَ في تسييرِها تشبهُ السَّرابَ الَّذي يُظنُّ أنَّه ماءٌ جارٍ.

***

---

(١) في (الأصل): «المصدر»، والصواب المثبت.

(٢١ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ المرصادُ: المكانُ الَّذي يَرصُدُ فيهِ الرَّاصدُ العدوَّ، نحوَ «المضمارِ» للموضعِ الَّذي تُضمَّرُ فيهِ الخيلُ[1]؛ أي: هيَ معدَّةٌ لهم، فـ«المرصادُ» بمعنى المحلِّ، فالملائكةُ يرصدونَ الكفَّارَ حتَّى ينزلوا بجهنَّمَ.

وقيلَ: تَرصُدُ جهنَّمُ الكفَّارَ.

وقيلَ: المرصادُ: مفعالٌ من «الرَّصَدِ» على هذا القولِ، وهوَ التَّرقُّبُ، والمفعالُ من أبنيةِ المبالغةِ كـ: المِعطَارِ والمِعمَارِ، فكأنَّه يَكثرُ من جهنَّمَ انتظارُ الكفَّارِ.

﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾؛ أي: هيَ مرصادٌ للمُشركينَ ﴿مَـَٔابًا﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿مِرْصَادًا﴾.

وقيلَ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾؛ أي: طريقاً وممرًّا للخلقِ، ثمَّ يُغوِّصُ[2] فيها الطَّاغونَ وهم الكفَّارُ، فهيَ مرصادٌ للكلِّ، مآبٌ للطَّاغينَ ومرجِعٌ لهم.

وقيلَ: ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾؛ أي: صارَت مرصاداً، وقيلَ: كانَت في علمِ اللهِ وحُكمِه.

قولُه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾؛ أي: ماكثينَ في النَّارِ ما دامَتِ الأحقابُ، وهيَ لا تنقطعُ، فكلَّما مضى حُقُبٌ جاءَ حُقُبٌ[3]، فالمعنى: لابثينَ فيها أحقابَ الآخرةِ، فحُذفتِ «الآخرة» لدلالةِ الكلامِ عليها، إذ في الكلامِ ذكرُ الآخرةِ، وهوَ كما يُقالُ:

---

(١) وتضميرها كما قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٨): أَن تُشدّ عَلَيْهَا سُروجُها، وتُجَلَّل بالأجِلَّة حَتَّى تعرَق تحتَها فيذهَب رَهَلُها ويشتدّ لَحمها، ويُحمل عليها غِلمانٌ خِفافٌ يُجْرونها البُردين ولا يُعَنِّفُون بها، فإذا ضُمِّرَتْ واشتدّتْ لحومُها أُمِنَ عليها القَطْعُ عند حُضْرها ولم يَقْطَعْها الشَّدُّ، فذلك التَّضمير الذي تعرفه العرب.

(٢) كذا رسمت وضبطت في (الأصل).

(٣) الحقب بضمتين: الدهر. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٥).

أَيَّامُ الآخرةِ؛ أي: أَيَّامٌ بعدَ أَيَّامٍ إلى غيرِ غايةٍ، وذكرَ الأحقابَ دونَ الأَيَّام لأنَّ الأحقابَ أهوَلُ في القلوبِ، وأدلُّ على الخلودِ، وهذا الخلودُ في حقِّ المُشركينَ.

ويمكنُ حملُ الآيةِ على العُصاةِ الَّذينَ يُخرجونَ من النَّارِ بعدَ أحقابٍ.

وقيلَ: الأحقابُ: وقتٌ لشُربهمُ الحميمَ والغسَّاقَ، فإذا انقضَت فيكونُ لهم نوعٌ آخرُ من العقابِ، ولهذا قالَ: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾.

وقرأَ حمزةُ: ﴿لَبِثِينَ﴾[1] وهوَ بمعنى: ﴿لَّبِثِينَ﴾، يُقالُ: رجلٌ لَبِثٌ ولابِثٌ؛ مثلَ: طَمِعٍ وطامِعٍ، وفَرِهٍ وفَارِهٍ.

وواحدُ الأحقابِ: «حُقْبٌ» بالضَّمِّ، وهوَ: ثمانون سنةً عندَ أهلِ اللُّغةِ[2]، و«الحِقَبُ» بكسرِ الحاءِ وفتحِ القافِ: السِّنونُ، واحدُها: حِقبةٌ، وهيَ زمانٌ من الدَّهرِ لا وقتَ[3] له.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾: الحُقْبُ الواحدُ بضعٌ وثمانونَ سنةً، والسَّنةُ ثلاث مائةٌ وستّونَ يوماً، واليومُ ألفُ سنةٍ من أيَّامِ الدُّنيا[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٢) الحُقْب بهذا المعنى بضم الحاء وسكون القاف. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٦).

(٣) كلمة «وقت» غير واضحة في (الأصل)، والمثبت من المصادر. انظر: «العين» (٣/ ٥٣)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٤٦)، و«المحيط في اللغة» (١/ ١٧٠)، و«البسيط» (٢٣/ ١٢٨).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩) من رواية عطاء عن ابن عباس. ورواه هناد في «الزهد» (٢١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٥)، من قول أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الطبري عن ابن عباس مختصراً بلفظ: الحقب ثمانون سنة.

وروى ابنُ عمرَ هذا مرفوعاً إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ(١).

وقالَ الحسنُ: الأحقابُ لا يَدري أحدٌ كَم هيَ، ولكنَّ الحقبَ الواحدَ سبعونَ ألفَ سنةٍ، اليومُ منها كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّونَ(٢).

قولُه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾؛ أي: في جهنَّمَ، وقيلَ: في الأحقابِ ﴿بَرْدًا﴾؛ أي: شتاءً بارداً ينفعُهم من حرِّها ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ينفعُهم من عطشِها.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: البردُ: النَّومُ، والشَّرابُ: الماءُ(٣).

ويُقالُ: منعَ البردُ [البردَ](٤)؛ أي: منعَ البردُ النَّومَ.

وقالَ الزَّجَّاج: أي: لا يذوقونَ فيها بردَ ريحٍ ولا ظلٍّ ولا نومٍ(٥).

فجعلَ البردَ بردَ كلِّ شيءٍ له راحةٌ، وهذا بردٌ ينفعُهم، فأمَّا الزَّمهريرُ فهوَ بردٌ يتأذَّونَ به ولا ينفعُهم، فلهم منهُ ما اللهُ به أعلمُ.

وقيلَ: البردُ: بردُ الشَّرابِ؛ أي: لا يذوقونَ فيها بردَ شرابٍ ولا شرابًا أصلاً(٦).

﴿**إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**﴾؛ أي: إلَّا شراباً هوَ حميمٌ وغسَاقٌ.

---

(١) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٣٢)، ترجمة سليمان بن مسلم، وقال عنه: شيخ يروي عن سليمان التيمي ما ليس من حديثه، لا تحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار للخواص.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (١٦٦٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥). ولفظ أحمد والطبري: «ولكن ذكروا أن الحقب... » بزيادة كلمة «ذكروا».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٣١) من رواية عطاء عن ابن عباس. وروي عنه قول آخر سيأتي.

(٤) انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٨٩)، و«مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ١٢٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٣٣٠)، و«الكشاف» (٩/ ٤٥٧)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٣).

(٦) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٢٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قيلَ: الغَسَاقُ: الزَّمهريرُ، [وهو][1] البردُ الَّذي لا يُستطاعُ.

وقيلَ: ما يسيلُ من أجسادِ أهلِ النَّارِ، وقيلَ: المنتِنُ.

وقيلَ: غسقَتِ العينُ والجروحُ؛ أي: سالَت وانهمَلَت.

وقيلَ: الغَسَاقُ: ما يسيلُ من أعينِهم وجلودِهم.

وقيلَ: لا يجدونَ برداً ينتفعونَ به، بل لهم بدلَ ذلكَ الغَسَاقُ، وهوَ الزَّمهريرُ والبردُ المؤذِي، وبدلَ الشَّرابِ: الحميمُ الَّذي يزيدُ العطشَ.

قُرِئَ: ﴿غسَّاقا﴾ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[2].

والغَسَّاقُ بالتَّشديدِ يرجعُ إلى شدَّةِ الظُّلمةِ، وهوَ استثناءٌ من غيرِ الجنسِ.

قولُه: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾؛ أي: جزاءُ الكفَّارِ ـ وهوَ النَّارُ ـ موافقٌ لكفرِهم في أنَّ كلَّ واحدٍ أمرٌ عظيمٌ.

﴿وِفَاقًا﴾ نصبٌ على المصدرِ، ويجوزُ أن يكونَ نعتاً لقولِه: ﴿جَزَآءً﴾؛ أي: جزاءً موافقاً؛ ففي قولٍ يعني: جزاءً وَفقَ أعمالِهم، وفي قولٍ: جزاءً وافقَ أعمالَهم، فالوِفاقُ بمعنى الموافقةِ، كالقتالِ بمعنى المقاتلةِ.

* * *

(٢٧ ـ ٣٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي: لا يخافونَ أن يُحاسبوا، والرَّجاءُ بمعنى: الخوفِ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق. انظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (٥/ ٨٤).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالتَّشديد والباقون بالتَّخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: أنَّهم كانُوا لا يؤمنونَ بالبعثِ فيرجونَ حسابَهم.

قولُـه: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾؛ أي: بمـا جـاءَت به الأنبيـاءُ، وقيلَ: بمـا أنزلنا من الكُتبِ.

﴿كِذَّابًا﴾؛ أي: تكذيبًا، وفِعَّالٌ من مصادرِ التَّفعيلِ، يُقالُ: خَرَّقْتُ القميصَ خِرَّاقاً، وقَضَّيتُ قِضَّاءً، وقُرِئَ: (كِذَابًا) بالتَّخفيفِ(١).

وقولُه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ نصبَ ﴿كُلَّ﴾ بفعلٍ مُضمَرٍ؛ أي: أحصينا كلَّ شيءٍ، وقولُه: ﴿كِتَٰبًا﴾ توكيدٌ؛ أي: كتبناه كتاباً؛ لأنَّ معنى ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: كتبنا.

ثمَّ قيلَ: أرادَ به العلمَ؛ فإنَّ ما كتبَ كانَ أبعدَ من النِّسيانِ.

وقيلَ: أي: كتبنا في اللَّوحِ المحفوظِ، وأثبتناهُ لتعرفَه الملائكةُ.

وقيلَ: أرادَ: ما كتبَ على العبادِ من أعمالِهم، فهذه كتابةٌ صدرَت عن الملائكةِ الموكَّلينَ بالعبادِ بأمرِ اللهِ إيَّاهم بالكِتْبةِ.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ أي: عذابُ الكفَّارِ لا ينقطعُ؛ أي: يُقالُ لهم: ذوقوا العذابَ، فكلَّما استغاثوا من نوعٍ من العذابِ أُغيثوا بأشدَّ منه، وقيلَ: هذه الزِّيادةُ لما رَوَا(٢) من العذابِ.

***

---

(١) أي: (وكَذَبوا بآياتنا كِذَاباً). انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٨) عن علي رضي الله عنه.

(٢) كذا وقع رسم هذه الكلمة وضبطها في (الأصل). ولعلها: «لما دام»؛ أي: «لدوامه»؛ قال الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٣٩٧): قوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ الزيادة في العذاب هي دوامه وبقاؤه، لا أن يزادوا على القدر الذي كان أعد لهم من العذاب؛ لأنه أخبر أنهم لا يجزون إلا مثلها، فإذا كان الذي عذبوا قبله جزاء لهم، لم يجز أن يزادوا عليه فثبت أن الزيادة انصرفت على الدوام والبقاء.

(٣١ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ثـمَّ ذكـرَ جزاءَ منِ اتَّقـى مخالفةَ أمـرِ اللهِ ﴿مَفَازًا﴾؛ أي: خلاصـاً مـن المـكارهِ يومَ القيامـةِ، ونَيـلاً لِمَا يرجونَه مـن النِّعـمِ، يُقالُ: فـازَ بطَلِبتِه يفوزُ فـوزاً ومفازاً.

قولُه: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ هذا تفسيرُ الفوزِ.

وقيلَ: أي: إنَّ للمُتَّقينَ مفازاً، إنَّ للمتَّقينَ حدائقَ، وهيَ جمعُ حديقةٍ، وهـيَ البستانُ المَحُوطُ عليه، يُقالُ: أحدقَ به؛ أي: أحاطَ.

والأعنابُ: جمعُ عِنَبٍ؛ أي: كرومَ أعنابٍ، فحذفَ.

قولُه: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ هيَ جمعُ كاعبٍ، وهيَ النَّاهدُ.

وقالَ الكلبيُّ: الكواعبُ: اللَّواتي تكعَّبَت ثُدِيُّهنَّ؛ أي: تفلَّكَت، وهذا لأنَّ هذه الَّتي تكونُ في أوَّلِ النُّهودِ يكونُ ثديُها في مقدارِ نتوءِ الكعبِ.

والأترابُ: الأقرانُ.

قولُه: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ الدِّهاقُ: مِن أَدهَقْتُ الكأسَ؛ أي: ملأتُها.

وقيلَ: الدِّهاقُ: المتتابعةُ، يُقالُ: ادَّهقَتِ الحجارةُ ادِّهاقاً، وهوَ شدَّةُ تلازُمِها ودخولُ بعضِها في بعضٍ، فالمتتابعُ كالمتداخلِ.

وقيلَ: الدِّهاقُ: الصَّافيةُ، وهيَ جمعُ: «دَهَقٍ»، وهوَ خشبتانِ يُعصرُ بهما[1]، والمرادُ بالكأسِ: الخمرُ، والتَّقديرُ: وخمراً ذاتَ دهاقٍ؛ أي: عُصِرَت وصُفِّيَت.

---

(١) في «المعجم الوسيط» (مادة: دهق): خشبتان يعصر بهما السَّاق للتعذيب.

قولُه: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾؛ أي: باطلاً، وذلك لأنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا شربوا لم يتغيَّرْ عقلُهم، ولم يتكلَّموا بلغوٍ، بخلافِ أهلِ الدُّنيا.

﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾؛ أي: لا يكذِّبُ بعضُهم بعضاً، ولا يسمعونَ كذِباً.

وقُرِئَ: ﴿كِذَابًا﴾ بالتَّخفيفِ(١)، وهوَ مصدرٌ كـ: المُكاذبةِ، كما يُقالُ: قاتَلَ قِتالاً ومُقاتلةً.

وقولُه: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الجنَّةِ.

وقيلَ: لا يجري بينهم لغوٌ وكذبٌ في الكأسِ الَّتي يشربونَها.

قولُه: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: جازاهم بذلكَ جزاءً، وكذا قولُه: ﴿عَطَآءً﴾؛ أي: أعطاهم عطاءً.

﴿حِسَابًا﴾؛ أي: كثيراً، يُقالُ: أحسبتُ فلاناً؛ أي: أكثرتُ له.

قالَ القُتيبيُّ: أصلُه أن يقولَ: حسبي حسبي(٢).

وقالَ الزَّجَّاج: ﴿حِسَابًا﴾؛ أي: ما يكفيهم؛ أي: لهم كلُّ ما يشتهونَ، يُقالُ: أحسَبَني كذا؛ أي: كفاني(٣).

وقيلَ: الحسابُ بمعنى: القَدْرِ؛ أي: بقَدْرِ ما وجبَ له في وعدِ الرَّبِّ، فإنَّه وعدَ للحسنةِ عشراً، ووعدَ لقومٍ سبعَ مئةِ ضعفٍ، ووعدَ لقومٍ جزاءً لا نهايةَ له ولا مقدارَ؛ كما قالَ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقيلَ: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي: جزاءً على وَفقِ أعمالِهم الحسنةِ.

---

(١) قرأ بها الكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥١٠)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ١٤٢) وعنه نقل المصنف، ولم تتكرر كلمة «حسبي» في كلام ابن قتيبة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٥)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ١٤٢).

(٣٧) ـ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.

قولُه: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قُرِئَ: ﴿رَّبِّ﴾ بالخفضِ، ﴿والرَّحمنِ﴾ بالخفض؛ أي: جزاءً من ربِّكَ ربِّ السَّماواتِ والأرضِ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ فيهما، ﴿وربُّ السَّماواتِ﴾ ابتداءٌ، وخبرُه ﴿الرَّحمنُ﴾.

وقُرِئَ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالخفض، ﴿الرَّحمنُ﴾ بالرَّفع[1]؛ أي: جزاءً من ربِّك ربِّ السَّماواتِ، ثمَّ ابتدأَ فقالَ: ﴿الرَّحمنُ﴾ فهوَ ابتداءٌ وخبرُه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؛ أي: لا يقدرُ الخَلقُ على أن يُكلِّموا الرَّبَّ إلَّا بإذنِه، وهذا الاستثناءُ معلومٌ في قولِه: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وقيلَ: أرادَ الكفَّارَ، لا يملكون منهُ خطاباً، فأمَّا المؤمنونَ فيشفعونَ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

قولُه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ ﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ على الظَّرفِ؛ أي: لا يملكون منهُ خطاباً يومَ يقومُ الرُّوحُ.

ثمَّ قيلَ: الرُّوحُ ملكٌ من الملائكةِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ما خلقَ اللهُ مخلوقاً بعدَ العرشِ أعظمَ منهُ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ قامَ هوَ وحدَه صفًّا، وقامتِ الملائكةُ كلُّهم صفًّا، فيكونُ عِظمُ خَلقِه مثلَ صفوفِهم[2].

---

(١) قرأ برفعهما ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وقرأ عاصم وابن عامر بالجر فيهما، وحمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٤٧) من رواية عطاء عن ابن عباس، وإسناده واه، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧) بإسناد جيد أنه قال: «هو ملك أعظم الملائكة خلقًا».

وقيلَ: الرُّوحُ جبريلُ.

وروى ابنُ عبَّاسٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه قالَ: «الرُّوحُ في هذه الآيةِ جندٌ من جنودِ اللهِ ليسوا بملائكةٍ، لهم رؤوسٌ وأيدٍ وأرجلٌ، يأكلونَ الطَّعامَ» ثمَّ قرأَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ قالَ: «هؤلاءِ جندٌ، [وهؤلاءِ جندٌ]»(١)، وعلى هذا هم خلقٌ على صورةِ بني آدمَ كالنَّاسِ، وليسوا بناسٍ.

قالَ الحسنُ: الرُّوحُ: بنو آدمَ(٢)، والمعنى: ذَوو الرُّوحِ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ قيلَ: يقومُ الرُّوحُ صفًّا، والملائكةُ صفًّا، فهم صفَّانِ.

وقيلَ: يقومُ الكلُّ صفًّا واحداً.

وقيلَ: الصَّفُّ مصدرٌ؛ أي: يقومونَ صفوفاً، والمصدرُ يُنبِئُ عن الواحدِ والجمعِ كـ: العدلِ والصَّومِ.

وقولُه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] يدلُّ على الصُّفوفِ، وهذا حين العرضِ والحسابِ.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤١٢)، والمخلص في «المخلصيات» (٢٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم وابن مردوية كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٩)، وما بين معكوفتين من المصادر. وفيه مسلم بن كيسان الأعور، الضبي الملائي، قال أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» لابنه (٨/ ١٩٢): يتكلمون فيه، وقال ابن حجر في «التقريب»: ضعيف.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨)، من قول مجاهد.
وضعف الرازي الحديث وما في معناه من الأخبار في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٤) فقال: ولم أجِدْ في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكنُ التمسُّك به بهذا القول.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩) عن الحسن وقتادة، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٦) عن قتادة.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: لا يتكلَّمون إلَّا بإذنِ اللهِ؛ كما قالَ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: الصَّوابُ: شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأصلُ الصَّوابِ: السَّدادُ من القولِ والفعلِ،

وهوَ اسمٌ من: أصابَ يصيبُ إصابةً؛ كـ«الجواب» من: أجابَ يجيبُ إجابةً.

وقيلَ: لا يشفعونَ إلَّا مَن أذنَ له الرَّبُّ في الشَّفاعةِ، فيكونُ قولُه صواباً.

وعلى الأوَّلِ: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؛ أي: في الدُّنيا؛ أي: أهلُ التَّوحيدِ تُسمَعُ شفاعتُهم غداً.

وقيلَ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يعني: الملائكةَ والرُّوحَ الَّذينَ قاموا صفًّا؛ أي: لا يتكلمونَ هيبةً وإجلالاً إلَّا مَن أذنَ له الرَّبُّ في الشَّفاعةِ، وهم قد قالوا صواباً، فإنَّهم يوحِّدونَ اللهَ ويسبِّحونَه.

وقيلَ: أي: لا يشفعونَ إلَّا لمن أذنَ له الرَّحمنُ؛ أي: يشفعونَ لمن قالَ في الدُّنيا صواباً ووحَّدَ؛ أي: شفاعتُهم ثابتةٌ لأهلِ التَّوحيدِ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾.

قولُه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الكائنُ الواقعُ، وقيلَ: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بمعنى: زوالِ الشُّكوكِ في ذلكَ اليومِ.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾؛ أي: مرجعاً لنفسِه بالتَّصديقِ بهذا اليومِ، والمرادُ: مآباً حسناً محموداً، فإنَّ ما ليسَ كذلكَ فليسَ مآباً إلى اللهِ وإن كانَ مرجعُ الجميعِ إليه.

(٤٠) ـ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

قولُه: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يخاطبُ كفَّارَ أهلِ عصرِ رسولِ اللهِ، فالعذابُ عذابُ الآخرةِ، وكلُّ ما هوَ آتٍ فقريبٌ، وقد قالَ الله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

قولُه: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ بيَّنَ وقتَ ذلكَ العذابِ؛ أي: أنذرناكم عذاباً في ذلكَ اليومِ ينظرُ المرءُ ما قدَّمَت يداه.

وقيلَ: ينظرُ إلى ما قدَّمَت، فحذفَ «إلى».

والمرءُ عامٌّ في كلِّ أحدٍ، فكلُّ إنسانٍ يرى في ذلكَ اليومِ جزاءَ ما كسبَ.

وقيلَ: ﴿ٱلْمَرْءُ﴾ هوَ المؤمنُ هاهنا؛ أي: يجدُ لنفسِه عملاً، فأمَّا الكافرُ فلا يجدُ لنفسِه عملاً فيتمنَّى أن يكونَ تراباً، ولمَّا قالَ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ عُلِمَ أنَّه أرادَ بالمرءِ المؤمنَ.

﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾؛ أي: لم أكنْ مكلَّفاً.

وقيلَ: إنَّ اللهَ يحشرُ الدَّوابَّ والبهائمَ والوحشَ فيقتصُّ لبعضِها من بعضٍ، ثمَّ يقولُ لها: كوني تراباً، فتصيرُ تراباً، فيتمنَّى الكافرُ عند ذلكَ أنَّه كانَ واحداً من الوحشِ فلا يُحاسبُ بعملِه[1].

---

(١) انظر: «البسيط» (٢٣/ ١٥٠) وعزاه لجمع من المفسرين دون تعيين، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧١٦)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً، وبنحوه موقوفاً أيضاً رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ضمن حديث الصور الطويل، رواه إسحاق بن راهويه

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: يا ليتني لم أُبعثْ فبقيتُ تراباً[١].

وقيلَ: أي: يقولُ إبليسُ: يا ليتني خُلقتُ من التُّرابِ، ولم أقلْ: أنا خيرٌ من آدمَ.

❊ ❊ ❊

في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٨٠)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩). قال ابن كثير: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا.

وروى مسلم (٢٥٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٦)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ١٥١).

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾.

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا﴾ أقسمَ بهذه الأشياءِ الَّتي ذكرَها على أنَّ القيامةَ حقٌّ.

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾: الملائكةُ الَّتي تَنزِعُ نفوسَ بني آدمَ ﴿غَرْقًا﴾ بمعنى: الإغراقِ، وإغراقُ النَّازعِ في القوسِ: أن يبلغَ غايةَ المدِّ حتَّى ينتهيَ إلى النَّصلِ.

وقيلَ: النَّازعاتُ: الأنفسُ الَّتي تكونُ في السِّياقِ والنَّزعِ، يُقالُ: «فلانٌ ينزِعُ» إذا كانَ في السِّياقِ.

وقالَ الحسنُ: يريدُ النُّجومَ تَنزِعُ [من أفقٍ إلى] أُفُقٍ[1]؛ أي: تذهبُ، من قولِهم: نزعَ إليه؛ أي: ذهبَ، أو من قولِهم: نزعتِ الخيلُ؛ أي: جرَت، ﴿غَرْقًا﴾؛ أي: أنَّها تغرقُ وتغيبُ، فتطلعُ في أفقٍ آخرَ.

---

(١) انظر: «تفسير ابن فورك» (٣/ ١٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥)، و«الهداية» لمكي (١٢/ ٨٠١٩)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٩٢)، و«تفسير السمعاني» (٦/ ١٤٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣٠)، و«زاد المسير» (٤/ ٣٩٣). وما بين معكوفتين من هذه المصادر، ووقع مكانه في (الأصل): «في». وزاد بعضهم إلى الحسن في القول بهذا القول قتادة وأبي عبيدة والأخفش وابن كيسان. ورواه عن الحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٧٥)، وآدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠١) والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨)، جميعهم مختصراً بلفظ: «النجوم»، وأنه فسر بذلك أيضاً ما بعدها.

ولعلَّ الفَرْقَ لغةٌ في الغَرْقِ، يُقالُ: «غَرِقَ غَرْقاً» مثلَ لَبِثَ لَبْثاً.

وقيلَ: يعني: القِسِيَّ؛ أي: وذواتِ النَّزعِ فيها، وهيَ الَّتي تنزعُ أوتارها، وهيَ من بابِ لابنٍ وتامرٍ، و﴿غَرْقًا﴾؛ أي: إغراقاً في القِسِيِّ.

وقالَ مجاهدٌ: هيَ شدائدُ الموتِ تنزعُ الأرواحَ نزعاً شديداً[1].

قولُه: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ قيلَ: يعني الملائكةَ الَّتي تنشِطُ نفسَ المؤمنِ؛ أي: تقبضُها بسهولةٍ؛ كما يُنشَطُ العقالُ من يدِ البعيرِ إذا حُلَّ عنها.

قالَ الفرَّاءُ: أُنشِطَ العقالُ؛ أي: حُلَّ، ونُشِطَ؛ أي: رُبطَ الحبلُ في يديهِ[2].

وقالَ اللَّيثُ: أنشطتُه بأنشوطةٍ وأنشوطتَينِ؛ أي: أَوثقتُه، [وأنشطتُ البَعيرَ: حلَلْتُ أنشوطتَه]، وأنشطتُ العِقالَ؛ أي: مددتُ أُنشوطتَهُ فانحلَّت. قالَ: ويُقالُ: نَشِطَ بمعنى أنشَطَ[3].

فقد ذكرَ اللُّغتَينِ معاً.

وقيلَ: النَّاشطاتُ: الملائكةُ تنزعُ نفسَ المؤمنِ كما يُربطُ العقالُ، ويحتمِلُ أن تكونَ النَّاشطاتُ في الكفَّارِ؛ أي: تُربطُ أرواحُهم بشدَّةٍ.

وقيلَ: النَّاشطاتُ: الملائكةُ؛ لنشاطِها في كلِّ جهةٍ يأمرُها اللهُ بالأخذِ فيها.

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧١٦)، جميعهم بلفظ: «الموت».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «العين» (٦/ ٢٣٧) وما بين معكوفتين منه، وليس فيه: «قالَ: ويُقالُ: نَشِطَ بمعنى أنشَطَ». وفيه: «نشطته بأنشوطة..» يعني: جعله بمعنى الإيثاق من الثلاثي، ثم جعل الرباعي بمعنى الحل، لكن على القول بأن نَشِطَ بمعنى أنشَطَ فلا فرق.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: همُ الملائكةُ ينشِطونَ روحَ الكافرِ من قدميه إلى حلقِه نَشطاً بالغمِّ والكَربِ، كما يُنشَطُ الصُّوفُ من سفُّودِ الحديدِ(١). وهوَ من النَّشطِ بمعنى: الجذبِ، يُقالُ: نَشَطتُ الدَّلوَ أنشِطُها بالكسرِ وأنشُطُها بالضَّمِّ؛ أي: نزعتُها.

وفي روايةٍ: همُ الملائكةُ يجذبونَ روحَ المؤمنِ برفقٍ(٢).

والنَّزعُ: جذبٌ بشدَّةٍ، والنَّشطُ: جذبٌ برفقٍ.

وقالَ الحسنُ: النَّاشطاتُ: النُّجومُ تنشطُ من أفقٍ إلى أفقٍ، يُقالُ: حمارٌ ناشطٌ من بلدٍ إلى بلدٍ(٣).

قولُه: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ يعني: الملائكةَ، وصفَها بالسِّباحةِ حتَّى كأنَّها في نزولِها تسبحُ بينَ السَّماءِ والأرضِ، ويُقالُ للفرسِ الجوادِ: إنَّه لسابحٌ.

وقيلَ: السَّابحُ يضربُ بيديه ورجليه ساعةً، ثمَّ يسكنُ، ثمَّ يضربُ، عَنَى الملائكةَ يحملونَ الأرواحَ عندَ القبضِ على السَّبحِ، والسَّابحُ بالشَّيءِ في الماءِ يَرفُقُ به لئلَّا يغرقَ ذلكَ الشَّيءُ، ولئلَّا يتعبَ هوَ في سبحِهِ من نزعِه، فهكذا الملائكةُ في نزعِ روحِ المؤمنِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠). وروى نحوه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٨٦ ـ تكملة التفسير) عن علي رضي الله عنه قال: هي الملائكةُ تَنْشُطُ أرواحَ الكفَّارِ ما بينَ الأظفارِ والجِلْدِ حتى تُخرجَها. وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٦٦)، ومكي في «الهداية» (١٢/ ٨٠٢١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٧٥)، وآدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦١). جميعهم مختصراً بلفظ: «النجوم»، وما بعده من قول المفسرين كما يشير إليه كلام الواحدي.

وقالَ الحسنُ: هيَ النُّجومُ تسبحُ في الفَلكِ؛ كما قالَ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾(١).

وقيلَ: هيَ السُّفنُ تسبحُ في الماءِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: السَّابحاتُ: أرواحُ المؤمنينَ تسبحُ شوقاً إلى لقاءِ اللهِ ورحمتِه حتَّى تخرجَ(٢).

قولُه: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ يعني: الملائكةَ تسبقُ الجنَّ باستماعِ الوحي، وتمنعُها من استراقِ السَّمعِ.

وقيلَ: تسبقُ بني آدمَ إلى العملِ الصَّالحِ فتكتبُه.

وقيلَ: سبقَت إلى الإيمانِ والطَّاعاتِ.

وقيلَ: تسبقُ بأرواحِ المؤمنينَ إلى الجنَّةِ.

وقالَ الحسنُ: هيَ النُّجومُ يسبقُ بعضُها بعضاً(٣).

وقيلَ: هيَ نفسُ المؤمنِ تسبقُ إلى الملائكةِ الَّذينَ يقبضونَها، وتبادرُ الخروجَ شوقاً إلى كرامةِ اللهِ.

وقيلَ: هيَ الخيلُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٧٥)، وآدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠١)، كلاهما مختصراً بلفظ: «النجوم»، وما بعده من قول الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٧٧)، وذكره أيضاً الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٥)، ورواه بنحوه جويبر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٤). وجويبر متروك.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٦). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٧٥)، وآدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠١)، كلاهما مختصراً بلفظ: «النجوم».

وقـالَ الجرجانيُّ(١): ذكـرَ ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ بالفاءِ؛ لأنَّها مسـبَّبةٌ مِن الَّتـي قبلَها؛ أي: واللَّائـي يسـبحنَ فيَسـبقنَ، تقـولُ: قـامَ فذهـبَ، فهـذا يوجبُ أن يكـونَ القيامُ سـبباً للذَّهـابِ، ولـو قلتَ: قـامَ وذهبَ، لـم يكنِ القيـامُ سـبباً للذَّهابِ.

قولُه: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ أجمعوا على أنَّ المرادَ بها الملائكةُ:

قيلَ: يعني: جبريلَ وميكائيلَ وملكَ الموتِ وإسرافيلَ، يدبِّرونَ أمرَ اللهِ في أهلِ الأرضِ، وهمُ المقسِّماتُ أمراً.

وقد قيلَ: وُكِّلَ جبريلُ بالرِّياحِ والجنودِ، وميكائيلُ بالقَطرِ والنَّباتِ، وملكُ الموتِ بقبضِ الأرواحِ، وإسرافيلُ يتنزَّلُ بالأمرِ عليهم(٢).

وقيلَ: أي: وكِّلوا بأمورٍ عرَّفَهمُ اللهُ العملَ بها.

وما ذكرَه الجرجانيُّ لا يستقيمُ هاهنا؛ إذ لا يمكنُ أن يُجعلَ السَّبقُ سبباً للتَّدبيرِ.

والأصلُ: أنَّ ما ذكرَه بالفاءِ لو ذكرَه بالواوِ لجازَ، فليسَ أمثالُ هذا ممَّا تُطلبُ له حكمةٌ أو علةٌ، ومن تكلَّفَ تعليلَها تورَّطَ فيما لا يعنيه(٣).

ومَـن حَمـلَ النَّازعاتِ على القِسِـيِّ والنَّاشـطاتِ علـى الأوهـاقِ، فيحتملُ أن تكـونَ الإشـارةُ بهما إلى الفاعـلِ، فيكونُ القسَـمُ واقعـاً بالمجاهدينَ في سـبيلِ اللهِ

---

(١) في «النظم» كما في «البسيط» (٢٣/ ١٦٧).

(٢) هو قول عبد الرحمن بن سابط وفيه زيادة بيان للقول الذي قبله كما في «البسيط» (٢٣/ ١٦٨). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٧)، والدينوري في «المجالسة» (٦٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٦).

(٣) بل الأصل أن كل ما جاء في القرآن تطلب له الحكمة، فلو كان الأمر سيان بين الواو والفاء لذكر الكل بالواو أو الكل بالفاء، ولكنه لما غاير كان لا بد لذلك من حكمة، ومثل هذه المغايرة لو كانت في كلام الفصحاء من البشر لكان لها غاية مقصودة فكيف بكلام الله؟

تعظيماً لأمرهم، ومعنى التَّأنيثِ: أنَّ هؤلاءِ جماعاتٌ؛ كما قيلَ: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ الآلةَ من القوسِ والأوهاقِ، على معنى: المنزوعِ فيها والمنشوطِ بها.

وقد قيلَ على هذا: معنى ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: المدبَّرُ بها؛ أي: النُّجومُ، فإنَّ اللهَ علَّقَ كثيراً من تدبيرِ أمرِ العالمِ بحركاتِ النُّجومِ، فأُضيفَ التَّدبيرُ إليها وإن كانَ من اللهِ، كما يُسمَّى الشَّيءُ باسمِ ما يُجاوِرُه؛ كما يُقالُ: ليلٌ نائمٌ؛ أي: يُنامُ فيه.

ثمَّ قالَ الفرَّاءُ: جوابُ القسمِ مُضمَرٌ؛ أي: والنَّازعاتِ وكذا وكذا لتُبعثُنَّ، بدليلِ قولِه: ﴿أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾[1].

وقيلَ: جوابُ القسمِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: يومَ ترجفُ الرَّاجفةُ تتبعُها الرَّادفةُ والنَّازعاتُ غرقاً.

وقيلَ: جوابُ القسمِ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ لأنَّ المعنى: قد أتاكَ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾.

قولُه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ بيَّنَّا أنَّ جوابَ القسمِ مُضمَرٌ؛ أي: والنَّازعاتِ إنَّ القيامةَ واقعةٌ يومَ ترجفُ الرَّاجفةُ، والقرآنُ كالسُّورةِ الواحدةِ، وقد قالَ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١]، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾ [النازعات: ٥]، وقالَ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ [المرسلات: ١]، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ [المرسلات: ٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

وهذا كما قالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، فكنَى عن القرآنِ ولم يتقدَّم له ذكرٌ في هذه السُّورةِ؛ لأنَّ ما تقدَّمَ ذكرُه في السُّورةِ قبلَها فكأنَّه ذُكرَ في هذه السُّورةِ.

وقيلَ: إنَّما وقعَ القسمُ على أنَّ قلوبَ أهلِ النَّارِ تَجِفُ وأبصارَهم تخشعُ يومَ ترجفُ الرَّاجفةُ.

وقيلَ: انتصبَ اليومُ على هذا المعنى، ولكنَّ القسمَ لم يَقعْ عليه.

والرَّاجفةُ: النَّفخةُ الأولى الَّتي يموتُ منها جميعُ الخلائقِ، والرَّجفةُ الموتُ في قولِه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨]، وأصلُ الرَّجفِ: الحركةُ، قالَ اللهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ [المزمل: ١٤]، وليست الرَّاجفةُ هاهنا من الحركةِ فقط، بل من قولِهم: رجفَ الرَّعدُ يرجُفُ رَجْفاً ورَجيفاً؛ أي: ظهرَ الصَّوتُ[1].

وقيلَ: ﴿تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾؛ أي: تتزلزلُ الجبالُ والأرضُ.

وقيلَ: انتصبَ ﴿يَوْمَ﴾ بإضمارِ «اذكر».

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: قلوبٌ واجفةٌ [يومَ ترجفُ الرَّاجفةُ][2]. وهوَ ما قدَّمناه.

قولُه: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ أي: النَّفخةُ الثَّانيةُ الَّتي فيها البعثُ، رَدِفَتِ النَّفخةَ الأولى، والرَّادفةُ: كلُّ شيءٍ جاءَ بعدَ شيءٍ.

---

(١) انظر: «العين» (٦/ ١٠٩)، و«المحيط في اللغة» (٢/ ١١١)، و«البسيط» (٢٣/ ١٧٢)، و«الإبانة» للعوتبي (٣/ ١٥٣). وجاء في هذه المصادر عدا «العين» بدل «أي ظهر الصوت»: «وهو تردد هدهدته في السحاب»، والمعنى واحد، فقد جاء في «تفسير الرازي» (٣١/ ٣٤): «تردُّدُ أصواته المنكَرة وهدهدتِه في السَّحاب». كما عقبه الواحدي بقوله: «فالراجفة: صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣٥/ ٢٧٨)، وعنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٧٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

وقالَ مجاهدٌ: الرَّادفةُ: انشقاقُ السَّماءِ، فإنَّه بعدَ الزَّلزلةِ(١).

وقيلَ: الرَّاجفةُ: تحرُّكُ الأرضِ، والرَّادفةُ: زلزلةٌ أخرى تُفني الأرضَ.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾.

قولُه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾؛ أي: قلوبُ أهلِ النَّارِ يومئذٍ شديدةُ الاضطرابِ، ومنه: وَجِيفُ الفرسِ والنَّاقةِ؛ لاضطرابِهما في العدوِ، والإيجافُ: حملُ الدَّابةِ على السَّيرِ السَّريعِ.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ، يعني: عندَ معاينةِ النَّارِ، والمعنى: أبصارُ أصحابِها، فحذفَ المضافَ.

***

(١٠ ـ ١٤) ـ ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾.

قولُه: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؛ أي: إنَّ مُنكري البعثِ إذا قيلَ لهم: إنَّكم تُبعثونَ، قالوا منكرينَ متعجِّبينَ: أَنُردُّ بعدَ موتِنا إلى أوَّلِ الأمرِ، فنعودَ أحياءً كما قبلَ الموتِ؟! وهوَ كقولِهم: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

يُقالُ: رجعَ فلانٌ في حافرتِه، وعلى حافرتِه؛ أي: رجعَ من حيثُ جاءَ، والحافرةُ: اسمٌ لأوَّلِ الشَّيءِ.

قالَ ابنُ السِّكِّيتِ: يُقالُ: التقَى القومُ فاقتتلوا عندَ الحافرةِ؛ أي: عندَ أوَّلِ ما التقَوا(٢).

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧).

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢١١ ـ ٢١٢).

وفي الخبرِ: «إنَّ هذا الأمرَ لا يُترَكُ على حالِه حتَّى يُردَّ على حافرتِه»[١]؛ أي: على أوَّلِ تأسيسِه.

ويُقالُ: «النَّقدُ عندَ الحافرةِ»[٢]، والحافرةُ: الأرضُ المحفورةُ؛ أي: أوَّلُ ما يقعُ حافرُ الفرسِ عندَ السَّبقِ على الحافرةِ فقد وجبَ النَّقدُ؛ يعني: في الرِّهانِ؛ أي: كما يسبقُ تقولُ: هاتِ النَّقدَ، ثمَّ صارَ مثلاً لابتداءِ الشَّيءِ وأوَّلِه.

وقيلَ: الحافرةُ: يريدُ بها الأرضَ، فيُسمَّى وجهُ الأرضِ الحافرةَ؛ لأنَّها مستقرُّ الحوافرِ؛ أي: إنَّا لراجعونَ بعدَ الموتِ إلى وجهِ الأرضِ؟

وقيلَ: أي: إنَّا لمردودونَ إلى الحياةِ بعدَ الحافرةِ؛ أي: الأرضِ المحفورةِ، وهيَ القبرُ؛ كقولِه: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوقٍ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: الحافرةُ في كلامِ العربِ: الدُّنيا[٣].

---

(١) أورده الخليل في «العين» (٣/ ٢١٢)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (٥/ ١٤)، وابن سيده في «المخصص» (٣/ ٤٦٥)، والهروي في «الغريبين» (مادة: حفر). وتحرف أوله في الأصل إلى: «إنَّ هذه الأمَّةَ لا تُتركُ على حالةٍ...».

(٢) ويقال أيضاً: عند الحافر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢٣)، و«الفائق» للزمخشري (١/ ٢٩٣)، ومعنى «عند الحافِر»؛ أي: عند بيع الحافر في أول وهلةِ العقد من غير تأخير، والمراد بالحافر: ذات الحافر وهي الفرس. ومَن قال: «عند الحافرة»، فله وجهان ذكرهما الزمخشري: أحدهما: أنه لما جُعل الحافر في معنى الدَّابَّة نفسها وكثر استعماله كقولهم: اقتنى فلان الخُف والحافر؛ أي: ذواتهما، ألحقت به علامة التأنيث إشعاراً بتسميَة الذات بها. والثاني: أنه من الحفْر لأن الفرس بشدَّة دوسها تحفر الأرض، كما سميت فرساً لأنها تفرسها؛ أي: تَدُقها، ثمَّ كثرت حتى استعملت في كل أولية، فقيل: رَجَع إلى حافره وحافرته.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ سوى في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٨) والغالب أنه أخذه عن المصنف، وعلقه البخاري كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩١) تعليقاً مجزوما به فقال: وقال ابن عباس: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ إلى

قولُه: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ وقُرِئَ: ﴿ناخرة﴾(١)، يُقالُ: نخِرَ العظمُ يَنْخَرُ فهوَ نخِرٌ، مثل: عَفِنَ يعْفَنُ فهوَ عَفِنٌ.

والنَّاخرُ بمعنى: النَّخِرِ؛ كـ: الطَّامعِ والطَّمِعِ، والباخِلِ والبَخِلِ، فالنَّاخِرةُ والنَّخِرةُ: الباليةُ المتفتِّتةُ.

وقيلَ: النَّاخرةُ: العِظامُ؛ أي: يصيرُ فيها من هبوبِ الرِّيحِ كالنَّخيرِ بمعنى الصَّوتِ، لا من النَّخرِ الَّذي هوَ البِلى، وأمَّا النَّخِرةُ فمَن البِلى.

وقيلَ: لا، بل النَّاخرةُ من البِلى، والنَّخِرةُ الَّتي تنخرُ فيها الرِّيحُ.

قولُه: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: إنْ رُددنا بعدَ الموتِ أحياءً لنخسرنَّ، ولأصابَنا ما يقولُه محمدٌ عليه السَّلامُ.

﴿خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: يَخسرُ أهلُها؛ كما يُقالُ: تجارةٌ رابحةٌ؛ أي: يربحُ صاحبُها، ولا شيءَ أخسرُ من كرَّةٍ تقتضي المصيرَ إلى النَّارِ.

وقيلَ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: باطلةٌ خَسِرَ مَن أمَّلَها.

قولُه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ قرَّرَ ما استبعَدوه من أمرِ البعثِ، وقال: فإنَّما هيَ صيحةٌ واحدةٌ؛ أي: لا يلحقُنا عناءٌ في إحيائِهم، وإنَّما هيَ زجرةٌ واحدةٌ بأن يُنفخَ في الصُّورِ ـ وهيَ نفخةُ إسرافيلَ ـ فيَحْيَونَ.

أَمْرِنا الأولِ إلى الحياة. ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٥١)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: الحياة. وذكر الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٧٥) من رواية عطاء عن ابن عباس قال: يريد الأرض. وإسناده واهٍ.

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، والباقون: ﴿نَّخِرَةً﴾ بلا ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٠ ـ ٦٧١)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

قولُه: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: وجهِ الأرضِ.

قالَ الفرَّاء: سُمِّيَ وجهُ الأرضِ بالسَّاهرةِ؛ لأنَّ فيها نومَ الحيوانِ وسَهَرَهم[1].

وقيلَ: سُمِّيَ وجهُ الأرضِ من الفلاةِ ساهرةً بمعنى: ذاتِ سَهرٍ؛ لأنَّه يُسهَرُ فيها خوفاً منها.

وقيلَ: السَّاهرةُ: بمعنى الصَّحراءِ على شفيرِ جهنَّمَ؛ أي: يُوقَفونَ بأرضِ القيامةِ، فيدومُ السَّهَرُ حينئذٍ.

* * *

(١٥ ـ ٢٦) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

قولُه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ هذا تسليةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: إنَّ فرعونَ كانَ أقوى مِن كفَّارِ عصرِك ثمَّ أخذناهُ، فكذا هؤلاءِ، والمعنى: أليسَ قد أتاكَ حديثُ موسى؟

ويحتملُ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾؛ أي: ما أتاكَ، ولكنِّي أخبرُكَ به؛ فإنَّ فيهِ عبرةً لمَن يَخشى.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: كلَّمه ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾؛ أي: الوادي الَّذي كلَّمَ اللهُ فيهِ موسى، وهوَ المُسمَّى ﴿طُوًى﴾، والمقدَّسُ: المطهَّرُ، وفي ﴿طُوًى﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه اسمُ الوادي.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

والثَّاني: إذ ناداهُ ربُّه طُوًى؛ أي: بعدَ ساعةٍ من اللَّيلِ، قالَ الأخفشُ: جئتُك بعدَ طُوًى؛ أي: بعدَ ساعةٍ من اللَّيلِ[١].

والثَّالثُ: بالوادي المقدَّسِ الَّذي طُوِيَ؛ أي: بُورِكَ فيهِ مرَّتينِ؛ أي: ﴿طُوًى﴾: مرَّتينِ، وهيَ لغةُ طيِّئٍ.

والرَّابعُ: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿طُوًى﴾؛ أي: يا رجلُ[٢].

ثمَّ قرأَ أبو عمرٍو وابنُ كثيرٍ ﴿طُوَى﴾ بضمِّ الطَّاءِ غير منوَّنٍ، وقرأَ الباقونَ بضمِّ الطَّاءِ منوَّناً[٣]، ورُوِيَ عن أبي عمرٍو: (طِوى) بكسرِ الطَّاءِ[٤].

قالَ: فـ(طِوى) مثلُ: ثِنًى، وهما اسمانِ للشَّيءِ المثنيِّ، والطَّيُّ بمعنى: الثَّني؛ أي: ثُنِّيَت فيهِ البركةُ والتَّقديسُ.

قالَ الفرَّاءُ: طُوى: وادٍ بينَ المدينةِ ومصرَ، فمَن صرَفَه قالَ: هوَ ذكَرٌ سمِّيَ به ذكَرٌ، ومَن لم يصرِفْه جعلَه معدولاً عن جهتِه كـ: عُمَرَ وزُفَرَ[٥].

قولُه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: ناداه ربُّه: أنِ اذهبْ، فحُذِفَ؛ لأنَّ النِّداءَ قولٌ، فكأنَّه: قالَ له ربُّه: اذهبْ إلى فرعونَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٣/ ٢٣٤).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٢٠٤)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٢) وعده من العجائب. وقيداه بالعبرانية.

(٣) قرأ نافع كأبي عمرو وابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧١)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) ذكر ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤١٧) عن أبي زيد عن أبي عمرو: (طِوى) بكسر الطاء، وهي خلاف المشهور عنه. وذكرها الكرماني في «لباب التفاسير» (١٠/ ٣٤) وقال: وهو بمعنى مرَّتين لا غير.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: أفرطَ في العتوِّ والكُفرِ.

قولُه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: تتطهَّرَ منَ الشِّركِ وتؤمنَ باللهِ، وقالَ: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ بمعنى: هل لك سبيلٌ إلى هذا تستطيعُه؟ أو: هل لك حاجةٌ إلى كذا؟

ويُقالُ: نفسٌ زكيَّةٌ؛ أي: زاكيةٌ؛ أي: طاهرةٌ من العيوبِ.

قُرِئَ: ﴿تزكَّى﴾ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ(١).

قولُه: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أدلَّكَ على ما فيهِ رضا رَبِّكَ ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ عقابَه باجتنابِ معاصيه.

قولُه: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ ثمَّ إنَّ موسى مع ترقيقِه الوعظَ له أراهُ المعجزةَ الكبرى، قيلَ: هيَ العصا، وقيلَ: [اليدُ](٢) البيضاءُ تبرقُ كالشَّمسِ، وقيلَ: فَلقُ البحرِ.

وقيلَ: الآيةُ إشارةٌ إلى جميعِ آياتِه ومعجزاتِه.

قولُه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾؛ أي: لم يؤمنْ فرعونُ بعدَ مشاهدةِ هذهِ الآياتِ.

قولُه: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾؛ أي: أعرضَ عن الحقِّ والإيمانِ به ﴿يَسْعَىٰ﴾؛ أي: يعملُ بالفسادِ في الأرضِ.

قولُه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾؛ أي: أصرَّ على كفرِه، وجدَّ في العملِ بالفسادِ، وهوَ حشرُ السَّحرةِ لقتالِ موسى، ومعنى «حَشَرَ»: جمعَ قومَه وأشياعَه، فنادى فيهم وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: لا ربَّ فوقي.

---

(١) قرأ بتشديد الزاي نافع وابن كثير، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧١)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٢) زيادة يقتضيها السياق، وهي معروفة.

وقالَ عطاءٌ: كانَ صنعَ لهم أصناماً وأمرَهم بعبادتِها، وقال: أنا ربُّ أصنامِكم[١].

وقيلَ: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾؛ أي: يعدو خوفاً من العصا الَّتي انقلبَت ثُعباناً، فحشرَ أصحابَه ليمنعوه منها، ونادى: امنعوني عن هذه الحيَّةِ؛ فإنِّي إلهكمُ الأعلى.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: فنادَى فحشرَ؛ لأنَّ النِّداءَ يكونُ قبلَ الحشرِ.

قولُه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: عاقبَه على كفرِه ﴿نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾، انتصبَ ﴿نَكَالَ﴾ لأنَّه مصدرٌ؛ أي: نكَّلَ اللهُ به نكالَ الآخرةِ والأولى.

وقالَ الفرَّاءُ: أي: أخذَه اللهُ أخْذاً نكَالاً[٢]؛ أي: للنَّكالِ.

ثمَّ قيلَ: «الآخرةُ» و«الأولى» صفةٌ لكلمتي فرعونَ؛ فالآخرةُ قولُه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، والأولى قولُه: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]؛ أي: أمهلَه في الأولى، ثمَّ أخذَه في الآخرةِ، وكانَ بين الكلمتينِ مِن فرعونَ أربعونَ سنةً.

وقيلَ: نكالُ الدُّنيا هوَ أن أغرقَه، ونكالُ الآخرةِ: العذابُ في الآخرةِ.

وقيلَ: أي: نكالَ أعمالِه الأولى وأعمالِه الآخرةِ.

وقيلَ: الآخرةُ قولُه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، والأولى تكذيبُه موسى.

والنَّكالُ: اسمٌ لِمَا جُعِلَ نكالاً للغيرِ حتَّى يَعتبرَ به، والكلمةُ من الامتناعِ، ومنه: النُّكولُ عن اليمينِ، والنِّكْلُ: القيدُ.

* * *

---

(١) ذكره عن عطاء الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٨٩). وذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) عن ابن عباس.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٣).

(٢٧ ـ ٣٣) ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾؛ أي: أَخَلْقُكم بعدَ الموتِ أشدُّ في تقديرِكم ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ فمَن قَدَرَ على خلقِ السَّماءِ قدرَ على الإعادةِ، وهذا كقولِه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

﴿بَنَىٰهَا﴾؛ أي: رفعَها فوقَكم كالبناءِ.

قولُه: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾؛ أي: أعلى ارتفاعَ السَّماءِ في الهواءِ، يُقالُ: سَمَكْتُ الشَّيءَ؛ أي: رفعتُه في الهواءِ، وسمكُ الشَّيءِ: ارتفاعُه إلى فوقُ.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: لا شُقوقَ فيها ولا فُطورَ.

قولُه: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾؛ أي: جعلَه مُظلماً.

ويُقالُ: أغطشَ اللَّيلُ بنفسِه، وأغطشَه اللهُ، والأغطشُ: شبهُ الأعمشِ، والغَطَشُ: الظُّلْمةُ.

وأضافَ اللَّيلَ إلى السَّماءِ؛ لأنَّ اللَّيلَ يكونُ بغروبِ الشَّمسِ، والشَّمسُ تُضافُ إلى السَّماءِ، ويُقالُ: نجومُ اللَّيلِ؛ لأنَّ ظهورَها باللَّيلِ.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: أبرزَ نهارَها وضوءَها وشمسَها.

قولُه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعدَ أن بنى السَّماءَ ﴿دَحَىٰهَآ﴾؛ أي: بسَطَها.

وهذا يشيرُ إلى كونِ الأرضِ بعدَ السَّماءِ، وقالَ في آيةٍ أخرى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ... وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٠]، وقالَ في البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]،

فدلَّ على كونِ الأرضِ قبلَ السَّماءِ؛ فقالَ قومٌ: خُلقَتِ الأرضُ قبلَ السَّماءِ، ثمَّ خُلقَتِ السَّماءُ، ثمَّ دُحيَت الأرضُ بعدَ خلقِ السَّماءِ، وقد قالَ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾، ولم يقلْ: خلقَها.

وقيلَ: لا بل خُلقَتِ الأرضُ قبلَ السَّماءِ، ثمَّ خُلقَ بعدَ السَّماءِ أقواتُ الأرضِ، وأُرسِيَت الجبالُ، فمعنى قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ مهَّدَها للأقواتِ.

وقيلَ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾؛ أي: مع ذلكَ؛ كقولِه: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]؛ أي: مع ذلكَ.

والدَّحْوُ: البَسطُ، يُقالُ: دَحَوْتُ أدحُو، ودَحَيتُ أدحَى دَحْياً، فمعنى دحيِها وطحيِها: بسطُها، وأَدْحَى النَّعامةُ الموضعَ الَّذي تكونُ فيه؛ أي: بسطَتْه ونفَتْ ما فيهِ من الحَصَى، ومنه: أُدْحِيُّ النَّعامةِ.

قولُه: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ المرعى: جميعُ ما نبتَ من الأرضِ من شجرٍ وزرعٍ وحشيشٍ.

قولُه: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ بيَّنَ أنَّ ذِكرَ الماءِ والمرعَى على وجازةِ اللَّفظِ شملَ جميعَ ما يَتمتَّعُ به الحيوانُ، فقِوامُ الحيوانِ بالماءِ والمرعى؛ أي: خلقَ ذلكَ منفعةً لكم وإمتاعاً.

***

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

قولُه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ لمَّا عدَّدَ النِّعَمَ أخبرَ عن يومِ القيامةِ، وأنَّ العبادَ يُطالبونَ بشكرِ النِّعمِ، وتصديقِ الرُّسلِ، وتوحيدِ الرَّبِّ.

و﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: القيامةُ؛ أي: تَطُمُّ على كلِّ هائلةٍ، ويفوقُ هولُها كلَّ شيءٍ.

والطَّمُّ: الدَّفنُ والعُلوُّ، وطمَّ السَّيلُ الرَّكيَّةَ؛ أي: دفنَها حتَّى يُسوِّيَها.

وقالَ المبرِّدُ: الطَّامَّةُ: الدَّاهيةُ الَّتي لا تُستطاعُ[1].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: النَّفخةُ الثَّانيةُ الَّتي فيها البعثُ[2].

ويُقالُ: طمَّ يطُمُّ ويطِمُّ بالرَّفعِ والخفضِ.

قولُه: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ أي: جاءَتِ الطَّامَّةُ يومَ يتذكَّرُ الإنسانُ ما عملَ.

والسَّعيُ: العملُ من الخيرِ والشَّرِّ.

قولُه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: كُشِفَ عنها الغطاءُ، فنظرَ إليها الخَلقُ.

﴿لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: لكلِّ ناظرٍ من مؤمنٍ وكافرٍ؛ ليعرفَ المؤمنُ قَدْرَ النِّعمةِ، ويَصلَى الكافرُ بالنَّارِ.

وقيلَ: ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ يعني: الكافرَ؛ لأنَّه الَّذي يرى النَّارَ بما فيها من أصنافِ العذابِ.

وجوابُ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ محذوفٌ؛ أي: إذا جاءَت الطَّامَّةُ دخلَ أهلُ النَّارِ النَّارَ وأهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ.

وقيلَ: ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ واقعةٌ في ذلكَ اليومِ، وهوَ: أن يُساقَ أهلُ النَّارِ إلى النَّارِ، وأهلُ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٩٧).

(٢) ذكره عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٩٧). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٠) عن الحسن.

(٣٧ ـ ٤١) ـ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

قولُه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ قيلَ: نزلَت في النَّضرِ وأبيهِ الحارثِ[١]، وهيَ عامَّةٌ في كلِّ كافرٍ.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: اختارَها.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: المستقرُّ، وفيه إضمارٌ؛ أي: فإنَّ الجحيمَ هيَ المأوى له، أو: مأواهُ[٢].

قولُه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: مقامَه يومَ القيامةِ للمحاسبةِ.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾؛ أي: منعَ نفسَه عن اتِّباعِ ما يميلُ إليه من المحظوراتِ.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: المأوى له، أو: مأواهُ.

وقيلَ: نزلَت في مُصعبِ بنِ عُميرٍ، هاجرَ وحضرَ بدراً، ووقَى النَّبيّ عليه السَّلامُ في أُحدٍ حينَ تفرَّقَ النَّاسُ عنه، حتَّى نَفَذَتِ المَشَاقِصُ في جوفِه، وهيَ السِّهامُ، فلمَّا رآهُ عليه السَّلامُ مُتشحِّطاً بدمِه قالَ: «عندَ اللهِ أحتسبُكَ»، وقالَ لأصحابِه: «لقد رأيتُه

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٠٠) عن مقاتل والكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، وفيه: أنها نزلت في النضر بن الحارث، وجمع من كبار كفار قريش في قصة جرت بينهم وبين مصعب بن عمير وأخيه.

(٢) قوله: «وفيه إضمارٌ؛ أي: فإنَّ الجحيمَ هيَ المأوى له» مذهب سيبويه والبصريين، وقوله: «أو مأواه» ليس هذا على الإضمار بل على أن الألف واللام سدا مسد الإضافة ـ وهي الهاء ـ وهو مذهب الكوفيين، ومثله: زيد أما المال فكثير، وأما الخلق فحسن، تقديره عند البصريين: أما المال عنده وأما الخلق منه، وعند الكوفيين أما ماله وأما خلقه. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٩٣)، و«النكت في القرآن الكريم» لابن فضال (ص: ٥٣٧)، و«لباب التفاسير» للكرماني (١٠/ ٤١)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ١١٧)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ٢٦٢).

وعليه بُردانِ ما تُعرفُ قيمتُهُما، وإنَّ شِراكَ نَعلِه من ذَهَبٍ». ونزلَ قولُه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ في أخيه عامرِ بنِ عُميرٍ، قتلَه أخوه مُصعبٌ يومَ بدرٍ(١).

***

(٤٢ ـ ٤٦) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

قولُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ أي: يسألُك هؤلاءِ عنِ السَّاعةِ الَّتي مرَّ ذكرُها وقد سُمِّيَت بالطَّامَّةِ الكبرى.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ أي: متى قِيامُها؟

قالَ الفرَّاءُ: رُسوُّها: قيامُها؛ كرُسُوِّ السَّفينةِ(٢).

وقالَ أبو عُبيدةَ: أي: مُنتهاها، ومرسَى السَّفينةِ حيثُ تنتهي(٣).

ويُقالُ: أرسى السَّفينةَ؛ أي: حبسَها عنِ الحركةِ والجريِ، والرُّسوُّ: الثُّبوتُ.

قولُه: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ في [أي] شيءٍ(٤)، بل طوَى اللهُ عنكَ وعن سائرِ

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٠/ ٢١٠) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤) من رواية الضحاك عن ابن عباس، ونحوه في «تفسير الثعلبي» (٥/ ٨٦) عن ابن إسحاق. وقال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٨١): لم أجده.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٥).

(٤) ما بين معكوفتين من المصادر، قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٩): «في أيّ شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها»، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٩/ ٤٧٧): «في أَيِّ شيءٍ أنتَ مِن أن تَذكُرَ وقتَها لهم وتُعْلِمَهم به، يعني: ما أنت من ذكرها لهم وتَبْيين وقتِها في شيءٍ».

الخلائـقِ عِلمَهـا، فكأنَّـه عليه السَّـلامُ لَمَّا أكثروا سـألَ اللهَ أن يُعرِّفَه ذلـكَ، فقيلَ: لا تسـأَلْ، فلسـتَ في شـيءٍ مـن ذلكَ.

ويجوزُ أن تكونَ الآيةُ إنكاراً على المُشركينَ في مسألتِهم له؛ أي: فيمَ أنتَ من ذلكَ حتَّى يسألوكَ بيانَه؟ والذِّكرى بمعنى: الذِّكرِ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾؛ أي: مُنتهى علمِها، فلا يُوجدُ عندَ غيرِه، وهوَ كقولِه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قولُه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾؛ أي: إنَّما إليك الإنذارُ والإبلاغُ، وأن تُعرِّفَهم حالَ العصاةِ والمطيعينَ، وخصَّ الإنذارَ بمَن يخشى؛ لأنَّهمُ المنتفعونَ به، وهوَ كقولِه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾.

[ويجوزُ التَّنوينُ](١) وتركُه؛ كقولِه: ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] و[﴿بالغٌ أمرَه﴾(٢)]، و﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، و﴿موهِنٌ كيدَ الكافرينَ﴾(٣).

وقالَ أبو عليٍّ: يجوزُ أن تكونَ الإضافةُ للمضيِّ نحو: [هذا] ضاربُ زيدٍ أمسِ؛ لأنَّه قد فعلَ الإنذارَ(٤).

---

(١) ما بين معكوفتين وقع مكانه في الأصل كلمة: «ولم»، ولا شك أن في الكلام سقطاً او تحريفاً، والمثبت من «البسيط» (٢٣/ ٢٠٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٦٧)، والكل ينقل من الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٣٤).

(٢) بالإضافة قرأ حفص، والباقون بالتنوين والإعمال. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٣) قرأ حفصٌ: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ مخفَّفاً مضافاً، وابن عامرٍ وحمزةُ والكسائي وعاصمٌ في رواية أبي بكر مخففاً منوَّناً، وابنُ كثير ونافع وأبو عمرٍو مشدَّداً منوَّناً. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(٤) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٣٧٥)، وما بين معكوفتين منه.

والآيةُ ردٌّ على من قالَ: أحوالُ الآخرةِ غيرُ محسوسةٍ، وإنَّما هيَ راحةُ الرُّوحِ أو تألُّمُها من غيرِ حسٍّ، وإنَّ مَن ماتَ فقد قامَت قيامتُه؛ إذ لو كانَ كذلكَ لقُطعَ في حقِّ كلِّ ميتٍ بأنَّه تعيَّنَ له ولنا بموتِه وقتُ السَّاعةِ في حقِّه، ولكانَ يقولُ عليه السَّلامُ إذا سُئِلَ عن السَّاعةِ: متى وقتُها؟: وقتُها عندَ موتِ كلِّ إنسانٍ في حقِّه.

قولُه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾؛ أي: يرونَ السَّاعةَ ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾؛ أي: وإن كنتُ لا أخبرُكم بوقتِها، فهيَ قريبةٌ جدًّا إذا حضرتموها استقلَلْتُم مدَّةَ عُمرِكم ووجدتُم اللَّذاتِ فيها منقضيةً والتَّبعاتِ باقيةً.

وقيلَ: أي: كأنَّهم لم يلبثوا في قبورِهم إلَّا قَدْرَ آخرِ نهارٍ أو أوَّلِه؛ كقولِه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأضافَ الضُّحى إلى العشيَّةِ لأنَّهما معاً لليومِ الَّذي كانا فيه، فكأنَّه قالَ: إلَّا عشيةَ يومٍ أو ضحى يلي تلكَ العشيَّةَ، كما تقولُ: أتيتُك صباحاً ومساءَه؛ أي: صباحاً يليه المساءُ.

وقيلَ: هذا تقليلُ مدَّةِ الدُّنيا في أعينِهم.

* * *

تفسيرُ سورةِ ﴿عَبَسَ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ نزلَت هذه الآيةُ في ابنِ أمِّ مكتومٍ، وذلكَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كانَ مشغولاً يوماً بمَن حضرَه من وجوهِ قريشٍ يدعوهم إلى اللهِ، وقد قويَ طمَعُه في إسلامِهم، وكانَ في إسلامِهم إسلامُ مَن وراءَهم من قومِهم، فجاءَ ابنُ أمِّ مكتومٍ وهوَ أعمى، فكانَ منهُ ما لو تمَّ لقطعَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ ما كانَ فيهِ من وعظِ القومَ، فإنَّه جاءَ وقالَ: يا رسولَ اللهِ، علِّمني ممَّا علَّمَك اللهُ، وجعلَ يُناديهِ ويكرِّرُ النِّداءَ، ولا يدري أنَّه مُشتغِلٌ بغيرِه، فظهرَت الكراهيةُ في وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ لقطعِه كلامَه، وقالَ في نفسِه: يقولُ هؤلاءِ: إنَّما أتباعُه العميانُ والعبيدُ والسَّفلةُ، فعبسَ وأعرضَ عنه، فنزلَت الآيةُ(١).

---

(١) ذكره بهذا اللفظ دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٩). ولعل الثعلبي كعادته جمعه من الأخبار المروية في هذه القصة ثم أخذه عنه تلميذه الواحدي، ومن الأخبار الواردة فيه:

ما رواه الترمذي (٣٣٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله، أرشدني. وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويُقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل». قال الترمذي: هذا حديث غريب. وروى بعضهم هذا الحديث عن

وكانَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ بعدَ هذا إذا دخلَ عليه ابنُ أمِّ مكتومٍ عظَّمَه وبسطَ له رداءَه، وقال: «مرحبًا بمَن عاتبَني فيهِ ربِّي»(١).

وكانَ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يفعلَ ما فعلَه؛ لأنَّه فعلَه بنوعٍ من الاجتهادِ، وهوَ الطَّمعُ في إيمانِ أولئكَ الأقوامِ، وما فعلَه ابنُ أمِّ مكتومٍ كانَ من سوءِ الأدبِ لو كانَ عالِماً بأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ مشتغِلٌ بغيرِه، فإنَّه يرجو إسلامَهم، ولكنَّ اللهَ عاتبَه حتَّى لا تنكسرَ قلوبُ الضُّعفاءِ، وليعلمَ أنَّ الفقيرَ المؤمنَ خيرٌ من الغنيِّ الكافرِ، فكانَ النَّظرُ إلى المؤمنِ وإن كانَ فقيراً أصلحَ وأولى من الأمرِ الآخَرِ، وهوَ الإقبالُ على الأغنياءِ طمعاً في إيمانِهم، وإن كانَ ذلكَ أيضاً نوعاً من المصلحةِ، وعلى هذا يُخرَّجُ قولُه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ الآيةَ [الأنفال: ٦٧]، وما عُوتبَ به من أخذِ

هشام بن عروة، عن أبيه قال... ولم يذكر فيه عن عائشة.

قلت: هكذا رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٣) عن هشام مرسلًا دون ذكر عائشة رضي الله عنها.

ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٨) عن مجاهد قال: كان النَّبي ﷺ مستخلياً بصنديد من صَنَادِيد قريش وهو يدعوه إلى الله وهو يرجو أن يسلم إذا أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فلمَّا رآه النَّبي ﷺ كره مجيئه وقال في نفسه: يقول هذا القرشي إنَّما أتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس، فنزل الوحي ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ إلى آخر الآية.

وبنحو ما تقدم رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣١٢٣) عن أنس رضي الله عنه. والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) رواه ابن المنذر عن قتادة كما في «الدر المنثور» (٢/ ٦٤٣)، وأورده مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٠٥٣) عن سفيان الثوري، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٥٧) عن سفيان بن عيينة. وذكره الثعلبي (٢٨/ ٤١٧)، والواحدي (ص: ٤٤٩) دون نسبة، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥١٠) عن أنس رضي الله عنه.

الفداءِ والاستغفارِ للمُشركينَ والإذنِ في قولِه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

قولُه: ﴿عَبَسَ﴾؛ أي: كلحَ وبسرَ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾؛ أي: أعرضَ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، وتركَ الإقبالَ عليه، وأقبلَ على المشركينَ.

قولُه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ قيلَ: هذا ألطفُ بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ حيثُ لم يواجهْه بالعتابِ، بل قالَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فخاطبَ.

وقُرِئَ: (آنْ جاءَه الأعمى)(١)، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: أأنْ جاءَه الأعمى عبسَ وتولَّى؟ وما يُدريكَ لعلَّ ابنَ أمِّ مكتومٍ يتزكَّى بما استدعى منكَ(٢) تعليمَه إيَّاهُ من القرآنِ والدِّينِ بأن يزدادَ طهارةً في دينِه، وزوالِ ظلمةِ الجهلِ عنه، وليسَ هذا تشكيكاً في حالِه، بل هوَ ترقيقُ الخطابِ؛ كقولِه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقولِه: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

وقيلَ: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يتطهَّرُ من الذُّنوبِ بما يتعلَّمُ منك.

قولُه: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾؛ أي: يتذكَّرُ ليتَّعظَ ممَّا يتعلَّمُ من مواعظِ القرآنِ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ والموعظةُ.

قُرِئَ: ﴿فتنفعُه﴾ بالرَّفعِ عطفاً على ما تقدَّمَ من المرفوعِ، وقُرِئَ بالنَّصبِ على جوابِ لعلَّ(٣)؛ كقولِه: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ ثمَّ قالَ: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر: ٣٧].

* * *

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٥٢) عن الحسن.

(٢) في الأصل: «منه»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٧٢).

(٣) قرأ بالنصب عاصم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٥ ـ ٧) ـ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

قولُه: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ أي: أثْرَى من المالِ.

قالَ مجاهدٌ: المكنَّى عنه شيبةُ وربيعةُ وأميَّةُ بنُ خلفٍ والعبَّاسُ[١].

ثمَّ قيلَ: استغنى بمالِه عن الإيمانِ والقرآنِ، أو: استغنى عن اللهِ في ظنِّه.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾؛ أي: تتصدَّى؛ أي: تُقبلُ عليه بوجهِك.

وقيلَ: تتصدَّى؛ أي: تميلُ إليه وتتعرَّضُ له، فأصلُه: تَصَدَّدُ من الصُّدودِ، وهوَ ما استقبلَكَ وصارَ قبالَتَك.

وقيلَ: هوَ من الصَّدى، وهوَ العطشُ؛ أي: تتعرَّضُ له كما يتصدَّى العطشانُ للماءِ.

قُرِئَ: ﴿تَصَدَّىٰ﴾ ﴿تَصَّدَّى﴾ بالتَّخفيفِ وبالتَّشديدِ على الإدغامِ[٢].

قولُه: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾؛ أي: أنْ لا يهتديَ ولا يؤمنَ؛ أي: لا تشتغلْ عمَّن أسلمَ بمَن لم يُسلمْ، فإنَّه ليسَ عليكَ إلَّا البلاغ.

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

قولُه: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ أي: يَجِدُّ في المجيءِ إليكَ، ويَحرصُ عليه ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ ويخافُه إن ضيَّعَ أمرَه ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ أي: تُعرضُ بوجهِك، يُقالُ: لَهِيْتُ عن الشَّيءِ أَلْهَى؛ أي: تشاغلتُ عنه، والتَّلهِّي: التَّغافُلُ، ولهيتُ عنه وتلهَّيتُ بمعنى.

***

(١) رواه بنحوه آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٧).

(٢) قرأ بالتشديد نافع وابن كثير، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(١١ ـ ١٦) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿كَلَّآ﴾ كلمةُ زجرٍ؛ أي: لا تَعُد لذلك، والَّذي جرى من النَّبيِّ عليه السَّلامُ كانَ تَرْكَ الأولى كما تقدَّمَ، ولو حُمِلَ على صغيرةٍ لم يبعُدْ.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: هذه السُّورةَ، أو آياتِ القرآنِ.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ يعني: الوحيَ والقرآن.

قالَ الجرجانيُّ[(١)]: ﴿إِنَّهَا﴾؛ أي: القرآنَ، والقرآنُ مذكَّرٌ، إلَّا أنَّه لمَّا جعلَ القرآنَ تذكرةً أخرجَه على لفظِ التَّذكرةِ، فلو ذكَّرَه لجازَ، كما قالَ في موضعٍ آخرَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٤]، ويدلُّ على أنَّه أرادَ القرآنَ قولُه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾.

وقيلَ: أي: هذا الَّذي أوجبتُ إليك[(٢)] من إجلالِ النَّاسِ بالدِّينِ لا بأسبابِ الدُّنيا موعظةٌ مثبَتةٌ عندَ اللهِ في اللَّوحِ المحفوظِ، وهذا تعظيمٌ لهذا الشَّأنِ إذ أخبرَ أنَّه مثبتٌ في اللَّوحِ، وهوَ كقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] إلى قولِه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨].

قولُه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: المكلَّفونَ بحيثُ لو أرادوا أن يفعلوا ما أمرناهم به أمكنَهم ذلك.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: لو شاءَ اللهُ ألهمَه وفهَّمَه القرآنَ حتَّى يتَّعظَ به[(٣)].

قولُه: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾؛ أي: القرآنُ معظَّمٌ في اللَّوحِ المحفوظِ، أو هذا الَّذي وعظناكَ به في اللَّوحِ المحفوظِ، وهيَ الصَّحيفةُ الَّتي كرَّمها اللهُ ورفعَ قدرَها.

---

(١) في كتابه «نظم القرآن» كما في «البسيط» (٢٣/ ٢١٧).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «عليك».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢١٧).

قولُه: ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾؛ أي: في السَّماءِ السَّابعةِ ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ لا يمسُّها إلَّا المطهَّرونَ من الملائكةِ.

وقيلَ: إنَّ القرآنَ ثبتَ للملائكةِ في صحفٍ تقرؤُها، فهيَ مكرَّمةٌ.

قولُه: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾؛ أي: الملائكةِ الَّذينَ جعلهم اللهُ سفراءَ بينَه وبينَ أنبيائِه، فهم بَرَرةٌ لم يتدنَّسوا بمعصيةٍ.

والصَّحيفةُ: ما يُكتبُ فيه.

والسَّفرةُ من قولكَ: سَفَرتُ بينَ القومِ؛ أي: أصلحتَ بينَهم، فالسَّفَرةُ ملائكةٌ همُ السُّفراءُ بينَ اللهِ وبينَ أنبيائِه، والواحدُ: سافِرٌ، وقيلَ لهم: سفراء؛ لأنَّهم يكتبونَ أعمالَ العبادِ، والسّافرُ: الكاتبُ[1]، والجمعُ: أسفارٌ، ومنه: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥]، وأصلُ الكلمةِ من الظُّهورِ.

قولُه: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾؛ أي: كرامٍ على ربِّهم، والبررةُ: جمعُ البارِّ.

قالَ مقاتلٌ: كانَ ينزلُ القرآنُ من اللَّوحِ المحفوظِ إلى السَّماءِ الدُّنيا ليلةَ القدْرِ إلى الكتبةِ من الملائكةِ، ثمَّ ينزلُ جبريلُ إلى محمَّدٍ به.

وقيلَ: يعني: القرآنُ قولٌ بأيدي سفرةٍ كرامٍ بررةٍ، وهوَ مُكرَّمٌ؛ لأنَّه معجزةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وهوَ مكتوبٌ في مصاحفَ لا يمسُّها إلَّا المطهَّرونَ.

وقيلَ: مطهَّرةٌ من الخُلفِ والتَّناقضِ.

* * *

---

(١) سُمِّي به لأنه يبين الشَّيءَ ويُوضِّحه. انظر: «النهاية» (مادة: سفر).

(١٧ ـ ٢٣) ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

قولُه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ هذا تعجيبٌ للعبادِ من الكافرِ في ترفُّعِه على المسلمِ بغناه، وفي إنكارِه يومَ القيامةِ، وهوَ مُتعلِّقٌ بقصَّةِ ابنِ أمِّ مكتومٍ، إذ قالَ الكفَّار: إنَّما أتباعُه العميانُ والضَّعفةَ.

ومعنى ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الدُّعاءُ على الكافرِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: لُعنَ عتبةُ بنُ أبي لهبٍ[1]. وهذا على مذهبِ العربِ إذا تعجَّبوا من شيءٍ قالوا: قاتلَه الله ما أخبثَه! وأخزاه اللهُ ما أظلمَه! فيجوزُ أن يكونَ ﴿قُتِلَ﴾ بمعنى: لُعِنَ، ويجوزُ أن يكونَ على مذهبِ الدُّعاءِ كما سبقَ.

وقيلَ: هذا دعاءٌ بالإهلاكِ، فإنَّ المقتولَ هالكٌ، والإنسانُ هاهنا: الكافرُ، ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؛ أي: ما أجحدَه لنعمةِ اللهِ عليه! وهذا تعجيبٌ.

وقيلَ: أي: أيُّ شيءٍ دعاه إلى الكفرِ؟ فهوَ استفهامُ توبيخٍ.

قولُه: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾؛ أي: من أيِّ شيءٍ خلقَ اللهُ الكافرَ فيتكبَّر؟ ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ فسَّرَها، وقال: خلقَه من قطرةِ ماءٍ مهينٍ جمادٍ فلمَ يغلُظُ في نفسِه؟

قالَ الحسنُ: كيفَ يتكبَّرُ مَن خرجَ من سبيلِ البولِ مرَّتينِ[2]؟

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾؛ أي: فهيَّأَه لِما يصلحُ به للتَّكليفِ وعدَّلَ خلقَه.

وقيلَ: فقدَّرَه في بطنِ أمِّهِ نطفةً ثمَّ علقةً، وذكراً وأنثى، شقيًّا وسعيداً.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢١).

(٢) رواه المعافى بن زكريا في «الزهد» (١٠٧)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٦٥٧). ورواه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٠١) من قول الأحنف بن قيس رضي الله عنه.

وقيلَ: ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾؛ أي: سوَّاه؛ كما قالَ: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

قولُه: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾؛ أي: سهَّلَ له سبيلَ ما كلَّفَه بأن أزاحَ العللَ.

وقالَ مجاهدٌ وعطاءٌ: بيَّنَ السَّبيلَ الخيرَ والشَّرَّ؛ كقولِه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣][(١)].

وقالَ السُّدِّيُّ ومقاتلٌ: هداهُ للخروجِ من بطنِ أمِّه[(٢)].

قولُه: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾؛ أي: فجعلَه ممَّن يُقبرُ ولا يُلقى للسِّباعِ والطَّيرِ؛ ليكونَ مكرَّماً حيًّا وميِّتاً، والقابرُ: هوَ الدَّافنُ بيدِه، والمُقبِرُ: هوَ اللهُ تعالى لأنْ صيَّرَه ذا قبرٍ.

قالَ الفرَّاءُ: وهوَ كما يُقالُ: طردتُ فلاناً، واللهُ أطرَدَهُ؛ أي: جعلَه طريداً، قالَ: ولو قيلَ: «فقبرَه»، وفي الآدمي: «فأقبرَه» لساغَ[(٣)].

وقالَ أبو عُبيدة: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾؛ أي: أمرَ بأنْ يُجعلْ له قبرٌ[(٤)].

قولُه: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي: أحياهُ، يُقالُ: أنشرَ اللهُ الميِّتَ، ونشَرَه.

قولُه: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما يقولُ الكافرُ، فإنَّ الكافرَ إذا أُخبرَ بالنُّشورِ قالَ: ﴿لئِنْ رُددتُ إلى ربِّي إنَّ لي عندَه للحسنى﴾ [فصلت: ٥٠]، وربَّما يقولُ: قد قضيتُ ما أُمرتُ به، فقالَ: ﴿كَلَّا﴾ لم ﴿يَقْضِ﴾ شيئاً، بل هوَ كافرٌ بي وبرسولي.

---

(١) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤). ورواه عن مجاهد آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٢).

(٢) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤). ورواه عن السدي الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٧).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٦).

وقالَ الحسنُ: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: حقّاً لم يَقضِ[١]؛ أي: لم يُوفِّ؛ كقولِه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ أي: فُرِغَ منها وأُتمَّت.

و«ما» في قولِه ﴿لَمَّا﴾ عمادُ الكلامِ؛ كقولِه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقولِه: ﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

وقالَ الإمامُ ابنُ فُورَكٍ: أي: كلَّا لم يقضِ اللهُ لهذا الكافرِ ما أمرَ به من الإيمانِ، بل أمرَه بما لم يقضِ به[٢].

***

(٢٤ ـ ٣٢) ـ ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾.

قولُه: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ لمَّا ذكرَ ابتداءَ خَلقِه، ذكرَ ما يسَّرَ من رزقِه؛ أي: فلينظرْ كيفَ خلقَ اللهُ طعامَه، وهذا النَّظرُ نظرُ القلبِ بالفِكرِ؛ أي: ليتدبَّرْ كيفَ خلقَ اللهُ طعامَه الَّذي هوَ قِوامُ حياتِه، وكيفَ هيَّأَ له أسبابَ المعاشِ ليستعدَّ بها للمعادِ.

﴿**إنَّا صببنا الماء صبا**﴾ ﴿إنَّا﴾ بالكسرِ[٣]؛ أي: أنزلناهُ من فوقُ ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾؛ أي: بالنَّباتِ ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا﴾؛ أي: الحبوبَ كلَّها.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٣٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن فورك» (٣/ ١٥٢)، وفيه: ﴿لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾؛ أي: لما يقض ما عليه مما أمره الله به، لأنه قد أمره بأشياء وأوجبها عليه فلم يفعلها من إخلاص عبادته وشكره.

(٣) قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم بفتح الهمزة، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

﴿وَقَضۡبٗا﴾ هوَ الرُّطَبُ؛ لأنَّه يُقضَبُ من النَّخلِ، ولأنَّه ذكرَ العِنَبَ قبلَه، وقيلَ: العلفُ، وقيلَ: أهلُ مكَّةَ يُسمُّونَ القَتَّ: القَضْبَ.

قالَ القُتبيُّ: لأنَّه يُقضبُ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ(١).

وقالَ الخليلُ: القَضْبُ: الفِصْفِصةُ الرَّطبةُ ـ وقيلَ: بالسِّينِ ـ فإذا يبسَتْ فهوَ قَتٌّ. قالَ: والقضبُ: اسمٌ يقعُ على ما يُقضبُ من أغصانِ الشَّجرِ ليُتَّخذَ منهُ سهامٌ أو قِسِيٌّ(٢).

﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾؛ أي: بساتينَ فيها أشجارٌ غلاظٌ، والحديقةُ: كلُّ بستانٍ عليها حائطٌ، فقولُه: ﴿غُلۡبٗا﴾؛ أي: غِلاظاً، ورجلٌ أغلبُ؛ أي: غليظُ الرَّقبةِ، فهوَ إذاً من الغَلبِ، فهوَ غلظُ القَصَرةِ.

وقالَ مقاتلٌ ومجاهدٌ: الغُلبُ: الملتفَّةُ الشَّجرِ(٣)، يُقالُ: اغلَوْلَبَ العشبُ؛ أي: التفَّ البعضُ بالبعضِ.

﴿وَفَٰكِهَةٗ﴾؛ أي: وما تأكلُه النَّاسُ من ثمارِ الأشجارِ ﴿وَأَبّٗا﴾ هوَ ما تأكلُه البهائمُ من العشبِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الأبُّ: كلُّ ما أنبتَتِ الأرضُ ممَّا لا يأكلُه النَّاسُ(٤).

﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾؛ أي: خلقْنا هذه الأشياءَ لتتمتَّعوا بها في حياتِكم.

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥١٤) وزاد: «أي: يقطع».

(٢) انظر: «العين» (٥/ ٥٢)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٢٧١)، و«البسيط» (٢٣/ ٢٢٩).

(٣) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٤). ورواه عن مجاهد عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٧٢)، والحاكم (١٥٩٧) وصححه.

﴿مَتَٰعًا﴾ نصبٌ لأنَّه مصدرٌ مُؤكِّدٌ؛ لأنَّ إنباتَ هذه الأشياءِ إمتاعٌ لجميعِ الحيواناتِ.

وقيلَ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾؛ أي: حين يدخلُ جوفَه وحينُ يخرجُ منه؛ أي: ابتداؤُه أن يُصبَّ عليه الماءُ من السَّماءِ، وتُشقَّ له الأرضُ إلى أن تنبتَ، ثمَّ يأكلُه الحيوانُ، ثمَّ يصيرُ إلى أن يكونَ عذرةً. وهذا يصلحُ لأنْ يكونَ مثَلاً لتحقيرِ الدُّنيا وما يتفاخرُ به أهلُها منها، فإنَّه غايةُ ما يسعونَ له هوَ الطَّعام، ثمَّ يصيرُ مآلُه إلى أن يُلقى ويُطرحَ ويُستقذرَ.

* * *

(٣٣ ـ ٣٧) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

قولُه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ لمَّا ذكرَ أمرَ المعاشِ ذكَّرَهم أمرَ المعادِ؛ لينظروا اليومَ لغدِهم.

والصَّاخَّةُ: من أسماءِ القيامةِ كـ: القارعةِ، والطَّامَّةِ، يُقالُ: صخَّتِ الصَّخرةُ تَصُخُّ صخًّا؛ أي: صوَّتَت، وصخَّني فلانٌ بعظمٍ؛ أي: رماني به.

وقالَ الخليلُ: الصَّاخَّةُ: صيحةٌ تَصُخُّ الآذانَ؛ أي: تُصِمُّها بشدَّةِ وقعِها[1].

وأصلُ الكلمةِ في اللُّغةِ: الصَّكُّ الشَّديدُ، وفيه إضمارٌ؛ أي: فإذا جاءَ يومُ القيامةِ كانَ فيهِ من الأهوالِ كذا وكذا.

قولُه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: تجيءُ الصَّاخَّةُ في هذا اليومِ الَّذي يفرُّ المرءُ فيهِ فلا يلتفتُ إلى أقاربِه لهَولِ ما هوَ فيه؛ أي: يفرُّ من مُوالاةِ أخيه ومُكالمتِه؛ لأنَّه لا

---

(١) انظر: «العين» (٤/ ١٣٥).

يتفرَّغُ إلى ذلكَ؛ كما قالَ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: ٤١]، وقالَ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠].

وقيلَ: يفرُّ منهم حذاراً من مطالبتِهم إيَّاه بمظلمةٍ.

وقيلَ: لئلَّا يرَوا ما هوَ فيهِ من الشِّدَّةِ.

وفي التَّفاسيرِ: يفرُّ قابيلُ من هابيلَ، ومحمد عليه السَّلامُ من أبيه وأمِّه، وإبراهيمُ من أبيه، ولوطٌ من امرأتِه، ونوحٌ من ابنِه[1]، وهذا فرارُ التَّبرُّؤ.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: شأنٌ يَشغلُه عن الأقرباءِ، وقالَت عائشةُ: أنُحشرُ عراةً؟ واسوأتاه، فقالَ عليه السَّلامُ: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[2].

* * *

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾.

قولُه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾؛ أي: وجوهُ المؤمنينَ مضيئةٌ مشرقةٌ ﴿ضَاحِكَةٌ﴾: مسرورةٌ.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤١)، عن قتادة. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٣٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٤/ ٨)، عن الحسن. وذكرته كثير من كتب التفسير، وجاء في المصادر جميعها: «هابيل من قابيل» وهو الصواب.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٩٨)، وصححه من حديث سودة رضي الله عنها. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٣): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس، وهو ثقة».

ورواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً ولفظه: «تحشرون حفاة عراة غرلًا»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض، فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

﴿وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٌ﴾ وهيَ وجوهُ أهلِ النَّارِ، والغَبَرةُ والظُّلمةُ من الغُبارِ، وفي الخبرِ: أنَّ البهائمَ تصيرُ تراباً يومَ القيامةِ ويحوَّلُ ذلكَ غَبرةً في وجوهِ الكفَّارِ(١).

﴿تَرۡهَقُهَا﴾؛ أي: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾؛ أي: سوادٌ كالدُّخانِ، والقُتارُ: دخانُ الشِّواءِ، يريدُ: قُتارَ جهنَّم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾؛ أي: هذا وصفُ الكفرةِ غداً.

* * *

(١) ذكره دون سند ولا قائل الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢٨/ ١٣٥).

تفسيرُ سورةِ التَّكويرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ١٤) ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ روى ابنُ عمرَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَن أرادَ أن ينظرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّه رأيُ عَينٍ فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»، قالَ الرَّاوي: وأحسبُه قالَ: «وسورةَ هودٍ»(١).

﴿كُوِّرَتْ﴾: ذهبَ ضوؤُها.

وقالَ أبو عُبيدةَ: كوِّرتْ مثلَ تكويرِ العِمامَةِ، فتُلَفُّ فتُمحَى(٢).

يُقالُ: كُرْتُ العمامةَ على رأسي أَكُورُها كَوراً وكوَّرتُها تكويراً؛ أي: لفَفْتُها، فهوَ من اللَّفِّ والجمعِ، ومنه: كارةُ القصَّارِ؛ لأنَّه يجمعُ الثِّيابَ في ثوبٍ واحدٍ يُكوِّرُ بعضَها على بعضٍ.

وقيلَ: هوَ من «كوَّرتُ الحائط»؛ أي: هدمتُه، فالشَّمسُ غداً يذهبُ نورُها وتصيرُ كالشَّيءِ المطروحِ المَلقيِّ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧).

قولُـه: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي: تناثـرَت وتسـاقطَت، ويُقـالُ: انكـدرَ؛ أي: انصَبَّ.

قالَ الكلبيُّ: تمطرُ السَّماءُ يومئذٍ نجوماً، فلا يبقى نجمٌ في السَّماءِ إلَّا وقعَ على وجهِ الأرضِ.

قالَ عطاءٌ: وذلكَ أنَّها في قناديلَ معلَّقةٍ بين السَّماءِ والأرضِ بسلاسلَ من النُّورِ، وتلكَ السَّلاسلُ بأيدي الملائكةِ، فإذا ماتَ مَن في السَّماءِ والأرضِ تساقطَت تلكَ السَّلاسلُ من أيدي الملائكةِ[١].

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾؛ أي: تقلَّعَت من أصولِها، فسارَت وصارَت كالهباءِ المُنبثِّ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ هيَ جمعُ العُشَراءِ، وهيَ النَّاقةُ الَّتي قد أتى على حملِها عشَرةُ أشهرٍ، وهيَ أنفَسُ مالٍ عندَهم، أخبرَ أنَّ هذه الحواملَ على عزَّتِها عندَ أربابِها وتنافُسِهم فيها تُعطَّلُ وتُهملُ لشدَّةِ الأهوالِ في ذلكَ اليومِ.

وقيلَ: العشارُ: السَّحابُ يُعطَّلُ ممَّا يكونُ فيهِ وهوَ الماءُ، والعربُ تُشبِّهُ السَّحابَ بالحاملِ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تُحشرُ الوحوشُ غداً ـ أي: تُجمعُ ـ حتَّى يُقتَصَّ لبعضِها من بعضٍ، فيُقتَصُّ للجمَّاءِ من القَرناءِ، ثمَّ يُقالُ لها: موتي، فتموتُ؛ أي: إنَّ الوحوشَ إذا كانَت هذه حالُها فكيفَ ببني آدمَ[٢]؟

---

(١) ذكر القولين الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١) وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا عليه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥) مرفوعًا.

وقالَ قومٌ من الصَّائرينَ إلى أنَّه يَقْبحُ من الله إيلامُ البريءِ: تُحشرُ الوحوشُ لتعوَّضَ على الآلامِ الَّتي نالَتها في الدُّنيا بالقتلِ والموتِ وغيرِهما، فإذا عُوِّضَت فإن شاءَ الله أبقى بعضَها في الجنَّةِ إذا كانَ ممَّا يستحسنُه أهلُها، وإن شاءَ أن يُفنيَها أفناها، على قولِ مَن يجوِّزُ منهم أن يفنيَ الله شيئاً دونَ شيء، ومَن لم يقل ذلكَ يقولُ: يُصيِّرُها تراباً.

وقيلَ: عُني بهذا أنَّها مع نفرتِها اليومَ عن النَّاسِ وتبدُّدِها في الصَّحارى تجتمعُ غداً إلى النَّاسِ من أهوالِ ذلكَ اليومِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: حشرُ البهائمِ موتُها، وحشرُ كلِّ ذي شيءٍ الموتُ غيرَ الجنِّ والإنسِ[(١)].

والوحوشُ: كلُّ شيءٍ من دوابِّ البرِّ ممَّا [لا][(٢)] يُستأنسُ، والواحدُ: وحشٌ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أُوقدَت فصارَت ناراً تضطرمُ.

وقيلَ: أن تَيبَسَ وتغورَ مياهُها فلا يبقَى منها شيءٌ، وهوَ من سَجْرِ التَّنورِ، وإذا[(٣)] سُلِّطَ عليه الإيقادُ نَشِفَ ما فيهِ من الرُّطوبةِ، وتُسيَّرُ الجبالُ حينئذٍ، وتصيرُ البحارُ والأرضُ كلُّها بَسيطاً واحداً بأن يمتلئَ مكانُ البحارِ بترابِ الجبالِ.

وروى بعضه مسلم (٢٥٨٢) مرفوعًا، ولفظه: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء».

وانظر ما سلف عند قوله تعالى: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠١)، وصححه.

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من الأصل، والمثبت من «العين» (٣/ ٢٦٢)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٩٣)، و«المحيط في اللغة» (١/ ٢٣٧)، وغيرها.

(٣) في (الأصل): «وما»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٩٨) نقلًا عن المصنف.

وقيلَ: ﴿سُجِّرَتۡ﴾؛ أي: فاضَت ومُلِئَت، والسَّجْرُ: المَلْءُ، وذلكَ بأن يرفعَ اللهُ الحاجزَ الَّذي ذكرَ في قولِه: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فإذا رفعَ ذلكَ البرزخَ تفجَّرَت مياهُ البحارِ فعمَّتِ الأرضَ كلَّها، وصارَ البحارُ بحراً واحداً.

وقيلَ في تفسيرِ قولِ ابنِ عبَّاسٍ: «﴿سُجِّرَتۡ﴾: أُوقِدَت»[1]: يحتملُ أن تكونَ جهنَّمُ في قُعورِ البحارِ، فهيَ الآنَ غيرُ مسجورةٍ؛ لِقوامِ الدُّنيا، فإذا انقضَتِ الدُّنيا سُجِّرَت فصارَت كلُّها ناراً يُدخلُها اللهُ أهلَها.

ويحتملُ أن تكونَ تحتَ البحرِ نارٌ، ثمَّ يوقدُ اللهُ البحرَ كلَّه فيصيرُ ناراً، وفي الخبرِ: «البحرُ نارٌ في نارٍ»[2].

وقيلَ: تُكوَّرُ الشَّمسُ في البحرِ[3]، فيصيرُ البحرُ ناراً بحرِّ الشَّمسِ.

ثمَّ جميعُ ما في هذه الآياتِ يجوزُ أن تكونَ في الدُّنيا قبل القيامةِ، وتكونُ من أشراطِها، ويجوزُ أن تكونَ يومَ القيامةِ، وما بعدَ هذه الآيةِ فيكونُ في القيامةِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٥٤) عن ابن عباس في رواية عطاء قال: «أوقدت فصارت نارًا تضطرم». وروى معناه آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٠٧) ولفظه: «تسجر حتى تصير ناراً»، وبنحو هذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٥)، والماوردي في «الحاوي الكبير» (١/ ٤٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦)، وابن دقيق العيد في «شرح الإلمام» (١/ ١٢٤) وأسندوه حديثاً دون راو ولا سند. ولعل من ذكره أخذ معناه مما رواه أبو داود (٢٤٨٩) عن عبد الله بن عَمرو مرفوعاً: «لا يركبُ البحرَ إلا حاجٌّ أو معتمرٌ أو غازٍ في سبيل الله، فإن تحتَ البحرِ ناراً، وتحت النارِ بحراً». وإسناده ضعيف، فقد نقل عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (٤/ ٢٤١) عن أبي داود نفسه أنه قال: هذا حديث ضعيف جدًا، بشر أبو عبد الله وبشير مجهولان.

(٣) في الأصل: «النار»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٩٩) نقلًا عن المصنف.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾؛ أي: يصيرونَ فيهِ ثلاثةَ أزواجٍ كما قالَ: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ [الواقعة: ٧]؛ فيُضَمُّ إلى كلِّ صنفٍ مَن كانَ في طبقتِه من الرِّجالِ والنِّساءِ، فيُضمُّ المُبرِّزُ في الطَّاعةِ إلى مثلِه، والمتوسِّطُ إلى مثلِه، وأهلُ المعصيةِ إلى مثلِه، فالتَّزويجُ أن يُقرنَ الشَّيءُ بمثلِه، والمعنى: وإذا النُّفوسُ قُرنَت بأشكالِها في الجنَّةِ والنَّارِ.

وقيلَ: يُضمُّ كلُّ رجلٍ إلى مَن كانَ يلزمُه من مَلِكٍ وسلطانٍ؛ كما قالَ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢]، قيلَ: قرناءَهم من الشَّياطينِ.

وقيلَ: زُوِّجَت نفوسُ المؤمنينَ بالحورِ العينِ، وقُرنَت نفوسُ الكافرِ بالشَّياطينِ.

وقالَ عمرُ رضي الله عنه: يُقرنُ الرَّجلُ الصَّالحُ بالرَّجلِ الصَّالحِ [في الجنَّةِ]، والرَّجلُ السُّوءُ بالرَّجلِ السُّوءِ في النَّارِ[١].

وقالَ عكرمةُ: وقُرنَت الأرواحُ بالأجسادِ[٢]؛ أي: رُدَّت إليها.

وقالَ الحسنُ: أُلحِقَ كلُّ امرئٍ بشيعتِه: اليهودُ باليهودِ، والنَّصارى بالنَّصارى[٣].

وورَدَ فيهِ خبرٌ[٤].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٠٢ - تكملة التفسير)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٤) عن عكرمة والشعبي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٣) عن الحسن وقتادة، واللفظ لقتادة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٧)، من طريق الوليد بن عبد الله بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ - زاد الطبري: «والنعمان عن عمر» -: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾؛ قال: «الضُّرباءُ؛ كلُّ رجلٍ مع كلِّ قوم كانوا يعمَلون عملَه؛ وذلك أن اللهَ

وقيلَ: قُرِنَت النُّفوسُ بأعمالِها.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ هيَ مفعولةٌ من الوأدِ، وكانَ الوأدُ عادةَ أقوامٍ من العربِ، إمَّا لمخافةِ العارِ، وإمَّا لمخافةِ الفقرِ، وكانَ فيهم مَن يَئِدُ البنات، ويقولُ: الملائكةُ بناتُ اللهِ فهوَ أحقُّ بالبناتِ.

والوأدُ: الدَّفنُ في حالِ الحياةِ.

ثمَّ قيلَ: تُسألُ الموءودةُ، فيقالُ: بأيِّ ذنبٍ قُتِلْتِ؟ وهذا توبيخٌ للقاتلِ.

وقيلَ: يُسألُ الوائدُ: لمَ وأدْتَ؟

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾؛ أي: الكتبُ الَّتي كُتبَ فيها أعمالُ بني آدمَ من الخيرِ والشَّرِّ.

وقالَ مقاتلٌ: إذا ماتَ المرءُ طُوِيَت صحيفةُ عملِه، فإذا كانَ يومُ القيامةِ نُشِرَت[1].

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ الكَشْطُ: قلعٌ عن شدَّةِ التِزاقٍ، والجلدُ يُكشطُ عن السّنامِ فيُسمَّى كِشاطاً؛ أي: تُكشطُ السَّماءُ عمَّن فيها وتُطوى، والكشطُ قريبٌ من القشطِ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾؛ أي: أُوقدَت للكفَّارِ وزيدَ في إحمائِها، يُقالُ: سَعَرتُ النَّارَ وأسعرتُها وسعَّرتُها، وقُرِئَ: ﴿سُعِرَت﴾ بالتَّخفيفِ، وكذلكَ ﴿سُجِرَت﴾، و﴿نُشِرَتْ﴾[2].

يقولُ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١٠]؛ قال: هم الضُّرباءُ». والوليد بن أبي ثور ضعيف.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٠٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عَمْرو: ﴿سُجِرتْ﴾ خفيفة، و﴿نُشِّرتْ﴾ مُشدَّدةً، و﴿سُعِرتْ﴾ خفيفةً.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿سُجِّرتْ﴾ مشدّدةً، و﴿نُشِرتْ﴾ خفيفةً، و﴿سُعِّرتْ﴾ مُشَدّدةً.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؛ أي: قُرِّبَت وأُدنيَت.

قالَ الحسنُ: إنَّهم يُقرَّبونَ منها، لا أنَّها تزولُ عن موضعِها[١].

قولُه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ أي: إذا كانَت هذه الأشياءُ علمَت كلُّ نفسٍ في ذلكَ الوقتِ ما أحضرَت من عملِ خيرٍ أو شرٍّ فتُجازى به، وكانَ للكفَّارِ أعمالٌ يظنُّونَ أنَّها طاعاتٌ؛ أي: يَبينُ يومئذٍ أنَّها لا تنفعُهم، والمرادُ بالنَّفسِ هاهنا: المكلَّفُ.

وقوله: ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ أي: علمَتْ أيَّ شيءٍ أحضرَتْ.

وقيلَ: علمَت الشَّيءَ الَّذي أحضرَت.

* * *

(١٥ ـ ٢٦) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

قولُه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾؛ أي: أقسمُ.

و«الخُنَّسُ» و«الكُنَّسُ» في قولِ المعظَمِ: النُّجومُ:

فالخُنَّسُ: جمعُ خانسٍ، والخنوسُ: الانقباضُ والاستخفاءُ، يُقالُ: خنسَ من بينِ القومِ وانخنسَ.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿سُجِّرتْ﴾ و﴿نُشِّرتْ﴾ مشدَّدتينِ، و﴿سُعِرتْ﴾ خفيفةً.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿سُجِّرتْ﴾ مُشَدَّدةً، و﴿نُشِرتْ﴾ و﴿سُعِرتْ﴾ خفيفتين.

انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣).

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٢٣٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٧).

والكُنَّسُ: جمع كانسٍ وكانسةٍ، وكَنَسَ؛ أي: دخلَ الكِناسَ، وهوَ مَولِجُ الوحشِ، وكنسَت الظِّباءُ في كُنُسِها وتَكَنَّسَت، ويُقالُ: تَكَنَّسَت المرأةُ هودجَها؛ أي: دخلَتْه.

ثمَّ قالَ عليٌّ رضي الله عنه: النُّجومُ تخنسُ بالنَّهارِ، وتظهرُ باللَّيلِ، وتكنِسُ في وقتِ غروبِها[١]؛ أي: تتأخَّرُ عن البصرِ لخفائِها فلا تُرى.

وقيلَ: كنوسُها وخنوسُها: استتارُها عن الأبصارِ بالنَّهارِ، فهما بمعنًى واحدٍ.

وقيلَ: إنَّها الدَّراريُّ الخمسةُ: المريخُ وزُحَلُ وعُطاردُ والمشترِي والزُّهرةُ، وهيَ تخنسُ في مجراها لترجعَ وتكنِسَ فتستترَ في بيوتِها كما تكنِسُ الظِّباءُ[٢]، والإشارةُ بهذا إلى رجوعِها حتَّى تخفى تحتَ ضوءِ الشَّمسِ فلا تُرى.

وقيلَ: خنوسُها وكنوسُها: غروبُها.

وقالَ ابنُ مسعودٍ: الخُنَّسُ الكُنَّسُ: الوحشُ من الظِّباءِ والبقرِ[٣]، فهيَ خنَّسٌ؛ أي: إذا رأينَ الإنسَ خنسنَ وانقبضنَ وتأخَّرنَ ودخلنَ كِناسَهنَّ.

وقيلَ على هذا: «الخُنَّسُ» من الخَنَسِ في الأنفِ، وهوَ تأخُّرُ الأرنبةِ وقصرُ القَصَبةِ، وأنوفُ البقرِ والظِّباءِ خُنَّسٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٢) بلفظ: «هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل»، وفي رواية: «تجري بالليل وتخنس بالنهار»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٧) بلفظ: «تَخْنِسُ بالنَّهار وتظهر باللَّيل».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥١٣)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠٣) وصححه.

والأصحُّ: الحملُ على النُّجومِ؛ لذكرِ اللَّيلِ والصُّبحِ بعد هذا، فذِكْرُ النُّجومِ أليقُ بذلكَ.

قولُه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾؛ أي: إذا أدبرَ وولَّى.

قالَ الحسنُ: أقبلَ بظلامِه[1]. والكلمةُ من الأضدادِ.

وقيلَ: عَسْعسَ اللَّيلُ وسَعْسعَ؛ أي: أدبرَ فلم يبقَ منهُ إلَّا اليسيرُ، ولعلَّه من المقلوبِ.

قولُه: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: امتدَّ ضوءُه.

ومعنى التَّنفُّسِ: خروجُ النَّسيمِ من الجوفِ.

وقيلَ: ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: انشقَّ وانفلقَ، ومنه: تنفَّستِ القوسُ؛ أي: تصدَّعَت.

قولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ هذا جوابُ القسمِ، والرَّسولُ الكريمُ جبريلُ؛ لكرامتِه على اللهِ؛ أي: ليسَ ما يقولُ محمَّدٌ من تلقاءِ نفسِه، بل يُلقيهِ إليه جبريلُ.

﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إنَّ هذا الَّذي يخبرُكم به محمَّدٌ من أمرِ السَّاعةِ.

وقيلَ: أي: إنَّ القرآنَ، فكنَّى عنه؛ كما قالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ فكنَّى عنه.

قولُه: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾؛ أي: إنَّه يَقْوَى على ما يُكلَّفُ من الأمورِ، ومِن قوَّته رفعُه مدائنَ لوطٍ بجناحِه من الأرضِ إلى السَّماءِ.

وقالَ مقاتلٌ: من قوَّته أنَّ شيطاناً يُقالُ له: الأبيضُ، صاحبُ الأنبياءِ، قصدَ أن يفتنَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ، وتصوَّرَ [بصورةِ] جبريلَ، فدفعَه جبريلُ دفعةً هيِّنةً وقعَ بها من مكَّةَ إلى أقصى الهندِ[2].

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٩٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٦٩). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦١) بلفظ: «إذا غشي الناس».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٠٢)، و«البسيط» (٢٣/ ٢٧٤)، وما بين معكوفتين ساقط من الأصل.

﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾؛ أي: له مكانةٌ عندَ اللهِ، يُقالُ: مكُنَ فلانٌ عندَ فلانٍ ـ بضمِّ الكافِ ـ مَكناً ومَكانةً.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ إنَّ جبريلَ مُطاعٌ في السَّماواتِ، تطيعُه الملائكةُ فيما يأمرُهم به، فهوَ كبطانةِ الملكِ الَّذي يطيعُه حشمُه.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: من طاعةِ الملائكةِ جبريلَ أنَّه أمرَ خازنَ الجنَّةِ ليلةَ المعراجِ حتَّى فتحَ لمحمَّدٍ أبوابَها فدخلَها ورأى ما فيها، وأمرَ خازنَ جهنَّمَ فقالَ: افتح لمحمدٍ جهنَّمَ حتَّى ينظرَ إليها، فأطاعَه[1].

﴿أَمِينٖ﴾ على الوحي.

قولُه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾؛ أي: إنَّ محمداً ليسَ بمجنونٍ حتَّى يُتَّهمَ في قولِه، وهوَ من جوابِ القسمِ.

وقيلَ: أرادَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ أن يرى جبريلَ في صورتِه الَّتي يكونُ بها عند ربِّه، فقالَ: ما ذاك إليَّ. فأذِنَ له الرَّبُّ، فأتاه قد سدَّ الأُفقَ، فلمَّا نظرَ إليه النَّبيُّ عليه السَّلامُ خرَّ مغشيًّا عليه، فقالَ المشركون: إنَّه مجنونٌ، فنزلَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾[2]، وإنَّما رأى جبريلَ على صورتِه فهابَه، ووردَ عليه ما لم تحتمِلْ بنيتُه فخرَّ مغشيًّا عليه.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ أي: رأى جبريلَ في صورتِه، فعلمَ أنَّه رسولُ اللهِ إليه، وكانَ ذلكَ آيةً له، ولا بدَّ للنَّبيِّ من آيةٍ يَعلمُ بها صدقَ جبريلَ.

﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ أي: بناحيةِ مطلعِ الشَّمسِ من قِبَلِ المَشرقِ؛ لأنَّ هذا الأفقَ إذا كانَ منهُ تطلعُ الشَّمسُ فهوَ مُبينٌ؛ أي: من جهتِه تُرى الأشياءُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٧٥).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٢٣٦) عن عطية.

قولُه: ﴿**ومَا هوَ عَلَى الغَيبِ بِظَنِينٍ**﴾ بالظَّاءِ؛ أي: بمتَّهمٍ، والظِّنَّةُ: التُّهمةُ؛ أي: رأى جبريلَ على صورتِه، فزالَت عنه الشُّكوكُ في أنَّه رسولُ اللهِ إليه.

والغيبُ: القرآنُ وخبرُ السَّماءِ.

وقُرِئَ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضَّادِ[1]؛ أي: ببخيلٍ؛ من ضَنِنْتُ أضِنُّ؛ أي: لا يبخلُ بما يعلَمُ، بل يُعلِّمُ الخلقَ كلامَ اللهِ وأحكامَه.

وقيلَ: إنَّه يؤدِّي الوحيَ لا يكتمُه كما يكتمُ الكاهنُ ذلكَ، ويمتنِعُ من إعلامِه حتَّى يأخذَ عليه حلواناً.

والأوَّلُ أحسنُ؛ لأنَّه قالَ: ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾، ولو أرادَ البخلَ لَقالَ: بالغيبِ.

ثمَّ هذا صفةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ. وقيلَ: صفةُ جبريلَ.

قولُه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: القرآنُ ليسَ بشعرٍ ولا كهانةٍ، ولا قولِ شيطانٍ كما قالَت قريشٌ.

قالَ عطاءٌ: يريدُ بالشَّيطانِ الأبيضَ الَّذي كانَ يأتي النَّبيَّ عليه السَّلامُ في صورةِ جبريلَ يريدُ أن يفتنَه[2].

والرَّجيمُ: المرجومُ المرميُّ باللَّعنِ أو الشُّهبِ.

قولُه: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ يُقالُ: أين تذهبُ؟ وإلى أينَ تذهبُ؟ أي: أينَ يُذهبُ بكم عن الحقِّ.

* * *

---

(١) ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء والباقون بالضاد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٨١).

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

قولُه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: ما القرآنُ إلَّا موعظةٌ للخلقِ.

وقيلَ: ما محمَّدٌ إلَّا ذِكرٌ.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾؛ أي: هوَ ذكرٌ لمن أرادَ أن يتَّعظَ به.

قولُه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قالَ أبو هريرةَ: لمَّا نزلَت: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالوا: الأمرُ إلينا، إنْ شئنا استقَمْنا، وإنْ شئنا لم نستقِمْ، فنزلَ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[1]. فبيَّنَ بهذا أنَّه لا يَعملُ العبدُ خيراً إلَّا بتوفيقِ اللهِ، ولا شرًّا إلَّا بخذلانِه.

***

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥١٠)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢٥) من طريق سليمان بن موسى عن القاسم بن مخيمرة قوله، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٢)، من قول سليمان بن موسى، ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨١١) من قول سعيد بن عبد العزيز.

تفسيرُ سورةِ الانفطارِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾؛ أي: انشقَّتْ.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾؛ أي: طُوِيَتِ السَّماءُ، أو: أُفْنِيَت فتناثرَت كواكبُها.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾؛ أي: فُجِّرَ بعضُها في بعضٍ، فصارتْ بحراً واحدا، واختلطَ العذبُ بالمِلْحِ، وذلكَ لارتفاعِ الحاجزِ الَّذي جعلَه اللهُ برزخاً، وإنَّما يكونُ ذلكَ لاهتزازِ الأرضينَ وتصدُّعِها في ذلكَ اليومِ.

وقالَ الحسنُ: فُجِّرَت فذهبَ ماؤُها ويبِسَت[1]، وذلكَ أنَّها الآنَ راكدةٌ مجتمعةٌ، فإذا فُجِّرَت تفرَّقَت فذهبَ ماؤُها.

وهذه الأشياءُ بين يدي السَّاعةِ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾؛ أي: أُثيرَت، بأن يُخرَجَ مَن فيها مِن الموتى أحياءً، يُقالُ: بَعثَرْتُ المتاعَ: أي: قلبتُه ظهراً لبطنٍ.

وقيلَ: ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾: خرجَ ما في بطنِها من الذَّهبِ والفضَّةِ، وهوَ من أشراطِ السَّاعةِ،

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٩٠). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٤) بلفظ: «فُجِّرَ بعضها في بعضٍ فذهب ماؤها».

ولكنَّ ذكرَ القبورِ بعيدٌ في الكنوزِ، بلى يَحسنُ في قولِه: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

قولُه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾؛ أي: من خيرٍ وشرٍّ.

وقيلَ: ما أدَّت من أوامرِ اللهِ، وما ضيَّعَت.

ثمَّ قيلَ: أرادَ إذا بَدَت [هذه الأمورُ](١) من أشراطِ السَّاعةِ خُتِمَت الأعمالُ، فعَلِمَتْ كلُّ نفسٍ ما كسبَت، فإنَّها لا ينفعُها عملٌ بعدَ ذلكَ.

وقيلَ: إذا وقعَت هذه الأشياءُ قامَتِ القيامةُ، فحُوسبَتْ كلُّ نفسٍ بما عَمِلَت، وأُوتيَت كتابَها بيمينِها أو شمالِها، فتذكَّرتْ جميعَ أعمالِها.

* * *

(٦ ـ ٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ خاطبَ بهذا مُنكرَ البعثِ.

قولُه: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؛ أي: مع اعترافِك بأنَّه الَّذي خلقَك فسوَّاكَ، وبيَّنَ بهذا أنَّ إمهالَه كانَ لكرمِه، وفي الخبرِ: «غرَّهُ الجهلُ»(٢).

وقيلَ: غرَّهُ عفوُ اللهِ أن لم يعاقبْه في أوَّلِ مرَّةٍ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٢١).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٥)، عن صالح بن مسمارٍ، قال: بلَغَنا أنَّ رسولَ الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال: «جَهْلُهُ». وهو مرسل، صالح بن مسمار بصري روى عن الحسن وابن سيرين.

وقالَ قتادةُ: عدوُّه المسلَّطُ عليه[1].

قولُه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾؛ أي: خلقَك من نطفةٍ، ولم تكُ شيئاً، ثمَّ سوَّاكَ رجلاً تسمعُ وتبصرُ ﴿فعدَّلَك﴾؛ أي: جعلَكَ معتدلَ الخلقِ في أحسنِ تقويمٍ.

وقُرِئَ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتَّخفيفِ[2]؛ أي: عدَلَ بعضَك ببعضٍ، فكنتَ متناسبَ الخِلقةِ؛ أي: فكيفَ تنكِرُ قدرتَه على الإعادةِ؟

وقيلَ: عدَّلَكَ: جعلَكَ قائماً معتدلَ الخِلقةِ، وعدَلَكَ بالتَّخفيفِ: صَرَفَك إلى أيِّ صورةٍ شاءَ.

وقيلَ: بالتَّشديدِ بمعنى: حسَّنَكَ، وبالتَّخفيفِ: سوَّى خلقَكَ.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؛ أي: من حُسنٍ ودَمامةٍ وطولٍ وقصَرٍ وأنوثةٍ وذكورةٍ، و﴿مَّا﴾ في قولِه: ﴿مَّا شَآءَ﴾ صلةٌ مؤكِّدةٌ.

وقيلَ: أي: إن شاءَ ركَّبَك في غيرِ صورةِ الإنسانِ، في صورةِ حمارٍ، أو قردٍ، فـ﴿مَّا﴾ بمعنى الشَّرطِ والجزاءِ؛ أي: في صورةِ ما شاءَ أن يركِّبَك فيها ركَّبَك.

وقيلَ: الصُّورةُ بمعنى الصِّفةِ، تقولُ: أَرِني صورةَ هذا الأمرِ؛ أي: صفتَه، و﴿فِىٓ﴾ بمعنى: على؛ أي: على أيِّ صفةٍ شاءَ من سعادةٍ وشقاوةٍ وإيمانٍ وكفرٍ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٨) بلفظ: «شيءٌ مّا غرَّ ابنَ آدمَ هذا العدوُّ الشَّيطانُ».

(٢) قرأ بها حمزة والكسائيُّ وعاصم، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٤)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٩ ـ ١٢) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما تقولونَ من أنَّه لا بعثَ.

وقيلَ: هوَ بمعنى الزَّجرِ؛ أي: لا تغترُّوا بحلمِ اللهِ وكرمِه فتتركُوا التَّفكُّرَ في آياتِه.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾؛ أي: أنَّهم يكذِّبونَ بالحسابِ، و(بل) لنفيِ شيءٍ تقدَّمَ وتحقيقِ غيرِه، وإنكارُهم للبعثِ كانَ معلوماً، وإن لم يَجرِ له ذِكرٌ في هذه السُّورةِ.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾؛ أي: أنتم تكذِّبونَ بالدِّينِ، والملائكةُ تكتبُ عليكم أعمالَكم وأقوالَكم وتحفظُها حتَّى تُحاسبوا بها.

قولُـه: ﴿كِرَامًا﴾؛ أي: علـى اللهِ؛ كقولِه: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]، ﴿كَاتِبِينَ﴾؛ أي: يكتبـونَ أعمالَكم.

قولُه: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾؛ أي: من الخيرِ والشَّرِّ.

وهذا تأكيدٌ عليهم، واللهُ لا يحتاجُ إلى كتابٍ؛ لأنَّ علمَه محيطٌ بكلِّ معلومٍ، ولكن جرتِ العادةُ بكِتبةِ ما يُستوثَقُ به.

وقيلَ: ذلكَ لتشهدَ الملائكةُ عليهم غداً.

ثمَّ يمكنُ أن يكونَ على كلِّ واحدٍ عدَّةٌ من الحفظةِ، وفي الأخبارِ: «مَلَكانِ باللَّيلِ وملكانِ بالنَّهار»(١)، وعلى هذا يحتملُ أن يكونَ لكلِّ نهارٍ ملكانِ آخرانِ، ويحتملُ أن يكونَ ملكانِ يتعيَّنانِ لكلِّ نهارٍ، وكذا ملكانِ لكلِّ ليلةٍ، ويمكنُ أنَّه ذكرَ الجمعَ لأنَّه خاطبَ الجمعَ.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٧٤) عن الحسن قوله.

(١٣ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾؛ أي: إن كانَ عملُه بِرّاً أثابَه اللهُ عليه في دارِ النِّعمةِ، ومَن فجرَ بتكذيبِ الرَّسولِ وإنكارِ التَّوحيدِ يُعاقبُ في النَّارِ.

قولُه: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾؛ أي: في نارٍ عظيمةٍ.

قولُه: ﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يَلزمونَها يومَ القيامةِ.

قولُه: ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ أي: عن النَّارِ، إلى أن تلحقَهم شفاعةٌ، أو يُعذَّبوا بمقدارِ ذنوبِهم ثمَّ يخرجوا، وقد يُخلَّدونَ فيها إذا كانَتِ الموافاةُ على الكفرِ.

قولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ عظَّمَ ذلكَ اليومَ، ثمَّ كرَّرَ تفخيماً لشأنِه، فقالَ: ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾.

قولُه: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: لا تدفعُ نفسٌ عن نفسٍ عذاباً.

قُرِئَ: ﴿يومُ﴾ بالرَّفعِ؛ أي: هيَ يومُ، أو هوَ صفةُ ﴿يومُ الدِّينِ﴾.

وقُرِئَ: ﴿يَوۡمَ﴾ بالفتحِ[١]، بُنيَ على الفتحِ لإضافتِه إلى قولِه: ﴿لَا تَمۡلِكُ﴾، وما أُضيفَ إلى غيرِ المتمكِّنِ قد يُبنى على الفتحِ وإن كانَ في موضعِ رفعٍ أو جرٍّ.

وقيلَ: أي: هذه الأشياءُ المذكورةُ تكونُ يومَ لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً.

﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾؛ أي: لا يبقى للخَلقِ دعوى.

وقالَ قتادةُ: أي: ليسَ ثَمَّ أحدٌ يقضي شيئاً أو يصنعُ شيئاً إلَّا اللهُ[٢].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٤)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٤).

تفسيرُ سورةِ المطفِّفينَ

بسمِ اللّٰه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٦) ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ المدينةَ كانُوا من أخبثِ النَّاسِ كيلاً، فأنزلَ اللهُ هذه السُّورةَ[1].

وقالَ أبو هريرةَ: نزلَت في عمِّي، وكانَ له صاعانِ يأخذُ بواحدٍ ويُعطي بواحدٍ[2].

والمطفِّفُ: هوَ الَّذي يبخسُ في الكيلِ والوزنِ ولا يُوفي.

ويُقالُ: «هذا طَفُّ المكيالِ وطَفافُه»: إذا قارَبَ مَلْأَهُ ولم يُملَأْ بعدُ.

وقالَ الزَّجَّاج: إنَّما قيلَ للَّذي ينقصُ المكيالَ: مُطفِّفٌ؛ لأنَّه لا يكادُ يسرقُ في الميزانِ والمكيالِ إلَّا الشَّيءَ الطَّفيفَ[3]، وهوَ النَّزرُ.

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٥٩٠)، وابن ماجه (٢٢٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤١).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٠٨). وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٢)، عن السدي قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذِه الآية.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٧).

قولـه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ الاكتيـالُ: الأخـذُ بالكيـلِ، والاتِّـزانُ: الأخـذُ بالوزنِ.

وقالَ الفرَّاءُ: يريدُ اكتالُوا من النَّاسِ، يُقالُ: اكتلتُ منك؛ أي: استوفيتُ منك، وتقولُ: اكتلتُ عليك؛ أي: أخذتُ ما عليك[(١)].

وقالَ الزَّجَّاج: أي: إذا اكتالوا من النَّاسِ استوفَوا عليهم الكيلَ[(٢)]، والمعنى: الذين إذا استوفَوا أخذُوا الزِّيادةَ، وإذا وفَّوا ووزنوا لغيرِهم نقصُوا، ولا يرضَونَ للنَّاسِ ما يرضونَ لأنفسِهم.

قولُه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾؛ أي: كالوا لهم ووَزَنوا لهم، ومثلُه: نَصَحتُ لكَ، ونصحتُك، و: أَمَرْتُكَه، وأَمَرْتُكَ به.

قالَ الزَّجَّاجُ: لا يجوزُ الوقفُ على «كالوا» حتَّى تصلَ به «هم»، قالَ: ومِن النَّاسِ مَن يجعلُ (هم) توكيداً، ويُجيزُ الوقفَ على «كالوا» أو «وزنوا»، والأوَّلُ الاختيارُ، إذ لو كانَ بمعنى: كالوا هم، لكانَ في المصحفِ ألفٌ قبلَ «هم»[(٣)].

﴿يُخۡسِرُونَ﴾؛ أي: يَنْقُصون؛ كقولِه: ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

قولُه: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾؛ أي: ألَا يعلمُ هؤلاءِ المطفِّفونَ أنَّهم مبعوثونُ فمسؤولونَ عمَّا يفعلونَ؟ فالظَّنُّ هاهنا اليقينُ.

وقيلَ: الظَّنُّ بمعنى التَّردُّدِ؛ أي: إن كانُوا لا يستيقنونَ بالبعثِ، فهلَّا ظَنُّوا حتَّى يتدبَّروا ويبحثوا عنه، ويأخذوا بالأَحوطِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٨).

﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾؛ أي: يومِ القيامةِ.

قولُه: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: يقومونَ من قبورِهم لأمرِ اللهِ، أو لجزائِه.

وروى ابنُ عمرٍ عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ في قولِه: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: «يومَ يقومُ أحدُهم في رَشحِه إلى أنصافِ أُذنيهِ»(١).

ويُقالُ: أَقِمْ إلى يومَ يخرجُ فلانٌ، فتنصبُ «يومَ»، فإنْ أضافوا إلى الاسمِ فحينئذٍ يخفضونَ ويقولونَ: أَقمْ إلى يومِ خُروجِ فلانٍ.

وقيلَ: التَّقديرُ: إنَّهم مبعوثونَ يومَ يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمين ليومٍ عظيمٍ، فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ.

* * *

(٧ ـ ١٣) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ على ما هم عليه فلْيرتَدِعوا، فهيَ كلمةُ رَدْعٍ وزَجْرٍ.

وقيلَ: أي: حقًّا إنَّ كتابَ الفجَّارِ لفي سجِّينٍ.

وسجِّينٌ: موضعٌ في السَّافِلِينَ(٢) يُدْفَنُ فيهِ كتابُ هؤلاءِ، فلا يظهرُ، بل يكونُ في ذلكَ الموضعِ كالمسجونِ، وهذا دليلُ خُبثِ أعمالِهم، وتحقيرِ اللهِ إيَّاها، ولهذا قالَ في كتابِ الأبرارِ: تشهدُه الملائكةُ(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

(٢) قوله: «في السافلين» من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٤١)، وتحرف في (الأصل) إلى: «الدنيا فلين».

(٣) في المصدر السابق: «﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾» وهو لفظ الآية، والمثبت من (الأصل) وهو معناه.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ ومقاتلٌ ومجاهدٌ: سجِّينٌ: الأرضُ السَّابعةُ السُّفلى(١).

وفي الخبرِ: «سجِّينٌ أسفلَ سبعِ أرضينَ»(٢).

وقالَ عطاءٌ: وفيها إبليسٌ وذريَّتُه(٣).

وروى أبو هريرةَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ قالَ: «سجِّينٌ جُبٌّ في جهنَّمَ»(٤).

وقالَ الكلبيُّ: صخرةٌ تحتَ الأرضِ السَّابعةِ(٥).

وقيلَ: هوَ ضربُ مثلٍ، وإشارةٌ إلى [أنَّ](٦) اللهَ يردُّ أعمالَهم الَّتي ظنُّوا أنَّها تنفعُهم.

قولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾؛ أي: ما كانَ علمُكَ به لولا ما أعلمتُكَ؟

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣٥) عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣ ـ ١٩٥) عن عبد الله بن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم ومغيث بن سمي وكعب وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد.

(٢) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٦) من حديث البراء رضي الله عنه، وفيه المسيب بن شريك وهو متروك. لكن ورد معناه فيما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥٣٤) من حديث البراء مطولاً بإسناد صحيح، وفيه أن الله سبحانه يقول في الكافر بعد قبض روحه: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣١٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٦). قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: حديث غريب منكر لا يصح.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥٢). ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٧٨)، عن مجاهد، ولفظ الطبري: «سجين: صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها».

(٦) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٤٠).

وهذا لا يدلُّ على أنَّ لفظَ ﴿سِجِّينٌ﴾ ليسَ عربيّاً؛ كما لا يدلُّ في قولِه: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ ـ ٣]، بل هوَ تعظيمٌ لأمرِ سجِّين.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾؛ أي: كتابُ الفجَّارِ كتابٌ مرقومٌ، وهوَ في سجِّينٍ، والمرقومُ: المكتوبُ، والرَّقيمُ: اسمُ اللَّوحِ الَّذي كُتبَ فيهِ أسماءُ أصحابِ الكهفِ.

وقيلَ: ﴿مَّرْقُومٌ﴾؛ أي: مكتوبةٌ أعمالُهم فيه.

وقيلَ: رُقِمَ لهم فيهِ بالشَّرِّ ودخولِ النَّارِ.

وقيلَ: ﴿مَّرْقُومٌ﴾؛ أي: معلَّمٌ معروفٌ بعلامتِه كرُقومِ التَّاجرِ على الثِّيابِ(١).

وقيلَ: الرَّقمُ: البيانُ؛ أي: بُيِّنَت حروفُه بعلاماتِها من التَّنقيطِ، وأصلُ الرَّقمِ: الكتابةُ.

وقيلَ: أي: سجِّينٌ صخرةٌ يُقَرُّ فيها عملُ الكافرِ وما أُعدَّ له من العقابِ، فهوَ صفةٌ للسِّجِّينِ.

وقيلَ: المرقومُ: المختومُ.

قولُه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: [يومَ] يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمينَ(٢).

وقيلَ: أي: كتابٌ مرقومٌ يظهرُ يومَ القيامةِ ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبِ(٣).

---

(١) هو النقش الَّذي يرقمه التَّاجر على الثِّياب علامة على أن ثمنها كذا. انظر: «قواعد الفقه» لمحمد عميم الدين مجددي (ص: ٣٠٩).

(٢) ما بين معكوفتين مستفاد من كلام الجرجاني صاحب «النظم»كما نقله الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٢): أن قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ منتظِم بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ وما اتصل به، معترض بينهما.

(٣) يعني: أن قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ منتظِم بما هو متصل بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ التقدير: كتاب مرقوم يظهر يوم القيامة، ثم دل على هذا الإضمار بقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. المصدر السابق.

قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هذا وصفٌ للمكذِّبينَ، ويومُ الدِّينِ: يومُ الحسابِ والجزاءِ.

وقيلَ: الدِّينُ: الطَّاعةُ، فلا ينفعُ غداً غيرُ الطَّاعةِ.

قولُه: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: المكذِّبُ به مُعتدٍ على الخَلقِ في معاملتِه إيَّاهم وعلى نفسِه، وهوَ ﴿أثيمٌ﴾: آثِمٌ في تركِ أمرِ اللهِ.

وقيلَ: هذا في الوليدِ بن المغيرةِ[١].

* * *

(١٤ - ١٧) - ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما ظنُّوا مِن أنَّه أساطيرُ الأوَّلينَ ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾؛ أي: غطَّى على قلوبِهم ﴿مَّا كَانُواْ﴾ يكسبونَه قديماً، فالمواعظُ تنبو عن قلوبِهم.

والرَّينُ في اللُّغةِ: الغَلبةُ، والموتُ يَرينُ على الميِّتِ فيذهبُ به، وكذلكَ النَّومُ يرينُ على الإنسانِ؛ أي: يغلبُه، ومنه أثرُ عمرَ: فأصبحَ وقد رِينَ به[٢]؛ أي: غلبَته الدُّيونُ، يُقالُ: رِينَ بالرَّجلِ يُرانُ به؛ أي: وقعَ فيما لا يستطيعُ الخروجَ منه.

وقالَ أبو مُعاذٍ النَّحويُّ: الرَّينُ: أن يسودَّ القلبُ من الذُّنوبِ، والطَّبعُ [أن يُطبعَ] على القلبِ، وهوَ أشدُّ مِن الرَّينِ، والإقفالُ أشدُّ من الطَّبعِ[٣].

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٥٧)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٨٦).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٤/ ١١١٨)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٦٧ - ١٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٨١).

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٤).

وقيلَ: الرَّينُ: إحاطةُ الذُّنوبِ بالقلبِ، وهوَ كالصَّدأِ يغشى القلبَ، ومثلُه الغَينُ.

قولُه: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما يقولونَ، بل ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ غداً، فهذا تكريرٌ، وهيَ المذكورةُ في قولِه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾، ومعنى الآيةِ: أنَّهم بعدَ العرضِ والحسابِ لا ينظرونَ إلى اللهِ، وينظرُ المؤمنونَ.

قالَ مالكٌ: لمَّا حَجَبَ أعداءَه فلم يَرَوه تجلَّى لأوليائِه حتَّى رَأَوه(١).

وقيلَ: أي: إنَّهم محجوبونَ عن رحمةِ اللهِ؛ فلا ينظرُ إليهم ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾؛ أي: ثمَّ يُؤمَرُ بهم إلى النَّارِ، فإذا دخلوها وُبِّخوا.

* * *

(١٨ ـ ٢١) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما ظنُّوا، بل كتابُهم في سجِّين، وكتابُ المؤمنينَ في علِّيِّينَ؛ أي: في الجنَّةِ.

وقالَ مقاتلٌ: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يؤمنونَ بالعذابِ الَّذي يَصْلَونه، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ مرفوعٌ ﴿في عِلِّيِّينَ﴾ على قَدْرِ مَرْتَبتِهم.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾؛ أي: في الجنَّةِ(٢).

وقيلَ: في السَّماء الَّذي هوَ مسكنُ الملائكةِ.

وقيلَ: أي: مقبولٌ عندَ اللهِ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٦٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٩).

وقيلَ: علِّيُّون: قائمةُ العرشِ اليُمنى فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ.

وقيلَ: هيَ سدرةُ المنتهى.

وقالَ الفرَّاءُ: العربُ إذا جَمَعَت جمعاً لا يذهبونَ فيهِ إلى أنَّه بناءٌ[١] من واحدٍ واثنين، قالوا[٢] في المذكَّرِ والمؤنَّثِ بالنُّونِ؛ لأنَّه جمعٌ لِمَا لا يُحَدُّ واحدُهُ نحوَ: ثلاثونَ وأربعونَ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: إعرابُ هذا الاسمِ كإعرابِ الجمعِ؛ لأنَّه على لفظِ الجمعِ، كما تقولُ: هذه قِنَّسرونَ، ورأيتُ قِنَّسرينَ[٤].

وقالَ أبو الفتح: ﴿عِلِّيِّينَ﴾: جمعُ عِلِّيٍّ، وهوَ فِعِّيلٌ من «العُلُوِّ»، وكانَ سبيلَه أن يُقالَ: عِلِّيَةٌ؛ كما قالوا للغرفةِ: عِلِّيَةٌ؛ لأنَّها من العلوِّ، فلما حُذِفَتِ الهاءُ[٥] من «عِلِّيٍّ» عوَّضوا منها الجمعَ بالواوِ والنُّونِ، كما قيلَ في «أَرضينَ»[٦].

ثمَّ هذا وصفُ المحلِّ الَّذي يُحملُ إليه كتابُهم، وقيلَ: وصفٌ للملائكةِ، فإنَّهم الملأ الأعلى؛ كما يُقالُ: فلانٌ في بني فلانٍ؛ أي: هوَ في جُملتِهم وعندَهم، والذي

---

(١) في المصادر: «أنَّ له بناءً».

(٢) أي: «قالوه» كما هو لفظ الفراء (٣/ ٢٤٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٧)، وعنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (٣/ ١١٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٣٢) واللفظ له. ولفظ الفراء والأزهري بدل «لأنه جمع لما لا... الخ»: «وهو شيء فوق شيء غير معروف واحده ولا اثناه».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٠).

(٥) أي: التاء المربوطة.

(٦) يعني: كلمة «أرض» مؤنثة، فكأن فيها هاء مرادة، وكأن تقديرها: أرْضَةٌ، فلما حذفت الهاء التي كان القياس يوجبها عوضوا منها الجمع بالواو والنون، فقالوا: أرضون. انظر: «سر صناعة الإعراب» (٢/ ٦١٤ و٦٢٥).

في الخبرِ: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ ليَرونَ أهلَ عِلِّيِّينَ كما يُرى الكوكبُ الدُّرِّيُّ في السَّماءِ»[١] يدلُّ على أنَّ عِلِّيِّينَ اسمُ الموضعِ، فالعِلِّيُّ: الموضعُ المرتفعُ.

قولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ ليسَ هذا تفسيراً لـ﴿عِلِّيِّينَ﴾، بل تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾، ثمَّ ابتدأَ وقالَ: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ يعني: كتابُ أعمالِهم، وهذا عكسُ الرَّقمِ في كتابِ الفجَّارِ.

قولُه: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي: الملائكةُ الَّذينَ هم في عِلِّيِّينَ، فهم يشهدونَ ذلكَ المكتوبَ، وهوَ كرامةٌ لذلكَ الكتابِ.

* * *

(٢٢ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾؛ أي: إنَّهم مُنعَّمونَ في الجنَّةِ ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾؛ أي: السُّررِ والحِجالِ ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ أي: إلى نعيمِهم في الجنَّةِ.

وقيلَ: أي: إلى الكفَّارِ حين يُعذَّبونَ.

قولُه: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: آثارَ السُّرورِ، وقُرِئَ: ﴿تُعرَفُ﴾ بالضَّمِّ على ما لم يُسمَّ فاعلُه[٢].

قولُه: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ الرَّحيقُ: الخمرُ الصَّافيةُ ﴿مَّخۡتُومٍ﴾؛ أي: خُتِمَ عليه تكريماً له وصيانةً.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٥٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) قرأ بها أبو جعفر ويعقوب، وقرآ: ﴿نَضرةُ النَّعيْم﴾ بالرَّفع. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٧).

وقيلَ: مختومٌ له عاقبةً وخاتمةً؛ فخاتمةُ شربِهم ريحُ المسكِ وطعمُه.

وقيلَ: ﴿مَّخْتُومٍ﴾؛ أي: ممزوجٌ بالمسكِ.

وقالَ الضَّحَّاكُ: يجعلُ اللهُ فيهِ من ألوانِ الطِّيبِ كلِّه، فآخرُ شيءٍ منهُ المسكُ(١).

وقيلَ: ﴿مَّخْتُومٍ﴾؛ أي: ختمَ اللهُ عليه يومَ خَلَقَه، ولا يُفكُّ ختمُه حتَّى يدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، فيُفكُّ لهم ويشربونَ منه.

﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ يخرجُ على المعاني الَّتي ذكرنا، والختامُ: آخرُ كلِّ شيءٍ، ومنه: الأعمالُ بخواتيمِها، و: خَتمْتُ القرآنَ، والخاتَمُ.

وقُرِئَ: ﴿خَاتَمُهُ مِسْكٌ﴾(٢)؛ أي: آخرُه، والخاتَمُ والخِتامُ متقارِبانِ، إلَّا أنَّ الخاتمَ اسمٌ والختامُ مصدرٌ.

قولُه: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾؛ أي: فيما وصفنا من النَّعيمِ فلْيرغَبِ الرَّاغبونَ، يُقالُ: نَفِسْتُ عليه الشَّيءَ أَنْفَسُه نَفَاسةً؛ أي: ضَنِنتُ به، ولم أُحِبَّ أنْ يصيرَ إليه؛ أي: وفي ذلكَ فلْيتبادَرِ المتبادِرونَ إلى الأعمالِ الَّتي تؤدِّي إلى ذلك.

قولُه: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ قالَ ابنُ مسعودٍ: التَّسنيمُ: عينٌ في الجنَّةِ(٣).

---

(١) ذكره بهذا اللفظ أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٢٦٠). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨) بلفظ: «طيب الله لهم الخمر، فوجدوا في آخر شيء منها ريح المسك».

(٢) بفتح التاء قراءة الكسائي، والباقون: ﴿ختامه﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٣) القراءة بفتح التاء وبكسرها كلاهما عن الكسائي وعلي بن أبي طالب والضحاك والنخعي.

(٣) رواه الحسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١٥٢٢)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٩١)، وهناد في «الزهد» (٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢١). وإسناده صحيح.

فعلى هذا ليسَ يُعرفُ له اشتقاقٌ.

وقيلَ: اشتقاقُه من العُلُوِّ؛ أي: ما يَتسنَّمُ فينصبُّ عليهم انصباباً من فوقِهم، يُقالُ: سنَّمتُهمُ العينَ تسنيماً؛ أي: أجريتُها عليهم من فوقِهم، وأصلُ الكلمةِ من العُلُوِّ، ومنه: سَنامُ البعيرِ، وتسنَّمْتُ الحائطَ.

وقيلَ: سُمِّيَ التَّسنيمَ لأنَّه أعلى شرابِ أهلِ الجنَّةِ.

وقالَ حذيفةُ: الرَّحيقُ المختومُ لأهلِ اليمينِ، فأمَّا المقرَّبونَ فهم فوقَهم، ويشربونَ من تسنيمٍ صرفاً، ثمَّ ينحدرُ مِن عندِهم على مَن دونَهم، وهم أصحابُ اليمينِ، فيَمزجونَ به أشربتَهم[1].

قولُه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ نصبٌ على الحالِ، أو: أعني عيناً، وإنْ جعلتَ «التَّسنيمَ» مشتقّاً من «السَّنامِ» فـ﴿عَيْنًا﴾ نصبٌ لأنَّه مفعولٌ له؛ كقولِه: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥].

أو: يُسقونَ ﴿عَيْنًا﴾؛ أي: مِن عينٍ ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ـ وهمُ الأبرارُ ـ صرفاً، وتُمزجُ لأصحابِ اليمينِ[2].

* * *

---

(١) رواه بنحوه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٢)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٤٢٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٠). وفي بعض رواياته: وتمزج لمن دونهم.

(٢٩ ـ ٣٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ وَصَفَ أحوالَ الكفَّارِ في الدُّنيا مع المؤمنينَ في استهزائِهم بهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ يعني: كفَّارَ قريشٍ كانُوا يضحكونَ من أصحابِ محمَّدٍ مثلِ عمَّارٍ وخَبَّابٍ وصُهيبٍ وبلالٍ على وجهِ السُّخريةِ.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ﴾؛ أي: إذا مرَّ الكفَّارُ بالمؤمنينَ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾؛ أي: يَغمزُ بعضُهم بعضاً بالتَّعجُّبِ ويقولُ: انظروا إلى هؤلاءِ يُتعبونَ أنفسَهم ويحرمونَها لذَّاتِها فيما لا حاصلَ له.

وقيلَ: الغمزُ بمعنى: العيبِ، يُقالُ: غمزَه؛ أي: عابَه، وما في فلانٍ غَميزةٌ؛ أي: عيبٌ.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾؛ أي: الكفَّارُ ﴿**انْقَلَبُوا فاكِهِيْنَ**﴾(١)؛ أي: مُعجَبينَ بما هم فيهِ، يتفكَّهونَ بذكرِهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾؛ أي: رأوا أصحابَ محمَّدٍ ذاهبينَ إليه ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾؛ لأنَّهم تركوا عاجلَ اللَّذاتِ انتظاراً للثَّوابِ الَّذي لا حقيقةَ له.

قولُه: ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: إنَّ اللهَ لم يبعثِ الكفَّارَ رُقباءَ على المؤمنينَ ليحفظوا عليهم أعمالَهم فيَعيبوا عليهم، بل أُمروا بالإيمانِ باللهِ ورسلِه.

* * *

---

(١) وقرأ حفص: ﴿فَكِهِينَ﴾ بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

قولُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾؛ أي: ففي هذا اليومِ الَّذي هوَ يومُ القيامةِ يضحكُ المؤمنونَ من الكفَّارِ بما يرونَهم فيهِ من العذابِ.

وفي التَّفاسيرِ: أنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا أرادوا نظروا مِن منازلِهم إلى أعدائِهم وهم يُعذَّبونَ في النَّارِ، فضحكوا منهم كما ضحكوا في الدُّنيا منهم[١].

وقيلَ: يقولونَ لأهلِ النَّارِ: اخرجوا، وتُفتحُ لهم أبوابُها، فيريدونَ الخروجَ، والمؤمنونَ على الأرائكِ ينظرونَ إليهم، فإذا انتهَوا إلى أبوابِها غُلِّقتْ دونَهم، وعندَ ذلكَ يضحكُ منهمُ المؤمنونَ وهم على الأرائكِ ينظرونَ[٢].

قولُه: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: هل جُوْزوا على استهزائِهم بالمؤمنينَ في الدُّنيا.

و﴿ثُوِّبَ﴾؛ أي: أُثيبَ، وهوَ مِن «ثابَ»؛ أي: رجعَ، فالثَّوابُ: ما رجعَ على العبدِ في مقابلةِ عملِه، ويُستعملُ في الخيرِ والشَّرِّ.

وقيلَ: أي: ينظرُ أهلُ الجنَّةِ: هل ثُوِّبَ الكفَّارُ بفعلِهم في الدُّنيا؟ فقولُه: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ في محلِّ النَّصبِ.

***

(١) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٣٤٨) عن أبي صالح، ورواه عنه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢٥٤).

تفسيرُ سورةِ الانشقاقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾؛ أي: انفطرَت وتصدَّعَت، وهذا حينَ يريدُ اللهُ إفناءَها، وهوَ من علاماتِ القيامةِ.

وقيلَ: أي: تتشقَّقُ السَّماءُ بالغمامِ، ونُزِّلَ الملائكةُ تنزيلاً.

قولُه: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾؛ أي: سمعَت وأطاعَت في الانشقاقِ، وهوَ من الأَذَنِ، وهوَ: الاستماعُ للشيءِ والإصغاءُ إليه، ومنه: «ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ أَذَنَه لنبيٍّ حَسنِ الصَّوتِ بالقرآنِ»[١].

﴿وَحُقَّتْ﴾؛ أي: وحُقَّ لها أن تُطيعَ ربَّها؛ لأنَّه خَلَقَها، يُقال: فلانٌ محقوقٌ بكذا، فطاعةُ السَّماءِ بمعنى: أنَّها لا تمتنعُ ممَّا أرادَ اللهُ بها، ولا يَبعدُ خَلقُ الحياةِ فيها حتَّى تُطيعَ وتُجيبَ.

قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تُمدُّ مَدَّ الأديمِ، ويزادُ في سَعَتها كذا وكذا، ولا يبقى عليها بناءٌ ولا جبلٌ إلَّا دخلَ فيها، فإنَّ الجبالَ تُسيَّرُ وتصيرُ هباءً[٢].

---

(١) رواه مسلم (٧٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣ ـ زوائد نعيم)، والحارث في «مسنده» (١١٢٢ ـ بغية الباحث)،

وقيلَ: تُزادُ الأرضُ في سَعَتِها لوقوفِ الخلائقِ عليها للحسابِ.

قولُه: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾؛ أي: ألقَت ما فيها من الموتى والكنوزِ، وتخلَّت منها، وهذا عندَ قيامِ السَّاعةِ.

وجوابُ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وما بعدَه محذوفٌ؛ لأنَّ المعنى معروفٌ؛ أي: إذا كانَت هذه الأشياءُ علِمَ المكذِّبونَ بالبعثِ ضلالتَهم.

وقيلَ: كانَ تقدَّمَ منهم سؤالٌ عن وقتِ القيامةِ، فقيلَ لهم: إذا ظهرَت أشراطُها كانَت القيامةُ، فرأيتُم عاقبةَ تكذيبِكم بها، والقرآنُ كالآيةِ الواحدةِ في دلالةِ البعضِ على البعضِ.

وقيلَ: الجوابُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: إذا انشقَّتِ السَّماءُ فيا أيُّها الإنسانُ تلاقي جزاءَ عملِك حينئذٍ.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: يا أيُّها الإنسانُ إنَّك كادحٌ إلى ربِّك كدحاً فملاقيه إذا السَّماءُ انشقَت.

وقالَ الكسائيُّ: الجوابُ في قولِه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ﴾؛ أي: إذا السَّماءُ انشقَّت فمَن أُوتيَ كتابَه فحكمُه كذا.

* * *

والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٤)، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وإنسهم..».

(٦ ـ ١٥) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾.

قولُه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ المرادُ الجنسُ، والكَدْحُ: السَّعيُ[1] والدُّؤُوبُ في العملِ.

وقيلَ: أي: إنَّك عاملٌ عملاً عاقبتُه الرُّجوعُ إلى اللهِ به.

﴿فَمُلَاقِيهِ﴾؛ أي: فملاقٍ عملَك وسعيَك، أو: فمُلاقٍ اللهَ تعالى، والملاقاةُ بمعنى اللِّقاءِ؛ أي: تلقى ربَّك بعملِك، وقيلَ: أي: تُلاقي كتابَ عملِك؛ لأنَّ العملَ قد انقضى، ولهذا قالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾.

وقيلَ: ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾؛ أي: عاملٌ له عملاً، أو: كادحٌ فيما يُقرِّبُ إلى اللهِ؛ كقولِه: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]؛ أي: فيما يُقرِّبُ إليه، وهوَ كما يُقالُ: اللَّهمَّ منك وإليك.

قولُه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾؛ أي: مَن كانَ سعيُه في الخيرِ وأُوتيَ كتابَه بيمينِه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ أي: فإنَّه يُحاسبُ، و«سوفَ» ترقيقٌ للكلامِ، لا أنَّ ثَمَّ شكًّا، وقالت عائشةُ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «اللَّهمَّ حاسِبني حساباً يسيراً»، فقلتُ: ما الحسابُ اليسيرُ؟ قالَ: «يَنظرُ في كتابِه، ويَتجاوزُ عن سيِّئاتِه، فأمَّا من نُوقشَ الحسابَ فقد هلكَ»[2].

---

(١) في الأصل: «والسعي»، والتصويب من «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٤)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٥٩)، و«البسيط» (٢٣/ ٣٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٢١٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٤٩)، وابن حبان في

وفي خبرٍ آخرَ: قالَت عائشةُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من نُوقشَ الحسابَ عُذِّبَ»، قلتُ: فأينَ قولُ اللهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قالَ: «ذلكَ العَرْضُ»(١).

وقيلَ: هذا الَّذي أعمالُه حسناتٌ حسابُه يسيرٌ؛ لأنَّه يُحاسَبُ ليَعلمَ مقدارَ الثَّوابِ، فيُدفعُ إليه.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾؛ أي: في الجنَّةِ مِن الحورِ العينِ والآدميَّاتِ فَرِحاً مستبشراً.

قولُه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾؛ أي: أنَّ يمينَه مغلولةٌ إلى عُنُقِه، وتكونُ يدُه اليُسرى خلفَ ظهرِه، فيُؤتَى كتابَه وراءَ ظهرِه.

وقالَ مقاتلٌ: تُخلعُ يدُه اليُسرى فتكونُ وراءَ ظهرِه(٢).

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾؛ أي: فإنَّه من أهلِ النَّارِ، فيدعو لذلكَ بالهلاكِ ويقولُ: واثُبوراه.

وقيلَ: الثُّبورُ من المثابرةِ على الشَّيءِ، وهو المواظبةُ، فسُمِّيَ عذابُ الآخرةِ ثبوراً لأنَّه لازمٌ لا يزولُ؛ كما قالَ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]؛ أي: لازماً، قالَ(٣): الغرامُ: اللُّزومُ والولوعُ.

«صحيحه» (٧٣٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٠) وصححه.

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٣٥٩).

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «فإن»، والشرح الآتي للغرام ذكره جمع من العلماء لكن لم أجد من جمع بين اللفظين، وهما اللزوم والولوع.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يُقالُ: صَلِيَ الكافرُ النَّارَ، وقد قالَ اللهُ: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وقُرِئَ: ﴿ويُصلَّى﴾ بضمِّ الياءِ وتشديدِ اللَّامِ(١)؛ كقولِه: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١].

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾؛ أي: مستبشِراً باتِّباعِ هواهُ، مستريحاً من تعبِ تحمُّلِ الطَّاعاتِ، بخلافِ المؤمنِ الَّذي يكونُ في الدُّنيا خائفاً من عذابِ اللهِ.

قولُه: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: لن يرجعَ إلى الآخرةِ.

﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: بلَى لَيَحُورَنَّ ولَيُبعَثَنَّ، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾؛ أي: من يومِ خَلَقَه إلى أن بَعثَه.

وقيلَ: أي: عالماً بما سبقَ له من الشَّقاءِ.

وقيلَ: بالوقتِ الَّذي يبعثُه.

وقيلَ: ﴿كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾؛ أي: بصيراً بأنَّه يحورُ.

* * *

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

قولُه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾؛ أي: أقسمُ، وهذا القسمُ على تحقيقِ أمرِ السَّاعةِ. والشَّفقُ: الحُمرةُ الَّتي تكونُ في المغربِ بعدَ غروبِ الشَّمسِ إلى وقتِ العشاءِ، وأصلُ الكلمةِ من رِقَّةِ الشَّيءِ، يُقالُ: شيءٌ شَفِقٌ؛ أي: لا تماسُكَ له لرقَّتِه، وأشفقَ عليه؛ أي: رقَّ قلبُه عليه، والشَّفقةُ: رِقَّةُ القلبِ، فالشَّفقُ: بقيَّةُ ضوءِ الشَّمسِ وحُمْرتِها فإنَّ تلكَ الرِّقَّةَ من ضوءِ الشَّمسِ.

(١) قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: ﴿ويَصْلَى﴾ خفيفةً؛ والباقون بالتَّشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

وقالَ مجاهدٌ: الشَّفقُ: النَّهارُ(١)؛ لأنَّه عادلَه باللَّيلِ، وحُمرةُ الشَّمسِ غالبةٌ بالنَّهارِ، فجازَ أن يُسمَّى النَّهارُ شفقاً.

قولُه: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما جَمعَ وضمَّ ولفَّ، ومنه: الوَسْقُ في الطَّعامِ؛ لأنَّه مَكِيلةٌ معلومةٌ تَجمعُ قَدْراً معلوماً، واللَّيلُ يَجمعُ ويَضمُّ ما كانَ منتشِراً بالنَّهارِ في تَصَرُّفِه.

والوَسْقُ: ضَمُّكَ الشَّيءَ بعضَه إلى بعضٍ، واسْتوسَقتِ الإبلُ؛ أي: اجتمعَت.

وقيلَ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما ساقَ من شيءٍ إلى حيثُ يَأوِي، فالوَسْقُ بمعنى الطَّردِ، ويُقالُ للطَّريدةِ من الإبلِ والغنمِ والحمرِ: وَسِيقةٌ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما حملَ(٢)، وكلُّ شيءٍ حَملْتَه فقد وَسَقْتَه، ومعنى «حملَ» في اللَّيلِ: ضمَّ وجمعَ، واللَّيلُ يجلِّلُ بظُلمتِه كلَّ شيءٍ، فإذا جلَّلَها فقد وَسَقَها، ويكونُ هذا القَسَمُ قسماً بجميعِ المخلوقاتِ لاشتمالِ اللَّيلِ عليها؛ كقولِه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨ـ ٣٩].

وقالَ ابنُ جُبيرٍ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما عُمِلَ فيهِ(٣)؛ يعني: التَّهجُّدَ والاستغفارَ بالأسحارِ.

قولُه: ﴿إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ أي: تمَّ واجتمعَ واستوَى.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٦٣).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٦٧) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧).

وقالَ الفرَّاءُ: اتِّساقُه: امتلاؤُه واستواؤه ليالِيَ البدرِ، وهوَ افتعالٌ من «الوَسْقِ» الَّذي هوَ الجمعُ[١].

ويُقالُ: وَسَقْتُه فاتَّسَقَ، كما يُقالُ: وَصَلْتُه فاتَّصَلَ، ويُقالُ: أمرُ فلانٍ مُتَّسِقٌ؛ أي: مُجتمِعٌ على الصَّلاحِ مُنتظِمٌ.

قولُه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قُرِئَ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتحِ الباءِ[٢]، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: سماءً بعدَ سماءٍ؛ أي: تَصعدُ فيها.

وقيلَ: درجةً بعدَ درجةٍ ورُتبةً بعدَ رُتبةٍ في القُربةِ من اللهِ.

وقيلَ: أي: لتركَبَنَّ السَّماءَ حالاً بعدَ حالٍ؛ يعني: حالاتِها الَّتي وصفَها اللهُ من الانشقاقِ والطَّيِّ، وكونها مرَّةً كالمُهلِ ومرَّةً كالدِّهانِ.

وقيلَ: أي: لتركَبَنَّ أيُّها الإنسانُ حالاً بعدَ حالٍ، من كونِكَ نطفةً ثمَّ عَلَقةً ثمَّ مُضغةً، وحيًّا وميِّتاً، وغنيًّا وفقيراً، فالخطابُ للإنسانِ المذكورِ في قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾.

وقُرِئَ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بضمِّ الباءِ؛ أي: إنَّكم تركبونَ حالاً بعد حالٍ، وداراً بعد دارٍ.

أو: حالاً بعدَ حالٍ من شدائدِ القيامةِ.

أو: لتركَبُنَّ سُنَّةَ مَن كانَ قبلَكم في التَّكذيبِ والاختلافِ على الأنبياءِ.

والطَّبَقُ في اللُّغةِ بهذه المعاني، والسَّماواتُ: طِباقٌ، والطبقةُ: الحالُ، يُقالُ:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥١)، و«البسيط» (٢٣/ ٣٦٧). ولفظ الفراء: اتساقه: امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ست عشرة.

(٢) قرأ بفتح الباء ابن كثير وحمزة والكسائيُّ، وباقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

فلانٌ على طبقاتٍ شتَّى؛ أي: حالاتٍ، وأشارَ بهذا إلى أنَّ الأحوالَ تدورُ بالعبدِ إلى أن يستقرَّ به القرارُ في الآخرةِ.

وقيلَ: أشارَ إلى أنَّ أحوالَ المسلمينَ كانَت في الابتداءِ على الفقرِ والضَّعفِ(١)؛ أي: لا تبقى الدُّنيا على حالةٍ.

وقيلَ: يريدُ شدائدَ القيامةِ، ويُقالُ للدَّاهيةِ الشَّديدةِ: أمُّ طَبَقٍ، ويُقالُ: جاء بإحدى بناتِ طَبَقٍ، وأصلُها من الحيَّات، إذ يُقالُ للحيَّةِ: أمُّ طَبَقٍ؛ لتَحَوِّيها(٢).

وقولُه: ﴿عَن طَبَقٍ﴾؛ أي: بعدَ طَبَقٍ، ويُقالُ: عَرِقَ عن الحمَّى؛ أي: بعدَ الحمَّى.

* * *

(٢٠ ـ ٢٥) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

قولُه: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ وبالقرآنِ؛ أي: لا شيءَ لهم من الكرامةِ إذا لم يُؤمنوا، وهذا استفهامُ إنكارٍ، وقيلَ: تعجيبٍ؛ أي: اعْجَبوا منهم في تَرْكِ الإيمانِ مع هذا البيانِ.

قولُه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: لا يُصلُّونَ لله، ولا يخضعونَ لأمرِه.

قولُه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعثِ والثَّوابِ والعقابِ.

---

(١) كلمة «والضعف» غير واضحة في الأصل.

(٢) أي: تجمعها واستدارتها. انظر: «تاج العروس» (٣٧/ ٥٠٠).

قولُه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؛ أي: بما تنطوي عليه [قلوبُهم][(١)] من التَّكذيبِ والتَّقليدِ لأسلافِهم الكفَّارِ، يُقالُ: أَوْعَيْتُ الشَّيءَ؛ أي: جَعَلْتُه في وِعاءٍ.

قولُه: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: اجعلْ ذلكَ بمنزلةِ البِشَارةِ لهم.

قولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ استثنى المؤمنينَ، وقالَ: ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾؛ أي: غيرُ مَنْقوصٍ ولا مَقطوعٍ، أو: غيرُ مُنغَّصٍ بالمنِّ.

❋ ❋ ❋

(١) زيادة يقتضيها السياق.

تفسيرُ سورةِ البُروجِ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾؛ أي: ذاتِ منازلِ الشَّمسِ، وهيَ اثنَا عَشَرَ برجاً، يسيرُ القمرُ في كلِّ بُرْجٍ منها يومين وثُلُثِ يومٍ؛ فذلكَ ثمانيةٌ وعشرونَ يوماً، ثمَّ يَسْتَسِرُّ ليلتينِ، ومَسيرُ الشَّمسِ في كلِّ بُرْجٍ منها شهرٌ.

وفي التَّفاسيرِ: البروجُ: قصورٌ في السَّماءِ.

وقيلَ: البروجُ: الكواكبُ والنُّجومُ العظامُ.

قولُه: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾؛ أي: يومِ القيامةِ.

وقيلَ: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾؛ لانشقاقِ السَّماءِ وبُطلانِ بروجِها.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قالَ عليٌّ وابنُ عبَّاسٍ وأبو هريرةَ رضي الله عنهم: الشَّاهدُ: يومُ الجمعةِ[1].

وقالَ ابنُ عمرَ وابنُ الزُّبيرِ: يومُ الأضحى[2].

وقيلَ: يومُ عرفةَ.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٩) ورواه أيضا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وقالَ جابرٌ: يومُ القيامةِ[١].

وفي روايةٍ عن ابنِ عبَّاسٍ: هوَ اللهُ تعالى[٢]، وفي روايةٍ: محمَّدٌ عليه السَّلامُ[٣].

وقيلَ: آدمُ وذرِّيتُه، وقيلَ: عيسى، وقيلَ: الملائكةُ.

وأمَّا المشهودُ فقيلَ: يومُ القيامةِ، وقيلَ: يومُ عرفةَ، وقيلَ: يومُ الجمعةِ، وقيلَ: يومُ الأضحى، وقيلَ: هو الإنسانُ.

وروى أبو هريرةَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «﴿وَشَاهِدٍ﴾: يومُ عرفةَ ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يومُ الجمعةِ»[٤].

وروى أبو الدَّرداءِ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «أَكْثِروا عليَّ الصَّلاةَ يومَ الجمعةِ؛ فإنَّه يومٌ مشهودٌ تشهَدُه الملائكةُ»[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٤٨) وزاد: والمشهود: الناس. وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن جابر كما في «التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي (١٥/ ٢٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٩) من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٥٩٩)، وابن أبي داود في «البعث» (٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٧٤) و(٢٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦)، من طرق عن ابن عبّاس؛ وزادوا جميعاً: «والمشهود: يوم القيامة»؛ زاد النسائي وابن أبي داود: «وذلك قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]».

(٤) رواه الترمذي (٣٣٣٩)، وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه».

(٥) رواه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٩): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع في موضعين...». وانظر باقي كلامه ثمة.

ثمَّ قيلَ: يومُ الجمعةِ شاهدٌ يشهدُ على كلِّ عاملٍ بما عملَ فيه[١]، ويومُ عرفةَ مشهودٌ يشهدُ النَّاسُ فيهِ موسمَ الحجِّ، وتشهدُه الملائكةُ.

والشَّاهدُ: مَن ثبتَت به الدَّعاوى.

وقيلَ: الشَّاهدُ: الحاضرُ، والمشهودُ من الحضورِ؛ لأنَّه لم يقلْ: ومشهودٍ عليه، وقيلَ: معناه المشهودُ عليه، فحُذفَت الصِّلةُ؛ كما قيلَ: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ أي: مسئولاً عنه.

ومَن قالَ: المشهودُ: يومُ القيامةِ، استدلَّ بقولِه: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣]؛ أي: يشهدُه كلُّ الخلائقِ.

ولا يبعدُ أن يكونَ الشَّاهدَ بمعنى: كلِّ مَن يشهدُ ذلكَ الجمعَ أو يثبتُ حُكمٌ بقولِه.

وقيلَ: المشهودُ: الإنسانُ، تشهدُ عليه جوارحُه، قالَ الله: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ﴾ [النور: ٢٤].

وقيلَ: الشَّاهدُ: العبدُ، يشهدُ للهِ بالوحدانيَّةِ، والمشهودُ له بالوحدانيَّةِ هوَ اللهُ تعالى.

* * *

(١) وتعقب هذا القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٤) بقوله: «قلت: وكذلك سائر الأيام والليالي، فكل يوم شاهد، وكذا كل ليلة، ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ [في «الحلية» (٢/ ٣٠٣)] عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادى فيه: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد، فاعمل فيَّ خيراً أشهدْ لك به غداً، فإني لو قد مضيت لم ترني أبداً، ويقول الليل مثل ذلك». قال أبو نعيم: حديث غريب من حديث معاوية، تفرد به عنه زيد العمي، ولا أعلمه مرفوعًا عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد».

(٤ ـ ٩) ـ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

قولُه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قالَ قومٌ: هذا جوابُ القَسَمِ، واللَّامُ فيهِ مُضمَرٌ؛ كقولِه: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ثمَّ قالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي: لقد أفلحَ.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: قُتلَ أصحابُ الأخدودِ، والسَّماءِ ذاتِ البروجِ.

وقيلَ: جوابُ القَسَمِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وقيلَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾، وقولُه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ معترِضٌ بين القَسَمِ والجوابِ.

وقيلَ: جوابُ القَسَمِ محذوفٌ؛ أي: والسَّماءِ ذاتِ البروجِ لَتُبْعَثُنَّ.

قيلَ: معناهُ: لُعِنَ، والآيةُ في قومٍ من المؤمنينَ ألقاهم ملِكٌ كافرٌ في أخاديدَ حفرَها لهم وعذَّبَهم فيها بالنَّارِ، والآيةُ ذمٌّ لذلكَ الملكِ وأصحابِه، وكانَ ذلكَ معروفاً عندَ العربِ، بيَّنَ اللهُ أنَّ الَّذينَ يفتنونَ المؤمنينَ كعمَّارٍ وبلالٍ سيُعذَّبونَ على ما يفعلونَ.

ثمَّ قيلَ: المقتولونَ في تلكَ القصَّةِ: المؤمنونَ(١)، وقيلَ: لا بل أُلقوا في النَّارِ، فعادَتِ النَّارُ على الملقِينَ فأحرقَتْهم، ونجَّى الله أولئكَ المؤمنين، فـ﴿لهم عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرةِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ في الدُّنيا(٢).

---

(١) وهذا هو الذي صح في الروايات ومنها حديث صهيب الآتي.

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٥٣) ورجحه بقوله: وهو أشبه بالصواب. وليس كما قال، فقد صح أن المقتولين هم المؤمنون كما ذكرنا. وقد روي خروج النار على المجرمين وإحراقهم في خبر مرسل لكن جاء فيه أن نجاة المؤمنين كانت بقبض أرواحهم قبل الاحتراق بالنار، رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٤)، عن الربيعِ بن أنس:

وقيلَ: هؤلاءِ بنجرانَ في زمنِ الفترةِ بينَ عيسى ومحمَّدٍ.

وقيلَ: كانَ من قبلِ مولِدِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بسبعينَ سنةً(١).

وقيلَ: كانَ هذا في ثلاثِ كرَّاتٍ: مرَّةٍ باليمنِ، ومرَّةٍ بالشَّامِ، ومرَّةٍ بالعراقِ(٢)، والأُخدودُ(٣): اسمُ جنسٍ، والمرادُ: الأخاديدُ.

وقيلَ: هوَ إخبارٌ عن قصَّةٍ واحدةٍ، ثمَّ قيلَ: هم من النَّصارى بنجرانَ عذَّبوا بالنَّار قوماً من المُوحِّدينَ.

وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: هم قومٌ من المجوسِ، واقَعَ ملكُهم أختَه في السُّكرِ، ثمَّ أرادَ أن يجعلَ ذلكَ شرعاً في رعيَّتِه فلم يقبلوه، فأوقدَ لهم النَّارَ في الأخدودِ، فمَن أبى قذفَه في النَّارِ، ومَن أجابَ خلَّى سبيلَه(٤).

وقيلَ: كانَ هذا في بني إسرائيلَ، وكانَ فيما بينهم غلامٌ يرسلُه أبوه إلى ساحرٍ ليتعلَّمَ السِّحرَ، وكانَ يختلفُ إلى راهبٍ في طريقِه خُفيةً، وأسلمَ في السِّرِّ، وكانَ إذا

«.. فنجَّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا.

(١) هذا القيل والذي قبله ورد في خبر طويل في قصة أصحاب الأخدود ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٧٤ ـ ١٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٥)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده واهٍ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧١) عن السدي، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٢).

(٣) يعني: على هذا القول من تعدد القصة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٠)، وعبد بن حميد كما في «تخريج احاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٨٣)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٦٣ ـ ١٦٥).

استبطأَهُ السَّاحرُ يقولُ: بطَّأني أبي، وكانَ إذا استبطأَهُ الوالدُ في الرُّجوعِ إليه، يقولُ: بطَّأني السَّاحرُ، وكانَ في بلدِهم حيَّةٌ عظيمةٌ تُؤذي النَّاسَ، فقالَ الغلامُ: اليومَ يَبينُ لي صدقُ الرَّاهبِ. فحملَ حجراً باسمِ إلهِ الرَّاهبِ، وقالَ: اللَّهمَّ إن كانَ ما يقولُه الرَّاهبُ حقّاً فاقتلْها، فرمى به الحيَّةَ فقتلَها، فأخلصَ في إسلامِه، وانتشرَ خبرُه، وكانَ له قريبٌ قد عميَ من وزراءِ الملكِ، فسألَه أن يرقيَ له ليُبصرَ، فقالَ: لو دعوتُ اللهَ ليردَّ بصرَكَ فهل تؤمنُ باللهِ؟ قالَ: نعم، فدعا فأبصرَ، فأمرَ الرَّجلَ فدخلَ على الملكِ، فقالَ: مَن ردَّ بصرَكَ؟ فقالَ: اللهُ، فقالَ: مَن اللهُ؟ فقالَ: الَّذي لا إلهَ إلَّا هوَ خالقُك وخالقُ كلِّ شيءٍ. فما زالَ يعذِّبُه حتَّى دلَّ على الغلامِ، فما زالَ يُعذِّبُ الغلامَ حتَّى دلَّ على الرَّاهبِ، فحملَهم على الارتدادِ، فلم يفعلوا، فأمرَ أعوانَه برمي الغلامِ من شاهقٍ، فدعا الغلامُ، فأهلكَ اللهُ أعوانَ الملكِ، فدخلَ على الملكِ، فأمرَ حتَّى يُلقى في البحرِ، فدعا عليهم، فغرقوا، فدخلَ الغلامُ على الملكِ، فقالَ: مَن خلَّصَكَ؟ فقالَ: اللهُ ربِّي، وأهلكَ أصحابَك. فهمَّ بقتلِه، فقالَ: إنَّك لا تصلُ إلى قتلي إلَّا بوجهٍ واحدٍ، وهوَ أن تجمعَ أهلَ مملكتِكَ وتصلبَني على جذعٍ ثمَّ تأخذَ سهماً من كنانتي ترميني به باسمِ إلهي. ففعلَ ذلكَ، ورماه به باسمِ إلهِهِ بمشهدٍ من أهلِ مملكتِه، فوقعَ السَّهمُ فيهِ فقتلَه، فآمنَ النَّاسُ عن آخرِهم، وقالوا: لولا أنَّه على الحقِّ لم يتمكَّنِ الملكُ من قتلِه باسمِ إلهِهِ بعدَ تعذُّرِه عليه من كلِّ وجهٍ، فأمرَ الملكُ بأخاديدَ، وأضرمَ فيها النَّارَ، وأحرقَ مَن لم يرجعْ عن الإيمانِ[1].

---

(١) رواه بنحوه مطولًا مسلم (٣٠٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٩٧)، من حديث صهيب رضي الله عنه، وفيه أن الذي حبس الناس دابة دون تعيين، وزاد في رواية عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٦٩) ومن طريقه الترمذي (٣٣٤٠): «فقال بعضهم: إنَّ تلك الدَّابَّةَ كانت أسدًا». وكونها حية ورد في رواية عطاء عن ابن عباس عند الثعلبي والبغوي، وقد تقدم قريباً.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ دعاءٌ على هؤلاءِ الكفَّارِ؛ أي: أبعدَهمُ اللهُ من رحمتِه.

وقيلَ: معناهُ: الإخبارُ عن قتلِ أولئكَ المؤمنينَ؛ أي: إنَّهم قُتلوا بالنَّارِ فصَبروا.

وقيلَ: هوَ إخبارٌ عن أولئكَ الظَّالمينَ، فإنَّا رُوِّينا: أنَّ النَّار عادَت عليهم فأحرقَتْهم[١].

والأُخدودُ: حفرةٌ مطوَّلةٌ كالنَّهرِ، ويُقالُ: تخدَّدَ لحمُه؛ أي: تشيَّخَ فصارَ فيهِ كالشَّقِّ.

قولُه: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدلٌ عن ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ وتفسيرٌ له؛ أي: قُتِلَ أصحابُ النَّارِ ذاتِ الوقودِ.

وقيلَ: جعلَ ﴿ٱلنَّارِ﴾ صفةً لـ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾، كما يُقالُ للشَّيءِ المحرَّقِ بالنَّارِ: هوَ نارٌ.

﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾؛ أي: ذاتِ الحطبِ الَّذي جُعلَ وقوداً لها.

قولُه: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾؛ أي: كانَ الكفَّارُ قاعدينَ على شفيرِ الأخدودِ والنَّارِ وحافَتيها، وهم يَعرِضونَ المؤمنينَ على النَّارِ.

وقيلَ: «على» بمعنى: «عندَ»؛ أي: إذ هم عندها قعودٌ، والعاملُ في ﴿إِذْ﴾: ﴿قُتِلَ﴾؛ أي: لُعِنُوا في ذلكَ الوقتِ.

وقيلَ: يرجعُ هذا القعودُ إلى المؤمنينَ المُعذَّبينَ؛ أي: إذ هم قعودٌ على النَّارِ مُلقَونَ فيها مطروحينَ عليها يحترقونَ.

---

(١) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٤)، عن الربيعِ بن أنس، وتقدم قريباً.

وقيلَ: أي: ﴿إِذْهُمْ﴾ يعني: المؤمنينَ ﴿قُعُودٌ﴾ عندَ النَّارِ يُعرضونَ على المحنةِ، فمَن أصرَّ على التَّوحيدِ أُلقيَ في النَّارِ.

قولُه: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾؛ أي: حضورٌ يُشاهدونَ ذلكَ، وصفَهم بالقسوةِ، ثمَّ بالجِدِّ في ذلك.

قولُه: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: [ما][1] نقَمَ هؤلاءِ الكفَّارُ من هؤلاءِ المؤمنينَ إلَّا إيمانَهم بالله، ومعنى نَقِموا: كرهوا وعابوا وأنكروا.

قولُه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خالقُ كلِّ شيءٍ ومالكُه، ومَن كانَ مالكَ كلِّ شيءٍ فلا يجوزُ أن يُعبدَ غيرُه، وينبغي أن يُعلمَ أنَّ إمهالَه إيَّاهم لأنَّه لا يفوتُه أمرٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: لا يخفى عليه شيءٌ.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: حَرَّقوهم بالنَّارِ ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ على كفرِهم ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرةِ عذابٌ زائدٌ على عذابِ كُفْرِهم بما أحْرقوا المؤمنينَ.

وقيلَ: لهم عذابُ جهنَّمَ وعذاب الحريق؛ أي: [الحريقُ][2] من أسماءِ جهنَّمَ كالسَّعيرِ، والنَّارُ دَرَكاتٌ وأنواعٌ، ولها أسماءٌ، فكأنَّهم يُعذَّبونَ بالزَّمْهَرِيرِ في جهنَّمَ، ثمَّ يُعذَّبونَ بعذابِ الحريقِ؛ فالأوَّلُ عذابٌ ببَرْدِها، والثَّاني عذابٌ بحرِّها.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٩٤).

(٢) زيادة يقتضيها السياق. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٩٥).

ويُقالُ: فتنتُ الشَّيءَ؛ أي: أحرقتُه بالنَّارِ، والفتينُ: حجارةٌ سوداءُ كأنَّها مُحرَّقةٌ، ومنه: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: هؤلاءِ الَّذينَ كانُوا آمنوا بالله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾؛ أي: في الآخرةِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ أي: الفوزُ بنعيمٍ لا ينقطعُ، ولم يقل: «تلك»؛ لأنَّه إشارةٌ إلى ما قُدِّمَ ذكرُه؛ أي: هذا الَّذي وصفْتُه هوَ[١] الفوزُ الكبيرُ.

* * *

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إنَّ أخذَه بالعذابِ إذا أَخَذَ شديدٌ.

قولُه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: يخلقُ الخلقَ، ثمَّ يفتنُهم، ثمَّ يُعيدُهم أحياءً للحسابِ، ومِن أسمائِه: المُبدئُ والمُعيدُ.

وقيلَ: يُبدئُ العذابَ في الدُّنيا، ويُعيدُه في الآخرةِ، كما أحرقَ الجبَّارينَ في وقتِ [إحراقِ][٢] أصحابِ الأُخدودِ بالنَّارِ حتَّى عادَت عليهم في روايةٍ[٣]، ثمَّ نارٌ تُحرقُهم في الآخرةِ.

---

(١) في الأصل: «وهو»، والصواب المثبت.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) تقدمت قريباً عن الربيع بن أنس.

وقيلَ: أي: عذَّبَ أقواماً من الكفرةِ، وسيُعيدُ العذابَ عليكم؛ أي: إن أصررتُم على الشِّركِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: يُعذِّبُ أهلَ النَّارِ حتَّى يصيروا فحماً، ثمَّ يُعيدُهم خلقاً جديداً[١]؛ كما قالَ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾؛ أي: غفورٌ لمن تابَ وآمنَ.

و﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المتودِّدُ إلى عبادِه بقَبولِ توبتِهم.

وقيلَ: يَودُّ عبادَه إذا أطاعوهُ ويرضى عنهم ويُثنِي عليهم.

وقيلَ: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ بمعنى: المَوْدودِ، كـ: رَكوبٍ وحَلُوبٍ؛ أي: يَوَدُّه عبادُه الصَّالحونَ ويُحبُّونَه.

وقولُه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾؛ أي: ذو الملْكِ والسُّلطانِ؛ كما يُقالُ: «فلانٌ على سريرِ مُلْكِه»، وإن لم يكنْ على سريرٍ، ويُقالُ: ثُلَّ عرشُه؛ أي: ذهبَ سلطانُه.

وقيلَ: أرادَ: السَّريرَ الَّذي خلقه في نهايةِ العِظَمِ؛ أي: هوَ مالكُه.

﴿المجيدِ﴾ بالخفضِ على أنَّه نعتُ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ بالرِّفعةِ، وقُرِئ: ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرَّفعِ[٢] على أنَّه نعتٌ للهِ بالكرمِ والرِّفعةِ.

قولُه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: لا معترَضَ عليه لأحدٍ، ولا يُعْجزُه شيءٌ يريدُه.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٩٣) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) قرأ بالجر حمزة والكسائي، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(١٧ ـ ٢٢) ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.

قولُه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾؛ أي: الكفَّارِ الذين تجنَّدوا على اللهِ؛ أي: على رسولِه فكذَّبوهم وحاربوهم، وهذا كما سمَّاهمُ الأحزابَ لتحزُّبِهم؛ أي: أفليسَ قد أتاكَ حديثُ الجنودِ، وهوَ كقولِه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ﴾ [الإنسان: ١]؛ أي: قد أتى.

قولُه: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بيَّنَ بعضَ أولئكَ الجنودِ، فمِن المتقدِّمينَ ثمودُ، ومِن المتأخِّرينَ فرعونُ، ودلَّ بهما على أمثالِهما.

والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ هوَ وغيرُه، وثمودُ في بلادِ العربِ، وقصَّتُهم عندهم مشهورةٌ، وأمرُ فرعونَ كانَ مشهوراً عندَ أهلِ الكتابِ وغيرِهم.

قولُه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: ليسَ بأوَّلِ [...][1] لم يأتِهم خبرُ الكفَّارِ السَّابقةِ، بل قد أتاهم أخبارُهم، وإيمانُهم أنَّهم[2] يكذِّبونَك في النُّبوَّةِ، فهم لذلكَ لا يَحْذَرونَ ما تتوعَّدُهم به من العذابِ، ولو تدبَّروا العلمُوا ـ بعجزِهم عن معارضتِكَ ـ صدقَك.

وقيلَ: أي: علمُوا صدقَك، ولكنَّهم في تكذيبٍ وعنادٍ بلا حجَّةٍ؛ كما قالَ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

قولُه: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾؛ أي: يَقْدِرُ على أن يُنْزِلَ بهم ما أنزلَ بفرعونَ، والمحاطُ به كالمحاصَرِ؛ أي: هم لا يمتنعونَ من قدرةِ اللهِ، ولا مهربَ لهم.

وقيلَ: أي: واللهُ عالمٌ بهم فهوَ يُجازيهم.

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) «وإيمانهم أنهم» كذا في الأصل، ولعل الصواب: «وإنما هم».

قولُه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾؛ أي: ليسَ كما يظنُّونَ، بل هوَ قرآنٌ مجيدٌ عالِي القدرِ عندَ اللهِ، وهوَ بيانُ ما بالنَّاسِ الحاجةُ إليه من أحكامِ الدِّينِ والدُّنيا.

قولُه: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾؛ أي: عندَ اللهِ، وهوَ أمُّ الكتابِ، ومنه انتُسخَ القرآنُ والكتبُ، وذلكَ اللَّوحُ محفوظٌ من الشَّياطينِ، ومن الزِّيادةِ والنُّقصانِ فيه.

وقرأَ نافعٌ: ﴿محفوظٌ﴾ بالرَّفعِ[1] على أنَّه نعتٌ للقرآنِ؛ أي: بل هوَ قرآنٌ مجيدٌ محفوظٌ في لوحٍ، كما قالَ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، ومعنى حفظِ القرآنِ: أنَّه يُؤمَنُ من تحريفِه وتبديلِه، فلا يَلحقُه من ذلكَ شيءٌ.

وقيلَ: اللَّوحُ: أمُّ الكتابِ، وهوَ الَّذي وردَ به الآثارُ من اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيلَ: هوَ شيءٌ يلوحُ للملائكةِ فيقرؤونَه.

***

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

تفسيرُ سورةِ الطَّارقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ الطَّارقُ: النَّجمُ يطرقُ باللَّيلِ ويخفَى بالنَّهارِ، وهوَ من طروقِ اللَّيلِ.

وفي الخبرِ: «نهى أن يأتيَ الرَّجلُ أهلَه طُرُوقاً»[١].

قيلَ: نزلَت في أبي طالبٍ، أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فأتحفَه بخبزٍ ولبنٍ، فبينا هوَ جالسٌ يأكلُ، إذِ انحطَّ نجمٌ فامتلأَ ما ثَمَّ ناراً، ففزعَ أبو طالبٍ وقالَ: أيُّ شيءٍ هذا؟! فقالَ: «هذا نجمٌ رُميَ به، وهوَ آيةٌ من آياتِ الله» فعَجِبَ أبو طالبٍ، ونزلَت السُّورةُ[٢].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ لمَّا لم يكنِ الطَّارقُ معروفاً بالنَّجمِ كانَ هذا ممَّا لا يستغني سامعُه عن معرفةِ المرادِ، ففسَّرَ وقالَ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثمَّ قالَ: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾؛ أي: هوَ النَّجمُ الَّذي يُهتدَى به في ظلماتِ اللَّيلِ، ويُوقَفُ به على أوقاتِ الأمطارِ، وتتزيَّنُ به السَّماء.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (٧١٥)، من حديث جابر رضي الله عنه. ولفظ البخاري: «كان النَّبي ﷺ يَكره أنْ يأتيَ...».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٣)، دون سند ولا راو، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩١) عن الكلبي. ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ولا يصح.

وقيلَ: التَّسميةُ بالطَّارقِ معروفةٌ عندَ العربِ، ومنه قولُ هندٍ:

نحـــنُ بنـــاتُ طـــارِقٍ[١]

أي: بناتُ النُّجومِ، فقالَ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ تفخيماً لشأنِ هذا المقْسَمِ به.

وقالَ سفيانُ بنُ عُيينةَ: كلُّ ما في القرآنِ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أخبرَه به، وكلُّ شيءٍ فيهِ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ لم يُخبرْه به[٢].

و﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيءُ، ويُقالُ: أَثْقِبْ نارَك.

والمُعْظَمُ على أنَّ ﴿ٱلطَّارِقُ﴾ و﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ اسمُ جنسٍ، وأُريدَ به العمومُ، وقالَ الفرَّاءُ: الثَّاقبُ: هذا النَّجمُ الَّذي يُقالُ له: زُحَلُ[٣].

وقالَ ابنُ زيدٍ: هوَ الثُّريَّا[٤]، والعربُ تُسمِّيهِ النَّجمَ على الإطلاقِ.

وقيلَ: الثَّاقبُ: الَّذي يُرمى به الشَّيطانُ فيَثْقبُه؛ أي: يَنفُذُ فيهِ ويحرقُه.

وقيلَ: سمِّيَ به لأنَّ نورَه يثقبُ سبعَ سماواتٍ.

***

(٤) ـ ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾.

قولُه: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ هذا جوابُ القَسَمِ؛ أي: ما من نفسٍ إلَّا عليها حافظٌ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٧)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢٢٥)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٩٠)، و«مسند البزار» (٩٧٩). ويقال: إن هذا الرجز لهندٍ بنت طارق بن بَيَاضةَ الإياديةِ، قالته في حرب الفرس لإياد، وتمثلت به هند بنت عتبة. انظر: «اللسان» (مادة: طرق).

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٢٠١٤)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٠).

قيلَ: أرادَ الملائكةَ تحفظُ عليها عملَها.

وقيلَ: تحفظُ رزقَها وأجلَها، فإذا استوفَى الإنسانُ رزقَه وأجلَه قبضَه إلى ربِّه.

وهوَ وعيدٌ للكفَّارِ وتسليةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ كقولِه: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

وقيلَ: عليها حافظٌ يحفظُها من المعاطبِ، فلا يُصيبُها إلَّا ما قدَّرَ اللهُ عليها، فالملكُ يحفظُ العبدَ بأمرِ اللهِ عمَّا يَدْهَمُ من الآفاتِ(١)، وقد قيلَ في قولِه تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]: أي: بأمرِ اللهِ.

وقيلَ: هذا الحافظُ هوَ اللهُ تعالى، ولولا حفظُه لها لم تبقَ.

قُرِئَ: ﴿لَمَا﴾ بالتَّخفيفِ و«ما» زائدٌ؛ كقولِه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾؛ أي: إنْ كلُّ نفسٍ لَعليها حافظٌ، وقُرِئَ: ﴿لَمَّا﴾ بالتَّشديدِ(٢)، وهيَ بمعنى: إلَّا، و«لمَّا» يُستعملُ بمعنى «إلَّا» في موضعينِ: هاهنا، وفي بابِ القسمِ، تقولُ: سألتُك لمَّا فعلتَ؛ بمعنى: إلَّا فعلتَ.

وقالَ الخليلُ: العربُ تقولُ: نَشَدْتُكَ اللهَ لمَّا فعلتَ؛ أي: إلَّا فعلتَ(٣).

* * *

(١) في الأصل: «عما يتوهم من الآفاق»، وهو تحريف ظاهر.

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة وابن عامر، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٣) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٣٩٧)، و«البسيط» (٢٣/ ٤٠٧).

(٥ ـ ١٠) ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾.

قولُه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ نبَّهَ على كمالِ قدرتِه، وأنَّه الَّذي يجبُ أن يُعبدَ، وأنَّه يقدرُ على الإعادةِ؛ يعني: لينظرْ هذا الإنسانُ المكذِّبُ بالبعثِ ممَّ خُلِقَ.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾؛ أي: من المنيِّ، والدَّفْقُ: صبُّ الماءِ، ويُقالُ: هوَ مُدفوقٌ ومُندفقٌ؛ أي: مُنصبٌّ، و«دافقٌ» هاهنا بمعنى: مدفوقٍ، وهوَ كقولِهم: سِرٌّ كاتِمٌ، وهمٌّ ناصِبٌ، وليلٌ نائمٌ، وهذا قولُ الفرَّاء[1].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: من ماءٍ ذي دَفْقٍ، وكذلكَ: سِرٌّ كاتِمٌ، ويُقالُ: دارعٌ وفارِسٌ ونابِلٌ؛ أي: ذو فرسٍ، ودرعٍ، ونَبْلٍ، وهذا مذهبُ سيبويهِ وأصحابِه[2].

والدَّافقُ: هوَ المندفِقُ بشدَّةِ قوَّتِه.

قولُه: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾؛ أي: صُلْبِ الرَّجلِ وترائبِ المرأةِ.

وقيلَ: صُلبِ الرَّجلِ وترائبِه.

ثمَّ قيلَ: التَّرائبُ: موضعُ القلادةِ من المرأةِ، وقيلَ: التَّريبةُ: ما بينَ الثَّديَينِ إلى التَّراقي، وقيلَ: كلُّ عظمٍ من ذلكَ تريبةٌ، وقالَ المبرِّدُ: هيَ ضلوعُ الصَّدرِ.

وقد اعتُرِضَ فقيلَ: ماءُ الرَّجلِ ينزلُ من الدِّماغِ، ثمَّ يجتمعُ في الأُنْثَيين. وهذا لا يُناقِضُ ما تقدَّمَ؛ لأنَّه إن نزلَ من الدِّماغِ، فإنَّما يمرُّ بين الصُّلْبِ والتَّرائبِ، ثمَّ إنَّا نعلمُ أنَّ النُّطفةَ من جميعِ أجزاءِ البدنِ، ولذلكَ يُشبهُ الرَّجلُ والديه كثيراً، وأيضًا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٣٨١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١١)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٥٢).

المكْثِرُ من الجماعِ يجدُ وَجَعاً في ظَهرِه وصُلبِه، وليسَ ذلكَ إلَّا لخلوِّ صُلْبِه عمَّا كانَ مُحتبِساً من الماءِ.

قالَ الفرَّاء: ومجازُ قولِه: ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ ومعناه: من الصُّلْبِ والتَّرائبِ؛ أي: يجوزُ أن تقولَ للشَّيئينِ: ليَخرجَنَّ مِن بينِ هذين خيرٌ كثيرٌ، و: ليَخرجَنَّ من هذين خيرٌ كثيرٌ[١].

قولُه: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾؛ أي: مَن خلَقَ الإنسانَ من نطفةٍ قادرٌ على إعادةِ الحياةِ فيهِ بعدَ الموتِ، و«الرَّجعُ» مصدرُ: رجَعْتُ الشَّيءَ؛ أي: ردَدْتُه، والكنايةُ في ﴿رَجۡعِهِۦ﴾ ترجعُ إلى الإنسانِ.

وقالَ مجاهدٌ: أي: إنَّه قادرٌ على أن يردَّ الماءَ في الإحليلِ[٢]. أو يردَّ الماءَ في الصُّلْبِ.

أو: قادرٌ على ردِّ الإنسانِ، وقالَ مجاهدٌ: أي: إن شئتُ ردَدْتُه مِنَ الكِبَرِ إلى الشَّبابِ، ومن الشَّبابِ إلى الصِّبا، ومن الصِّبا إلى النُّطفةِ[٣].

قولُه: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ هذا ظرفٌ للرَّجعِ، ﴿تُبۡلَى﴾؛ أي: تُخْتَبرُ، وقيلَ: تظهرُ ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أعمالُ بني آدمَ من الخيرِ والشَّرِّ.

وقالَ ابنُ عمرَ: يُبدي اللهُ يومَ القيامةِ كلَّ سرٍّ، فيكونُ زَيْناً في الوجوهِ،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٥).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٧). وعلقه البخاري قبل الحديث (٣٣٢٦) بلفظ: «النطفة في الإحليل»، ووصله بهذا اللفظ آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٧).

(٣) لم أجده عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٩) عن الضحاك. وهكذا ذكره الثعلبي ومكي والماوردي في تفاسيرهم عن الضحاك.

وشَيْناً في الوجوهِ(١). والرَّبُّ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، ولكنْ يُظهرُ علاماتٍ للملائكةِ والمؤمنينَ.

قولُه: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ أي: ما لهذا الإنسانِ المرجوعِ يومَ تُبلى السَّرائرُ قوَّةٌ بنفسِه على دفعِ العذابِ.

وقوله: ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ للتَّعميمِ؛ أي: ما له شيءٌ من القوَّةِ، ولا أحدٌ من الأنصارِ.

* * *

(١١ ـ ١٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾.

قولُه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾؛ أي: تَرجِعُ عليكم بالأمطارِ مطراً بعدَ مطرٍ في كلِّ عامٍ.

وقيلَ: يُردُّ ويَرجعُ شمسُها وقمرُها بعدَ مغيبِهما.

وقالَ الخليلُ: الرَّجْعُ: المطرُ نفسُه، والرَّجعُ أيضاً: نباتُ الرَّبيعِ(٢).

قولُه: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾؛ أي: ذاتِ النَّباتِ تتصدَّعُ به؛ من الحرثِ والأشجارِ وغيرِها؛ كقولِه: ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس: ٢٥ ـ ٢٦]، فالرَّجعُ هاهنا يعني: الصَّبَّ، والصَّدعُ بمعنى: الشَّقِّ؛ لأنَّه يَصْدَعُ الأرضَ، فتتصدَّعُ به الأرضُ، فكأنَّه قالَ: والأرضِ ذاتِ النَّباتِ؛ لأنَّ النَّباتَ صادعٌ للأرضِ.

قولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ ـ هذا جوابُ القَسَمِ ـ بينَ الحقِّ والباطلِ، وفعلِ الخصوماتِ وقطعِها، وهذا قولٌ فصلٌ؛ أي: قاطعٌ للمِراءِ والتَّنازعِ.

قولُه: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾؛ أي: باللَّعِبِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤١٦).

(٢) انظر: «العين» (١/ ٢٢٧).

قولُـه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ أي: يحتالـونَ لدفـعِ الحـقِّ بالتَّمويـهِ علـى الضَّعَفـةِ، فيقولـونَ للقـرآنِ: إنَّه سـحرٌ وشـعرٌ، وإنَّ محمداً مجنـونٌ أو كاهـنٌ، ويقولونَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ويحتالـونَ لقتلِـكَ.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؛ أي: أُبطـلُ احتيالَهـم بإظهـارِ دينـي وإعـلاءِ أمرِك، فسـمَّى جزاءَ الكيـدِ كيداً.

وقيلَ: كيدُ اللهِ: استدراجُهم من حيثُ لا يعلمونَ.

وقيلَ: إمهالُه إيَّاهم على كفرِهم.

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: لا تسألِ اللهَ تعجيلَ إهلاكِهم، وارْضَ بما يُدبِّرُه في أمورِهم.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾؛ أي: انتظرْ انتقامي منهم مدَّةً قليلةً. ثمَّ فعلَ اللهُ ذلكَ يومَ بدرٍ، ونُسخَ الإمهالُ بالسَّيفِ، ومَهَّلَ وأَمْهَلَ بمعنى: أَنظَرَ، وتقولُ: مهلاً يا فلانُ؛ أي: رِفقاً وسكوناً.

﴿رُوَيْدًا﴾ يُقالُ: رُوَيْدَ زيداً؛ أي: أمهلْه ودعهُ، والمعنى: أَرْوِدَ زيداً، ومنه: رويدَ الشِّعرَ يَغِبَّ(١)؛ أي: دعِ الشِّعرَ يغبَّ، ولا تنصرفُ «رويد» في هذا الوجهِ.

---

(١) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢١٧)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٢٦)، و«الصحاح» (مادة: غبب)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٤٧٧)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٢٨٨)، و«المستقصى في الأمثال» (٢/ ١٠٦).
واختلفت عباراتهم في شرحه:
فقال العسكري: يضْرب مثلاً للمكروه يتبَيَّن أَثَره بعد وقوعه واستمراره؛ أَي: انظُر كيف عاقبةُ الشِّعر في المدح والذم إِذا جرى على أَلْسِنَة الرواة وسارت به الرفاق في كل واد.
وقال الميداني: أي: دَعْه حتى تأتي عليه أيام فتنظر كيف خاتمته أيحمد أم يذم.

ويُقالُ: «رويدَ زيدٍ» بالإضافةِ؛ كما تقولُ: ضَرْبَ زيدٍ، وقد يكونُ نعتاً منصوباً؛ كقولِك: ساروا سيراً رويداً، و: ساروا رويداً، يحذفون المنعوتَ ويُبقونَ النَّعتَ مقامَه، وتقولُ: الرَّجلُ يعالجُ الشَّيءَ رويداً؛ أي: عالجَه علاجاً رويداً.

والَّذي في الآيةِ من هذا: الوجهُ الثَّالثُ؛ لأنَّه يجوزُ[1] أن يكونَ نعتاً للمصدرِ؛ أي: إمهالاً رُوَيداً، ويجوزُ أن يكونَ للحالِ؛ أي: أَمْهِلْهم غيرَ مُستعجِلٍ.

***

وقال الزمخشري: أي أمهله يَأْتِ عليه أيَّام حتَّى تنقحه وتنفي عنه عواره ثمَّ أرسله بعد ذلك. يضرب في التأني في الأمر وترك العجلة فيه.

(١) ضرب على الكلمة في الأصل، وكتب بدلها في الهامش: «لم يجزْ»، والمثبت موافق لما في «البسيط» للواحدي (٢٣/ ٤٢٥)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢١٨).

تفسيرُ سورةِ الأعلى

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾.

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾؛ أي: نَزِّهِ اسمَ ربِّكَ عن أن يَتسمَّى به غيرُه، فإنَّ الكفَّارَ كانُوا يُسمُّونَ أصنامَهم: الآلهة، ويقولونَ: اللَّاتُ والعزَّى ورحمانُ اليمامةِ.

وقيلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾، و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ بمعنًى؛ أي: مجِّدهُ بالأسماءِ الَّتي أنزلَها عليكَ، وهذا كما تقولُ: علمتُ أنَّكَ صادقٌ، وعلمتُ بأنَّكَ صادقٌ، ونشدتُك اللهَ، ونشدتُكَ باللهِ.

وقيلَ: أي: صلِّ بأسماءِ اللهِ، لا كما يُصلِّي المشركونَ بالمُكَاءِ والتَّصْدِيةِ.

وقالَ عقبةُ بنُ عامرٍ: لمَّا نزلَت: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قالَ لنا رسولُ اللهِ: «اجعلوها في ركوعِكم»، ولمَّا نزلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قالَ: «اجْعَلوها في سجودِكم»[١].

وقالَ الحسنُ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: صلِّ لربِّكَ الأعلى[٢].

وقيلَ: الاسمُ صلةٌ؛ أي: سبِّح ربَّك.

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢١)، ولم أجده مسنداً.

وأحسنُ منهُ أن نقولَ: الاسمُ هوَ المُسمَّى، ولهذا لمَّا قالَ: «اجْعَلوها في ركوعِكم» و«سجودِكم»، وكانُوا يقولونَ: سُبحانَ ربِّيَ العظيمُ، سُبحانَ ربِّيَ الأعلى، ولم يقولوا: سُبحانَ اسمِ ربِّي.

والمعنى: نزِّه ربَّك عمَّا أضافَ المشركونَ إليه من الصَّاحبةِ والأولادِ.

﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾؛ أي: سبِّحْهُ لأنَّه الأعلى؛ أي: هوَ العالي على كلِّ شيءٍ بملْكِه وسُلطانِه، وهوَ كما تقولُ: اجتنبِ الخمرَ المزيلةَ للعقلِ؛ أي: اجتنبها فإنَّها مزيلةٌ للعقلِ.

قولُه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: سوَّى ما خلقَ، فلم يكن في فعلِه تثبيجٌ[1]، بل كانَ عالماً بما خلقَ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿فَسَوَّىٰ﴾: [خلَقَ الإنسانَ مستوِياً][2]؛ أي: عدَّلَ قامَتَه[3].

وقيلَ: أي: هيَّأَ لكلِّ ذي روحٍ ما يحتاجُ إليه من الأعضاءِ.

وقيلَ: أي: خَلَقَ الإنسانَ وهيَّأَهُ للتَّكليفِ.

قولُه: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قُرِئَ بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[4]، وهما بمعنًى واحدٍ؛ أي: قدَّرَ من النَّسلِ ما أرادَ.

وقيلَ: قدَّرَ الخلقَ على ما قدَّرَهم عليه من الهيئاتِ، وعلى ما أجْرَى لكلِّ واحدٍ منهم من مقدارِ الأجَلِ والمعاشِ.

---

(١) أي: تخليط. انظر: «اللسان» (مادة: ثبج).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٥)، و«البسيط» (٢٣/ ٤٣١)، وما بين معكوفتين منهما.

(٣) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٤٣١)، والكلام منه.

(٤) بالتخفيف قرأ الكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

﴿فَهَدَىٰ﴾ قالَ مقاتلٌ: هدى الذَّكرَ للأنثى كيف يأتيها[١].

وقيلَ: فهداه لمعيشتِه ومرعاتِه.

وقالَ مجاهدٌ: هدى الإنسانَ لطريقِ الخيرِ والشَّرِّ[٢].

وقالَ السُّدِّيُّ: قدَّرَ مُدَّةَ الجنينِ في الرَّحِمِ، ثمَّ هدَى للخروجِ[٣].

وقالَ الفرَّاءُ: أي: قدَّرَ فهدى وأضلَّ، فاكتفَى بذِكْرِ أحدِهما[٤]؛ كقولِه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

ويحتملُ أن يكونَ «هدى» بمعنى: دعا إلى الإيمانِ؛ كقولِه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: لتَدْعو، وقد دعا الكلَّ إلى الإيمانِ.

وقيلَ: ﴿فَهَدَىٰ﴾؛ أي: دلَّهم بأفعالِه على توحيدِه، وكونِه عالماً قادراً مريداً.

وقد ذكرنا أنَّ ﴿قَدَرَ﴾ و﴿قَدَّرَ﴾ بمعنىً، وقيلَ: ﴿قَدَرَ﴾؛ أي: مَلَكَ، فمَن قرأَ بالتَّخفيفِ قالَ المعنى: أنَّه مَلَكَ الأشياءَ، وهَدَى مَن شاءَ.

قولُه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: هوَ القادرُ على إنباتِ العشبِ، لا كالجمادِ الَّتي عبدَها الكفَّارُ، والمرعى: ما تخرجُه الأرضُ من النَّباتِ والزُّروعِ والحشيشِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٦٩).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤)، وهذا هو معنى قوله، أما لفظه فهو كما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١١)، والفِرْيابيّ وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ـ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٢) ـ: «هدى الإنسان للشقوة والسعادة وَهدى الأنعام لمراتعها». وعلقه البخاري قبل الحديث (٦٦١٩) بلفظ: «قَدَّر الشَّقاءَ والسَّعادةَ وهدى الأنعام لمَراتعها». وهكذا رواه آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٢٢).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٢٣٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).

قولُه: ﴿غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾؛ أي: جُعلَ بعدَ الخضرةِ غُثاءً هشيماً جافًّا. والغثاءُ: ما يُحطمُ من يَبِيسِ البقلِ يأتي به السَّيلُ يقذفُه على جانبِ الوادي.

﴿أَحۡوَىٰ﴾ نعتُ الغُثاءِ؛ أي: صارَ بعدَ الخضرةِ يابساً مُتغيِّراً إلى السَّوادِ، والرَّطبُ إذا يبسَ اسْوَدَّ.

وقيلَ: ﴿أَحۡوَىٰ﴾ حالٌ من ﴿ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾؛ أي: أخرجَ المرعى أحوى؛ أي: أخضرَ يضربُ إلى الحُوَّة؛ أي: هذا المرعى من شدَّةِ الخضرةِ كالأسودِ؛ كقولِه: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾، والحُوَّةُ: السَّوادُ.

* * *

(٦ ـ ٨) ـ ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾.

قولُه: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ أي: يقرأُ جبريلُ عليكَ القرآنَ حتَّى يجتمعَ في صدرِك، فيصيرَ محفوظاً لك لا تنساه، وكانَ هذا معجزةً للنَّبيِّ عليه السَّلامُ مع كونِه أُمِّيًّا، وكانَ إذا نزلَ عليه القرآنُ أكثرَ تحريكَ لسانِه مخافةَ أن ينسى، فنزلَت هذه الآيةُ.

قولُه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلَّا ما شاءَ أن يُنسيَك.

ثمَّ قيلَ: هذا بمعنى النَّسخِ: إلَّا ما شاءَ اللهُ أن ينسخَه، والإنساءُ نوعٌ من النَّسخِ.

وقيلَ: إلَّا ما شاءَ الله أن ينسى، ولكنَّه لم ينسَ شيئاً منهُ بعدَ نزولِ هذه الآيةِ.

وقيلَ: أي: إلَّا ما شاءَ أن ينسى، ثمَّ يذكُرَ بعد ذلكَ، فإذاً قد ينسَى، ولكنَّه يتذكَّرُ ولا ينسَى نسياناً كليًّا.

وقيلَ: النِّسيانُ بمعنى: التَّركِ؛ أي: يَعصِمُك من أن تتركَ العملَ به، إلَّا ما شاءَ اللهُ أن تتركَه لنسخِه إيَّاه. فهذا في نسخِ العملِ، والأوَّلُ في نسخِ القراءةِ.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾؛ أي: من القولِ والفعلِ؛ أي: يعلمُ العلانيةَ والسِّرَّ.

قولُه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: نسهِّلُ لك الطَّاعاتِ، واليُسرى: أعمالُ الخيرِ الَّتي تُؤدِّي إلى اليُسرِ وإلى الثَّوابِ.

وقيلَ: أي: نسهِّلُ لك طريقَ دخولِ الجنَّةِ.

وقيلَ: أي: نهوِّنُ عليك الوحيَ حتَّى تَحْفَظَه وتعملَ به.

وقيلَ: نوفِّقُكَ للشَّريعةِ اليُسرى؛ وهيَ الحنيفيَّةُ السَّمْحةُ السَّهْلةُ.

* * *

(٩ ـ ١٣) ـ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: عِظْ قومَكَ بالقرآنِ إن نفعَتِ الموعظةُ؛ كما قالَ الجرجانيُّ: التَّذكيرُ واجبٌ وإن لم ينفعْ، والمعنى: فذكِّر إنْ نفعَتِ الذِّكرى، أو لم تنفعْ[(١)]؛ كما قيلَ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

وفي هذا تأمُّل إلَّا أن يقولَ: إذا أمرَ بالوعظِ فيحصلُ ثوابُ الدُّعاءِ إلى اللهِ.

قولُه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: سيتَّعظُ بالقرآنِ مَن يخشى اللهَ؛ أي: عَمِّمْ أنت التَّذكيرَ والوَعظَ، وإن كانَ الوعظُ إنَّما ينفعُ مَن يخشَى، ولكنْ يحصلُ لك ثوابُ الدُّعاءِ إلى اللهِ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾؛ أي: ويتجنَّبُ الذِّكرى مَن هوَ الأشقى الَّذي عاقبتُه دخولُ النَّارِ الكبرى، وهيَ نارُ جهنَّمَ الَّتي هيَ فوقَ نيرانِ الدُّنيا.

وقيلَ: أرادَ بـ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أنَّها أسفلُ دركٍ في جهنَّمَ، وعذابُه أشدُّ من الَّذي فوقَه.

---

(١) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٤٤٢).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾؛ أي: لا يموتُ فيستريحَ، ولا يحيا حياةً تنفعُه؛ كما قالَ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، والعربُ تقولُ للمبتلى الشَّديدِ البلاءِ: لا هوَ حيٌّ ولا هوَ ميِّتٌ.

وقيلَ: معنى ذلكَ: أنَّ نفسَ أحدِهم في النَّارِ تصيرُ في حَلْقِه، فلا تخرجُ للموتِ، ولا ترجعُ إلى موضعِها من الجسمِ فتحيا.

ولفظُ ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ لا يدلُّ على أنَّ للَّذي[1] قَبِلَ الذِّكرى حظًّا من النَّارِ؛ إذ قد يجري مثلُ هذا اللَّفظِ من غيرِ مشاركةٍ؛ كقولِه: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤][2].

وقيلَ: أي: ويتجنَّبُها الأشقى الَّذي يَصلَى؛ كما قيلَ في قولِه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أي: وهوَ هيِّنٌ عليه.

وقيلَ: أهلُ الشَّقاءِ يتفاوتونَ في شقائِهم، فهذا الوعيدُ للأشقى، وإن كانَ ثَمَّ شقيٌّ لا يبلغُ هذه المرتبةَ.

* * *

---

(١) في الأصل: «الذي»، ولعل المثبت هو الصواب. وانظر التعليق الآتي.

(٢) وقد تناول هذه المسألة بشيء من التفصيل الرازي في «تفسيره» (٣١/ ١٣٤) فقال: لقائلٍ أنْ يقولَ: إنَّ الله تعالى ذكر هاهنا قِسْمَين؛ أحدهما: الذي يذَّكَّر ويخشى، والثَّاني: الأشْقَى الذي يَصلَى النَّار لكبرى، لكنَّ وجودَ الأشقَى يَستدعِي وجودَ الشَّقيِّ، فكيف حالُ هذا القِسْم؟ وجوابُه: أنَّ لفظةَ ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ لا تقتضي وجودَ الشَّقيِّ إذ قد يجري مثلُ هذا اللَّفظ من غير مشاركةٍ، كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

(١٤ ـ ١٩) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧) إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

قولُه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ ثمَّ حثَّ على سبيلِ المنتفِعِينَ بالذِّكرى، وأخبرَ ما لهم عندَ اللهِ؛ أي: فازَ بطَلِبتِه مَن تَطهَّرَ من دنسِ الشِّركِ.

قولُه: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: صلَّى للهِ تعظيماً له وتذلُّلاً، لا كما يُصلِّي المنافقونَ رياءً.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: نزلَت في عثمانَ رضي الله عنه[1].

وقيلَ: ﴿تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: قالَ: لا إلهَ إلَّا الله.

وقيلَ: ﴿تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: بما عملَه وكبرَ. والزَّاكي بمعنى: النَّامي.

وقيلَ: عنَى بالزَّكاةِ زكاةَ الفطرِ، وبالصَّلاةِ صلاةَ العيدِ، وفي الخبرِ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أخرجَ زكاةَ الفطرِ، وخرجَ إلى المصلَّى فصلَّى»[2].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٣) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٢٠)، والبزار في «مسنده» (٣٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٥١) واللفظ له، عن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.

وفي رواية البزار: أنه كان يأمر بزكاة الفطر يوم الفطر قبل أن يصلِّي صلاة العيد ويتلو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

وَفِي رواية ابن خزيمة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ فقال: أنزلت في زكاة الفطر.

وكثير بن عبد الله قال عنه الحافظ في «مختصر زوائد مسند البزار» (١/ ٣٩٨): ضعيف جدًّا.

وروي موقوفاً، رواه عبد بن حميد وابن المنذر عَن أبي سعيد الخدري رَضِي الله عَنهُ، ورواه ابن أبي

واعترُضَ فقيلَ: السُّورةُ مكِّيَّةٌ، ولم يكنْ ثَمَّ صلاةُ عيدٍ وزكاةُ فطرٍ[١]. وهذا غيرُ لازمٍ، إذ لا يبعدُ أنَّه أثنى على مَن يمتثلُ أمرَه في صدقةِ الفِطرِ وصلاةِ العيدِ فيما يأمرُ به في المستقبلِ.

وقيلَ: هذا في الصَّلاةِ والزَّكاةِ المفروضتينِ.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: وصلَّى فذكرَ اسمَ ربِّه، ولا فرقَ بينَ أن تقولَ: أَكْرمْتَني فزُرْتني، وبينَ أن تقولَ: زُرْتَني فأَكْرَمْتني.

وقيلَ: ذكرَ اسمَ ربِّه بالتَّكبيرِ في أوَّلِ الصَّلاةِ، ثمَّ تمَّمَ الصَّلاةَ.

أو: ذكرَ اللهَ بالنِّيَّةِ والتَّقرُّبِ إليه ثمَّ صلَّى، فيكونُ هذا ذكرَ القلبِ.

وقيلَ: هي[٢] زكاةُ الأعمالِ، لا زكاةُ المالِ؛ أي: تطهَّرَ في أعمالِه من الرِّياءِ والتَّقصيرِ؛ لأنَّ الأكثرَ أن يُقالَ في المالِ: «زَكَّى» لا «تَزَكَّى».

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: كبَّرَ في خروجِه إلى العيدِ ﴿وصلَّى﴾ صلاةَ العيدِ[٣].

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ قُرِئَ بالتَّاءِ، [يعني]: تُؤثرونَ عملَ الدُّنيا على عملِ الآخرةِ، وقُرِئَ بالياء[٤]، يعني: الأَشْقَيْنَ.

حاتم وابن مردويه والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٨). وعن التابعين رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٠) عن أبي العالية. وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٨) عن عطاء وابن سيرين.

(١) تعقب بذلك الثعلبي في «تفسيره» عقب ما تقدم من أخبار.

(٢) في الأصل: «هذا»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٣٢).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ١٣٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٢).

(٤) قرأ بها أبو عمرو، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

قولُـه: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾؛ أي: والـدَّارُ الآخـرةُ؛ أي: الجنَّـةُ ﴿خَيۡرٞ﴾؛ أي: أفضـلُ ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: وأَدوَمُ من الدُّنيا.

قولُه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: هذا الَّذي ذكرنا مِن قولِنا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى هاهنا مكتوبٌ في الكتبِ الأولى؛ أي: معناه مكتوبٌ فيها.

وقيلَ: أي: معنى هذه السُّورةِ مكتوبٌ في الصُّحُفِ الأولى.

وقيلَ: المكتوبُ فيها قولُه: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾.

وقيلَ: ما يدعو إليه محمَّدٌ من التَّوحيدِ والإيمانِ بالقيامةِ مضمونُه في كلِّ كتابٍ نزلَ من السَّماءِ.

﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾؛ أي: فـي الصُّحُـفِ الأولى مِن صُحُفِ الأنبيـاءِ الَّتي هيَ صُحُـفُ إبراهيم وموسـى، وصحفُ موسـى: التَّـوراةُ، وقيلَ: نـزلَ عليه قبـلَ التَّوراةِ صُحُـفٌ أُخَرُ.

* * *

تفسيرُ سورةِ الغاشيةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٧) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾؛ أي: قد أتاكَ؛ كقولِه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: لم يكن أتاه قبلَ ذلكَ على هذا التَّفصيلِ المذكورِ هاهنا[1].

﴿حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾؛ أي: خبرُ الغاشيةِ، والغاشيةُ: القيامةُ؛ لأنَّها تغشَى النَّاسَ بالأهوالِ، ومعنى تغشى: تَلبسُ وتَعُمُّ.

وقيلَ: الغاشيةُ: النَّارُ؛ أي: تغشى أهلَها، قالَ الله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقيلَ: الغاشيةُ: أهلُ النَّارِ يغشونَها ويتقحَّمونَ فيها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ يعني: الكفَّارَ؛ أي: عَراهم الخِزْيُ والهَوانُ، والمرادُ بالوجوهِ: أصحابُ الوجوهِ.

قولُه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قيلَ: عملُهم ونصَبُهم في الآخرةِ، وهوَ جرُّ السَّلاسلِ الثِّقالِ، وحملُ الأغلالِ، والوقوفُ عُراةً حُفاةً ظِماءً في العَرَصاتِ في يومٍ كانَ مقدارُه ألفَ سنةٍ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٣) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

وقيلَ: عاملةٌ في الدُّنيا، ناصبةٌ في الآخرةِ. وعلى هذا يحتمِلُ: وجوهٌ يومئذٍ عاملةٌ في الدُّنيا ناصبةٌ في الآخرةِ خاشعةٌ.

ويحتملُ: عاملةٌ في الدُّنيا ناصبةٌ فيها، خاشعةٌ في القيامة.

ويحتملُ: عاملةٌ خاشعةٌ في الدُّنيا، ناصبةٌ خاشعةٌ في الآخرةِ؛ أي: تذلَّلوا بعبادتِهم وأظهروا الخشوعَ، فلم يحصلوا إلَّا على العناءِ والنَّصَبِ.

وقيلَ: عاملةٌ ناصبةٌ في الدُّنيا في المعاصي.

قولُه: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ يُقالُ: صَلِيَ بالنَّارِ؛ أي: لزمَها، قُرِئَ بنصبِ التَّاءِ، وقُرِئَ ﴿تُصْلَى﴾ برفعِ التَّاءِ[١]، من «أصليتُه النَّارَ».

﴿نَارًا حَامِيَةً﴾؛ أي: قد أُوْقِدَتْ وأُحْمِيتِ المدَّةَ الطَّويلةَ.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ الآني: الَّذي قد انتهَى حَرُّه، من «الأَنَاء» بمعنى: التَّأخيرِ، ومنه: «آنَيْتَ وآذَيْتَ»[٢]، ومنه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

وفي التَّفاسيرِ: ﴿مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾؛ أي: تَناهَى حرُّها؛ فلو وَقَعتْ نقطةٌ منها على جبالِ الدُّنيا لذابَتْ[٣].

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو وشعبة، والأولى قراءة الباقين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨١)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجه (١١١٥) من حديث جابر بن عبد اللهِ رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ورسولُ الله ﷺ يخطُب، فجعل يتخطَّى النَّاسَ، فقال ﷺ: «اجلسْ فقد آذَيْتَ وَآنَيْتَ».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٦٧٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٨١١)، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٧٤).

قولُه: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ لمَّا ذكَرَ شرابَهم ذكَرَ طعامَهم أيضاً؛ أي: إذا أُلقوا في النَّارِ وهم جياعٌ ظماءٌ رأَوا ماءً ونباتاً فقصدوهما، فرأَوا الماءَ حميماً، ووجدوا النَّباتَ شيئاً لا يُغني من جوعٍ، فانقطعَت أطماعُهم عن زوالِ ما بهم من أذى الجوعِ والعطشِ.

والضَّريعُ: يَبِيسُ الشِّبْرِقِ، وهوَ نوعٌ من الشَّوكِ.

قالَ الفرَّاءُ: وهذا النَّبتُ سمٌّ[(١)].

وقيلَ: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾؛ أي: إلَّا من شَجرةِ الزَّقُّومِ.

وقالَ الحسنُ: الضَّريعُ: بمعنى المُضرِعِ؛ كالأليمِ بمعنى المؤلمِ؛ أي: إلَّا من طعامٍ يحملُهم على أن يَضْرَعوا عندَه ويَذِلُّوا؛ لِمَا فيهِ من الحرارةِ والخشونةِ والمرارةِ[(٢)].

وقيلَ: الضَّريعُ: نباتٌ أخضرُ مُنتنُ الرِّيحِ يَرْمي به البحر، قالَه الخليلُ[(٣)].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: الضَّريعُ: الشِّبْرِقُ، يُقالُ له ما دامَ رطباً: ضريعٌ، فإذا يَبسَ قيلَ: شِبرقٌ، وهوَ نبتٌ كأظفارِ الهرِّ[(٤)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٣١)، وفيه: وعن الحسن قولان: أحدهما: الضريع الزقوم، والآخر: أن الضريع الذي يضرع ويذلّ من أكله لمرارته وخشونته. قال النحاس: وهذا القول جامع للأقوال كلها.

(٣) ذكره عن الخليل القرطبي في «تفسيره» (١/ ٢٤٤) ولعله نقله عن المصنف، وهو دون نسبة في «المحكم» لابن سيده (٣١/ ٤٠٤)، و«مفردات الراغب» و«اللسان» (مادة: ضرع).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣١) مختصراً بلفظ: «الضريع: الشبرق» وإسناده ضعيف، وفي «التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي (١٥/ ٣٢٠): «وفي حديث ابن عبَّاس: أنَّه كأظفار الهرِّ». وروى الطبري عن عكرمة أنه قال في الضريع: «هي شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمَّتها قريش الشِّبرق، فإذا هاج العود سمتها الضَّريع».

وقد قالَ اللهُ في موضعٍ آخرَ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥ ـ ٣٦]، وقالَ هاهنا: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، والضَّريعُ غيرُ الغسلينَ، ووجهُ الجمعِ: أنَّ النَّارَ دَرَكاتٌ؛ فمنهم مَن طعامُه الزَّقُّوم، ومنهم مَن طعامُه الغِسلينُ، ومنهم مَن طعامُه الضَّريعُ، ومنهم مَن شرابُه الحميمُ، ومنهم مَن شرابُه الصَّديدُ.

قالَ الكلبيُّ: الضَّريعُ في درجةٍ ليسَ فيها غيرُه، والزَّقُّومُ في درجةٍ أُخرى[١].

ويجوزُ أن تُحْملَ الآيتانِ على حالتين.

وقالَ القُتيبيُّ: أي: إنَّهم يقتاتونَ ما لا يُشبعهم، أو يُعذَّبونَ بالجوعِ كما يُعذَّبُ مَن قُوْتُه الضَّريعُ، لا أنَّ ثَمَّ نبتاً ينبتُ في النَّارِ.

قالَ: ويجوزُ أن يكونَ الضَّريعُ وشجرةُ الزَّقُّومِ نَبْتينِ من النَّارِ، أو مِن جوهرٍ لا تأكلُه النَّار، وكذلكَ سلاسلُ النَّارِ وأغلالُها، وعقاربُها وحَيَّاتُها، ولو كانَت على ما نعلمُ لَما بقيَتْ على النَّارِ.

قالَ: وإنَّما دلَّنا الله على الغائبِ عندَه بالحاضرِ عندَنا، فالأسماءُ مُتَّفقةُ الدلالةِ، والمعاني مختلفةٌ، وكذا ما في الجنَّةِ من شجرِها وفُرُشها[٢].

وأَمثَلُ من قولِ القُتَيبيِّ أن نقولَ: إنَّ الَّذي يُبقي الكافرين في النَّارِ ليدومَ عليهم العذابُ، يُبقي النَّباتَ وشجرةَ الزَّقُّومِ في النَّارِ ليعذِّبَ بهما الكفَّارَ، وفي الخبرِ: «الضَّريعُ شيءٌ يكونُ في النَّارِ شبيهَ الشَّوكِ، أمَرُّ من الصَّبرِ، وأنتَنُ من الجيفةِ، وأشدُّ حرًّا من النَّارِ»[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٤).

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص٤٩).

(٣) رواه ابن مردويه بسند واه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٦٩)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٠/ ١٥٧): «حديث غريب جداً».

(٨ ـ ١٦) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

قولُه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ثمَّ ذكرَ أحوالَ [أهلِ][1] الجنَّةِ وشرابَهم ونعيمَهم.

قولُه: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾؛ أي: حَمِدوا سعيَهم في الدُّنيا لِمَا وجدوا من ثوابِ الآخرةِ.

وقيلَ: أي: لثوابِ سعيِها راضيةٌ.

قولُه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: مُرتفعةٍ، والجنَّةُ درجاتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، وقيلَ: أرادَ عُلوَّ القَدْرِ.

قولُه: ﴿لا يُسمعُ فيها لاغيةٌ﴾؛ أي: لا يكونُ في الجنَّةِ لغوٌ وباطلٌ وكلامٌ موحِشٌ، قُرِئَ بالياءِ والضَّمِّ، ﴿لاغيةٌ﴾ بالرَّفعِ، وقُرِئَ بالتَّاءِ والضَّمِّ، وقُرِئَ بالتَّاءِ مفتوحةً، و﴿لَاغِيَةً﴾ مفتوحةٌ أيضاً[2].

واللَّاغيةُ مصدرٌ كـ: العاقبة والعافية.

وقيلَ: أي: لا تَسمعُ كلمةً لاغيةً، فهيَ صفةٌ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: لا تسمعُ فيها كذباً وبُهتاناً وكفراً باللهِ تعالى[3].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لا يُسْمَعُ﴾ بياء التَّذكير مضمومةً ﴿لاغيَةٌ﴾ بالرَّفع، وقرأ نافع: ﴿لا تُسْمَعُ﴾ بتاء التأنيث مضمومة ﴿لاغيَةٌ﴾ بالرَّفع، والباقون: ﴿لا تَسْمَعُ﴾ بفتح التاء ﴿لاغيَةً﴾ بالنَّصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨١)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «لا تسمع أذى ولا باطلًا».

قولُه: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾؛ أي: في هذه الجنَّةِ عينُ شرابٍ جاريةٌ على وجهِ الأرضِ في غيرِ أُخدودٍ، وتجري لهم كما أرادوا.

قولُه: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾؛ أي: مرفوعةٌ في الهواءِ عاليةٌ.

قيلَ: يَرى الجالسُ عليها جميعَ ما أعطاهُ اللهُ في الجنَّةِ منَ النَّعيمِ والملكِ.

وقيلَ: رُفعَ بعضُها فوقَ بعضٍ، فإذا جاءَ وليُّ اللهِ ليجلسَ عليها تَطامَنَت له، فإذا استوى عليها ارتفعَت إلى حيثُ شاءَ اللهُ[(١)].

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾؛ أي: مُعدَّةٌ لأهلِها.

وقيلَ: موضوعةٌ على حافَاتِ العينِ الجاريةِ.

وقيلَ: بينَ أيديهم لاستحسانِهم إيَّاها، وتلذُّذِهم بالشُّربِ منها.

ثمَّ تلكَ الأنهارُ كما وُصِفَت في غيرِ هذا الموضعِ حصباؤها الدُّرُّ، وترابُها المسكُ، والسُّررُ من الذَّهبِ مُكلَّلٌ بالزَّبرجدِ والدُّرِّ والياقوتِ.

والأكوابُ: الكِيزانُ الَّتي لا عُرى لها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: وفيها وسائدُ ومرافقُ موضوعةٌ بعضُها بجنبِ بعضٍ كالشَّيءِ يُجعلُ صفًّا، وواحدُ النَّمارقِ: «نُمرُقة» بضمِّ النُّونِ، وقيلَ: «نِـمْرِقة» أيضاً بكسرِ النُّونِ.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ قالَ الفرَّاءُ: في طنافِسَ لها خَمْلٌ رقيقٌ، والمبثوثةُ: الكثيرةُ[(٢)].

وواحدُ الزَّرابيِّ: «زِربيَّةٌ» و«زِربيٌّ» بكسرِ الزَّاي.

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٣٢٣) عن خارجة بن مصعب، ودون عزو الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٥١٠)، وبنحوه عن ابن عباس ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٩)، وابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٤٣٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

قولُه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لمَّا ذكرَ أمرَ أهلِ الدَّارَيْنِ وأنكرَ الكفَّارُ ذلكَ، نبَّهَ عن أنَّ اللهَ قادرٌ على كلِّ شيءٍ؛ كما خلقَ الحيواناتِ والسَّماءَ والأرضَ، ثمَّ ذكرَ الإبلَ أوَّلاً لأنَّها كثيرةٌ في العربِ ولم يَرَوا الفيلةَ.

وقيلَ: لمَّا ذكرَ السُّرُرَ المرفوعةَ قالوا: كيفَ نصعدُها؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[١]، وبيَّنَ أنَّ الإبلَ تبرُكُ حتَّى يُحمَلَ عليها ثمَّ تقومُ، فكذلكَ تلكَ السُّرُرُ تتطامنُ ثمَّ ترتفعُ.

قولُه: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؛ أي: رُفعَت من الأرضِ حتَّى لا ينالُها شيءٌ ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾؛ أي: نُصبَت على الأرضِ بحيثُ لا تزولُ ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؛ أي: بُسطَت.

أي: أفلا يَدْرونَ أنَّ المُكوَّناتِ لا بدَّ لها من مُكوِّنٍ، وقدَّمَ الإبلَ في الذِّكرِ، ولو قدَّمَ غيرَها لجازَ، وليسَ هذا ممَّا يُطلبُ فيهِ نوعُ حكمةٍ، وقد قيلَ: هيَ أقربُ إلى التَّأمُّلِ[٢] في حقِّ العربِ؛ لكثرتِها عندَهم، وهم من أعرفِ النَّاسِ بها، وأيضاً: مَرافقُ الإبلِ أكثرُ من مرافقِ الحيواناتِ الأُخَرِ؛ فهيَ مأكولةٌ، ولبنُها مشروبٌ، وتصلحُ للحملِ والرُّكوبِ وقطعِ المسافاتِ البعيدةِ عليها، والصَّبرِ على العطشِ، وقلَّةِ العَلَفِ، وكثرةِ الحَمْلِ، وهي مُعظَمُ أموالِ العربِ، وكانُوا يسيرونَ على الإبلِ منفردينَ مستوحشينَ عن[٣] النَّاسِ،

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٧٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٧٣)، عن قتادة.

(٢) في الأصل: «التأميل»، وفي «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٥٣): «الناس»، والمثبت هو الأنسب بالسياق.

(٣) في الأصل: «على»، والمثبت من المصدر السابق.

ومَن هذا حالُه تفكَّرَ فيما يحضرُه، فقد ينظرُ في[١] مركوبِه، ثمَّ يمدُّ بصرَه إلى السَّماءِ، ثمَّ إلى الأرضِ، وأُمروا بالنَّظرِ في هذه الأشياءِ، فإنَّها مِن أدلِّ الدَّليلِ على الصَّانعِ المختارِ القادرِ.

***

(٢١ ـ ٢٦) ـ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

قولُه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾؛ أي: اصبرْ على تذكيرِهم بهذه الحُجَجِ، فإنْ نَجَعَ الوعظُ وإلَّا فالنَّارُ بينَ أيديهم.

قولُه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾؛ أي: بمسَلَّطٍ فتقتلَهم، ثمَّ نَسَخَتْها آيةُ القتالِ.

وقيلَ: أي: لا يُمكنُكَ خَلقُ الإيمانِ فيهم.

قولُه: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ أرادَ: ذكِّرْ إلَّا مَن تولَّى.

وقالَ الفرَّاءُ: أي: ذكِّرْ إلَّا مَن لا تطمعُ فيهِ[٢].

وقيلَ: أي: لستَ عليهم بمسيطرٍ، إلَّا على مَن تولَّى وكفرَ فستكونُ عليهم مسيطراً إذا أذِنَّا لك في قتالِهم.

قولُه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾؛ أي: رُجوعَهم بعدَ الموتِ، وقرأَ أبو جعفرٍ: ﴿إيَّابهم﴾ بتشديدِ الياءِ[٣]، قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: «أيَّبَ إيَّاباً» على فَيْعَلَ فِيْعالاً، والأصلُ: إيوابٌ، فأُدغمت الياءُ في الواوِ وانقلبتِ الواوُ إلى الياءِ لأنَّها سُبقت بالسُّكونِ[٤].

---

(١) في الأصل: «فقدر في»، والمثبت من المصدر السابق.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٤٠٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٩).

وقالَ أبو حاتمٍ: لا يجوزُ التَّشديدُ، ولو جازَ فيهِ لجازَ الصِّيَّامُ والقِيَّامُ(١).

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾؛ أي: نُحاسبُهم إذا رجعوا إلينا، تقولُ: عليَّ هذا الأمرُ؛ أي: فأنا قادرٌ عليه مليٌّ به.

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٨٥).

سُورَةُ الفَجْرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أَقْسَمَ بالفجرِ واللَّيالي العشرِ، والشَّفعِ والوترِ، واللَّيل إذا يسرِ؛ فقالَ قومٌ: الجميعُ يرجعُ إلى أمرِ المناسكِ، أقسمَ بها تنبيهاً على عظيمِ قدرِها، والفجرُ: فجرُ يومِ النَّحرِ؛ لأنَّه يتعلَّقُ به فواتُ الحجِّ في حقِّ مَن لم يقفْ بعرفةَ[1]، وهوَ فجرُ يومِ القُربانِ.

وقيلَ: أرادَ فجرَ ذي الحِجَّةِ؛ لقولِه: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

واللَّيلُ المقسَمُ به ليلةُ جَمعٍ، وفيها يسيرُ الحجيجُ من عرفاتٍ إلى المزدلفةِ، ثمَّ يمتدُّونَ[2] إلى منى.

وليالي العشرِ: ليالي ذي الحِجَّةِ.

وأمَّا الشَّفعُ والوترُ فقد قيلَ: الشَّفعُ: اليومانِ بعدَ النَّحرِ، والوترُ: الثَّالثُ، وهوَ يومُ النَّفرِ الأخيرِ.

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٦): جعل الله تعالى لكل يوم ليلة قبله، إلا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا بعده؛ لأن يوم عرفة له ليلتان: ليلة قبله وليلة بعده، فمن أدرك الموقف ليلةً بعد يوم عرفة فقد أدرك الحج إلى طلوع فجر يوم النحر.

(٢) كذا في الأصل، والأولى: «يفيضون»، فإن المستعمل في مثل هذا لفظ الإفاضة، قال الأصمعي: يُقَال: أفاض من عرفة إِلَى منًى؛ أي: دفع. انظر: «أمالي القالي» (١/ ٢٧٤).

وقيلَ: الشَّفعُ: يومُ عرفةَ ويومُ النَّحرِ، والوترُ: ليلةُ جمعٍ، وهيَ ليلةُ الأضحى بينهما.

وقيلَ: الوترُ: تسعةُ أيَّامٍ من العَشْرِ، ويومُ عرفةَ آخرُهنَّ.

وقيلَ: الشَّفعُ: أيَّامُ النَّحرِ، والوَتْرُ: يومُ عرفةَ.

وقيلَ: الشَّفعُ: الصَّفا والمروةُ، والوَتْرُ: البيتُ.

وقيلَ: الشَّفعُ: القِرانُ في الحجِّ، والوَتْرُ: الإفرادُ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ يُسارُ فيهِ؛ كما يُقالُ: ليلٌ نائمٌ؛ لوقوعِ النَّومِ فيه.

وقيلَ: ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾؛ أي: إذا يمضي، يُقالُ: سرى اللَّيلُ: إذا مضى، ومرَّ النَّهارُ؛ أي: ذهبَ، فيُسمَّى اللَّيلُ سارياً لمرورِه، كما يُسمَّى النَّجمُ طارقاً لمجيئِه باللَّيلِ.

وقالَ قومٌ: ليسَت هذه الأشياءُ المقسمُ بها مُتعلِّقةً بأمورِ المناسكِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الفجرُ: هوَ الصُّبحُ الصَّادقُ والكاذبُ[1].

وقيلَ: يعني: العيونَ الَّتي تنفجرُ منها المياهُ، وفيها حياةُ الخلقِ.

وقيلَ: أقسمَ بصلاةِ الفجرِ.

وقيلَ: أقسمَ بفجرِ المحرَّمِ، ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ يعني: عشرَ المحرَّمِ.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٢٦) من طريق أبي نصر الأسدي عن ابن عباس بلفظ: «هو الفجرُ الذي تَرَوْن من المَشرق، يقولُ: فجرُ النَّهار». ومن الطريق نفسه رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٤٦٩)، والفريابيّ وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٨)، بلفظ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾: فجر النهار. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٣٧) من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم.

وقيلَ: العشرُ الأواخرُ من شهرِ رمضانَ.

وأمَّا الشَّفعُ[١] فهوَ الزَّوجُ، والوِترُ هوَ الفردُ، وقُرِئَ: ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ بالفتحِ[٢]، وهي قراءةُ أهلِ المدينةِ.

قالَ يونسُ: أهلُ العاليةِ يقولونَ: «الوَتْر» بالفتحِ في العددِ، و«الوِتْر» بالكسرِ في الذَّحْلِ، وتميمٌ يقولونَ: «وِتر» في العددِ والذَّحْلِ [سواء][٣].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: الوترُ: آدمُ شُفِعَ بزوجتِه[٤].

وفي روايةٍ: الشَّفعُ: آدمُ وحوَّاءُ، والوترُ: هوَ الله تعالى[٥].

وقيلَ: الوترُ: ما كانَ وتراً من الصَّلواتِ كالمغربِ، والشَّفعُ: ما كانَ شفعاً منها.

وقيلَ: الشَّفعُ: هوَ الخَلْقُ كلُّه، والوِتْرُ: هوَ اللهُ.

وقيلَ: الشَّفعُ والوترُ هم الخَلقُ؛ لأنَّهم شفعٌ ووترٌ، فكأنَّه أقسمَ بالخَلقِ.

وقيلَ: الشَّفعُ: درجاتُ الجنَّةِ، وهي ثمانٍ، والوترُ: دركَاتٌ[٦]، وهي سبعٌ.

---

(١) بعدها في الأصل كلمة: «والزكا» ولعله سهو أو تحريف.

(٢) قرأ حمزة والكسائيُّ بكسر الواو، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

(٣) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٣٠)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٥١٢)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٢٣)، و«البسيط» (٢٣/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨)، و«اللسان» (مادة: وتر)، وما بين معكوفتين من المصادر. وعكس الجوهري في «الصحاح» (مادة: وتر) قول أهل العالية فنقل عنهم كسر الواو في العدد وفتحها في الذحل.

(٤) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٥٢٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٩١).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٧) من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه.

(٦) كذا في الأصل، والأولى: «دركاتها».

وقيلَ: الشَّفعُ: صفاتُ الخلقِ كالجهلِ والعلمِ، وكالعجزِ والقدرةِ، والوتْرُ: انفرادُ صفاتِ الله من علمٍ بلا جهلٍ، وقدرةٍ بلا عجزٍ.

وقيلَ: المرادُ بالشَّفعِ والوِتْرِ: العددُ كلُّه؛ لأنَّ العددَ لا يخلو عنهما، فهوَ إقسامٌ بالحسابِ.

وقالَ مقاتلٌ: الشَّفعُ: الأيَّامُ واللَّيالي، والوترُ: اليومُ الَّذي لا ليلَ بعده، وهوَ يومُ القيامةِ[١].

وأمَّا ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، فالمرادُ جمعُ اللَّيالي، وسُراها هوَ السَّيرُ فيها، أو مضيُّها كما سبقَ.

وقالَ قتادةُ: ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾؛ أي: إذا جاءَ وأقبلَ[٢].

قُرِئَ: ﴿يَسْرِي﴾ بالياءِ، وقُرِئَ بحذفِها[٣] نظراً إلى رؤوسِ الآي.

* * *

(٥) ـ ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾.

قولُه: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ هذا استفهامُ تقريرٍ؛ كقولِكَ: أَلَمْ أُنْعِمْ عليك؟! إذا كنتَ قد أَنْعَمْتَ؛ أي: إنَّ هذا القسمَ فيهِ كفايةٌ لِمَن كانَ ذا عقلٍ، والحِجْرُ: العقلُ والحِجَا، والأصلُ فيهِ المنعُ، والعقلُ يمنعُ من القبيحِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٠٧) عن مقاتل بن حيان.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣١٢)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٧)، عن قتادة تفسيره بقوله: «إذا سار».

(٣) أثبت الياء بعد الراء وصلًا نافع وأبو عمرو، وأثبتها في الحالين ابن كثير، وحذفها الباقون مطلقاً. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

وجوابُ القسمِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾. وقيلَ: جوابُ القسمِ محذوفٌ.

ثمَّ يحتمِلُ أن يكونَ المرادُ: إنَّ في هذه الأشياءِ كفايةً في الإقسامِ بها للمُقسمِ له، ويحتمِلُ أنَّ فيها كفايةً للحالفِ حتَّى يقتصِرَ عليها.

* * *

(٦) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: والفجرِ وكذا وكذا إنَّ ربَّكَ لبالمرصادِ؛ أي: مُرصِدٌ لعبيدِه ثوابَ ما يستحقُّونَه على أعمالِهم، أَلَا ترى ما صنعَ بعادٍ فعجَّلَ لهم العقوبةَ في الدُّنيا؟ وقد يُؤخِّرُ العقوبةَ لأقوامٍ إلى الآخرةِ، فقولُه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: أَلَم يَنْتهِ عِلْمُكَ إلى ما فعلَ ربُّكَ بعادٍ؛ أي: أهلكَهم وكانُوا أطولَ أعماراً وأشدَّ قوَّةً وأبداناً من هؤلاءِ الكفَّارِ، وهذه الرُّؤيةُ رؤيةُ القلبِ. والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ عامٌّ.

وكانَ أمرُ عادٍ وثمودَ مشهوراً عندَهم؛ إذ كانُوا في بلادِ العربِ، وحِجْرُ ثمودَ موجودٌ اليومَ، وأمرُ(١) فرعونَ كانُوا سمعوه من جيرانِهم من أهلِ الكتاب واستفاضَتْ به الأخبارُ، وبلادُ فرعونَ متَّصلةٌ بأرضِ العربِ.

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ قيلَ: ﴿إِرَمَ﴾ قبيلةٌ من قبائلِ عادٍ، وقيلَ: هما عادان: عادٌ الأولى وهيَ إرَم؛ أي: ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعادٍ الأولى؛ كما قالَ في سورةِ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥٠ ـ ٥١].

---

(١) في الأصل كلمة مشطوب عليها، وكتب في الهامش: «وَإِرَمْ». والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢٦٦/٢٢).

وقالَ مَعْمرٌ: إرَمُ إليه مجمعُ عادٍ وثمودَ، وكانَ يُقالُ: عادُ إرَمَ، وثمودُ إرَمَ(١)، فكانَت القبائلُ تُنسبُ إلى إرم.

وقالَ محمَّدُ بنُ إسحاقَ: عادٌ هوَ ابنُ إرَمَ بنِ عَوْصِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ(٢).

وقيلَ: عادُ بنُ عَوصِ بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ(٣). فإرمٌ جدُّ عادٍ، وعلى الأَوَّلِ أبو عاد، وصارَ عادٌ اسمَ القبيلةِ؛ كما يُقالُ: هؤلاءِ تغلِبُ؛ أي: قبيلةُ تغلبَ.

و«إرمُ» لا ينصرفُ؛ لأَنَّها جُعلت اسماً للقبيلةِ، ومن قالَ: «إرمُ» اسمُ شخصٍ واحدٍ، فهوَ اسمٌ أعجميٌّ معرفةٌ، ولا ينصرفُ.

وقيلَ: «إرمُ» اسمٌ لبلدتِهم الَّتي كانُوا فيها.

﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ أُنِّثَ لأنَّ القبيلةَ تُؤنَّثُ وإن كانَت مُسمَّاةً باسمِ أبٍ من آبائِهم، تقولُ: أقبلَت تغلبُ، ومَن قالَ: «إرمُ» اسمُ مدينةٍ، حملَ التَّأنيثَ على ذلكَ، ثمَّ قيلَ: تلكَ المدينةُ الإسكندريَّةُ، وقيلَ: دمشقُ.

وقيلَ: «إرمُ» أعلامٌ كانَ قومُ عادٍ يبنونَها على هيئةِ المنارِ وعلى هيئةِ القبورِ.

وقالَ أبو الدُّقيش: الأُرُومُ: قبورُ عادٍ(٤).

---

(١) لم أجده عن معمر، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩٦) (ط: إحياء التراث) عن الكلبي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٣).

(٣) هو عن ابن إسحاق أيضاً كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٧).

(٤) انظر: «العين» (٨/ ٢٩٦). وأبو الدّقيش القنّاني الغنويّ، كذا ذكره القفطي في «إنباه الرواة» (٤/ ١٢١، ولم يزد، وكان معاصراً للخليل وفي «العين» نقل كثير عنه، والظاهر أنه كان أعرابيًّا عارفا باللغة. وفي «العين» (١/ ١٩٠): وقلنا لأبي الدقيش: ما الدُّقيش؟ قال: لا أدري، ولم أسمع له تفسيراً. قلنا: فتكنّيتَ بما لا تدري؟! قال: الأسماء والكُنى علامات، من شاء تسمى بما شاء، لا قياس ولا حتم.

فأُضيفَ عاد إلى تلكَ الأعلامِ أو تلكَ البلدةِ، والمشهورُ أنَّ منازلَ عادٍ كانَت بالشِّحْرِ بينَ عُمانَ إلى حضرموتَ[١]، وهوَ بلادُ الرِّمالِ والأحقافِ؛ كما قالَ: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١].

ثمَّ المعنيُّ بـ﴿ٱلْعِمَادِ﴾: أنَّهم كانُوا أصحابَ عَمَدٍ وخيامٍ يَنتجِعونَ الغيوثَ وينتقلونَ مع الكلأِ أينَ كانَت ثمَّ يرجعونَ إلى منازِلِهم، والعَمَدُ إنَّما تكونُ للأخبيةِ والخيامِ، والعِمادُ بمعنى: العمودِ، وقد يكونُ جمعَ العَمَدِ.

وقيلَ: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾؛ أي: ذاتِ الأبنيةِ المرفوعةِ على العَمَدِ، وكانُوا ينصبونَ الأعمدةَ فيبنونَ فوقَها القصورَ.

وقيلَ: إنَّما قالَ لهم: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾؛ لطولِ أجسامِهم وقوَّتِها، يُقالُ: رجلٌ طويلُ العمادِ؛ أي: القامةِ، ورجلٌ مُعَمَّدٌ؛ أي: طويلٌ.

قالَ مقاتلٌ: كانَ طولُهم اثني عشرَ ذراعاً[٢]، وقالَ عطاءٌ: خمس مائةِ ذراعٍ، والقصيرُ منهم ثلاثمائةِ ذراعٍ بذراعِ نفسِه[٣].

﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾؛ أي: لـم يُخْلَـقْ فـي سـائرِ البلادِ مثلُهـم في طولِ

---

(١) وفي «معجم البلدان» (٣/ ٣٢٧): الشِّحْر: منطقة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ما بين عدن وعمان.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٦)، عن قتادة. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٨) عن الحسن.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٣). وهذا وأمثاله من المبالغات باطلٌ؛ لأنَّ في البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ الله خلقَ آدم طولُه سِتُّون ذراعًا في الهواء، فلمْ يَزَل الخلقُ يَنقصُ إلى الآنَ. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٣٩١).

أجسامِهم وشدَّتِهم وقوَّتِهم، والكنايةُ في قولِه: ﴿مِثْلُهَا﴾ ترجعُ إلى ﴿عَادٍ﴾ أو إلى ﴿إِرَمَ﴾، وفي حرفِ عبدِ اللهِ: (الذي[1] لم يُخلَقْ مثلُهم في البِلادِ).

وقيلَ: أي: لم يُخلقْ مثلُ أبنيةِ عادٍ المرفوعةِ[2] بالعَمَدِ، فالكنايةُ للعمادِ، والعمادُ على هذا: جمعُ عَمَدٍ.

* * *

(٩ - ١٣) - ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ كانُوا لقوَّتِهم يَجوبونَ[3] الصُّخورَ، وينقبونَ الجبالَ، ويجعلونَها بيوتاً.

والجَوْبُ: القطعُ، يُقالُ: جابَ يَجوبُ جوباً، وجابَ يَجِيبُ جَيْباً.

﴿بالوادِي﴾[4]؛ أي: بوادي القُرى، وقيلَ: الوادي كانَ بينَ جبالٍ، فكانُوا ينقُبون في تلكَ الجبالِ بيوتاً ودُوراً وأحواضاً، والوادي: كلُّ مُنفرَجٍ بينَ جبالٍ وتلالٍ يكونُ مسلكاً للسَّيلِ ومنفذاً.

---

(١) كذا في الأصل، وفي «تفسير السمعاني» (٦/ ٢٢٠): «الذين»، وفي «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٩٦): «التي».

(٢) في الأصل: «المعرفة»، وفي «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٧٠): «المعروفة»، ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) شطب عليها في الأصل وكتب في الهامش: «يحفرونَ»، وفي «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٧١): «يخرجون».

(٤) قرأ هكذا بإثبات الياء في الحالين البزي ويعقوب، ووصلًا ورش وقنبل، واختلف عن قنبل في الوقف على قولين، وحذفها الباقون في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠).

قـولُه: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ﴾ ذكرنا أوتادَه في ﴿صٓ﴾، قيلَ: كـانَ يعذِّبُ النَّاسَ بالأوتادِ ويشدُّهم بها إلى أن يموتوا؛ تجبُّراً منهُ وعُتُوًّا، وهكذا فعلَ بامرأتِه.

وقـالَ أبو هريـرةَ: وَتَـدَ لامرأتِه أربعـةَ أوتـادٍ وأضجعَها على صدرِهـا، وجعلَ علـى صدرِهـا رحًـى، واسـتقبلَ بهـا عيـنَ الشَّـمسِ، فرفعَـت رأسَـها إلى السَّـماءِ، وقالَـت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، ففـرجَ اللهُ عـن بيتِهـا فـي الجنَّـةِ فرأته[1].

وقيلَ: ﴿ذِي ٱلْأَوْتَادِ﴾؛ أي: ذي المُلْكِ والرِّجالِ.

وقيلَ: أوتادُه: ملاعبُ ومظالُّ كانُوا يلعبونَ تحتَها.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ يعني: عاداً وثمودَ وفرعونَ ﴿طَغَوْاْ﴾؛ أي: تمرَّدوا وعَتَوا ﴿فَأَكْثَرُواْ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرضِ ﴿ٱلْفَسَادَ﴾؛ أي: المعاصيَ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ أي: لم يمنعْ عذابَ اللهِ عنهم مانعٌ، فاحذروا مثلَ ذلك.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: جعلَ سَوْطَهم الَّذي ضربَهم به العذابَ[2]، يُقالُ: ساطَ دابَّتَه يَسُوطُها؛ أي: ضربَها بالسَّوْطِ.

والصَّبُّ: الإلقاءُ، يُقالُ: صبَّ على فلانٍ دلقةً[3]؛ أي: ألقاها عليه.

* * *

---

(١) رواه قاسم بن ثابت في «الدلائل في غريب الحديث» (٥٣٦)، وعبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٩)، وأبو يعلى في «مسنده» كما في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٨)، و«المطالب العالية» (٣٧٦٢). قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». وقال ابن حجر: «صحيح موقوف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٢)، ولفظه: «جعل سوطه الذي...».

(٣) كذا في الأصل، وفي «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٧٣): «خلعة».

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾؛ أي: يَرْصُدُ عملَ كلِّ إنسانٍ حتَّى يُجازِيَه.

وقيلَ: أي: عليه طريقُ العبادِ لا يفوتُه أحدٌ.

وقيلَ: أي: يرصُدُ بالعذابِ مَن كفرَ به.

قولُه: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ عُتبةَ بنَ ربيعةَ وأبا حذيفةَ بنَ المغيرةِ[١]، وقيلَ: أُميَّةَ بنَ خلف[٢]، وقيلَ: أُبيَّ بنَ خلف[٣].

والإنسانُ هاهنا: الكافرُ، ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: امْتَحَنه بالغنى ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾؛ أي: رزقَه الحظَّ من الدُّنيا، وأنعمَ عليه بأن أعطاهُ الخيرَ، وليسَ هذا إكرامَ عزٍّ، بل إكرامُ نعمةِ الدُّنيا.

﴿فيَقُولُ رَبِّيْ أَكْرَمَنِي﴾[٤]؛ أي: ظنَّ أنَّ ما أعطاه اللهُ لكرامتِه وفضيلتِه عندَ اللهِ.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾؛ أي: امتحنَه بالفقرِ ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾؛ أي: ضيَّقَ عليه، قالَ: هذا إهانةٌ من اللهِ لي، ولم يشكرِ اللهَ على ما وهبَ له من سلامةِ الجوارحِ،

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٩) عن الكلبي، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٢١) عن الكلبي ومقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٦٩٠).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨) عن الكلبي.

(٤) أثبت الياء فِي الحالين البزي، وأثبتها في الوصل نافع، وخيَّر فيهما أبو عمرو، وقياس قوله في رؤوس الآي يُوجب حذفها، والباقون بحذفها مطلقاً. انظر: «التيسير» (ص: ٢٢٣)، و«البدور الزاهرة» (ص: ٣٤٢).

وتـركَ الشُّـكرَ في محلِّـه والصَّبرَ فـي محلِّـه؛ أي: هذا الكافـرُ لا يؤمـنُ بالبعثِ ولا يعـرفُ إلَّا الدُّنيا.

قُرِئَ: ﴿فَقَدَرَ﴾ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[1]؛ أي: ضيَّقَ.

* * *

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾.

﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ليـسَ الأمـرُ كما يَظـنُّ، فليسَ الغِنَـى لفَضيلتِه، ولا الفقـرُ لهوانِه، بـلِ اللهُ يُغني ويُفقـرُ، وهما من قضـاءِ اللهِ.

وقيلَ: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لم يكن ينبغي له أن يكونَ هكذا، بل كانَ ينبغي أن يحمدَه على الغنى والفقرِ.

﴿بَـلْ لا يُكْرِمونَ اليَتِيْمَ﴾؛ أي: ليسوا مُهانينَ كما توهَّموا، بل إنَّهم لقساوةِ قلوبِهم وشُحِّهم لا يُكرمونَ اليتيمَ، فمُثْبِتُ[2] إهانتِهم هذا.

قُرِئَ: ﴿يُكرِمونَ﴾ بالياءِ؛ لأنَّه تقدَّمَ ذِكْرُ الإنسانِ والمرادُ به الجنسُ، فيعبَّرُ عنه بلفظِ الجمعِ، قالَ الله: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، وقُرِئَ: ﴿تُكۡرِمُونَ﴾ بالتَّاءِ[3]؛ أي: قُل لهم ذلكَ.

---

(١) قرأ بالتشديد ابن عامر وأبو جعفر، والباقون بالتخفيف. انظر: «النشر» (٢/ ٤٠٠)، ولم ترد في «السبعة» و«التيسير». وذكرها الداني في «جامع البيان» (٤/ ١٧٠٠) وقال: ولم يذكر ابن مجاهد هذا الحرف في كتابه.

(٢) غير واضحة في الأصل، ويمكن أن تقرأ: «فثبتت».

(٣) قـرأ باليـاء فـي هذه الأفعال أبـو عمرو، والباقـون بالتاء. انظر: «السـبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسـير» (ص: ٢٢٢).

وتركُ إكرامِ اليتيمِ بدَفْعِه عن حقِّه وأَكلِ مالِه، وبتركِ البرِّ في حقِّه.

قالَ مقاتلٌ: نزلَت في قُدامةَ بنِ مظعونٍ، وكانَ يتيماً في حجرِ أُميَّةَ بنِ خلفٍ(١).

﴿**ولا يَحضُّونَ على طَعَامِ المِسْكِيْنِ**﴾؛ أي: لا يُطعمونَ مسكيناً ولا يأمرونَ بإطعامِه، وقُرِئَ: ﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ﴾(٢)؛ أي: لا تتحاضُّونَ؛ أي: لا يحضُّ بعضَكم بعضاً.

﴿**ويَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا**﴾ قيلَ: كانُوا يأكلونَ مواريثَ الأيتامِ، كالعمِّ يلي مالَ ابنِ أخيه فيأكلُه، ولهذا قالَ: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾ [النساء: ٢]، وأصلُ التُّراثِ: وُرَاثٌ، والتَّاءُ تُبدلُ من الواوِ المضمومةِ، نحو: تُجاهٍ ووُجاهٍ، من واجَهْتُ.

﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ يُقال: لَمَمْتُه أجمع؛ أي: أتيتُ على آخرِه.

وقالَ اللَّيثُ: اللَّمُّ: الجمعُ الشَّديدُ، ومنه: حَجَرٌ مَلْمومٌ، وكتيبةٌ مَلمومةٌ، والآكِلُ يَلُمُّ الثَّريدَ فيجمعُه لُقَماً ثمَّ يأكلُه(٣).

ويُقالُ: لَمَمْتُ ما على الخِوانِ أَلُمُّه؛ أي: أكلتُه أجمعَ(٤).

واللَّمُّ مصدرٌ جُعِلَ نعتاً للأكلِ؛ أي: أكلاً لامّاً؛ أي: جامعاً، كأنَّهم يستوعبونَه بالأكلِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥١١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٢١).

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي، والباقون دون ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

(٣) انظر: «العين» (٨/ ٣٢٢)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٤٧)، و«البسيط» (٢٣/ ٥١٣).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٧٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٣٥٠)، و«البسيط» (٢٣/ ٥١٣). ونسبه الثعلبي لأبي عبيدة.

﴿ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الجمُّ: الكثيرُ، يُقالُ: جمَّ الشَّيءُ يَجُمُّ جُموماً، فهوَ جَمٌّ وجامٌّ، وقالَ أبو عمرو: يَجُمُّ ويَجِمُّ؛ أي: يكثرُ، والمعنى: أنَّهم مُوْلَعونَ بجمعِ المالِ فلا ينفقونَه في خيرٍ.

* * *

(٢١ ـ ٢٣) ـ ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾؛ أي: لا ينبغي أن يكونَ هكذا، فهوَ ردٌّ لقصرِهم الهمَّةَ على الدُّنيا، فإنَّ مَن فعلَ ذلكَ يندمُ يومَ تُدَكُّ الأرضُ دكّاً، والدَّكُّ: الكسرُ؛ أي: زُلْزِلتِ الأرضُ وحُرِّكتْ تحريكاً بعدَ تحريكٍ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: زُلْزِلَت فَدَكَّ بعضُها بعضاً[١].

وقالَ المبرِّدُ: أي: أُلصِقَتْ وذَهبَ ارتفاعُها؛ يُقالُ: ناقةٌ دَكَّاءُ؛ أي: لاصقةُ السَّنامِ[٢].

ومعنى التَّكريرِ في قولِه تعالى: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أنَّه يقعُ في دفعاتٍ؛ أي: دُكَّتْ دَكّاً بعدَ دَكٍّ، ومنه سُمِّيَ الدُّكَّانُ لاستوائِه في الانفراشِ، فالدَّكُّ: حَطُّ المرتفِعِ بالبَسْطِ.

قولُه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قالَ الحسنُ: جاءَ أمرُ ربِّكَ[٣]، وهوَ من بابِ حَذْفِ المضافِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٣)، و«البسيط» (٢٣/ ٥١٦).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٥١٦).

(٣) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٥١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٨٤) من رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيلَ: أي: جاءهمُ الرَّبُّ بالآياتِ العظيمةِ، فهوَ كقولِه: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: بظُلَلٍ.

وقيلَ: جُعلَ مجيءُ الآياتِ مجيئاً له؛ تفخيماً لشأنِ تلكَ الآياتِ.

وقيلَ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾؛ أي: زالتِ الشُّبَهُ ذلكَ اليومَ، وصارتِ المعارفُ ضروريَّةً، كما يزولُ الشَّكُّ عندَ مجيءِ الشَّيءِ الَّذي كانَ يُشَكُّ فيه.

قولُه: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾؛ أي: ملائكةُ كلِّ سماءٍ في صفٍّ، وقولُه: ﴿صَفًّا صَفًّا﴾؛ أي: صفّاً بعدَ صفٍّ.

قولُه: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ قيلَ: جيءَ بها مزمومةً بسبعينَ ألفَ زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفاً يجرونَّها حتَّى تنصَبَ عن يسارِ العرشِ(١).

وقيلَ: أي: يُكشفُ عنها حتَّى يراها الخلقُ عياناً.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: حينئذٍ يتذكَّرُ هذا الإنسانُ الَّذي معظمُ هِمَّتِه الدُّنيا ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: يُظهرُ التَّوبةَ، ومِن أينَ له التَّوبةُ ذلكَ اليومَ؟ أي: لا تنفعُه النَّدامةُ يومئذٍ، فـ[شبَّه](٢) عدمَ فائدةِ التَّذكُّرِ بعدمِ التَّذكُّرِ، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بمعنى التَّذكُّرِ.

وقد تكونُ ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بمعنى: التَّذكيرِ كقولِه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، فعلى هذا ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: لا يُذكَّرُ غداً؛ لأنَّه لا ينفعُ التَّذكيرُ في ذلكَ اليومِ.

* * *

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢) من حديث عن عبد الله بن مسعود رضي اللَّه عنه، دون قوله: «حتى تنصب...».

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾.

قولُه: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾؛ أي: قدَّمتُ الخيرَ، فحُذفَ للعلمِ به.

﴿لِحَيَاتِي﴾؛ أي: لآخرتي الَّتي لا موتَ فيها.

وقيلَ: حياةُ أهلِ النَّارِ ليست هنيَّةً، فكأنَّهم لا حياةَ لهم، فالمعنى: يا ليتني قدَّمتُ الخيرَ لنجاتي مِن النَّارِ، فأكونَ ممَّن له حياةٌ هنيَّةٌ.

قولُه: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾؛ أي: لا يعذِّبُ أحدٌ كعذابِ اللهِ، ولا يُوثِقُ أحدٌ كوَثاقِ اللهِ للكفَّارِ بالسَّلاسل والأغلالِ، والكنايةُ ترجعُ إلى اللهِ.

وقيلَ: أي: لا يملكُ ذلكَ اليومَ أحدٌ لأحدٍ عذاباً وتخليصاً، بلِ الأمرُ كلُّه للهِ.

وقُرِئَ: ﴿لا يُعَذَّبَ﴾ بفتحِ الذَّالِ ﴿ولا يُوثَقُ﴾ بفتحِ الثَّاءِ[1]؛ أي: لا يُعذَّبُ أحدٌ في الدُّنيا كعذابِ اللهِ الكافرَ يومئذٍ.

وقيلَ: أي: لا يُعذَّبَ عذابَ هذا الكافرِ أحدٌ.

وقيلَ: أي: لا يُعذَّبُ أحدٌ ليسَ بكافرٍ عذابَ الكافرِ.

وقيلَ: يرجعُ هذا إلى رجلٍ مُعيَّنٍ من الكفَّارِ، وهوَ أُميَّةُ بنُ خلفٍ أو غيرُه ممَّن ذكرْنا؛ أي: لا يُعذَّبُ كافرٌ كعذابِ هذا الكافرِ المعيَّنِ.

وقيلَ: أي: لا يُعذَّبَ مكانَه أحدٌ، ولا يُؤخذُ منهُ فداءٌ.

والعذابُ بمعنى التَّعذيبِ، والوَثاقُ أيضاً بمعنى الإيثاقِ.

* * *

---

(١) هي قراءة الكسائي، والباقون بالكسر فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

(٢٧ ـ ٣٠) ـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

قولُه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ لمَّا ذكرَ حالَ مَن كلُّ هِمَّتُه الدُّنيا واتَّهمَ اللهَ في إغنائِه وإفقارِه، ذكرَ حالَ مَن اطمأنَّت نفسُه إلى اللهِ، فسلَّمَ لأمرِه، فاتَّكلَ عليه؛ أي: مَن وثقَت نفسُه باللهِ ورجعَ إلى ربِّه راضياً بثوابِ الله مرضيَّ الأعمالِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: المطمئنَّةُ بثوابِ اللهِ(١).

وقيلَ: أي: الَّتي عمِلَت على يقينٍ بما وعدَ اللهُ في كتابِه.

وقيلَ: أي: المطمئنَّةُ بالإيمانِ.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يُقال هذا عندَ خروجِها من الدُّنيا؛ أي: ارجعي إلى الله ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثَّوابِ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عنك، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾؛ أي: في جملةِ عباديَ الصَّالحينَ، وهذا إنَّما يُقالُ في الآخرةِ؛ أي: يقولُ لها الملكُ عندَ الوفاةِ: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، وفي الآخرةِ: ادخلي الجنَّةَ.

وقيلَ: كلُّ هذا يُقالُ لها في الآخرةِ؛ أي: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنةُ من عذابِ اللهِ ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ أي: إلى ثوابِ ربِّك وكرامتِه.

وقيلَ: يُقال غداً لرُوحِ المؤمِنِ: ارجعِي إلى صاحبِك الَّذي خرجتِ منه، ولهذا قرأَ ابنُ عبَّاسٍ: (فادخُلِي فِي عَبدِي) على التَّوحيدِ(٢).

* * *

(١) لم أجده عن ابن عباس، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٨١) دون عزو، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٣) عن ابن عباس قوله: «المطمئنة: المصدقة».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٠). وزاد ابن جني نسبتها لعكرمة والكلبي وأبي شيخ الهنائي والضحاك وابن السميفع.

سُورَةُ البَلَدِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ قولُه: ﴿لَآ﴾ ردٌّ لمَا توهَّم الإنسانُ المذكورُ في هذه السُّورةِ المغرورُ بالدُّنيا؛ أي: ليسَ الأمرُ كما يَحْسَبُه مِن أنَّه لن يقدِرْ عليه أحدٌ، ثمَّ ابتدأَ القَسَمَ.

والبلدُ: مكَّةُ، أجمعوا عليه؛ أي: أُقسِمُ بالبلدِ الحرامِ، ونزلَت السُّورةُ بمكَّةَ.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ أي: حلالٌ؛ أي: هم يُحرِّمونَ[١] مكَّةَ، ثمَّ مع هذا أنتَ حِلٌّ لهم عندَ أنفسِهم، لا يرونَ لكَ من الحرمةِ ما يرونَه لغيرِكَ، فـ«الحِلُّ» بمعنى: الحلالِ والمحلَّلِ، وكذلكَ «الحِرْمُ» في معنى: الحرامِ والمحرَّمِ.

وقالَ اللَّيثُ: الحلُّ: الرَّجلُ الَّذي خرجَ من إحرامِه، أو لم يُحرِمْ[٢].

وقالَ مجاهدٌ: أُحلَّ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يصنعَ به ما شاءَ[٣].

وقالَ قتادةُ: أنتَ به حلٌّ لستَ بآثمٍ[٤].

وقيلَ: ﴿أنت حِلُّۢ﴾؛ أي: حلالٌ لك أن تقتلَ بمكَّةَ مَن شئتَ، وذلك لأنَّ اللهَ أحلَّ

---

(١) في الأصل: «يحترمون»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٨٠)، و«البسيط» (٢٤/ ٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٣).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤).

لنبيِّه مكَّةَ يومَ الفتحِ، ولم تحلَّ لأحدٍ قبلَه وبعدَه، فكأنَّه لمَّا نبَّهَ على حرمةِ مكَّةَ وعدَ نبيَّهُ أن يُحلَّها له حتَّى يفتحَها ويُقاتلَ فيها، فيكونَ بها حلالاً.

وهذا كلامٌ معترِضٌ بينَ القَسَمِ وبينَ ما نُسِقَ عليه.

وقيلَ: هوَ ثناءٌ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: إنَّكَ غيرُ مرتكبٍ في هذا البلدِ ما يَحرُمُ عليك ارتكابُه؛ معرفةً منك بحقِّ هذا البيتِ، لا كالمُشركينَ الذين يرتكبونَ الكفرَ باللهِ فيه؛ أي: أُقسمُ بهذا البيتِ المعظَّمِ الَّذي قد عَرَفْتَ حُرْمتَه، فأنتَ مقيمٌ فيهِ معظِّمٌ له[1]، غيرُ مرتكبٍ فيهِ ما يحرُمُ عليك.

وقيلَ: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾؛ أي: مقيمٌ بهذا البلدِ نازلٌ فيه؛ أي: حالٌّ به قد عرفَكَ أهلُه بالصِّدقِ والأمانةِ، وهوَ كما قالَ: ﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾ [يونس: ١٦].

قولُه: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ الوالدُ: آدمُ، وما ولدَ: ذرِّيَّتُه، أقسمَ بهم لأنَّهم أعْجَبُ ما خَلَقَ اللهُ على وجهِ الأرضِ؛ لِمَا فيهم من البيانِ والنُّطقِ والتَّدبيرِ، وفيهم الأنبياءُ والدُّعاةُ إلى اللهِ.

وقيلَ: هوَ إقسامٌ بآدمَ والصَّالحينَ مِن ذرِّيَّتِه، فأمَّا الطَّالحونَ فكأنَّهم بهائم.

وقيلَ: الوالدُ: إبراهيمُ، وما وَلَدَ: ذرِّيَّتُه، كأنَّه أقسمَ بمكَّةَ وببانيها إبراهيمَ وسكَّانِها ولدِ إبراهيمَ، ثمَّ يحتملُ أنَّه يريدُ جميعَ ذرِّيَّتِه، ويحتملُ أنَّه يريدُ المسلمينَ من ذرِّيَّتِه.

قالَ الفرَّاء: وصلحَ لفظُ ﴿مَا﴾ للنَّاسِ؛ كقولِه: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣]، وقولِه: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣] وهوَ الخالقُ للذَّكرِ والأنثى[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٣).

وقيلَ: ﴿مَا﴾ مع ما بعدَها في معنى المصدرِ؛ أي: ووالدٍ ووِلادتِه؛ كقولِه: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ بمعنى: العاقرِ الَّذي لا يلدُ(١). فـ﴿مَا﴾ للنَّفي، وعلى هذا لا بدَّ من إضمارِ الموصولِ؛ أي: ووالدٍ والَّذي ما وَلَدَ، وذلكَ لا يجوزُ عند البصريِّينَ(٢).

وقيلَ: يعني: كلَّ والدٍ وكلَّ مولودٍ.

***

(٤) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

قولُه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أقسمَ أنَّه خلقَ الإنسانَ في كَبَدٍ؛ أي: مشقَّةٍ؛ أي: خلقَه ليمتحنَه بمشقَّةِ العباداتِ، والمقصودُ: أنَّه خلقَه للكبدِ، و«في» واللَّامُ يتقاربانِ، تقولُ: إنَّما أنت للعناءِ والنَّصَبِ، و: إنَّما أنت في العناءِ والنَّصَبِ.

وقيلَ: أي: في شدائدِ الدُّنيا والاكتسابِ للمعاشِ.

وقيلَ: هوَ عامٌّ في تعبِ الدُّنيا وتعبِ العباداتِ.

وقالَ الحسنُ: يكابدُ الشُّكرَ على السَّرَّاءِ، ويكابدُ الصَّبرَ على الضَّرَّاءِ(٣).

وقيلَ: هوَ إشارةٌ إلى كافرٍ معيَّنٍ؛ أي: خلَقْناه في تعبٍ، فهوَ في الدُّنيا مشغولٌ بجمعِ المالِ، وفي الآخرةِ مُتعبٌ بالعذابِ.

وقيلَ: خلقناه أطواراً وهوَ في تعبٍ في كلِّها؛ فيكونُ في بطنِ الأُمِّ، ثمَّ في زمانِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦).

(٢) يعني: لا يجوز عندهم حذف الموصول مع ذكر صلته. انظر: «البسيط» (٢٤/ ١٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٨٤).

الإرضاعِ، ثمَّ إذا بلغَ ففي الكدِّ لتحصيلِ المعاشِ، ثمَّ الموتِ، ثمَّ مُساءلةِ الملَكِ وظلمةِ القبرِ، ثمَّ البعثِ والعَرْضِ على اللهِ، إلى أن يستقرَّ به القرارُ؛ إمَّا في جنَّةٍ وإمَّا في نارٍ، فلو كانَ الأمرُ إليه لَمَا اختارَ هذه الشَّدائدَ، ودلَّ هذا على أنَّ له خالقاً دبَّرَه، وقضَى عليه بهذهِ الأحوالِ، فلْيَمْتثِلْ أمرَه.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿فِي كَبَدٍ﴾؛ أي: قائماً مُنتصباً(١). والكَبَدُ: الاستواءُ والاستقامةُ، فهذا امتنانٌ عليه في الخِلْقةِ، يُقالُ: رمَى وأصابَ كبدَ القِرطاسِ(٢)؛ أي: وسطَه، والوسطُ: موضعُ اعتدالِ الشَّيءِ واستقامتِه، ومُكابدةُ الشَّيءِ: ركوبُ معظمِه الَّذي هوَ كالوسطِ منهُ.

وعلى القولِ الأوَّلِ الكَبَدُ: العناءُ، ومنه: تكبَّدَ اللَّبنُ؛ أي: غلظَ واشتدَّ، ومنه الكَبِدُ؛ كأنَّه دمٌ غليظٌ واشتدَّ.

وقيلَ: المرادُ بالكَبَدِ: شدَّةُ الخَلْقِ والقوَّةِ.

قالَ الكلبيُّ: نزلَت في رجلٍ من بني جُمَح يُكنَّى أبا الأشدَّين، كانَ يجعلُ تحتَ قدميه الأديمَ العُكاظِيَّ، ثمَّ يأمرُ بالعشرةِ فيجذبونَه من تحتِ قدميه، فيتمزَّقُ الأديمُ ولم تَزُلْ قدماه(٣).

---

(١) رواه ابن وهب في التفسير من «جامعه» (١١)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٦٤ ـ تكملة التفسير)، وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ رُوي عن ابن مسعود وابن عباسٍ وعكرمةَ ومجاهدٍ وإبراهيمَ النَّخعيِّ وخيثمةَ والضَّحَّاك وغيرِهم: يعني منتصباً.

(٢) كذا وقعت العبارة في الأصل، والذي في المصادر: «يقال: انتزع سهماً فوضعه في كَبِدِ القرطاس». انظر: «العين» (٥/ ٣٣٣)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٧٤)، و«أساس البلاغة» و«اللسان» و«التاج» (مادة: كبد).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٤)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠/ ٢٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٣٨٧)، و«الوسيط» (٤/ ٤٨٩)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٠). وقد اختلف في اسمه ولقبه، فقيل: أبو الأشدين أسيد بن كلدة، وقيل: كلدة بن أسيد،

(٥) ـ ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾.

قولُه: ﴿~~أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه أحد~~﴾؛ أي: أيحسبُ هذا المشركُ المتعزِّزُ بقوَّتِه ومالِه ﴿أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾؛ أي: مع علمِه بأنَّه خُلقَ في كَبَدٍ لا يمكنُه دفعُ ضيقِ الحالِ عن نفسِه، وأنَّه مُسخَّرٌ مخلوقٌ من ماءٍ مهينٍ.

وقيلَ: أيحسبُ مع ما خُلقَ فيهِ من الكَبَدِ أن لا نقدرُ على مُجازاتِه بسوءِ أعمالِه؟! بلى نقدرُ عليه.

* * *

(٦) ـ ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾.

قولُه: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾؛ أي: هذا المشركُ يتبجَّحُ بأن يقولَ: أهلكتُ مالاً كثيراً في وجوهِ النَّفقاتِ بما شئتُ، ودفعتُ عنِّي أعدائي، فلم يقدرْ عليَّ أحدٌ، فهكذا أُنفِقُه في قمعِ مَن يقصدُني بسوءٍ.

و«لُبَدٌ» فُعَلٌ من التَّلبيدِ للمالِ الكثيرِ الَّذي جُعلَ بعضُه على بعضٍ، وفُعَلٌ للكثرةِ، يُقالُ: رجلٌ حُطَمٌ؛ أي: كثيرُ الحَطْمِ.

وقالَ الفرَّاءُ: واحدُ لُبَدٍ: لُبدةٌ، قالَ: وجعلَه بعضُهم واحداً على جهةِ قُثَم وحُطَم، وهوَ في الوجهينِ: الكثيرُ(١).

وقالَ الكلبيُّ: أي: أهلكتُ مالاً كثيراً في عداوةِ محمَّدٍ(٢).

وقيل: أبو الأشد بن أسيد بن كلاب الجمحي، وقيل غير ذلك. انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤١)، و«زاد المسير» (٤/ ٣٦٤).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٤/ ٢٠)، وأقحمت هنا في الأصل كلمة: «السلبه».

(٧ ـ ١٠) ـ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

قولُه: ﴿أيحسب الإنسان أن لم يره أحد﴾؛ أي: في حالِ إنفاقِه ما أنفقَ، بلى قد رآه اللهُ الَّذي خلقَه وخلقَ أموالَه، ولو شاءَ لسلبَه تلكَ الأموالَ، ولكنَّه امتحنَه بها وسيُجازيه بما فعلَ.

وقيلَ: أي: أوهمَ الكفَّارَ أنَّه أنفقَ مالاً كثيراً في عداوةِ محمدٍ وهوَ كاذبٌ؛ أي: أيظنُّ أنَّا لم نره، بلى رأيناه وعلمناه خلافَ ما قالَ.

قولُه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾؛ أي: مَن قدرَ على هذا قدرَ على مجازاتِه.

قولُه: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ «الشَّفَةُ» حُذفَت منها الهاءُ، وتصغيرُها: شُفَيْهةٌ، والجمعُ: شِفاهٌ، ويُقالُ: شَفَهات وشَفَوات، والهاءُ أقْيَسُ، والواوُ أعمُّ؛ تشبيهاً بـ«السَّنواتِ»، ونقصانُها حذفُ هائِها.

وقالَ الأزهريُّ: يُقالُ: هذه شَفَةٌ ـ في الوصل ـ وشَفَهْ؛ بالتَّاءِ والهاءِ(١).

قولُه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قيلَ: سبيلَ الخيرِ وسبيلَ الشَّرِّ بما أرسلْنا من الرُّسلِ. والنَّجْدُ: الطَّريقُ في ارتفاعٍ.

وقيلَ: أي: هديناه إلى الثَّدْيينِ؛ لأنَّهما كالطَّريقينِ لحياةِ الولدِ ورزقِه.

* * *

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

قولُه: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾؛ أي: لم يكن ما أنفقَ إنفاقاً في خيرٍ، فهلَّا أنفقَ مالَه فيما فيهِ اقتحامُ العَقَبةِ.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٦/ ٥٥).

والاقتحامُ: الرَّمْيُ بالنَّفسِ في شيءٍ من نهرٍ أو موضعٍ مُتعبٍ، والقُحَمُ: صِعابُ الطَّريقِ.

ثمَّ فسَّرَ اقتحامَ العقبةِ وركوبَها[1] فقالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ وقالَ: وكذا وكذا، فبيَّنَ وجوهاً من القُرَبِ الماليَّةِ.

ثمَّ اقتحامُ العقبةِ هاهنا ضربُ مَثَلٍ؛ أي: هلَّا تَحَمَّلَ عِظامَ الأمورِ في إنفاقِ مالِه في طاعةِ ربِّه والإيمانِ به.

وقيلَ: العقبةُ: عقبةُ جهنَّمَ.

وقيلَ: عقبةٌ بين الجنَّةِ والنارِ.

وقالَ مجاهدٌ: هي الصِّراطُ يُضرَبُ على جهنَّمَ[2].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: فلم يقتحمِ العقبةَ، وإنَّما يُقالُ: لا جئتَني ولا زرتَني، ولا يُقتصَرُ على «لا» مرَّةً واحدةً، وإنَّما اقتُصرَ هاهنا على واحدةٍ؛ لأنَّ المعنى يدلُّ على التَّكريرِ، وهوَ قولُه: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾؛ أي: فلا فكَّ رقبةً ولا أطعَمَ[3].

وقالَ أبو عليٍّ: «لا» بمعنى: لم، فلا تحتاجُ إلى التَّكريرِ[4].

---

(١) غير واضحة في الأصل.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٠٣). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «العقبة: النار». وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢٠) عن الحسن قوله: «عقبة في جهنم»، وفي رواية: «العقبة: جهنم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٩). وفي كلامه مخالفة لما ذكره المصنف فإنه جعل الدالَّ قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على معنى: فلا اقتحم العقبة ولا آمن. فما ذكره المصنف وجه آخر، وقد ذكر الوجهين الزمخشري في «الكشاف» (٩/ ٥٩٣).

(٤) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

وحملُ العقبةِ على عقبةِ جهنَّمَ بعيدٌ؛ إذ أحدٌ في الدُّنيا لم يقتحِمْ بعدُ عقبةَ جهنَّمَ، إلَّا أن يُحملَ على أنَّ المرادَ: فهلَّا صيَّرَ نفسَه بحيثُ يمكنُه اقتحامُ عقبةِ جهنَّمَ غداً، وفي الأثرِ: «إنَّ بينَ أيديكم عقبةً كؤوداً لا يَجوزُها إلَّا كلُّ ضامِرٍ»[١].

قولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ فيهِ حذفٌ؛ أي: وما أدراكَ ما اقتحامُ العقبةِ؟ وهذا تعظيمٌ لأمرِ التزامِ الدِّينِ.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: اقتحامُ العقبةِ هوَ إخراجُ المالِ في فكِّ الرِّقابِ، والمبتدأُ محذوفٌ؛ أي: هوَ فكُّ رقبةٍ، وفكُّ الرَّقبةِ: تخليصُها من أسرِ الرِّقِّ، ومنه: فكُّ الكتابِ، وفكُّ القيدِ والغلِّ، يُقالُ: فَكَّ يفُكُّ فَكاكاً ـ بفتحِ الفاءِ ـ قالَ الفرَّاء: ولا يجوزُ الكسرُ[٢].

ثمَّ فَكُّ الرَّقبةِ قد يكونُ بأن يُعتقَ الرَّجلُ رقبةً من الرِّقِّ، وقد يكونُ بأن يُعِينَ مكاتَباً في جهةِ فَكاكِ نفسِه، وكانَت عادةُ العربِ في الأسارى شدَّ رقابِهم وأيديهم، ثمَّ سُمِّيَ إطلاقُ الأسيرِ فَكاكاً.

* * *

(١) رواه بهذا اللفظ أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. لكن صح الحديث برواية: «إلا كل مخفٍّ»، كما رواه البزار في «مسنده» (٣٦٩٦ ـ زوائد) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٨٧١٣) وصححه، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. ولفظ الحاكم: «لَا يَجُوزُهَا الْمُثْقِلُونَ»، ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٦٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه كلفظ البزار. ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «لَا يَصْعَدُهَا إِلَّا الْمُخِفُّونَ».

(٢) انظر: «البسيط» (٢٤/ ٢٩)، ولم أجده في «معاني القرآن» للفراء.

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

قولُه: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾؛ أي: ذي مَجَاعةٍ، يُقالُ: سَغِبَ يَسغَبُ سَغباً[1] من بابِ حَمِدَ يَحمَدُ، ويُقالُ: أيضاً سغَبَ يسغُبُ مثل نصَرَ ينصُرُ، فهوَ ساغبٌ وسغبانُ، فالمسغبةُ: الجوعُ.

قالَ أبو عليٍّ: وهوَ كقولِه: ليلٌ نائمٌ، ونهارٌ صائمٌ[2].

وإخراجُ المالِ في وقتِ القحطِ أثقلُ على النَّفسِ وأوجبُ للأجرِ، فلهذا قالَ: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، ويعني باليومِ: الزَّمانَ ليلاً كانَ أو نهاراً.

وقرأَ أبو عمرٍو: ﴿فَكَّ رَقبةً﴾ بفتحِ الكافِ ﴿أو أطعَمَ﴾ بغيرِ الألفِ[3]؛ لأنَّه قالَ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهذا أشكَلُ بـ﴿فكَّ﴾ و﴿أطعَمَ﴾، وعلى القراءةِ الأولى المعنى: اقتحامُ العقبةِ فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ.

قولُه: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: إطعامٌ يتيماً ماتَ أبوه، وهوَ مع ذلكَ ذو قرابةٍ، وقد اجتمعَ فيهِ حقَّان: يُتمٌ وقرابةٌ، وإطعامُه أفضلُ، وفي الخبرِ: «صدقتُك على ذي الرَّحمِ صَدقةٌ وصِلةٌ»[4].

ويُقالُ: فلانٌ ذو قَرابتي وذو مَقْرَبتي، ولا يُقالُ: زيدٌ قرابتي؛ لأنَّ القرابةَ مصدرٌ.

---

(١) بفتح الغين وبسكونها قال في «القاموس» (مادة: سغب): «سغب كفَرِح ونَصَر سَغَباً وسَغْباً..».

(٢) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٤١٥).

(٣) وقرأ بها أيضاً ابن كثير والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

(٤) رواه الترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٢٥٨٢)، من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه. وحسنه الترمذي، وله شاهد من حديث زينب زوجة ابن مسعود رضي الله عنهما عند البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: فقيراً شديدَ الحاجةِ، بحيثُ التصقَ بالتُّرابِ، يُقالُ: فقرٌ مُدقِعٌ؛ أي: ملصِقٌ بالدَّقْعاءِ وهوَ التُّرابُ، وترِبَت يداه؛ أي: افتقرَ وصارَ بيدِه التَّرابُ؛ أي: لم يجد غيرَه، ولم يجد ما يجلسُ عليه، والمتربةُ مصدرُ قولِهم: ترِبَ يترَبُ تَرَباً ومَتْرَبةً.

والمسكينُ عندَ الشَّافعيِّ أحسنُ حالاً من الفقيرِ إذا اجتمعا، وقد يُسمَّى كلُّ محتاجٍ مسكيناً، وذكرُ المتربةِ يدلُّ على شدَّةِ الحاجةِ.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

قولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: إطعامُ اليتيمِ والمسكينِ لا ينفعُ عندَ اللهِ إلَّا من المؤمنِ، فإنَّ شرطَ قَبولِ الطَّاعاتِ الإيمانُ باللهِ، والإيمانُ باللهِ بعدَ الإنفاقِ لا ينفعُ، بل يجبُ أن تكونَ الطَّاعةُ مصحوبةً بالإيمانِ.

وقيلَ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: فعَلَ هذه الأشياءَ وهوَ مؤمنٌ، ثمَّ بقيَ على إيمانِه وقتَ الموافاةِ.

وقيلَ: أي: أتى بهذهِ القُرَبِ لوجهِ اللهِ، ثمَّ آمنَ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقد قالَ حكيمُ بنُ حزامٍ بعدَ ما أسلمَ: يا رسولَ الله، إنَّا كنَّا نَتحنَّثُ بأعمالٍ في الجاهليَّةِ، فهل لنا منها شيءٌ؟ فقالَ عليه السَّلامُ: «أسلمتَ على ما قدَّمتَ من الخيرِ»[(١)].

قولُه: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾؛ أي: أوصى بعضُهم بعضاً بالصَّبرِ على طاعةِ اللهِ وعن معاصيه، والصَّبرِ على ما ينوبُهم في ذاتِ اللهِ.

---

(١) رواه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣).

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ على عبادِ اللهِ، فإنَّهم إذا فعلوا ذلكَ رحموا اليتيمَ والمسكينَ.

قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: هؤلاءِ الَّذينَ اقتحموا العقبةَ أهلُ الجنَّةِ، فيُؤخذُ بهم ذاتَ اليمينِ، وقيلَ: يُعطَونَ كتبَهم بأيمانِهم.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فلم يقتحموا العقبةَ فـ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ يُؤخذُ بهم ذاتَ الشَّمالِ، وهيَ مسلكُ أهلِ النَّارِ، ويُعطَونَ كتبَهم بشَمائِلهم.

وقالَ الحسنُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: الميامينُ على أنفسِهم، والكفَّارُ هم المشائيمُ على أنفسِهم[١]. والعربُ تتفاءلُ باليمينِ وتتشاءمُ بالشّمالِ.

قولُه: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾؛ أي: يُدخَلونَ نارَ جهنَّمَ فتُطبَقُ عليهم، ولا يَخْلُصُ إليهم رَوحٌ، ولا يخفُّ عنهم كربٌ، والوصيدُ: البابُ، يُقالُ: آصَدْتُ البابَ وأوصَدْتُه؛ أي: أغلقتُه، وقُرِئَ ﴿مؤصدة﴾ بالهمزِ، ومن غيرِ همزٍ[٢].

ومعنى الآيةِ: عليهم نارٌ موصدةُ الأبوابِ مطبقةٌ لا يخرجونَ منها، فلمَّا تُركت الإضافةُ قُرِئَت: ﴿مؤصدة﴾[٣].

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨).

(٢) قرأ حمزة وأبو عمرو وحفص بالهمز، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

(٣) أي: بالتنوين.

سُورَةُ الشَّمْسِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾.

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ الضُّحى: ارتفاعُ النَّهارِ، وأضافَ الضُّحى إلى الشَّمسِ لأَنَّها إنَّما تكونُ بارتفاعِ الشَّمسِ؛ أي: والشَّمسِ وما يكونُ بها من الضُّحى، ويرجعُ هذا القَسَمُ إلى النَّهارِ؛ أي: والنَّهارِ، والضُّحوُ: ارتفاعُ النَّهارِ، والضُّحى مؤنَّثةٌ، يُقالُ: ارتفعتِ الضُّحى فوق الصخور[1].

وقيلَ: الضُّحى ضوءُ الشَّمسِ، وقيلَ: حرُّها.

وقالَ المبرِّدُ: أصلُ الضُّحى من «الضِّحِّ»، وهوَ نورُ الشَّمسِ، والألفُ مقلوبةٌ من الحاءِ الثَّانيةِ، تقولُ: ضَحوَةٌ وضَحَواتٌ وضُحًى[2]. فالواوُ من «ضَحْوَة» مقلوبةٌ عن الحاءِ الثَّانيةِ، والألفُ في «ضُحًى» مقلوبةٌ عن الواوِ.

وقالَ أبو الهيثمِ: الضِّحُّ: نقيضُ الظِّلِّ، وهوَ نورُ الشَّمسِ على وجهِ الأرضِ، وأصلُه: الضِّحْيُ، فاستُثقِلَ الياءُ مع سكونِ الحاءِ، فثقَّلوها، فقالوا: ضِحٌّ، ومثلُه: العبدُ القِنُّ، وأصلُه من القِنيةِ.

---

(١) وقد تذكَّر؛ فمَن أنَّث ذهب إِلَى أَنَّهَا جمع ضَحوة، ومَن ذكَّر ذهب إلى أنه اسم على فُعَلٍ نحو صُرَدٍ ونُغَرٍ. انظر: «الصحاح» (مادة: ضحا)، و«شرح المتنبي» للعكبري (٤/ ١٩٧)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٠٨).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٤/ ٤٥)، وما بعده من كلام الواحدي.

وهذا ضدُّ ما ذكرَه المبرِّدُ[١]، وعلى ما ذكرَا[٢]: «الضُّحى» ضوءُ الشَّمسِ، فسُمِّيَ به الوقتُ الَّذي تشرقُ فيهِ الشَّمسُ، ومَن قالَ: «الضُّحى» النَّهارُ كلُّه، فذلكَ لدوامِ نورِ الشَّمسِ، ومن قالَ: «الضِّحُّ» نورُ الشَّمسِ، أو حرُّ الشَّمسِ، فنورُ الشَّمسِ لا يكونُ إلَّا مع حرِّ الشَّمسِ.

قولُه: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؛ أي: إذا تبعَ الشَّمسَ فجاءَ بعدَها، يُقالُ: «تلوتُه»: إذا تَبعتَه، وتلوُّ القمرِ الشَّمسَ: إقبالُه بعدَ مغيبِها، وذلكَ في النِّصفِ الأوَّلِ من الشَّهرِ؛ إذا غربتِ الشَّمسُ تلاها القمرُ في الإضاءةِ، وخَلَفَها في النُّورِ.

وقالَ الكلبيُّ: تلاها القمرُ ليلةَ الهلالِ؛ لأنَّ الشَّمسَ إذا غربَت ظهرَ الهلالُ بعدَها[٣].

وقالَ الفرَّاءُ: تلوُّ القمرِ للشَّمسِ: الأخذُ من ضوئِها، يُقالُ: اتَّبعتُ قولَ فلانٍ، وأخذتُ بقولِ فلانٍ، فاتِّباعُه والأخذُ منهُ سواءٌ[٤]، والقمرُ يأخذُ النُّورَ من الشَّمسِ.

وقالَ الزَّجَّاج: ﴿إِذَا تَلَىٰهَا﴾؛ أي: استدارَ فصارَ يتلو الشَّمسَ في الضِّياءِ والنُّورِ[٥]؛ يعني: إذا كملَ ضوءُه فصارَ تابعاً للشَّمسِ في الإنارةِ، وذلكَ في ليالي البيضِ.

وقيلَ: القمرُ نورُ اللَّيلِ، والشَّمسُ نورُ النَّهارِ، فابتدأَ بالقَسَمِ بالنَّهارِ وما خلقَ اللهُ

---

(١) لأن المبرد جعل الضحى من الضح، وأبو الهيثم جعل الضح من الضحى. انظر: «البسيط» (٢٤/ ٤٦)، وكل ما ذكر وسيأتي منقول من كلام الواحدي.

(٢) في الأصل: «ذكر»، والمثبت من المصدر السابق وهو الصواب.

(٣) انظر: «البسيط» (٢٤/ ٥١) عن قتادة والكلبي.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦)، و«البسيط» (٢٤/ ٥١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣١)، و«البسيط» (٢٤/ ٥١).

فيهِ من النَّيِّرِ، ثمَّ ثنَّى بالقمرِ، ثمَّ لا يعني أن يكونَ القمرُ التَّاليَ للشَّمسِ إنَّما يجيءُ بعد غروبِها بساعةٍ أو بساعاتٍ أو عَقيبَها بلا فصلٍ.

وقيلَ: في النِّصفِ الأوَّلِ من الشَّهرِ يتلوها في الطُّلوعِ، وفي النِّصفِ الثَّاني في الغروبِ.

قولُه: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: إذا جلَّى الشَّمسَ؛ لأنَّها إنَّما تطلعُ بالنَّهارِ، وفيه يَبِينُ ضوءُها، والتَّجليةُ: الإظهارُ والكشفُ، فالنَّهارُ سببُ ظهورِ الشَّمسِ.

وقالَ الكلبيُّ: ﴿جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: جلَّى الظُّلمةَ[1].

وقالَ الفرَّاء: وجازتِ الكنايةُ عن الظُّلمةِ وإن لم تُذكرْ؛ لأنَّ المعنى معروفٌ، وهوَ كما تقولُ: أصبحَت باردةً، وأمست باردةً، فتكْني عن مؤنَّثٍ لم يجرِ لها ذكرٌ؛ لأنَّ المعنى معروفٌ[2].

* * *

(٤ ـ ٧) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾.

قولُه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾؛ أي: يغشَى الشَّمسَ فيذهبُ بضوئِها وتُظلمُ الآفاقُ، فجعلَ اللَّيلَ ساتراً للشَّمسِ كما جعلَ النَّهارَ مُظهِراً مُجلِّياً للشَّمسِ.

وقيلَ: واللَّيلِ إذا يغشى الأرضَ، والنَّهارِ إذا جلَّى الأرضَ، فالكنايةُ ترجعُ إلى غيرِ مذكورٍ.

قولُه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾؛ أي: والسَّماءِ وبنائِها المرفوعِ فوقَ النَّاسِ.

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٨٥)، و«البسيط» (٢٤/ ٥٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦)، و«البسيط» (٢٤/ ٥٢).

وقيلَ: أي: ومَن بناها، أو: والَّذي بناها، وهوَ اللهُ تعالى.

قولُه: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾؛ أي: وطَحْوِها، وقيلَ: ومَن طحاها، ومعنى ﴿طَحَىٰهَا﴾: بسطَها مِن كلِّ جانبٍ، والطَّحْوُ: البَسْطُ، يُقالُ: طَحَا يطحُو طحْواً، وطَحَى يَطحَى طَحْياً.

قولُه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾؛ أي: وما سوَّاها اللهُ عليه من هذه الهيئةِ الموجودةِ في الإنسانِ، أقسَمَ بخَلقِه لِمَا فيهِ من عجائبِ الصَّنْعةِ الدَّالَّةِ على الخالقِ.

وقيلَ: ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾؛ أي: ومَن سوَّاها.

وقيلَ: «ما» بمعنى المصدرِ؛ أي: ونفسٍ وتسويتِها، و«سوَّى» بمعنى: هيَّأَ.

***

(٨) ـ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

قولُه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾؛ أي: بيَّنَ لها الخيرَ والشَّرَّ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: علَّمَها الطَّاعةَ والمعصيةَ(١).

وهوَ إشارةٌ إلى تركيبِ العقلِ فيه، وإرسالِ الرُّسلِ، فإنَّ الأحكامَ لا تثبتُ إلَّا بالشَّرعِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، والإلهامُ في العرفِ يطلقُ على إلقاءِ الشَّيءِ في القلبِ من غيرِ فكرٍ، وقد يقعُ منهُ الشَّيءُ في القلبِ بعدَ الفكرِ.

وقيلَ: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾؛ أي: أخطرَ ببالِها الخيرَ والشَّرَّ لتُجاهدَ الشَّيطانَ، يُقالُ: لَهِمَ الشَّيءَ والتهمَه؛ أي: ابتلعَه، ثمَّ استُعملَ فيما يقذفُه الرَّبُّ في قلبِ العبدِ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤١).

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

قولُـه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ هـذا جوابُ القَسَـمِ؛ أي: لقد أفْلـحَ، فحُذِفَتِ اللَّامُ لطولِ الكلامِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: صارَ طولُ الكلامِ عِوضاً من اللَّامِ[١].

وقيلَ: اللَّامُ في جوابِ القَسَمِ تدخلُ للتَّأكيدِ؛ لأنَّ هذه اللَّامَ هيَ الَّتي في قولِك: إنَّ زيداً لضاربٌ، و﴿قَدْ﴾ أيضاً حرفٌ للتَّأكيدِ، فاستُغنيَ به عن اللَّامِ.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: قد أفلحَ من زكَّاها، والشَّمسِ وضحاها.

وقيلَ: الجوابُ محذوفٌ؛ أي: والشَّمسِ وكذا وكذا لَتُبْعثُنَّ.

﴿أَفْلَحَ﴾؛ أي: فازَ بالطَّلبةِ ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي: من زكَّى نفسَه بطاعةِ اللهِ ونمَّاها وأوجبَ لها الصِّفاتِ المحمودةَ.

وقيلَ: طهَّرها من المعاصي والآفاتِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: أفلحَت نفسٌ زكَّاها اللهُ وأصلحَها بأن وفَّقها للطَّاعةِ[٢].

قولُه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي: هلكَ ولم ينلْ ما أمَّلَ من الرَّاحةِ والأمَلِ مَن أعمَلَ نفسَه في المعاصي.

وعلى قولِ ابنِ عبَّاسٍ: خابَت نفسٌ أضلَّها اللهُ وأَغْواها[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣١)، و«البسيط» (٢٤/ ٤٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٩٥٥)، من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «قد أَفلَحَ مَن زكَّى اللهُ نَفْسَه». وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٥٦) من رواية عطاء والكلبي بلفظ: «قد أفلحت نفس زكاها الله وأصلحها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٩٥٥)، من

﴿دَسَّىٰهَا﴾ أصلُه: دسَّسَهَا، مـن «التَّدسيسِ» وهـوَ: إخفاءُ الشَّيءِ في الشَّيءِ، فأُبدلَتْ سينُه بالألفِ؛ كما قالوا: «لبَّى» من لبَّبَ، ويُقالُ: مُلبٍّ وملبِّبٌ، وتظنَّيْتُ؛ أي: تظنَّنْتُ، فمعنى ﴿دَسَّىٰهَا﴾: أخفاها، ولم يَشْهَرْ مكانَها بالطَّاعةِ، وكانَ عليه السَّلامُ إذا قرأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، قالَ: «اللَّهم آتِ نفسي تقواها، أنتَ وليُّها ومولاها، وزكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها»[١].

وقالَ ابنُ الأعرابيُّ: قد خابَ من دسَّ نفسَه في جملةِ الصَّالحينَ وليسَ منهم[٢].

* * *

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾.

قولُه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ ثمودُ قومُ صالحٍ، وقد ذكَّرَ اللهُ العبادَ تمرُّدَهم وكفرَهم وما حلَّ بهم من العذابِ، و«الطَّغوى»: الاسمُ من طَغَوْتُ وطغَيْتُ، وهوَ بمعنى الطُّغيانِ؛ أي: كذَّبوا نبيَّهم بطغيانِهم.

روايـة علـي بـن أبي طلحـة عن ابن عبـاس بلفظ: «وقـد خاب مَن دَسَّـى اللهُ نَفْسَـه فأَضلَّـه». ورواه الثعلبـي فـي «تفسـيره» (٢٩/ ٤٢٥) مـن روايـة الكلبـي عـن أبـي صالـح عـن ابـن عبـاس بلفـظ: «وخابـت نفـس أفسـدها الله عـز وجل».

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «الكبير» (١١١٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ولا يخلو كل منهما من مقال.
لكن صح الحديث دون ذكر الآية، رواه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٩٨)، و«البسيط» (٢٤/ ٦٤).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: الطَّغوى اسمٌ لعذابِهم[١]؛ أي: أنَّ صالحاً أخبرَهم بأنَّ العذابَ سينزلُ بهم إن لم يؤمنوا، فلم يُصدِّقوه. وهذا غير بعيدٍ؛ لأنَّ الطُّغيانَ مجاوزةُ القَدْرِ، فيجوزُ أن يُسمَّى ذلكَ العذابُ الَّذي جاءَهم طغوى؛ لأنَّه كانَ صيحةً مجاوِزةً للحدِّ المعتادِ.

ويُقالُ: كذَّبَه بكذا؛ أي: لم يصدِّقْه فيهِ، قالَ الله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩]، وقالَ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤]؛ أي: بالعذابِ الَّذي حلَّ بها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] فسمَّى ما أهلكوا به من العذابِ طاغيةً.

قولُه: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾؛ أي: طغَوا حينَ ﴿ٱنۢبَعَثَ﴾؛ أي: نهضَ فثارَ ﴿أَشْقَىٰهَا﴾؛ أي: أشدُّ ثمودَ شقاءً، وهوَ عاقرُ النَّاقةِ، واسمُه: قُدَارُ بنُ سالِفٍ، وفي المثَلِ: «أشأَمُ من قُدَار»[٢].

قولُه: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صالحٌ: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذَرُوا ناقةَ اللهِ؛ كما قالَ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾ [الأعراف: ٧٣]، قالَه الزَّجَّاجُ[٣].

وقالَ الفرَّاء: حذَّرَهم إيَّاها، وكلُّ محذورٍ فهوَ نصبٌ[٤].

﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ «السُّقيا»: اسمٌ من السَّقي؛ أي: ذَروها وقَسْمَها وشِربَها من الماءِ،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٧).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ١٥٦)، و«المستقصى في الأمثال» (١/ ١٨٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨)، و«البسيط» (٢٤/ ٦٨)، وفيهما: «... وكل تحذير فهو...».

ولفظ الفراء: نصبت الناقة عَلَى التحذير، حذرهم إياها، وكل تحذير فهو نصب، ولو رفع على: هذه ناقة الله، فإن العرب قَدْ ترفعه وفيه معنى التحذير، ألا ترى أن العرب تقول: هذا العدوُّ هذا العدوُّ فاهربوا، وفيه تحذير، وهذا الليل فارتحِلوا.

ولمَّا اقترحوا النَّاقةَ وأخرجَها اللهُ لهم من الصَّخرةِ، جعلَ لها شِرْبَ يومٍ من بئرِهم، ولهم شِرْبُ يومٍ، فكانَ ذلكَ يَشُقُّ عليهم.

***

(١٤) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: فيما حذَّرَهم به من العذابِ في تغييرِ سُقياها وفي عقرِها.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: عَقَرَها الأشقى، وأُضيفَ إلى الكلِّ لأنَّهم رَضُوا بفعلِه.

وقالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّه أَبَى أن يعقرَها حتَّى تابَعَه صغيرُهم وكبيرُهم، وذَكَرُهم وأُنثَاهم[١].

وقالَ الفرَّاءُ: عَقَرَها اثنان، والعربُ قد تقولُ: هذان أفضلُ النَّاسِ، وهذان خيرُ النَّاسِ، وهذه المرأةُ أَشْقَى القومِ، فلهذا لم يقلْ: أشقياها[٢].

قولُه: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾؛ أي: أهلكَهم بذنبِهمُ الَّذي هوَ الكفرُ والتَّكذيبُ، والدَّمْدمةُ: إهلاكٌ باستئصالٍ، يُقالُ: دَمْدَمْتُ عليه كذا؛ أي: أطبقْتُ عليه، والدَّمُّ اللَّطخُ، يُقالُ للشَّيءِ السَّمينِ: كأنَّما دُمَّ بالشَّحمِ دمّاً، فدمدمَ من هذا على التَّضعيفِ نحو: كبكبوا.

وقيلَ: دَمْدَمتُ على الميِّتِ التُّرابَ؛ أي: سَوَّيتُ عليه، فقولُه: ﴿دمدم عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أهلكَهم فجعلَهم تحتَ التُّرابِ، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: فسوَّى عليهم الأرضَ، وعلى الأوَّلِ: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: فسوَّى الدَّمدمةَ والإهلاكَ عليهم، وذلكَ أنَّ الصَّيحةَ أهلكَتهم، فأتتْ على صغيرِهم وكبيرِهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨).

وقالَ ابنُ الأنباريِّ: دَمْدَمَ؛ أي: غَضِبَ، والدَّمدمةُ: الكلامُ الَّذي يزعجُ الرَّجلَ[١].

وقيلَ: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: سوَّى منازلَها بالأرضِ وخرَّبَها.

وقيلَ: سوَّى ثموداً بالأرضِ، فأصبحوا جاثمينَ بالأرضِ موتى.

ثمَّ قيلَ: أخذَتهم الصَّيحةُ ليلةَ الأحدِ، وقيلَ: ضحوةَ الأحدِ، فهلكوا إلَّا جاريةً مُقعَدةً يُقالُ لها: الذُّرَيعةُ، وكانَت كافرةً، فأطلقَ اللهُ لها رجليها بعدما عاينَت العذابَ أجمعَ، فخرجَت كأسرعِ ما يُرمى شيءٌ، حتَّى أتتْ أهلَ قُرْح، فأخبرَتهم بما أصابَ ثمودَ، ثمَّ استسقتِ الماءَ فسُقِيَت، فلمَّا شربَت ماتَتْ[٢].

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

قولُه: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾؛ أي: فعَلَ اللهُ بهم ذلكَ غيرَ خائفٍ أن تلحقَه تَبِعةٌ من أحدٍ فيها؛ كما قالَ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والهاءُ في ﴿عُقْبَٰهَا﴾ ترجعُ إلى الفِعلةِ؛ كقولِه: «مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ فبها ونعمَتْ»[٣]؛ أي: بالفِعْلةِ والخُلَّةِ.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٥٨)، وزاد: «إلاَّ أن أكثر المفسرين قالوا في دمدم عليهم: أي: أَطبق عليهم العذابَ». ومثله في «البسيط» (٢٤/ ٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٧) وما بعدها في نهاية خبر طويل من طريق ابن إسحاق عن يعقوبَ بن عُتبةَ بن المغيرةِ بنِ الأخنس. واسم الجارية في نسخ الطبري: «الدريعة»، ورجح الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه للطبري (١٢/ ٥٣٦) أنها: «الزُّرَيعة»؛ لأنه وقع بعدها في الخبر: «وهي الكلبة ابنة السِّلْقِ»، قال: والسلق: الذئب، ويزعمون أن الذئب يَستولد الكلبة، وأن ولدها منه يقال له: الديسم، ويقال للكلاب: أولاد زارع، فرجَّحت أن صواب قراءتها: «الزُّريعة» بالتصغير، وأن الذي بعدها تفسير لها.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٥٠٣)، والنسائي ٣/ ٩٤، من حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعا

وقيلَ: أي: عُقبى الدَّمدمةِ.

وقيلَ: ولا يخافُ عُقبى ثمودَ.

وقيلَ: لا يخافُ أن يُعقَّبَ حكمُه بنقضٍ.

وقيـلَ: أي: ولا يخـافُ رجوعَهم، وهـوَ كقولِك: العُقبى لـك؛ أي: أمرُك يرجعُ إلى مـا تحبُّ.

وقيلَ: ولا يخافُ صالحٌ عاقبةَ ذلكَ العذابِ، ولا يخشى ضرراً يعودُ عليه.

وقيلَ: ولا يخافُ عاقرُ النَّاقةِ العقوبةَ من اللهِ في عقرِها؛ أي: عقرَها غيرَ خائفٍ من العذابِ لفرطِ غفلتِه.

* * *

بلفظ: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل». وهو في «مسند أحمد» (٢٠٠٨٩)، وانظر فيه شواهده، ولا يخلو واحد منها من ضعف، لكن بمجموعها يتحسَّن الحديث. وقال الترمذي: حديث حسن.

سُورَةُ اللَّيْلِ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ نزلَت في أبي بكرٍ رضي الله عنه وأُميَّةَ أو أُبيِّ بنِ خلفٍ ـ وقيلَ: في أبي سفيانَ ـ وكانَ أبو بكر ينفقُ مالَه، ويشتري المماليكَ المسلمينَ الَّذينَ كانُوا للمشركينَ، وكانُوا يعذِّبونَهم ليفتنوهم عن دينِهم كبلالٍ وغيرِه، وقيلَ: اشترى ستَّةً، وقيلَ: سبعةً، وقيلَ: تسعةً، وأعتقَهم، وكانَ أميَّةُ مُكذِّباً بالحُسنى بخيلاً بالإنفاقِ في ذاتِ اللهِ مُصرًّا على الكفرِ، فأَخبرَ أنَّ سعيَ أبي بكرٍ وسعيَ أميَّةَ مختلفانِ في الجزاءِ، فقالَ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾[1].

وقالَ عليٌّ: خرَجْنا مع رسولِ الله عليه السَّلامُ في جنازةٍ، فقعدَ رسولُ اللهِ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٠)، والآجري في «الشريعة» (١٢٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٥)، عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه: أن أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضيَ اللهُ عنه اشترى بلالًا من أميةَ بن خَلَفٍ ببردةٍ وعشرِ أَوَاقٍ فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾، وفي رواية الآجري إلى آخر السورة.

أما نزولها في أبي سفيان رضي الله عنه فلم يثبت، فقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٤٩) عن الكلبي. ورواه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٣٦). والكلبي متروك، ورواياته عن ابن عباس لا تصح، وكلامه مردود، فإن أبا سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه. وقال السيوطي في «معترك الأقران» (٢/ ٤٦٧): «هذا ضعيف... وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك».

وقعَدْنا حولَه، فقالَ: «ما منكم من نفسٍ منفوسةٍ إلَّا قد عُلِمَ مكانُها من الجنَّةِ»، فقلنا: يا رسولَ اللهِ، أفَلَا نتَّكلُ؟ قالَ: «اعمَلُوا فكلٌّ ميسَّرٌ»، ثمَّ قرأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ...﴾[1]. وهذا يدلُّ على عمومِ هذه الآياتِ.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؛ أي: يغشى بظلمتِه النَّهارَ، ولم يذكرْ مفعولَ ﴿يَغْشَىٰ﴾ للعلمِ به.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؛ أي: بانَ وظهرَ. واللَّيلُ والنَّهارُ آيتانِ عظيمتانِ، وفيهما منافعُ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

قولُه: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾؛ أي: وخَلْقِه الذَّكرَ والأنثى؛ لأنَّ حرفَ القَسَمِ لا يعملُ في فَعَلَ ويَفْعَلُ، فأُدخِلَت «ما» في ﴿خَلَقَ﴾، فصارَ في معنى المصدرِ، فكأنَّه أقسمَ بجميعِ الخلقِ، وفي قراءةِ عبدِ الله: (والذَّكرِ والأنثى)[2].

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤٧)، ومسلم (٢٦٤٧)، والترمذي (٣٣٤٤)، وجاء عند مسلم: «مكانها من الجنة والنار، وإلَّا وقد كُتبتْ شَقيَّةً أو سعيدةً».

(٢) أي: (والنهارِ إذا تجلَّى والذكرِ والأنثى). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤)، زاد ابن جني نسبتها لعلي بن أبي طالب وأبي الدرداء. وروى البخاري (٤٩٤٣)، ومسلم (٨٢٤)، عن علقمةَ، قال: قَدِمْنا الشام، فأتانا أبو الدرداء فقال: فيكم أحدٌ يقرأ على قراءة عبد الله؟ فقلتُ: نَعَم، أنا، قال: فكيف سمعْتَ عبدَ الله يقرأ هذه الآيةَ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟ قال: سمعتُه يقرأ: (والليلِ إذا يَغْشَى والذَّكرِ والأُنْثى)، قال: وأنا واللهِ هكذا سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقرؤها، ولكنْ هؤلاء يريدون أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ فلا أُتابعُهم.

وهذا الحديث وأمثاله مما فيه مخالفة لمصحف الإمام محمول على أن هذا كان قرآناً ثم نسخ، ولم يعلم بعضُ مَن خالف بالنسخ فبقي على الأول، ولعل هذا إنما يقع من بعضهم قبلَ أن يتصل به مصحف عثمان ـ رضى الله عنه ـ المجمَعُ عليه المحذوفُ منه كلُّ منسوخ قرئ به، وأما بعد ظهور مصحف عثمان رضي الله عنه واشتهاره فلا يُظن بأحدٍ منهم أنه أَبْدَى فيه خلافاً، وأما ابن مسعود

وقيـلَ: «مـا» بمعنـى «مَـن»؛ أي: ومَن خَلـقَ الذَّكـرَ والأنثـى، أو: والَّذي خلقَ الذَّكـرَ والأنثى.

وقيلَ: أي: وما خلقَ مِنَ الذَّكرِ والأنثى، فلمَّا حُذفَت «مِن» انتصبَ ما بعدَها.

وقالَ الكلبيُّ: يعني بـ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾: آدمَ وحواءَ.

* * *

(٤ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾؛ أي: عملَكم مختلفٌ في الجزاءِ، وواحدُ شتَّى: شَتِيتٌ، مثلَ: مَريضٍ ومَرْضَى، وإنَّما قيلَ للمختلفِ: شتَّى؛ لتباعُدِ ما بينَ بعضِه وبعضِه؛ أي: إنَّ عملَكم لمتباعِدٌ بعضُه من بعضٍ؛ لأنَّ بعضَه ضلالةٌ وبعضَه هدى.

قولُه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾؛ أي: مَن كانَ سعيُه في إنفاقِ المالِ في وجوهِ الخيرِ من عتقِ الرِّقابِ، وفكِّ الأسارى، ونصرةِ المسلمينَ، واتَّقى الشِّركَ والمعاصيَ.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: آمنَ بثوابِ اللهِ، فالحُسنى: الجنَّةُ وما وعدَ اللهُ من الثَّوابِ.

وقالَ مجاهدٌ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بأنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ[1].

رضي الله عنه فقد رويت عنه روايات كثيرة، منها ما لم يثبت عند أهل النقل، وما ثبت منها مما يخالف ظاهر ما قلناه، فإنه محمول على أنه كان يكتب في مصحفه القرآن، ويلحق به من بعض الأحكام والتفاسير ما يعتقد أنه ليس بقرآن، ولكن لم ير تحريم ذلك عليه، ورأى أنها صحيفة يثبت فيها ما شاء، وكان من رأي عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يتطاول الزمان، وينقل عنه القرآن فيخلط به ما ليس منه، فيعود الخلاف إلى مسألة فقهية، وهي جواز إلحاق بعض التفاسير بأثناء المصحف أو منع ذلك. انظر: «إكمال المعلم» (٣/ ٢٠١).

(١) لم أجده عن مجاهد، وذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٧٩) من رواية عطاء عن ابن عباس وإسناده واه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٣) من طريق عطية العوفي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾؛ أي: سنُهيِّئُه لعملِ الخيرِ، ونسهِّلُ له ذلك.

ومعنى اليُسرى: الخلَّةُ اليُسرى، وهيَ الأمرُ السَّهلُ الَّذي لا يقدرُ عليه إلَّا المؤمنونَ الَّذين يسَّرَ اللهُ لهم العملَ بمرضاتِه.

وقيلَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾؛ أي: أعطى الطَّاعةَ من نفسِه فيما أمرَ اللهُ به.

وقيلَ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾؛ أي: آمنَ بجميعِ ما فرضَ اللهُ على عبادِه.

وقيلَ: أي: آمَنَ بالخلفِ من اللهِ فيما ينفقُ[1]؛ كقولِه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾، فالخلفُ لَمَّا كانَ مُضاعفاً ـ كما قالَ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] ـ كانَ زائداً في الحُسنِ على أصلِ الإنفاقِ الَّذي هوَ خلفٌ منه، فقيلَ له: الحُسنى.

وقيلَ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾؛ أي: نُسهِّلُ له طريقَ الجنَّةِ.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾؛ أي: بإنفاقِ مالِه في الخيرِ والصَّدقةِ ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾؛ أي: عن ثوابِ اللهِ، ولم يرغبْ فيهِ.

وقيلَ: واستظهرَ بغناه، ولم ينفقْ مالَه في الطَّاعةِ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾؛ أي: نَحولُ بينَه وبينَ الإيمانِ باللهِ ورسولِه، أو نعسِّرُ عليه أن ينفقَ مالَه في سبيلِ اللهِ.

بلفظ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ يقولُ: صَدَّق بلا إلهَ إلَّا اللهُ. وإسناده ضعيف جدًّا. أما مجاهد فالمروي عنه: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قال: بالجَنَّة. رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٤).

(١) رواه آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣)، من طريق عكرمة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقيلَ: سنيسِّرُه للعودةِ إلى البخلِ.

وقيلَ: التَّأنيثُ يرجعُ إلى الطَّريقِ؛ أي: للطَّريقِ اليُسرى والعُسرى.

وقيلَ: يرجعُ إلى الجنَّةِ والنَّارِ، أو إلى المثوبةِ والعقوبةِ.

وتيسيرُ العبادةِ: إزالةُ الكسلِ، وتسهيلُ الطَّريقِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

***

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾.

قولُه: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾؛ أي: مالُه الَّذي بخلَ به عن الخيرِ وافتخرَ بادِّخارِه.

﴿إِذَا تَرَدَّى﴾؛ أي: ماتَ، يُقالُ: تَرَدَّى ورَدِيَ؛ أي: ماتَ، وهوَ تفعُّلٌ من «الرَّدى»، وهوَ الهلاكُ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: تردَّى في جهنَّم(١)؛ أي: سقطَ فيها وهوى.

وقيلَ: تردَّى في قبرِه.

قولُه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾؛ أي: إنَّ علينا أن نُبيِّنَ طريقَ الهُدَى من طريقِ الضَّلالِ، فالهدى بمعنى: بيانِ الأحكامِ؛ قالَه الزَّجَّاجُ(٢).

وقيلَ: أي: إنَّ علينا لَلهُدى والإضلالَ، فتركَ أحدَهما واكتفَى بذكرِ الآخرِ؛ كقولِه: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

---

(١) رواه الطستي في «مسائله» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٦): أن نافع بن الأزرق سأله عَنها فقال: «إذا تردى وَدخل فِي النَّار، نزلت فِي أبي جهل».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٦).

وقيلَ: أي: مَن سلكَ سبيلَ الهُدى فعلى اللهِ أن يهديَه إلى الجنَّةِ.

قولُه: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾؛ أي: ولنا كلُّ ما في الدُّنيا والآخرةِ، ولا يضرُّنا كفرُ مَن كفرَ، بل يعودُ الضَّررُ على الكافرِ.

وقالَ الكلبيُّ: أي: لنا ثوابُ الدُّنيا والآخرةِ؛ كقولِه: ﴿فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤].

***

(١٤ ـ ١٨) ـ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾.

قولُه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: وعَدْنا المطيعَ الجنَّةَ، والعاصيَ النَّارَ، فاحذروا ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: تتوقَّدُ وتتوهَّجُ، وبها سُمِّيت جهنَّمُ: لظَى.

قولُه: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾؛ أي: إلَّا مَن كانَ شقيًّا في علمِ اللهِ؛ أي: لا يدخلُها فيَصلى سعيرَها إلَّا الأشقياءُ، فـ﴿الْأَشْقَى﴾ بمعنى: الشَّقيِّ، وهوَ المشركُ.

﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾؛ أي: كذَّبَ الرَّسولَ والقرآنَ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرضَ عن الإيمانِ. وهذا وردَ في دركةٍ مخصوصةٍ لا يدخلُها إلَّا الكافرونَ، ثمَّ إن كانَ لمسلمٍ دخولٌ في النَّارِ فهوَ في دركةٍ أُخرى.

وقيلَ: ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾؛ أي: لا يلزمُها، وهذا اللُّزومُ للمُشركِ.

وقيلَ: ﴿الْأَشْقَى﴾ للمبالغةِ؛ أي: إنَّه أشدُّ المُشركينَ عذاباً، فهوَ مُتعلِّقٌ بمعيَّنٍ كأُميَّةَ بنِ خلفٍ أو أُبيِّ بنِ خلفٍ.

قولُه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي﴾؛ أي: سيُبعَّدُها، ويُجعلُ منها على جانبٍ، يُقالُ: جنَّبتُه الشَّيءَ؛ أي: بعَّدتُه عنه.

قولُـه: ﴿ٱلۡأَتۡقَى﴾ يعنـي: أبـا بكـر؛ أي: يُزحـزَحُ عن النَّـارِ، ثمَّ وصـفَ الأتقى، فقـالَ: ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾؛ أي: يطلـبُ أن يكـونَ عنـدَ اللهِ زاكيـاً، ولا يطلـبُ بذلكَ ريـاءً ولا سُـمعةً.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾.

قولُه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ قيلَ: كانَ بلالٌ لعبدِ اللهِ بنِ جُدعانَ، فسَلَحَ(١) على الأصنامِ، فسلَّمَه عبدُ الله بنُ جدعانَ إلى المُشركينَ ليُعذِّبوه بما فعلَ، فكانُوا يُعذِّبونَه في الرَّمضاءِ وقد وضعوا على صدرِه صخرةً، فاشتراه أبو بكر وأعتقَه، فقالَ المشركونَ: ما فعلَ أبو بكرٍ ذلكَ إلَّا ليدٍ لبلالٍ كانَت عنده أرادَ أن يجازيَه بها، فقالَ الله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾؛ أي: ما لبلالٍ عندَ أبي بكرٍ نعمةٌ، بل ابتغَى بما فعلَ وجهَ اللهِ.

وكانَ بلالٌ لمَّا سلحَ على الأصنامِ شكا المشركونَ ذلكَ إلى مالكِه عبدِ اللهِ بنِ جدعانَ، فوهبَه لهم ومئةً من الإبلِ ينحرونَها لآلهتِهم، فكانُوا يُعذِّبونَه في الرَّمضاءِ، وهوَ يقولُ: أحدٌ أحدٌ، فمرَّ به رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ فقالَ: «يُنجيكَ أحدٌ أحدٌ»، ثمَّ أَخبرَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ أبا بكرٍ أنَّ بلالاً يُعذَّبُ في اللهِ، فحملَ أبو بكرٍ رطلاً من ذهبٍ فابتاعه به، فقالَ المشركونَ: إنَّما فعلَ هذا ليدٍ لبلالٍ عندَه، فنزلَت الآيةُ(٢).

وقيـلَ: قـالَ أبـو قُحافـةَ: أراكَ تعتـقُ رقابـاً ضعافـاً، فلـو أنَّـك إذ فعلـتَ ذلكَ

---

(١) في هامش الأصل: «والسُّلاحُ بالضَّمِّ: النَّجو؛ يعني: كانَ يتغوَّطُ على الأصنام إهانةً لهنَّ فعذَّبوه لذلك».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٦)، من رواية عطاء عن ابن عباس.

أعتقتَ رجالاً يمنعونَك ويقومونَ دونَك، فقالَ: يا أبَه، إنِّي إنَّما أريدُ ما أريدُ، فنزلَت هذه الآياتُ[(١)].

وقيلَ: اشترى أبو بكرٍ بلالاً من أُميَّةَ وأبيِّ بنِ خلفٍ ببردةٍ وعشرةِ أواقٍ، فأعتقَه لله، فنزلَ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[(٢)].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَ لرجلٍ نخلةٌ فرعُها في دارِ رجلٍ فقيرٍ ذي عيالٍ، فكانَ الرَّجلُ إذا جاءَ فدخلَ الدَّارَ فصعدَ النَّخلةَ ليأخذَ منها التَّمرَ، فربَّما سقطَت التَّمرةُ فيأخذُها صبيانُ الفقيرِ، فينزلُ الرَّجلُ من نخلتِه حتَّى يأخذَ التَّمرةَ من أيديهم، وإن وجدَها في في أحدِهم أدخلَ إصبعَه حتَّى يُخرجَ التَّمرةَ مِن فيه، فشكا ذلكَ الفقيرُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقالَ له النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «اذهبْ أنتَ»، ولقيَ صاحبَ النَّخلةِ فقالَ: «تعطيني نخلتَك المائلةَ الَّتي فرعُها في دارِ فلانٍ ولك بها نخلةٌ في الجنَّةِ»، فقالَ الرَّجلُ: إنَّ لي نخلاً كثيراً، وما فيها نخلةٌ أعجبُ إليَّ ثمرةً منها. ثمَّ ذهبَ الرَّجلُ، وكانَ يسمعُ رجلٌ آخرُ ذلكَ من النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أتعطيني ما أعطيتَ الرَّجلَ نخلةً في الجنَّةِ إن أنا أخذتُها؟ قالَ: «نعم»، فذهبَ الرَّجلُ، ولقيَ صاحبَ النَّخلةِ فساومَه فيها، فقالَ: أشعرتَ أنَّ محمداً أعطاني بها نخلةً في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٦) و(٢٩١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٦)، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله.

ورواه الحاكم في المستدرك (٣٩٤٢) وصححه، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه. فيكون متصلاً.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٠)، والآجري في «الشريعة» (١٢٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٥)، وتقدم في أول السورة.

الجنَّةِ، فقلتُ: يُعجبني ثمرُها، فقالَ له الآخرُ: أتريدُ بيعَها؟ قالَ: لا، إلَّا أن أُعطى بها ما لا أظنُّه أُعطيَ، فقالَ له فما مُناك؟ قالَ: أربعونَ نخلةً، فقالَ له الرَّجلُ: لقد جئتَ بعظيمٍ، تطلبُ بنخلتِك المائلةِ أربعينَ نخلةً، ثمَّ سكتَ عنه، ثمَّ قالَ: أنا أعطيكَ أربعينَ نخلةً، فقالَ له: أشهِدْ لي إن كنتَ صادقاً، فمرَّ بهم ناسٌ فدعاهم، وأشهدَ له بأربعينَ نخلةً، ثمَّ ذهبَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ النَّخلةَ قد صارت في ملكي، فهيَ لك، فذهبَ رسولُ الله عليه السَّلامُ إلى صاحبِ الدَّارِ فقالَ: «النَّخلةُ لك ولعيالِك»، فأنزلَ اللهُ السُّورةَ إلى قولِه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[1].

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

قولُه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾؛ أي: إنَّما طلبَ ثوابَ اللهِ، وهوَ استثناءٌ من غيرِ الجنسِ.

وقيلَ: أي: ما ينفقُ إلَّا ابتغاءَ وجهِ ربِّهِ؛ كقولِه: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: الأجلِّ بصفاتِه الَّتي لا نظيرَ له فيها.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؛ أي: سوفَ يُعطيهِ في الجنَّةِ ما يَرضى به، وذلكَ أنَّه يُعطيَه أضعافَ ما أنفقَ.

---

(١) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٩)، والترقفي في «حديثه» (٤٥)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، وفيه حفص بن عمر العدني وهو ضعيف. وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: هكذا رواه ابن أبي حاتمٍ، وهو حديثٌ غريبٌ جدًّا. وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٠٧١) من حديث أنس رضي الله عنه نحوه دون ذكر النزول، وسمى الرجل الذي اشترى: أبا الدحداح، و(٢٣٠٨٥) عن أبي صالح ذكوان عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أقسمَ بالضُّحى، والمرادُ: جميعُ النَّهارِ؛ لأنَّه قابَلَها بقولِه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

وقالَ جعفرٌ: أقسمَ بالضُّحى الَّذي كلَّمَ فيهِ موسى، وبليلةِ المعراجِ[١].

﴿إِذَا سَجَىٰ﴾؛ أي: سكنَ، يُقالُ: ليلةٌ ساجيةٌ؛ أي: ساكنةٌ.

قالَ الأصمعيُّ: سَجْوُ اللَّيلِ: تغطيتُه النَّهارَ مثلما يُسَجَّى الرَّجلُ بالثَّوبِ[٢].

وقيلَ: ﴿سَجَىٰ﴾؛ أي: أظلَمَ.

ثمَّ سكونُ اللَّيلِ بمعنى: سكونِ النَّاسِ فيهِ، كما يُقالُ: نهارٌ صائمٌ، وليلٌ نائمٌ.

وقيلَ: سكونُه: استقرارُ ظَلامِه واستواؤُه.

* * *

(٣) ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

قولُه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ هوَ جوابُ القسمِ، وكانَ جبريلُ عليه السَّلامُ أبطأَ على النَّبيِّ، فقالَ المشركون: قد قَلاه اللهُ وودَّعَه، فنزلَت الآيةُ[٣].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٣٥) عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق.

(٢) انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٠٥)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ٩٧)، و«البسيط» (٢٤/ ٩٨).

(٣) رواه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧)، عن جُندبِ بنِ سفيانَ قالَ: اشتكى رسولُ اللهِ ﷺ فلم

وقيلَ: أبطأَ عليه الوحيُ أربعينَ ليلةً، فشكا إلى خديجةَ، فقالَت: لعلَّ ربَّكَ نسيَكَ أو قلاكَ، فنزلَت الآيةُ[1].

وقالَ الكلبيُّ: أبطأَ جبريلُ خمسَ عشرةَ ليلةً، وقيلَ: اثني عَشَرَ يوماً.

وقالَت خولةُ ـ وكانَت تخدمُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ ـ: إنَّ جرواً دخل البيتَ، فدخلَ تحتَ السَّريرِ فماتَ، فمكثَ نبيُّ اللهِ أيَّاماً لا ينزلُ عليه الوحيُ، فقالَ: «يا خولةُ، ما حدثَ في بيتي؟ جبريلُ لا يأتيني»! قالَت خولةُ: فقلتُ: لو هيَّأتُ البيتَ وكنستُه، فأهويتُ بالمكنسةِ تحتَ السَّريرِ، فإذا شيءٌ ثقيلٌ، فلم أزلْ حتَّى أخرجتُه، فإذا جروٌ ميِّتٌ، فأخذتُه فألقيتُه خلفَ الجدارِ، فجاءَ نبيُّ اللهِ تُرْعَدُ لَحياهُ ـ وكانَ إذا نزلَ عليه الوحيُ استقبلَتهُ الرِّعدةُ ـ فقالَ: «يا خولةُ دثِّريني»، فأنزلَ اللهُ هذه السُّورةَ، ولمَّا نزلَ

يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءَت امرأةٌ فقالَت: يا محمَّدُ، إنِّي لأرجو أن يكونَ شيطانُك قد تركَكَ، فإنِّي لم أرَه قَربَكَ منذُ ليلتين أو ثلاثٍ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. وفي رواية لمسلم (١٧٩٧/ ١١٤): أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: قد ودِّع محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٦) عن عبد الله بن شداد بن الهاد. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٧)، عن وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه. وكلاهما مرسل.

ورواه ـ كما في «سيرة ابن إسحاق» (ص: ١٣٥)، و«الذرية الطاهرة» للدولابي (٢٩)، و«المستدرك» (٤٢١٤) ـ أحمد بن عبد الجبَّار، عن يونس بن بُكيرٍ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت: لما أبطأ عن رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعاً شديداً فقلت مما رأيت من جزعه: لقد قلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه لإرسالٍ فيه. وذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٣) وعده من العجائب.

جبريلُ، سألَه النَّبيُّ عليه السَّلامُ عن التَّأخيرِ فقالَ: «أمَا علِمْتَ أنَّا لا ندخلُ بيتاً فيهِ كلبٌ ولا صُورةٌ»(١).

وقيلَ: لمَّا سألَته اليهودُ عن الرّوحِ وذي القرنينِ وأصحابِ الكهفِ، قالَ: «سأُخبرُكم غداً» ولم يقل: إن شاءَ اللهُ، فاحتبسَ عنه الوحيُ إلى أن نزلَ جبريلُ بقولِه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾، فأخبرَه بما سُئِلَ عنه، وفي هذه القصَّةِ نزلَت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾(٢).

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾؛ أي: ما تركَك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾؛ أي: ما قلاك؛ أي: ما أبغضَك، وتركَ الكافَ؛ لأنَّه رأسُ الآي، والقِلَى: البُغضُ، يُقالُ: قَلَاه يَقْلِيه قِلًى ومَقلِيةً؛ أي: أبغضَه.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٤٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٦١٠)، قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٣٤): «وليس إسناد حديثها في ذلك مما يحتج به». قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧١٠): «وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح». يريد ما رواه مسلم (٢١٠٤) عن عائشة من احتباس الوحي بسبب جرو كلب تحت سريره ﷺ دون ذكر النزول.

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧١٠) عن «سيرة ابن إسحاق» ثم قال: «وذكرُ سورة الضحى هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث وإنما كان بعد ذلك بمدة، والله أعلم». وقال أيضاً: «الحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول والضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك دامت أياما وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا فاختلطتا على بعض الرواة...».

قلت: رواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن في سبب نزول سورة الكهف، وقولِه تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وليس فيه ذكر نزول سورة الضحى. وهكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وقد تقدم هذا عند تفسير الإسراء والكهف.

وقيلَ: ﴿وَدَّعَكَ﴾ من التَّوديعِ، كما يُودِّعُ المفارقُ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.

قولُه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾؛ أي: كرامةُ اللهِ لك في الآخرةِ أكثرُ، وهوَ إشارةٌ إلى الشَّهادةِ للنَّبيِّينَ والشَّفاعةِ والجنَّةِ؛ أي: لا تجزعْ لانقطاعِ الوحي عنك مُدَّةً، واصبرْ على أذى المُشركينَ وقدحِهم فيك بكلِّ ما أمكنَهم، فإنَّ ما يُعطيكَ اللهُ من الثَّوابِ في الآخرةِ خيرٌ لك من كلِّ ما تنالُه في الدُّنيا من إعظامِ النَّاسِ إيَّاكَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أُرِيَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ما يُفتحُ على أمَّتِه بعدَه، فسُرَّ بذلكَ، فنزلَ جبريلُ بقولِه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، وأعطاهُ اللهُ ألفَ قصرٍ في الجنَّةِ من لؤلؤٍ، ترابُه المسكُ، في كلِّ قصرٍ منها ما يليقُ به[1].

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

قولُه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾؛ أي: من ثوابِ الآخرةِ، أو من الشَّفاعةِ في الأمَّةِ، فيُشفِّعُه إلى أن يرضى، ولمَّا نزلَت هذه الآيةُ، قالَ: «إذاً لا أرضَى وواحدٌ من أمَّتي في النَّارِ»[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٥٠)، والآجري في «الشريعة» (١١٠٨ ـ ١١١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٣)، من طريق عليِّ بن عبد الله بن عباسٍ عن أبيه عبد الله بن عباس قال: «عُرِض على رسول الله ﷺ...» الحديث. وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي بقوله: «تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعِّف». ونقل ابن أبي حاتم في «العلل» (٥/ ١٩) عن أبيه قوله: هذا غلطٌ؛ إنما هو: عن عليِّ بن عبد الله قال: «عُرِضَ...»، بلا «أبيه».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٨١)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٧) دون نسبة. ورواه

وقيلَ: ولسوفَ يعطيكَ ربُّك في الدُّنيا من النَّصرِ عليهم والإفاءةِ على المسلمينَ من أموالِهم.

❊ ❊ ❊

(٦) ـ ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لقد سألتُ ربِّي مسألةً ودِدْتُ أنِّي لم أكن سألتُه، فقلتُ: أيْ ربِّ، إنَّه قد كانَت أنبياءُ قبلي، منهم مَن سخَّرتَ له الرِّيحَ وذكرَ سليمانَ، ومنهم مَن كانَ يُحيي الموتى وذكرَ عيسى، ومنهم ومنهم، فقالَ: ألم أجدْكَ يتيماً فآويتُك؟! قالَ: قلتُ: بلى، قالَ: ألم أجدك ضالًّا فهديتُك!؟ قالَ: قلتُ: بلى، قالَ: ألم أجدك عائلاً فأغنيتُك؟! قالَ: قلتُ: بلى، قالَ: ألم أشرحْ لك صدرَك ووضعتُ عنك وزرَك؟! قالَ: قلتُ: بلى أيْ ربِّ»[(١)].

﴿فَـَٔاوَىٰ﴾؛ أي: فضمَّكَ إلى عمِّكَ أبي طالبٍ حتَّى أحسنَ تربيتَك، وحقَّقَ بهذا أنَّه ما ودَّعه وما قلاه، وكانَ عبدُ اللهِ والدُ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ماتَ وأُمُّ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ حاملٌ به فيما ذُكرَ، فكانَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ بعدما وُلدَ مع جدِّه

الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا بلفظ: «من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار». والمعروف في حديث الشفاعة ما رواه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه: «فرفع يديه وقال: اللَّهم أمَّتي أمَّتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك».

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٩)، و«المعجم الأوسط» (٣٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٤)، وصححه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤): فيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

عبدِ المطَّلبِ ومع أمِّه آمنةَ إلى أن بلغَ ستَّ سنينَ، فهلكَت أمُّه فكانَ مع جدِّه عبدِ المطَّلبِ سنتينِ، ثمَّ هلكَ عبدُ المطَّلبِ ورسولُ اللهِ ابنُ ثماني سنينَ، فأوصى عبدُ المطَّلبِ به أبا طالبٍ؛ لأنَّ عبدَ اللهِ وأبا طالبٍ كانا لأمٍّ، فتكفَّلَ به أبو طالبٍ إلى أن بعثَه اللهُ، فقامَ بنصرتِه، وكانَ ما كانَ من أمرِ الصَّحيفةِ الظَّالمةِ، ودخولِهمُ الشِّعبَ، ثمَّ تُوفِّيَ أبو طالبٍ، فلم يظهرْ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ يتمٌ، ولم يؤثِّر فيهِ موتٌ، فهذا هوَ الَّذي امتنَّ الله على نبيِّه عليه السَّلامُ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

قولُه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾؛ أي: وجدكَ ضالًّا عن شرائعِ الإيمانِ، فهداكَ لها، والضَّلالُ: هوَ الذَّهابُ والعدولُ عن الشَّيءِ، يُقالُ: ضلَّ عن الطَّريقِ؛ أي: عدلَ عنها.

وقيلَ: هوَ كقولِه: ﴿أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، فامتنَّ عليه بأنَّه كانَ لا يعلمُ شيئاً، فلمَّا بلغَ هَدَاه، وعصَمَه عن عبادةِ الأصنامِ، وأنبتَه أحسنَ نباتٍ، فكانَ يُسمَّى في قومِه: الأمينَ.

وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: قالَ النَّبيّ عليه السَّلامُ: «ما هممتُ بشيءٍ ممَّا كانَ في أهلِ الجاهليَّةِ يعملونَ به غيرَ مرَّتَين، كلُّ ذلكَ يحولُ اللهُ بيني وبينَ ما أريدُ من ذلك، ثمَّ بعدها ما هممتُ بسوءٍ حتَّى أكرمَنيَ اللهُ برسالتِه، وذلكَ أنِّي قلتُ ليلةً لغلامٍ من قريشٍ كانَ يَرعى معي بأعلى مكَّةَ: لو أنَّك أبصرتَ لي غنمي حتَّى أدخلَ مكَّةَ فأسمُرَ بها كما يسمُرُ الشُّبَّانُ؟ فخرجتُ أريدُ ذلكَ حتَّى أتيتُ أوَّلَ دارٍ من دورِ مكَّةَ، فسمعتُ عزفاً بالدُّفوفِ والمزاميرِ، فقالوا: فلانُ بنُ فلانٍ تزوَّجَ بفلانةَ، فجلستُ أنظرُ إليهم،

وضربَ اللهُ على أذني فنمتُ، فما أيقظني إلَّا مسُّ الشَّمسِ، قالَ: فجئتُ صاحبي، فقالَ: ما فعلتَ؟ فقلت: ما صنعتُ شيئاً، ثمَّ أخبرتُه الخبرَ، قالَ: ثمَّ قلتُ له ليلةً أخرى مثل ذلكَ، فضربَ اللهُ على أذني فما أيقظني إلَّا مسُّ الشَّمسِ»[١].

وقيلَ: وجدكَ ضالّاً عنِ النُّبوَّةِ، فهداكَ لها؛ كقول موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]؛ أي: فعلتُها ولستُ بنبيٍّ حينئذٍ.

وقيلَ: أي: وجدَكَ مغموراً بأهلِ الشِّركِ فميَّزكَ عنهم، يُقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ، ومنه: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]؛ أي: لَحِقْنا بالتُّرابِ عندَ الدَّفنِ حتَّى كأنَّا لا نتميَّزُ من جُملتِه.

وقيلَ: إنَّه كانَ على جملةِ ما كانَ القومُ عليه، لا يُظهِرُ لهم خلافاً في ظاهرِ الحالِ، فأمَّا الشِّركُ فلا يُظَنُّ به، بلى كانَ على مراسمِ القومِ في الظَّاهرِ أربعينَ سنةً.

وقيلَ: كانَ أضلَّ الطَّريقَ بينَ المدينةِ ومكَّةَ في سفرٍ له مع عمِّه، فأخذَ الشَّيطانُ ليلاً بزمامِ ناقتِه، وعدلَ به عن الطَّريقِ، فبعثَ اللهُ جبريلَ حتَّى أبعدَ الشَّيطانَ، فهذا معنى الآيةِ[٢].

وقيلَ: ضاعَ من عبدِ المطَّلبِ وهوَ صبيٌّ، فجعلَ يطلبُه ولا يجدُه، ثمَّ وجدَه وقد كادَ يهلكُ جوعاً[٣].

وقالَ الكلبيُّ: هذا على ظاهرِه؛ أي: وجدَكَ كافراً في قومٍ كفَّارٍ فهداكَ[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٩٧) عن سعيد بن المسيب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٩٠) من رواية أبي الضحى عن ابن عباس.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١١١).

وفي العقلِ تجويزُ أن يُكرمَ الكافرُ بالإسلامِ ثمَّ النُّبوَّةِ، وكذا العزلُ عن النُّبوَّةِ جائزٌ، ولكنَّ العادةَ لم تنقُلْ دينَه قبلَ المبعثِ على التَّواترِ.

وقيلَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ لا يهتدي إليك قومُك ولا يعرفونَ قدْرَك ﴿فَهَدَىٰ﴾ المسلمينَ إليك حتَّى آمنوا بكَ.

***

(٨) ـ ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

قولُه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ الوجودُ من اللهِ سُبحانَه وتعالى بمعنى الرُّؤيةِ والعلمِ؛ أي: عَلِمَك فقيراً ذا عَيلةٍ فأغناكَ، يُقالُ: عالَ يَعِيلُ عَيلةً، ثمَّ يُطلقُ «العائلُ» على الفقيرِ وإن لم يكن له عيالٌ.

وهذا لأنَّ الله تعالى كفاهُ في صغرِه، وقيَّضَ له مَن قامَ بكفايتِه، ثمَّ حبَّبَه بعدَ البلوغِ إلى القلوبِ حتَّى استأجرتْهُ خديجةُ وتزوَّجَته، فكُفِيَ المؤنةَ.

وقيلَ: أي: كنتَ عيالَ أبي طالبٍ، فأغناكَ بخديجةَ.

وقيلَ: أي: قنَّعَكَ بالكفايةِ، ولم يجعلْكَ شَرِهاً إلى الدُّنيا.

وقيلَ: أغناكَ بما فتحَ عليكَ من الفتوحِ، وأفاءهُ عليكَ من أموالِ الكفَّارِ.

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ، وإنَّما فُرِضَ الجهادُ بالمدينةِ.

***

(٩ ـ ١١) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

قولُه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي: اشكرِ اللهَ على نِعَمِه بأنْ لا تَقهَرَ اليتيمَ، ولا تستضعفَه في ظلمِه حقَّه، وتأكلَ مالَه.

وقالَ مجاهدٌ: لا تُحَقِّر اليتيمَ فقد كنتَ يتيماً[١]. والقهرُ: الغلَبةُ.

قولُه: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾؛ أي: مَن سألكَ المعروفَ لفقرِه وحاجتِه فلا تستخفَّ به لأجلِ فقرِه: فإمَّا البِرُّ، وإما البِشْرُ والقولُ المعروفُ والرَّدُّ الجميلُ.

وقيلَ: أي: إذا جاءَك سائلٌ عن مسألةٍ وطالبُ علمٍ فلا تنهرْه؛ شكراً لله على ما علَّمَك وهداكَ.

والنَّهرُ: الزَّجرُ، وأصلُه من السَّعةِ، ومنه: النَّهارُ، ومنه: الأنهار، ومنه:

.... فأنْهَرْتُ فتقَها[٢] ....

فمَن نهرَ السَّائلَ وزبَرَهُ فكأنَّه أوسعَه تغليظاً وتعنيفاً وزجراً.

قولُه: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾؛ أي: انشُرْ ما أنعمَ اللهُ عليكَ بالشُّكرِ والثَّناءِ، والتَّحديثُ بنعمةِ اللهِ: الاعترافُ بها، وأرادَ بالنِّعمةِ: جنسَ النِّعمةِ، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والحكمُ عامٌّ له ولغيرِه.

وقيلَ: ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾؛ أي: بالقرآنِ، وقيلَ: بالنُّبوَّةِ؛ أي: بلِّغْ ما أُرسلتَ به.

* * *

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١١٤) عن مجاهد ومقاتل. ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٩) بلفظ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ قال: تغْمِصْه وتحْقِرْه.

(٢) قطعة من بيت لقيس بن الخطيم يصف طعنة، وهو في «ديوانه» (ص: ٨)، وتمام البيت:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرَى قائمٌ مِن دُونِها ما وراءَها

سُورَةُ الشَّرْحِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ تقديره: أَلَسْنا شرحْنا صدرَك؛ أي: قد شَرَحْنا، كقولِه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقولِه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، يدلُّ عليه قولُه: ﴿وَوَضَعْنَا﴾؛ أي: قد شَرَحْنا ووضَعنا، وشرحُ الصَّدرِ: فَتْحُه بإذهابِ ما يصدُّ عنِ الإدراكِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: سُئِلَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، أَينشرحُ الصَّدرُ؟ قالَ: «نعم» قالوا: يا رسولَ الله، ألذلكَ علامةٌ يُعرَفُ بها؟ قالَ: «نَعَم، التَّجَافي عن دارِ الغُرورِ، والإنابةُ إلى دارِ الخُلودِ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزولِه»[1].

وقالَ الحسنُ: معنى شرحِ صدرِه: أنَّه مُلِئَ علماً وحُكْماً[2].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الذهبي: «عدي بن الفضل ساقط».
ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٨٥٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩١٨ ـ تفسير)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) عن عبد الله بن المسور عن النبي ﷺ مرسلاً.
وذكر له الدارقطني في «علله» (٥/ ١٨٩) طرقاً ثم قال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٦٩٠)، ومن طريقه وكيع في «أخبار القضاة» (٣/ ٥٣).

وقد صحَّ أنَّ جبريلَ غسلَ قلبَه بماءِ زمزمَ وأنقاهُ عمَّا كانَ فيهِ من المعاصي، ومَلأَه علماً وفهماً[1]. فشَرْحُ القلبِ: إنقاؤُه ممَّا كانَ فيهِ من حظِّ الشَّيطانِ.

وقيلَ: لمَّا بُعثَ ضاقَ صدرُه من مُناصبتِه الجنَّ والإنسَ، فآتاه اللهُ من آياتِه ما اتَّسعَ به قلبُه لكلِّ ما حمَّلَه اللهُ من أوامرِه.

* * *

(٢) ـ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ هـوَ محمولٌ على معنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ لا على لفظِه؛ لأنَّه لو حملَ[2] على اللَّفظِ لقالَ: ونضعْ عنكَ وزرَك، فالمعنى: قد شرَحْنا ووضَعْنا، ومثلُ هذه الآيةِ قولُه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

قيلَ: الجميعُ كانَ قبلَ النُّبوَّةِ، والوِزْرُ: الذَّنْبُ.

ولا يَبعدُ جريانُ الصَّغائرِ بعدَ النُّبوَّةِ أيضاً[3].

* * *

(١) حادثة شق صدره وهو صغير في ربع حليمة رواها مسلم (١٦٢/ ٢٦١) من حديث أنسٍ، وهي مشهورة في كتب السيرة. وروي حدوث ذلك أيضاً ليلة المعراج من حديث أنس عند البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢/ ٢٦٢). ومن حديث أنسٍ عن مالك بن صعصعة عند البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤). ومن حديث أنس عن أبي ذر عند البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣). والعلماء على أن حادثة شق الصدر قد تكررت. انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٠٥).

(٢) في الأصل: «إن يُحملْ».

(٣) انظر تفصيل هذه المسألة ومذاهب الفرق فيها في «تفسير الرازي» (٣/ ٤٥٥)، وقال في خاتمة كلامه: «والمختارُ عندنا: أنَّه لم يَصدُر عنهم الذَّنبُ حالَ النُّبوَّةِ ألبتَّةَ، لا الكبيرةُ ولا الصَّغيرةُ، ويدلُّ عليه وجوهٌ...».

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

قولُه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾؛ أي: أثقلَ ظهرَك، والظَّهرُ إذا أثقلَه الحِملُ سُمِعَ له نقيضٌ؛ أي: صوتٌ خفيٌّ، وهذا مَثَلٌ، ويُقالُ أيضاً: «أَنْقَضَ الظَّهرُ» بالرَّفعِ؛ أي: صارَ إلى هذه الحالةِ، وإنقاضُ الفرخِ من ذلك(١).

وقيلَ: لم يُرِدْ بالوزرِ الذَّنبُ، بل المرادُ: خفَّفنا عنكَ أعباءَ النُّبوَّةِ؛ أي: قوَّيناك لتقومَ بها ولا تَثْقُلَ عليك.

وقيلَ: هذا إشارةٌ إلى ما ثقلَ عليه من فتورِ الوحي في أيَّامٍ.

وقيلَ: إشارةٌ إلى أنَّه ثقلَ عليه تحمُّلُ الوحيِ في الابتداءِ حتَّى كادَ يرمي نفسَه من شاهقِ الجبلِ، إلى أن جاءَه جبريلُ عليه السَّلامُ فأراهُ نفسَه، وأُزيلَ عنه ما كانَ يخافُ من تغيُّرِ العقلِ.

وقيلَ: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾؛ أي: جعلَه نِقضاً، والنِّقضُ: البعيرُ المهزولُ الَّذي أتعبَه السَّيرُ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

قولُه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ أي: أعْلَينا ذكرَك فذكَرْناكَ في الكتبِ المنزَّلةِ على الأنبياءِ قبلَكَ وأمرناهم بالبشارةِ بك، ولا دينَ إلَّا ودينُك يَظْهرُ عليه.

وقيلَ: رفعنا ذكرَكَ في السَّماءِ عندَ الملائكةِ، وفي الأرضِ عندَ المؤمنينَ، ونرفعُ في الآخرةِ [ذكرَكَ](٢) بما نُعطيكَ من المقامِ المحمودِ وكَرائمِ الدَّرجاتِ.

---

(١) إنقاض الفرخ: صياحه، قال أبو عبيد: أنقضَ الفرخ إنقاضاً: إذا صأَى صَئِيًّا. انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٧٠). وفي «القاموس» (مادة: صأى): صأى ـ كسعى ـ صئيًّا: صاح.

(٢) من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٥٨).

وقيلَ: رفعنا ذكرَك حتَّى تُذكرَ مع ذكري في الأذانِ والتَّشهُّدِ والخُطبِ وغيرِها، ولو عَبَدَ اللهَ شخصٌ كذا سنةً، ولم يشهدْ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، لم ينتفعْ بشيءٍ ممَّا جاءَ به.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

قولُه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هوَ بشارةٌ له فيما كانَ يتحمَّلُه من كُلَفِ النُّبوَّةِ؛ أي: لا يَضيقَنَّ صدرُكَ بما تُقاسيهِ، فإنَّ وراءَه يُسراً تصيرُ إليه، فإنَّ العاقبةَ المحمودةَ لك في الدَّارينِ، واليُسرُ الموعودُ هوَ النَّصرُ في الدُّنيا، والأجرُ في العُقبى.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا التَّكريرُ لتأكيدِ الكلامِ؛ كما يُقالُ: ارْمِ ارْمِ، اعْجَلْ اعْجَلْ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يقولُ اللهُ: خلقتُ عُسراً واحداً، وخلقتُ يُسْرَيْنِ، فلن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَين[1].

وفي الخبرِ: «لن يَغْلِبَ ـ إن شاءَ اللهُ ـ عُسْرٌ يُسْرَين»[2].

معنى هذا: أنَّ اللَّفظَ وإن اشتملَ على عُسْرَينِ؛ فالمرادُ عُسرٌ واحدٌ؛ لأنَّه مذكورٌ بلفظِ التَّعريفِ، واليُسرُ مذكورٌ بلفظِ التَّنكيرِ مرَّتين، فكانَ كلُّ واحدٍ منهما غيرَ الآخرِ،

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٢٩) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٠)، عن الحسن البصري عن النبي ﷺ مرسلاً. قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٦): «وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً، وإسناده ضعيف».

ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٤٦)، وابن المبارك في «الجهاد» (٢١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٤٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٧٦)، من قول عمر رضي الله عنه.

تقولُ: إذا كسبتَ درهماً فأنفقْ درهماً، فالثَّاني غيرُ الأوَّلِ، فأمَّا المعرفةُ فكقولِك: إذا كسبتَ درهماً فأنفقِ الدِّرهمَ، والثَّاني هوَ هو الأوَّل.

قالَ الزَّجَّاجُ: تقديرُ الكلامِ: إنَّ مع العُسْرِ يُسْرَين(١).

وأنكرَ الجُرجانيُّ هذا، وقال: إذا قالَ الرَّجلُ: إنَّ مع الفارسِ سيفاً، إنَّ مع الفارسِ سيفاً، فهذا لا يوجبُ أن يكونَ معه سيفان، فالصَّحيحُ أن يُقالَ: إنَّ اللهَ بعثَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ وهوَ مُقِلٌّ، وكانُوا يُعيِّرونَه بذلكَ، فقالَ اللهُ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾؛ أي: لا يحزُنْكَ ما عيَّروك به من الفقرِ، فإنَّ مع ذلكَ يُسْراً عاجلاً، ثمَّ أنجزَ ما وعدَه، ففتحَ عليه الحجازَ واليمنَ، وكانَ يُعطي المِئِينَ من الإبلِ، ويُعِدُّ لأهلِه قوتَ سنةٍ، ثمَّ ابتدأَ فصلاً آخرَ، فقالَ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فهوَ شيءٌ آخرُ، فلهذا عرَّاهُ عن الواوِ والفاءِ، بل هوَ وعدٌ عامٌّ لجميعِ المؤمنينَ؛ أي: إنَّ مع العُسْرِ في الدُّنيا للمؤمنينَ يُسراً في الآخرةِ لا محالةَ، وربَّما اجتمعَ يُسْرُ الدُّنيا ويُسْرُ الآخرةِ، فالَّذي في الخبرِ: «لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَين» يعني: العُسْرُ الواحدُ لن يغلبَهما، وإنَّما يغلبُ أحدَهما إن غلبَ، وهوَ يسرُ الدُّنيا، فأمَّا يسرُ الآخرةِ فكائنٌ لا محالةَ، ولا يغلبُه شيءٌ، فالعسرُ بين يُسرَينِ: إمَّا فرجٌ في الدُّنيا، وإمَّا ثوابٌ في الآخرةِ(٢).

وقيلَ: هذا التَّكريرُ تأكيدٌ؛ كقولِه: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣ ـ ٤].

و﴿مَعَ﴾ في قولِه: ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ بمعنى: بعدَ العُسرِ يُسرٌ، ويجوزُ أن تكونَ بمعنى الاجتماعِ؛ أي: إنَّ اليُسرَ يدخلُ على العُسرِ ويجتمعُ معه حتَّى يُزيلَه.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٤١).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾.

قولُه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾؛ أي: إذا فرغتَ من دعاءِ النَّاسِ إلى اللهِ ﴿فَٱنصَبْ﴾؛ أي: فانصبْ في العبادةِ للهِ، من «نَصِبَ يَنصَبُ» مثل: سمِعَ يسمَعُ.

وفي التَّفاسيرِ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصَّلاةِ المكتوبةِ ﴿فَٱنصَبْ﴾ إلى الدُّعاءِ، وارغبْ إلى الله في المسألةِ يُعطِكَ.

وقالَ الشَّعبيُّ: إذا فرغتَ من التَّشهُّدِ فادعُ لدنياكَ وآخرتِك[١].

وقيلَ: إذا ﴿فَرَغْتَ﴾ من أمرِ دنياكَ ﴿فَٱنصَبْ﴾: فَصَلِّ.

وقيلَ: أي: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ للصَّلاة[٢] ﴿فَٱنصَبْ﴾ فيها للذِّكرِ والقراءةِ.

وقيلَ: إذا فرغتَ من الفرضِ، فانصَبْ في النَّفلِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: أي: اجعلْ فراغَك وصحَّتَك للعبادةِ[٣].

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾؛ أي: في إدامةِ التَّوفيقِ لك ونصرِك وتقويتِكَ.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٣٧).

(٢) في الأصل: «الصلاة» والصواب المثبت.

(٣) لم أجده.

سُورَةُ التِّينِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

﴿وَٱلتِّينِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ التِّينُ الَّذي يُؤكلُ، وكذلكَ الزَّيتونُ[١].

وفي كلِّ شيءٍ من المخلوقاتِ عِبَرٌ، ولكلِّ شيءٍ خاصيَّةٌ ودلالةٌ على كمالِ قدرةِ الصَّانعِ، فوقعَ الإقسامُ بالمخلوقاتِ لهذا، وفي الخبرِ: «لو قلتُ: إنَّ فاكهةً نزلَت من الجنَّةِ، قلتُ: هذه» يعني: التِّينَ «لأنَّ فاكهةَ الجنَّةِ بلا عَجمٍ، فكُلوها فإنَّها تقطعُ البواسِيرَ وتنفعُ من النِّقْرِسِ»[٢].

وكان يُتبرَّكُ بالزَّيتونِ، وهوَ أكثرُ أُدُمِ [أهلِ][٣] الشَّامِ؛ يصطبغونَ به[٤]، ويستعملونَه في طبيخِهم، ويستصبحونَ به، ويُداوى به أدواءُ الجوفِ والقُروحِ والجراحاتِ، وفيه منافعُ كثيرةٌ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥١) وصححه، بلفظ: «﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾: الفاكهة التي يأكلها الناس». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٣) عن مجاهد والحسن وعكرمة وإبراهيم والكلبي.

(٢) رواه أبو نعيم في «الطب» (ص: ٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٦): وفي إسناده من لا يعرف.

(٣) من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٦٥).

(٤) أي: يأتدمون به. انظر: «القاموس» (مادة: صبغ).

وقالَ قتادةُ: التِّينُ: الجبلُ الَّذي عليه دمشقُ، والزَّيتونُ: الجبلُ الَّذي عليه بيتُ المقدِسِ[(١)].

وقيلَ: التِّينُ: مسجدُ دمشقَ، والزَّيتونُ: مسجدُ بيتِ المقدسِ[(٢)].

و[قيل]: هما جبلان[(٣)].

وقيلَ: سُمِّيَت هذه الأماكنُ بالتِّينِ والزَّيتونِ؛ لأَنَّهما نبتُهما، ويجوزُ أن يكونَ ذلكَ على حذفِ المضافِ؛ أي: ومَنابِتِ التِّينِ والزَّيتونِ.

* * *

(٢) ـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

قولُه: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أرادَ: الجبلَ الَّذي كلَّمَ اللهُ عليه موسى. و﴿سِينِينَ﴾؛ أي: الحسنُ بلُغةِ الحبشةِ[(٤)]. وقيلَ: المباركُ[(٥)].

وقالَ الكلبيُّ: هوَ الجبلُ ذو الشَّجرِ[(٦)].

و﴿سَيْنَآءَ﴾ و﴿سِينِينَ﴾ بلُغةِ النَّبْطِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٣)

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٣) عن ابن زيد، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٢) عن كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعبد الرحمن بن غنم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٤) عن عكرمة. وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٥)، وابن أبي حاتِم كما في «الإتقان» للسيوطي (٢/ ١٣٥)، عن عكرمة. وزاد الطبري: «يقولون للشَّيء الحسَن: سِينَا سِينَا». ورواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتِم عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٦)، ووقع في الأصل: «الحسنة» وهو خطأ.

(٥) رواه ابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥١) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٧)

وقيلَ: ﴿سِينِينَ﴾ و﴿سَيْنَآءَ﴾ اسمُ المكانِ الَّذي به الجبلُ.

وليسَ ﴿سِينِينَ﴾ نعتاً للطّورِ[١].

وقالَ أبو عليٍّ: ﴿سِينِينَ﴾ فِعْلِيل، وكُرِّرَتِ اللَّامُ الَّتي هيَ نونٌ فيهِ كما كُرِّرَت في «زِحْلِيل» للمكانِ الزَّلِقِ، و«كِرْديد» للقطعةِ من التَّمرِ، و«خِنذيذ» للطَّويل، ولم يَنْصَرِف ﴿سِينِينَ﴾ ـ كما لا ينصرفُ «سيناء» ـ لأنَّه جُعِلَ اسماً لبقعةٍ أو أرضٍ، ولو جُعِلَ اسماً للمكانِ أو المنزلِ أو اسمَ مذكَّرٍ لانْصَرفَ؛ لأنَّه سمَّيتَ مذكَّراً بمذكَّرٍ[٢].

وإنَّما أقسمَ بهذا الجبلِ؛ لأنَّه بالشَّامِ والأرضِ المقدَّسةِ، وقد باركَ الله فيهما؛ كما قالَ: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

* * *

(٣) ـ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

قولُه: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ يعني: مكَّةَ، سمَّاه أميناً لأنَّه آمِنٌ؛ كما قالَ: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وكانَت العربُ تُعظِّمُ البلدَ الحرامَ، وتُعظِّمُ قريشاً لأنَّهم جيرانُ البيتِ وورثةُ إسماعيلَ.

قالَ الفرَّاءُ: العربُ تقولُ للآمِنِ: الأمينُ[٣].

وقيلَ: سُمِّيَ البلدُ الحرامُ أميناً لأنَّه يأمَنَ مَن فيهِ من النَّاسِ والصَّيدِ وغيرِهما، وهوَ كقولِك: سرٌّ كاتمٌ، وعيشةٌ راضيةٌ.

وقيلَ: ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ بمعنى: المأمونِ؛ كـ: الجريحِ بمعنى المجروحِ.

---

(١) لإضافته إليه. انظر: «البسيط» (٢٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: «الحجة» للفارسي (٥/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٦).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾.

قولُه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هذا جوابُ القَسمِ؛ أي: خلقنا آدمَ وذرِّيَّته ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، والتَّقويمُ: تصييرُ الشَّيءِ على ما ينبغي أن يكونَ في التَّأليفِ والتَّعديلِ، يُقالُ: قوَّمَه تقويماً فاستقامَ وتقوَّمَ.

وفي التَّفسيرِ: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: في أحسنِ صورةٍ، فإنَّه خُلقَ مديدَ القامةِ غيرَ مُنكبٍّ كالبهائمِ، يتناولُ بيدِه، ثمَّ يردُّه إلى أرذلِ العمرِ.

وقيلَ: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أرادَ: الفهمَ والتَّمييزَ بينَ الأشياءِ والتَّدبيرَ والبيانَ.

قولُه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾ إلى أَرذلِ العُمُرِ وإلى الهرَمِ، فإنَّ الهرمَ يُضعفُ سمعَه وبصرَه وقواه، ويعجزُ عن الطَّاعاتِ، ولو قالَ: «أسفلَ سافلٍ» جازَ؛ لأنَّ لفظَ ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ واحدٌ، وإنَّما قالَ: ﴿سَـٰفِلِينَ﴾ على الجمعِ؛ لأنَّ ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ في معنى جمعٍ، وتقولُ: هذا أفضلُ قائمٍ، ولا تقولُ: أفضلُ قائمينَ؛ لأنَّك تقصدُ[١] لواحدٍ، فإن كانَ الواحدُ غيرَ مقصودٍ[٢] له رجعَ اسمُه بالتَّوحيدِ والجمعِ؛ كقولِه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقولِه: ﴿إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ [الشورى: ٤٨].

---

(١) كذا عُدِّلت الكلمة في الأصل، وفي «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٧)، و«البسيط» للواحدي (٢٤/ ١٥٥)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٧٠): «تضمر»، ولعل الصواب: «تصمد»، فالفراء استخدم هذا التعبير (٢/ ٣٣٢)، واستخدمه كذلك الطبري (١٨/ ٦٢٤)، وهو بمعنى المثبت، وهو الرسم في الأصل قبل التعديل.

(٢) كذا عدلت الكلمة في الأصل، وكذا أثبتت في المطبوع من «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٧)، و«البسيط» للواحدي (٢٤/ ١٥٥)، وفي «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٧٠): «مضمر»، ولعلَّ الصواب: «مصمود» كما في نسخ «معاني القرآن» و«البسيط» على ما ذكره المحققون. وهو الرسم المثبت في الأصل قبل التعديل.

وبيَّنَ أنَّ حالةَ الخرفِ أنقصُ من حالةِ الطُّفوليَّةِ، فإنَّ هذا الطِّفلَ إلى الشَّبابِ ما هوَ، والخَرِفَ إلى الموتِ ما هو.

وقيلَ: أي: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ إلى النَّارِ؛ يعني: الكافرَ.

وفي حرفِ عبدِ اللهِ: (أسفلَ السَّافِلينَ)(١)، وعلى المشهورِ؛ أي: أسفلَ مَن سَفلَ، فلذلكَ نُكِّرَ.

***

(٦) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

قولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا يدلُّ على أنَّ ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ النَّارُ، ومَن [قالَ](٢): هوَ أرذلُ العمرِ، قالَ: المؤمنُ لا يصيرُ من الخرفِ إلى أرذلِ العمرِ، بل إذا بلغَ ذلكَ الحدَّ كُتبَ له من الأجرِ ما كانَ يعملُ في صحَّتِه، وقد وردَ هذا في خبرٍ(٣).

وقالَ عكرمةُ: مَن قرأَ القرآنَ لم يُرَدَّ إلى أرذلِ العمرِ(٤).

فقولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يريدُ: قراءةَ القرآنِ، ومعنى الكلامِ: إلَّا الَّذينَ آمنوا

---

(١) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٧).

(٢) من «البسيط» (٢٤/ ١٥٦).

(٣) رواه البخاري (٢٩٩٦) من حديث أَبي مُوسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعا: «إذا مرض العبدُ أو سافر كُتب له مِثلُ ما كان يعملُ مقيمًا صحيحًا».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٧) عن عكرمة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٢) وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٥٠)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٠) وعده من الغرائب. وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٥٩): وفي كون أحد من القراء لا يردُّ إلى أرذل العمر توقُّفٌ، فليُتَتَبَّع.

فإنَّهـم إذا زالَـت عقولُهـم يجـري لهـم فـي حـالِ العجـزِ من الأجـرِ مـا كانَ يجري لهـم فـي صحَّتِهم.

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غيرُ منقوصٍ. وقيلَ: غيرُ مقطوعٍ، والمنُّ: القطعُ.

***

(٧) ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾.

قولُـه: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؛ أي: إذا عَرفـتَ أنَّ اللهَ قـد خلَقَـك فـي أحسـنِ تقويـمٍ، وسـيردُّكَ إلـى أرذلِ العمـرِ، وينقلُك من حالٍ إلـى حالٍ، فلِمَ تُكـذِّبُ بالبعثِ وقد أخبـركَ محمَّـدٌ عليه السَّـلامُ به؟!

وقيلَ: خلقَك، وركَّبَ فيك العقلَ، وأمرَك بالإيمانِ، فما الَّذي يُكذِّبُك بالدِّينِ؟! أي: أخبرَك به الأنبياءُ عليهمُ السَّلامُ، وهوَ الجزاءُ على الأعمالِ، ويُقالُ: ما صدَّقَك بكذا؟! و: ما كذبَك بكذا؟! أي: ما حملَك على تصديقِه وتكذيبِه؟!

وقولُه تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ خطابٌ للإنسانِ المكذِّبِ بالدِّينِ.

وقالَ قتادةُ: أي: فمَن يُكذِّبُك أيُّها الرَّسولُ بعدَ هذا البيانِ بالدِّينِ؛ أي: فمَن يقدِرُ على تكذيبِكَ[1].

***

(١) لم أجده عن قتادة، وقاله الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٧)، والأخفش كما في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٦١)، ولم يرتضه النحاس، بينما اختاره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤) ـ وقد ذكره دون نسبة ـ على غيره من الأقوال، ومنها ما رواه عن قتادة: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؛ أي: استيقن بعد ما جاءك من الله البيان أن الله أحكم الحاكمين. وذكر القولين القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٢)، وصحح النحاس أن المعنى: فما يحملك يا أيّها المكذب على التكذيب ـ بعد ظهور البراهين والدلائل ـ بالدين.

(٨) ـ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

قولُه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾؛ أي: بأعدلِ العادلينَ، وقيلَ: بأفضلِ الفاضلينَ، فيرجعُ هذا إلى صُنعِه وتدبيرِه فيما خَلَقَ وأحسنَ تقويمَه وردَّهُ إلى أرذلِ العمرِ.

وقيلَ: عنَى حُكمَه بينَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ وبينَ مَن كذَّبَه.

وقيلَ: أليسَ بأحكمِ الحاكمينَ غداً، فإنَّه يُجازي كلّاً بما يستحقُّ.

* * *

سُورَةُ العَلَق

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ هذه السُّورةُ أوَّلُ ما نزلَ من القرآنِ في قولِ مُعظمِ المفسِّرينَ[1]، نزلَ جبريلُ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ وهوَ قائمٌ على حِراءٍ، فعلَّمَه خمسَ آياتٍ من هذه السُّورةِ[2].

وقالت عائشةُ: أوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ اللهِ ﷺ من الوَحْيِ الرُّؤيا الصَّادقةُ في النَّومِ، فكانَ لا يَرى رؤيا إلَّا جاءَت مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثمَّ حُبِّبَ إليه الخَلاءُ، فكانَ يأتي حراءً فيتحنَّثُ فيهِ ـ وهوَ التَّعبُّدُ ـ اللَّياليَ ذَوَاتِ العددِ، فيتزوَّدُ لذلكَ ثمَّ يرجعُ إلى خديجةَ فيتزوَّدُ لمثلِها؛ حتَّى فَجِئَهُ الحقُّ وهوَ في غارِ حراءٍ، فجاءَه الملكُ فيهِ فقالَ: اقرأ، فقالَ: ما أنا بقارئٍ، قالَ: «فأخذَني فغطَّني حتَّى بلغَ منِّي الجَهْدَ، ثمَّ أرسلَني فقالَ: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، قالَ: فأخذَني فغطَّني الثَّانيةَ حتَّى بلغَ منِّي الجَهْدَ، ثمَّ أرسلَني فقالَ: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، قالَ: فأخذَني فغطَّني الثَّالثةَ حتَّى بلغَ منِّي الجَهْدَ، ثمَّ أرسلَني فقالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حتَّى بلغَ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» فرجعَ بها رسولُ اللهِ يرجفُ فؤادُه حتَّى دخلَ على خديجةَ، فقالَ:

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٣/ ٣٨٥)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٨/ ١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٧٣)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر الحديث الآتي.

«زمِّلوني زمِّلوني» فزمَّلوه حتَّى ذهبَ عنه الرَّوعُ، فقالَ: «يا خديجةُ ما لي؟» وأخبرَها الخبرَ، وقال: «قد خشيتُ على [نفسي]» فقالَت: كلا، أبشرْ فوالله لا يُخزيك اللهُ أبداً، إنَّكَ لتصلُ الرَّحمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتَقري الضَّيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ. ثمَّ انطلقَت به إلى ورقةَ بنِ نوفلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العزَّى بنِ قصيٍّ، وهوَ ابنُ عمِّ خديجةَ أخي أبيها، وكانَ امرأً تنصَّرَ[1] في الجاهليَّةِ، وكانَ يكتبُ الكتابَ العبريَّ، ويكتبُ بالعربيَّةِ من الإنجيلِ ما شاءَ اللهُ أن يكتبَ، وكانَ شيخاً كبيراً قد عُمِّرَ[2]، فقالَت له خديجةُ: أي ابنَ عمٍّ، اسمعْ من ابنِ أخيك، فقالَ ورقةُ: ابنَ أخي ما تَرى؟ فأخبرَه رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ ما رأى، فقالَ ورقةُ: هذا النَّاموسُ الَّذي أُنزلَ على موسى، يا ليتني أكونُ فيها [جذعًا]، وأكونُ حيَّاً حينَ يُخرجُك قومُك، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخرجيَّ هم؟»، فقالَ: نعم، لم يأتِ أحدٌ بما جئتَ به إلَّا عُوديَ وأُوذيَ، وإن يُدركني يومُك أنصرْكَ نصراً مؤزَّراً. ثمَّ لم يَنْشَبْ ورقةُ أن تُوفِّيَ، وفترَ الوحيُ فترةً، حتَّى حزنَ رسولُ اللهِ حُزناً غدا منهُ مراراً كي يتردَّى من رؤوسِ شواهقِ الجبالِ، فكلَّما أوفى بذروةِ جبلٍ لكي يُلقي نفسَه تبدَّى له جبريلُ، فقالَ: «يا محمَّدُ، إنَّكَ رسولُ اللهِ حقًّا»، فيسكنُ بذلكَ جأشُه، وتقرُّ نفسُه، فيرجعَ، فإذا طالَت عليه فترةُ الوحي غدا لمثلِ ذلك، فإذا أوفى بذروةِ جبلٍ بدا له جبريلُ، فقالَ له مثلَ ذلك[3].

---

(١) تحرفت في الأصل إلى: «مبصراً».

(٢) كذا في الأصل، ولم أجد هذا اللفظ سوى في «الثقات» لابن حبان (١/ ٥٠)، وفي «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» له (١/ ٥٦)، والذي في باقي المصادر من الصحيحين وغيرهما: «قد عمي».

(٣) رواه البخاري (٦٩٨٢)، وإلى قوله: «وفتر الوحي» رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠). وما بين معكوفتين من المصادر.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اقرأ اسمَ ربِّكَ[١]، والباءُ زيادةٌ؛ كقولِه: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ومعنى: اقرأِ اسمَ ربِّكَ: اذكرِ اسمَه، أمرَه أن يبتدئَ القراءةَ بسمِ اللهِ[٢].

وقيلَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ الَّذي ينزِّلُه عليكَ في كتابِه، فإنَّه الَّذي خلقَك وخلقَ الخلقَ، وهوَ المستحَقُّ لأنْ تَذكرَ أسماءَه الحُسنى.

وقيلَ: اقرأْ اسمَ ربِّكَ لأنَّه الَّذي خلقَ، لا كالمُشركينَ يذكرونَ اللَّاتَ والعُزَّى والأصنامَ المخلوقةَ، قالَ الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقيلَ: أي: اقرأْ ما يُوحَى إليك بتسميتِكَ للهِ تبرُّكاً باسمِه؛ كما افتُتِحَت كلُّ سورةٍ بالتَّسميةِ.

وقيلَ: اقرأ على اسمِ اللهِ متبرِّكاً به، يُقالُ: فَعَلَ فِعلَ كذا باسمِ اللهِ، وعلى اسمِ اللهِ، وعلى هذا فالمقروءُ محذوفٌ؛ أي: اقرأِ القرآنَ وافْتَتِحْه باسْمِ الله.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ أي: خلقَ العالمَ، ثمَّ خصَّ الإنسانَ تشريفاً له؛ أي: خلقَ بني آدمَ من عَلَقٍ، وهيَ جمعُ عَلَقَةٍ، فذُكِرَ بلفظِ الجمعِ؛ لأنَّه أرادَ بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجمعَ، والعلقةُ: الدَّمُ الجامدُ، فإذا جرى فهوَ المسفوحُ.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾.

قولُه: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ هذا تأكيدٌ؛ كقولِك: افعَلْ هذا، افعَلْ هذا؛ أي: احذرِ التَّقصيرَ فيهِ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

(٢) قوله: «بسم الله» كذا في الأصل، والجادة: «باسم الله». انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٧٦).

﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾: تأكيدٌ آخرُ؛ أي: اقرأِ اسمَ ربِّكَ؛ فإنَّه هوَ الأكرمُ.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ أي: علَّمَ الكتابةَ بالقلمِ، وفي الكتابةِ فضائلُ؛ لأنَّك تُعربُ بالكتابةِ عمَّا في ضميرِك لمَن هوَ على مسافةٍ بعيدةٍ منك، والكتابةُ من جملةِ البيانِ، والبيانُ ممَّا اختُصَّ به الآدميُّ.

* * *

(٥) ـ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

قولُه: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ أي: علَّمَه بالقلمِ، وعلَّمَه أيضاً غيرَ ذلك، ولم يأتِ بواو النَّسقِ، وهوَ كما تقولُ: أكرمتُكَ، أحسنتُ إليك، ملَّكتُك الأموال، ولَّيتُك الولاياتِ.

ويحتملُ أن يدخلَ ما علَّمَه بالقلمِ تحتَ ما علَّمَه ممَّا لم يَعْلَمْه، ولكنْ أفردَ الخطَّ بالذِّكرِ لعظيمِ المنَّةِ فيهِ؛ كقولِه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقيلَ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بيانٌ لقولِه: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ والمرادُ بالإنسانِ الجنسُ.

وقيلَ: عنى آدمَ، فإنَّ اللهَ علَّمَه الأسماءَ والكتابةَ.

وقيلَ: أي: علَّمَ محمداً ما لم يعلمْه من أحكامِ الشَّرعِ؛ كما قالَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]. وعلى هذا فالمرادُ: يُعلِّمُك في المستقبلِ، فإنَّ هذا من أوائلِ ما نزلَ.

* * *

(٦) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ نزلَ إلى آخرِ السُّورةِ في أبي جهلٍ[1].

---

(١) روي هذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وسيأتي قريباً.

وقيلَ: نزلَتِ السُّورةُ كلُّها في أبي جهلٍ، فإنَّه نَهَى النَّبيَّ عليه السَّلامُ عن الصَّلاةِ، فأمرَ اللهُ نبيَّه بأنْ يُصلِّيَ في المسجدِ ويقرأَ باسمِ الرَّبِّ. وعلى هذا فليستِ السُّورةُ من أوائلِ ما نزلَ(١).

ويجوزُ أن تكونَ خمسُ آياتٍ من أوَّلِ ما نزلَ، ثمَّ نزلتِ البقيَّةُ في شأنِ أبي جهلٍ، وأُمرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ بضمِّ ذلكَ إلى أوَّلِ السُّورةِ؛ لأنَّ تأليفَ السُّوَرِ جرى بأمرٍ من الله، ألا ترى أنَّ قولَه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] آخِرُ ما نزلَ، ثمَّ هوَ مضمومٌ إلى ما نزلَ قبلَه بزمانٍ طويلٍ.

وقيلَ: إنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كانَ يُصلِّي، فجاءَ أبو جهلٍ فقالَ: ألم أَنْهَكَ عن هذا!؟ فزبرَه النَّبيُّ عليه السَّلامُ، فقالَ أبو جهلٍ: واللهِ إنَّك لتعلمُ ما بها نادٍ أكثرَ منِّي، فأنزلَ اللهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾(٢) في الحالِ.

ومعنى ﴿كَلَّا﴾: أنَّه لا يؤمنُ أبو جهلٍ بأنَّ اللهَ علَّمَ محمداً هذا الَّذي جاءَ به من النُّبوَّةِ.

وقيلَ: ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: حقًّا، إذ ليسَ قبلَه شيءٌ يكونُ ﴿كَلَّا﴾ ردًّا له.

والإنسانُ هاهنا: أبو جهلٍ.

﴿لَيَطْغَى﴾؛ أي: يُفرطُ في المعصيةِ إذا نالَ ثروةً.

* * *

---

(١) وهذا قول مرجوح لا يعول عليه مخالف للروايات الصحيحة والسير الصريحة. قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٦٤): الصحيح ـ كما قال البعض وهو الذي أختاره ـ أن صدر هذه السورة الكريمة هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، كيف وقد ورد حديث بدء الوحي المروي عن عائشة من أصح الأحاديث؟

(٢) رواه الترمذي (٣٣٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حسن صحيح غريب.

(٧) ـ ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

قولُه: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾؛ أي: يفعلُ هذا لأنْ يَرى نفسَه مُستغنياً؛ أي: ذا مالٍ.

وقيلَ: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ بالعشيرةِ والأنصارِ والأعوانِ.

وحُذفَ اللَّامُ من قولِه: ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ كما يُقالُ: إنَّكم لَتَطْغَون أنْ رأيتُم غِناكم.

وقالَ الفرَّاء: لم يقلْ: رأى نفسَه، كما يُقالُ: قَتَلَ نفسَه؛ لأنَّ «رأى» من الأفعالِ الَّتي تريدُ اسماً وخبراً نحوَ الظَّنِّ والحسبانِ، ولا يُقْتَصَرُ فيهِ على مفعولٍ واحدٍ، والعربُ تطرحُ النَّفسَ من هذا الجنسِ، فتقولُ: رأيتُني وظننتُني وحَسِبتُني، ومتى تُراكَ خارجاً؟ ومتى تظنُّكَ خارجاً[(١)]؟

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾؛ أي: مصيرُ مَن هذا وَصْفُه إلى ربِّكَ يا محمَّدُ فهوَ يُجازيه، والرُّجعى والمَرْجِعُ والرُّجوعُ مصادِرُ، يُقالُ: رجعَ إليه رُجوعاً ومَرْجِعاً ورُجْعَى، على وزنِ فُعَلى.

* * *

(٩ ـ ١٢) ـ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾.

قولُه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ قالَ أبو هريرةَ: قالَ أبو جهلٍ: لَئنْ رأيتُ محمداً يُصلِّي لأَطأَنَّ على رقبتِه، فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ تعجيباً منه[(٢)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٤) و(٣/ ٢٧٨)، و«البسيط» (٢٤/ ١٧٣)، وعنه نقل المصنف.

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧).

قولُـه: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾؛ أي: أَرأيـتَ يـا محمَّـدُ إن كانَ المنهيُّ عن الصَّلاةِ الممنـوعُ منهـا مهتديـاً لصلاتِـه، وهـوَ يأمـرُ هـذا النَّاهـيَ بالتَّقـوى، فهوَ لهـذا ينهاهُ عـن الصَّـلاةِ، هل يَحسـنُ هـذا وسـبيلُ المأمورِ بالتَّقـوى أن يُطيـعَ أمـرَه لا أن ينهاهُ عن تعظيـمِ ربِّه؟

***

(١٣) ـ ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾.

قولُه: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ يعني: أبا جهلٍ؛ أي: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ يُصلِّي ويأمرُ بالتَّقوى[1]، والنَّاهي مُكذِّبٌ مُتولٍّ عن الإيمانِ؟ أي: ما أعجبَ هذا! وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ خطابٌ للنَّاسِ وإن خاطبَ واحداً. وقوله: ﴿عَبْدًا﴾ أرادَ محمداً عليه السَّلامُ.

وقيلَ: أرأيتَ يا محمَّدُ الَّذي ينهَى عبداً عن عبادةِ مولاه، كهذا الَّذي نهاكَ وأنت عبدي عن الصَّلاةِ لي؟!

وقيلَ: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ أليسَ كانَ ذلكَ خيراً له؟ ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ ﴾ رسولي، ألا يعلمُ أنَّ الله يرى؟

﴿كَذَّبَ ﴾؛ أي: كذَّبَ اللهَ ورسولَه.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ عن طاعةِ اللهِ، وقيلَ: تولَّى الأوثانَ من دونِ اللهِ.

***

---

(١) قوله: «يصلي ويأمر بالتقوى» المعنى: أرأيت يا محمد إن كان هذا المنهيُّ عن الصلاة مهتدياً بصلاته وتعظيمِه ربَّه وآمراً غيرَه بتقوى الله؟

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾؛ أي: ألم يعلمْ هذا النَّاهي أنَّ الله يراه ويُجازيه؟ أو: أَلم يعلمْ حيثُ قالَ: «لأَطأَنَّ على رقبةِ محمَّدٍ» أنَّ اللهَ يراه، ويحولُ بينَه وبينَه؟!

قولُه: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما ظنَّ أبو جهلٍ، بل لا يقدرُ على ما قالَ.

وقيلَ: ﴿كَلَّآ﴾ لا يعلمُ ذلكَ.

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾؛ أي: عن تكذيبِ محمَّدٍ وإيذائِه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: لنأْخُذَنْ بالنَّاصيةِ، يُقالُ: سَفَعْتُ بيده؛ أي: أخذتُ بيده.

وقالَ المبرِّدُ: السَّفْعُ: الجذبُ بشدَّةٍ؛ أي: لَنَجُرَّنَّ بناصيتِه إلى النَّارِ.

وقيلَ: السَّفْعُ: الضَّرْبُ؛ أي: لنلطُمَنَّ وجهَه، وكنَّى عن الوجهِ بالنَّاصيةِ، والنَّاصيةُ: شعرُ الجبهةِ، وقد يُسمَّى مكانُ الشَّعرِ ناصيةً.

وقيلَ: أي: لنُسَوِّدَنَّ وجهَه.

وقالَ الخليلُ: يُقالُ: سفعَتْهُ النَّارُ، وسفعَه السَّمومُ؛ أي: غيَّرَ لونَه، والسُّفعةُ: سوادٌ في الخدَّينِ[1].

وقيلَ: أي: لنَسِمَنَّ، فالسَّفعُ: الوَسمُ.

* * *

---

(١) انظر: «العين» (١/ ٣٤١)، وفيه: «.. والسُّفْعَةُ ما في دمنة الدّار من زِبْلٍ أو رماد أو قُمام متلبّد، فتراه مخالفاً للون الأرض في مواضع، ولا تكون السُّفْعَةُ في اللون إلا سواداً مشربًّا حمرة». وقال أيضاً: «والسفع: سُفعة سواد في خدّي المرأة الشاحبة».

(١٦) ـ ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

قولُه: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾؛ أي: إنَّ النَّاصيةَ المسفوعةَ لم يُفعل بها ذلكَ إلَّا بذنبٍ، وهوَ أنَّ أبا جهلٍ كانَ كاذباً على اللهِ في أنَّه لم يُرسلْ محمداً، وعلى رسولِه في أنَّه ساحرٌ أو كذَّابٌ، وفي قولِه: أنا أكثرُ أهلِ الوادي نادياً.

ووصفَ النَّاصيةَ بأنَّها كاذبةٌ لأنَّ صاحبَها متمرِّدٌ على اللهِ، والخاطئُ معاقَبٌ مأخوذٌ، والمخطئُ غيرُ مأخوذٍ، ووصفُ النَّاصيةِ بالخاطئةِ كوصْفِ الوجهِ بالنَّظرِ في قولِه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

وقولُه: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدلٌ من ﴿النَّاصيةِ﴾.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾.

قولُه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾؛ أي: فليفعلْ ما ذكرَه من أنَّه يدعو أنصارَه ويستعينُ بهم في مُناصبةِ محمَّدٍ فإنَّ ذلكَ لا ينفعُه، بل ننصرُ محمداً بالزَّبانيةِ، وهم الملائكةُ الَّذينَ لا طاقةَ لناديهُ بهم.

وقيلَ: هذا إخبارٌ من الله بأنَّه تحشرُه الزَّبانيةُ غداً إلى النَّارِ وإن لم يَدْعُ هوَ ناديَه أيضاً، وقد فعلَ اللهُ ذلكَ به أيضاً في الدُّنيا إذ قُتلَ يومَ بدرٍ.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: سندعو الزَّبانيةَ في الآخرةِ، فليدعُ هوَ ناديَه حينئذٍ فلْيَمْنعوهُ.

ثمَّ قالَ أبو عُبيدةَ: ﴿نَادِيَهُۥ﴾؛ أي: أهلَ مجلسِه[1]، وقيلَ: عشيرتَه.

والنَّادي: المجلسُ، وقد يُذكرُ النَّادي والمجلسُ والمشهدُ بمعنى: آلِ الرَّجلِ،

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

ولا يُسمَّى المكانُ نادياً حتَّى يكونَ فيهِ أهلُه، وسُمِّيَ نادياً لأنَّ القومَ يَنْدُونَ إليه نَدواً؛ أي: يجتمعونَ، ومنه: دارُ النَّدوةِ، إذ كانُوا يجتمعونَ فيها للتَّشاورِ.

قولُه: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ يُقالُ: زِبْنِيَةٌ، والجمعُ: زَبانيَةٌ، والكلمةُ من «الزَّبْنِ» وهوَ الدَّفعُ.

وقيلَ: واحدُ «الزَّبانيةِ»: زابنٌ.

وقد قيلَ: العربُ لا تعرفُ الزِّبنيَةَ، فـ«الزَّبانيةُ» من الجمعِ الَّذي لا واحدَ له مثلَ: عباديدَ وأبابيلَ.

وقيلَ: الزَّبانيةُ: الشُّرَطُ[1].

وفي الأخبارِ: أنَّ الزَّبانيةَ رؤوسُهم في السَّماءِ وأرجلُهم في الأرضِ[2]، فهم يدفعونَ الكفَّارَ في جهنَّمَ.

* * *

(١٩) - ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾.

قولُه: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما قالَ أبو جهلٍ، إذ نهاكَ عن الصَّلاةِ، فلا تطعْه فيما قالَ، ﴿وَٱسْجُدْ﴾ لربِّكَ، وصلِّ ﴿وَٱقْتَرِب﴾؛ أي: قرِّبْ منزلتَك منهُ بالطَّاعةِ له، وهذا السُّجودُ بمعنى الصَّلاةِ، ويحتملُ أن يكونَ بمعنى السُّجودِ في الصَّلاةِ.

وقيلَ: هوَ السُّجودُ عندَ تلاوةِ هذه السُّورةِ.

وقيلَ: أي: ﴿وَٱسْجُدْ﴾ يا محمَّدُ ﴿وَٱقْتَرِب﴾ يا أبا جهلٍ منهُ حتَّى تُبصرَ ما ينالُك من أخذِ الزَّبانيةِ.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٥٨) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٠) من قول عبد الله بن أبي الهذيل، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٦٤)، والإمام أحمد في «العلل» (٢٢٨٥)، من قول عبد الله بن الحارث.

سُورَةُ القَدْرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾؛ أي: أنزلْنا القرآنَ في ليلةِ القدرِ، فكنَّى عنِ القرآنِ وإن لم يَجرِ له ذكرٌ في هذه السُّورةِ؛ لأنَّ المعنى معلومٌ، ولأنَّه سبقَ في السُّورِ قبلَ هذه ذكرُ القرآنِ، وأنَّ اللهَ أنزلَ القرآنَ جملةً واحدةً إلى السَّماءِ الدُّنيا ليلةَ القَدْرِ، ثمَّ أنزلَه مُفرَّقاً في السِّنينَ[1].

وقالَ مقاتلٌ: أنزلَه اللهُ من اللَّوحِ المحفوظِ إلى السَّفرةِ، وهم الكتبةُ من الملائكةِ في السَّماءِ الدُّنيا، فكانَ يُنزلُ كلَّ ليلةِ قدرٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا ما كانَ يَنزلُ به جبريلُ في تلكَ السَّنةِ[2].

وقيلَ: أي: ابتداءُ إنزالِه في ليلةِ القدرِ[3]، وكانَ مُبتدأُ الوحي إلى رسولِ اللهِ في شهرِ رمضانَ.

وليلةُ القدرِ هيَ الَّتي يقضي اللهُ فيها قضاءَ السَّنةِ، والقدرُ في اللُّغة بمعنى: التَّقديرِ، وهوَ جعلُ الشَّيءِ على مساواةِ غيرِه من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ، ويُقالُ:

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٢٥) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٣) بلفظ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر.

هـذا قَـدَرُ اللهِ وقَـدْرُ اللهِ، ونعنـي بقضاءِ اللهِ في هـذه اللَّيلةِ ما[١] يجري في السَّـنةِ: أنَّه بيَّـنَ ذلكَ للملائكـةِ، وإلا فعلمُـه وإرادتُه وإخبـارُه بما يكونُ وما لا يكـونُ قديمٌ.

وقالَ الزُّهريُّ: معنى ليلةِ القدرِ: أنَّها ليلةُ العَظَمةِ والشَّرَفِ، من قولِهم: لفلانٍ عندنا قَدْرٌ؛ أي: شرفٌ ومنزلةٌ[٢].

فهيَ ليلةٌ جعلَها اللهُ خيراً من ألفِ شهرٍ، وأثبتَ لها ما لم يُثبتْ لغيرِها من القَدْرِ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي: ما عظَّمُوه حقَّ تعظيمِه.

قولُه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ عظَّمَ أمرَ هذه اللَّيلةِ؛ أي: وأيَّةُ ليلةٍ هيَ في عِظَمِها وفضلِها؟!

* * *

(٣) ـ ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قولُـه: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ أي: العمـلُ فيهـا بطاعةٍ خيـرٌ وأفضلُ من العمـلِ فـي غيرِها ألفَ شـهرٍ ليـسَ فيها ليلـةُ القدرِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ذُكِرَ لرسولِ اللهِ ﷺ رجلٌ مِن بني إسرائيلَ، حملَ السِّلاحَ على عاتقِه في سبيلِ اللهِ ألفَ شهرٍ، ولبسَ السِّلاحَ في سبيلِ اللهِ ألفَ شهرٍ، فتعجَّبَ رسولُ اللهِ والمسلمونَ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ؛ أي: ليلةُ القدرِ لأُمَّتِك خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ الَّذي حملَ الإسرائيليُّ فيها السِّلاحَ في سبيلِ اللهِ[٣].

---

(١) كلمة «ما» اسم موصول في محل نصب مفعول به لقوله: «بقضاء»، وكلمة «الليلة»، وقع بدلا منها في الأصل: «السَّنةِ»، والصواب المثبت.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٦٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٩٢).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٠)، من طريق عطاء

وقالَ مالكُ بنُ أنسٍ: أُرِيَ رسولُ اللهِ أعمارَ النَّاسِ فاستقصرَ أعمارَ أُمَّتِه وخافَ أن لا يبلغوا من الأعمالِ مثلَ الَّذي بلغَ غيرُهم في طولِ العمرِ، فأعطاهُ اللهُ ليلةَ القدرِ، وقال: هيَ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ(١).

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

قولُه: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ أي: تنزَّلُ الملائكةُ ومعهم الرُّوحُ؛ ثمَّ قيلَ: إلى السَّماءِ الدُّنيا، وقيلَ: إلى الأرضِ.

والرُّوحُ: قيلَ: هم صِنفٌ من الملائكةِ جُعلوا حفظةً على سائرِهم، وإنَّ الملائكةَ لا يرونَهم كما لا نرى نحنُ الملائكةَ.

وقيلَ: هم صِنفٌ من خَلْقِ اللهِ يأكلونَ الطَّعامَ، ولهم أيدٍ وأرجلٌ، وليسوا ملائكةً(٢).

وقيلَ: الرُّوحُ: خَلْقٌ عظيمٌ يَفي بجميعِ الملائكةِ، فيقومُ وحدَه صفًّا والملائكةُ كلُّهم صفًّا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا. وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٥٢٢)، عن مجاهد، وقال البيهقي: هذا مرسل.

(١) انظر: «الموطأ» (١/ ٣٢١). قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ٤١٦): «لا أعلم هذا الحديث يروى مسندًا ولا مرسلًا من وجه من الوجوه إلا ما في «الموطأ» وهو أحد الأربعة الأحاديث التي لا توجد في غير الموطأ».

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف، وقال الرازي في «تفسيره» (٣١/ ٣٩٤): لم أجِدْ في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكنُ التمسُّك به بهذا القول. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [عم: ٣٨].

﴿فِيهَا﴾: في ليلةِ القدرِ.

وقيلَ: ينزلُ جبريلُ مع الملائكةِ في هذه اللَّيلةِ بالرَّحمةِ من اللهِ، والسَّلامِ على أوليائِه، فيُسلِّمونَ على كلِّ عبدٍ يذكرُ اللهَ تعالى.

ومَن قالَ: ينزلونَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، قالَ: ينزلونَ بكلِّ أمرٍ قدَّره اللهُ وقضاه، فقولُه: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ أي: بكلِّ أمرٍ قضاهُ اللهُ في تلكَ السَّنةِ؛ كقولِه: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: بأمرِ اللهِ تعالى، يُقالُ: فعلتُ هذا بأمرِك، وعن أمرِك، ومِن أمرِك.

وتمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: ليلةُ القدرِ إلى طلوعِ الفجرِ سلام؛ أي: تُسلِّمُ الملائكةُ على المطيعينَ، أو هيَ سلامةٌ من الشُّرورِ والبلايا، وهوَ كما يُقالُ: إنَّما فلانٌ حجٌّ وغزوٌ؛ أي: هوَ أبداً مشغولٌ بهما.

وقيلَ: تمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾، ثمَّ قالَ: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: فيها من كلِّ محذورٍ سلامةٌ.

وقيلَ: أي: هيَ سلامٌ؛ أي: ذاتُ سلامةٍ من أنْ يؤثِّرَ فيها شيطانٌ في مؤمنٍ ومؤمنةٍ.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: يدومُ ذلكَ السَّلامُ إلى طلوعِ الفجرِ، يُقالُ: طلعَ الفجرُ طُلوعاً ومَطلَعاً بفتحِ اللَّامِ، وقُرِئَ بكسرِ اللَّامِ[١]، وهوَ اسمٌ لوقتِ الطُّلوعِ، أو مكانِ الطُّلوعِ، والأظهرُ: أنَّه اسمٌ لوقتِ الطُّلوعِ.

ثمَّ قيلَ: ليلةُ القدرِ كانَت في الأممِ، وقيلَ: هيَ من خصائصِ هذه الأُمَّةِ.

ثمَّ قيلَ: إنَّها كانَت مرَّةً واحدةً، والصَّحيحُ: أنَّها باقيةٌ تعودُ كلَّ سنةٍ، ولهذا كانَ عليه السَّلامُ يعتكفُ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ كلَّ سنةٍ يطلبُ ليلةَ القدرِ.

---

(١) قرأ بها الكسائي والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤).

ثمَّ قالَ قومٌ: إنها مستورةٌ في جميعِ السَّنةِ ليجتهدَ المرءُ في إحياءِ جميعِ اللَّيالي، والصَّحيحُ: أنَّها في شهرِ رمضانَ(١).

ثمَّ قيلَ: إنَّها اللَّيلةُ الأولى من الشَّهرِ(٢)، وقيلَ: تُطلبُ في جميعِ الشَّهرِ، وقيلَ: في النِّصفِ الأخيرِ. قالَ الحسنُ: هيَ ليلةُ السَّابعَ عشرَ، وهيَ ليلةٌ كانَت صبيحتَها وقعةُ بدرٍ(٣).

وقيلَ: هيَ ليلةُ التَّاسعَ عشرَ(٤).

والأصحُّ: أنَّها في العشرِ الأواخرِ؛ لقولِه عليه السَّلامُ: «اطلبوها في العشرِ الأواخرِ»(٥).

---

(١) روي في هذا خبر أخرجه مسلم (٧٦٢) عن زر قال: سمعت أبي بن كعب يقول ـ وقيل له: إن عبد الله بن مسعود يقول: من قام السنة أصاب ليلة القدر ـ فقال أبيٌّ: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان...».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٦٨) من قول أبي رزين العقيلي.

(٣) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٦٨)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٦). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٧٩) عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٢٧)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٦٩٦) عن جعفر بن محمدٍ، عن أبيه: أنَّ عليًّا كان يَتحرَّى ليلةَ القدرِ ليلةَ تسعَ عشرةَ، وإحدى وعشرين، وثلاثٍ وعشرين. وإسناده منقطع.

(٥) رواه البخاري (٢٠٢١) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومسلم (١١٦٧/ ٢١٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٦٦٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. ولفظ الصحيحين: «التمسوها في العشرِ الأَواخِر..» وسيأتي لفظ حديثي الصحيحين بتمامه قريباً.

ثمَّ قالَ قومٌ: هيَ ليلةُ الحادي والعشرينَ، ومالَ إليه الشَّافعيُّ رضي الله عنه لحديثِ الماءِ والطِّينِ(١).

وقيلَ: ليلةُ الثَّالثِ والعشرينَ(٢).

وقيلَ: ليلةُ الخامسِ والعشرينَ(٣).

والذي عليه المعظمُ أنَّها ليلةُ السَّابعِ والعشرينَ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه قصة سجود النبي من صبحها في ماء وطين.

(٢) رواه مسلم (١١٦٨) من حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه. ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٦٦) و(٨٦٨٨) عن ابن عباس، و(٨٦٦٩) عن بلال، و(٨٦٨٧) عن عائشة.

(٣) رواه البخاري (٢٠٢١) من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بلفظ: «التمسوها في العشرِ الأَواخِر من رمضانَ ليلةَ القدر: في تاسعةٍ تبقَى، في سابعةٍ تبقَى، في خامسةٍ تبقَى». ورواه مسلم (١١٦٧/ ٢١٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بنحوه. وبهذا الحديث استدل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠٠) على القول بأنها ليلة الخامس والعشرين.

(٤) رواه مسلم (٧٦٢) عن أبيٍّ رضي الله عنه. ورواه أبو داود (١٣٨٦) عن معاوية. ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٦٧) عن زر بن حبيش قال: كان عمرُ وحذيفةُ وناسٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ لا يَشُكُّون أنها ليلةُ سبعٍ وعشرين.
وروى الطيالسي في «مسنده» (١٨٨٨)، وأحمد في «المسند» (٤٨٠٨)، عن ابن عمر مرفوعاً: «من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين»، وإسناده صحيح.
وروى مسلم (١١٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا لية القدر عند رسول الله ﷺ فقال:

وقيلَ: ليلةُ التَّاسعِ والعشرينَ[(١)].

وفي الخبرِ: «اطلبوها في كلِّ وترٍ»[(٢)].

* * *

«أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شِقِّ جفنة». قال أبو الحسن الفارسي كما في «فتح الباري» (٤/ ٢٦٤): أي ليلة سبع وعشرين فإن القمر يطلع فيها تلك الصفة.

وروى الطبراني في «الكبير» (١٠٨٩) من حديث ابن مسعود، قال: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن ليلة القدر، فقال: «أيكم يذكر الصهباوات؟» فقال عبد الله: أنا بأبي وأمي يا رسول الله حين طلع القمر، وذلك ليلة سبع وعشرين.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٧٣٤)، والبزار (١٠٣٠ ـ كشف)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى».

(٢) رواه البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (١١٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري، وهو حديث الماء والطين.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾؛ أي: لم يكونوا مُنتهِينَ عن كفرِهم ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾؛ أي: محمَّدٌ عليه السَّلامُ؛ لأنَّهمُ انقسموا في الفترةِ إلى مشركٍ لا يقرُّ بالنُّبوَّةِ، وإلى قومٍ أقرُّوا بالأنبياءِ ولكن حرَّفُوا وبدَّلُوا، وعلمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنونَ إلَّا بأنْ يبعثَ إليهم الرَّسولَ، وعلمَ أنَّه إذا بُعثَ إليهم الرَّسولُ فمنهم مَن يؤمنُ وإن كانَ الكثيرُ لا يؤمنونَ[1]، وقولُه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يدلُّ على أنَّ البيِّنةَ الرَّسولُ.

وقيلَ: الانتهاءُ: بلوغُ الغايةِ؛ أي: لم يكونوا لِيبلُغوا نهايةَ أعمارِهم فيموتوا ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، والانفكاكُ على هذا بمعنى: الانتهاءِ.

وقيلَ: ﴿مُنفَكِّينَ﴾؛ أي: زائلينَ؛ أي: لم تكن مدَّتُهم لتزولَ حتَّى يأتيَهم رسولٌ.

وقيلَ: ﴿مُنفَكِّينَ﴾؛ أي: بارحينَ؛ أي: لم يكونوا لِيَبرَحوا ويفارقوا الدُّنيا حتَّى تأتيهم البيِّنةُ.

وقيلَ: لم يكن أهلُ الكتابِ تاركينَ صفةَ محمَّدٍ وهو في كتابِهم حتَّى بُعِثَ، فلمَّا بُعثَ حسَدوه فجحَدوه، وهوَ كقولِه: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ

(١) في الأصل: «لا يؤمنونَ الكثيرُ».

كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، ولهذا قالَ: ﴿وَمَا نَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وعلى هذا فقولُه: ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: ما كانُوا يُسيئونُ القولَ في محمَّدٍ حتَّى بُعِثَ، فإنَّهم كانُوا يُسمُّونَه الأمينَ، حتَّى أتتهم البيِّنةُ على لسانِه وبُعثَ إليهم فحينئذٍ عادَوْه.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ قيلَ: حتَّى أتاهم.

وأهلُ الكتابِ: هم أهلُ التَّوراةِ والإنجيل، وأمَّا المشركونَ فهمُ الأُمِّيونَ الَّذينَ لا كتابَ لهم.

وأمَّا المجوسُ فقد قيلَ: ليسوا من أهلِ الكتابِ، قالَ الله: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] وهمُ اليهودُ والنَّصارى.

وقالَ قومٌ: من أهلِ الكتابِ، على معنى: أنَّه كانَ لهم كتابٌ فاندرسَ، أو رُفِعَ من بينِهم.

ويحتملُ أن يُقالَ: النَّبيُّ عليه السَّلامُ بيِّنةٌ لجميعِ الخلقِ.

وقولُه: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقتضي بظاهرِه أن يكونَ ثَمَّ مشركٌ لم يَكفرْ؛ كما أنَّ مِن أهلِ الكتابِ مَن لم يكفر، ولكن ﴿مِنْ﴾ هاهنا لبيانِ الجنسِ؛ كقولِه تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]؛ لأنَّ الرِّجسَ قد يكونُ من غيرِ الأوثانِ، فالمعنى: لم يكنْ أهلُ الكتابِ والمشركونَ الَّذينَ هم من جملةِ الكفَّارِ، وهم كلُّهم كفَّارٌ؛ كما أن معنى قولِه: ﴿اجتنبوا الرجس من الأوثان﴾: اجتنبوا الأوثانَ الَّتي هيَ من جملةِ الأشياءِ النَّجسةِ، وهيَ نجسةٌ كلُّها.

وقيلَ: الكفرُ هاهنا: هوَ الكفرُ بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: لم يكنِ الَّذينَ كفروا بمحمَّدٍ من هذين الفريقينِ الكافرينَ. وفيه بعدٌ؛ لأنَّ الظَّاهرَ من قولِه: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ

ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أنَّ هذا الرَّسولَ هوَ محمَّدٌ، فيَبعدُ أن يُقالَ: لم يكنِ الَّذينَ كفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ مُنفكِّينَ حتَّى تأتيَهم البيِّنةُ محمَّدٌ، إلَّا أن يُقالَ: أرادَ: لم يكن الذينَ كفروا الآنَ بمحمَّدٍ ـ وقد كانُوا مِن قبلُ معظِّمينَ له ـ بمنتهِينَ عن هذا الكفرِ إلى أن يُبعثَ محمَّدٌ إليهم، ويبيِّنَ لهم الآياتِ، فحينئذٍ يؤمنُ قومٌ.

وقيلَ: أهلُ الكتابِ كانُوا مؤمنينَ ثمَّ كفروا بعدَ أنبيائِهم، والمشركونَ وُلدوا على الفطرةِ فكفروا حينَ بَلَغُوا، فلهذا قالَ: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ فالمشركونَ وصفٌ لهم على معنى الإشارةِ إلى أعيانِهم؛ أي: الذين كفروا من أهلِ الكتابِ ومِن فلانٍ وفلانٍ وغيرِهم ممَّن هم اليومَ مشركون.

وقيلَ: المشركونَ وصفُ أهلِ الكتابِ أيضاً؛ لأنَّهم لم ينتفعوا بكتابِهم فتركوا التَّوحيدَ؛ فالنَّصارى مُثلِّثةٌ، وعامَّةُ اليهودِ مُشبِّهةٌ، والكلُّ شِركٌ، فهوَ كقولِك: «جاءني العقلاءُ والظُّرفاءُ» وأنتَ تريدُ قوماً بأعيانِهم تصفُهم بالأمرَين، فالمعنى: من أهلِ الكتابِ المشركينَ.

* * *

(٢) ـ ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾.

قولُه: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بيَّنَ «البيِّنَةَ» الَّتي ذكرناها، فقالَ: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿رَسُولٞ﴾ رفعٌ على البدلِ من ﴿ٱلۡبَيِّنَةُ﴾(١).

وقالَ الفرَّاء: أي: هيَ رسولٌ من اللهِ، أو: هوَ رسولٌ من اللهِ؛ لأنَّ «البيِّنَةَ» قد تُذكَّرُ فيُقالُ: بيِّنتي فلانٌ(٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٤٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٢).

﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ الصُّحُفُ: جمعُ الصَّحيفةِ، وهيَ ظرفٌ للمكتوبِ؛ أي: يتلو ما تتضمَّنُ الصُّحفُ من المكتوبِ فيها، ويدلُّ عليه أنَّه كانَ يتلو عن ظهرِ قلبِه لا عن كتابٍ؛ لأنَّه كانَ أُمِّيًّا لا يكتبُ ولا يقرأُ.

﴿مُّطَهَّرَةً﴾؛ أي: من الكذبِ والشَّكِّ والنِّفاقِ والشُّبُهاتِ والكفرِ، وهذا كقولِه: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤]، والمطهَّرةُ نعتٌ للصُّحُفِ في الظَّاهرِ، وهيَ نعتٌ لِما في الصُّحُفِ من القرآنِ.

وقيلَ: ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾؛ أي: ينبغي ألَّا يَمَسَّها إلَّا المطهَّرونَ.

وقيلَ: الصُّحفُ المطهَّرةُ هيَ الَّتي عندَ اللهِ في أمِّ الكتابِ، الَّذي منهُ نُسِخ ما أُنزلَ على الأنبياءِ من الكتبِ؛ كما قالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢].

* * *

(٣) ـ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

قولُه: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾؛ أي: في الصُّحُفِ المطهَّرةِ عندَ اللهِ كتبٌ قيِّمةٌ ينزِّلُها اللهُ على مَن يشاءُ من أنبيائِه ورسلِه، والقرآنُ مشتملٌ على ما في تلكَ الكتبِ، وهذا إشارةٌ إلى كتبِ الأنبياءِ.

وقيلَ: الكتبُ القيِّمةُ هيَ القرآنُ، فجعلَه كُتُباً لأنَّه مُشتملٌ على أنواعٍ من البيانِ وكلُّ نوعٍ كتابٌ: مواعظُ، وقصصُ الأممِ، وبيانُ الأحكامِ، والإخبارُ عمَّا يكونُ، والإنجيلُ مواعظُ لا غير، وكذا الزَّبورُ.

والقَيِّمةُ: العادلةُ المستقيمةُ الَّتي لا تناقضَ فيها.

وقيلَ: أي: فيها ذِكرُ كتبٍ.

وقيلَ: فيها أحكامٌ قيِّمةٌ، والحُكمُ قد يُسمَّى كتاباً؛ كما في الخبرِ: «لأقضِينَّ بينكما بكتابِ اللهِ»(١)؛ أي: بحكمِ اللهِ، وقالَ اللهُ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]؛ أي: حَكَمَ.

وقيلَ: القَيِّمةُ: القائمةُ بما يُرادُ منها في الحجَّةِ، يُقالُ: قامَ بالأمرِ؛ أي: أجراهُ على وجههِ.

وفي الخبرِ: «ما أفلحَ قومٌ قيِّمَتُهم امرأةٌ»(٢)، فالمعنى: فيها كتبٌ قيِّمةٌ بالأحكامِ والحُججِ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

قولُه: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾؛ أي: لم يزالوا مجتمعينَ في تصديقِ محمَّدٍ لأنَّهم وجدوا نعتَه في كُتُبِهم، فلمَّا بعثَه اللهُ تفرَّقوا فآمنَ بعضُهم وكفرَ المعظمُ، وهاهنا ذُكرَ أهلُ الكتابِ فقط؛ لأنَّ المُشركينَ لم يُقَرُّوا على دينِهم؛ فمَن آمن فهوَ المرادُ، ومَن لم يؤمنْ قُتِلَ، بخلافِ أهلِ الكتابِ الذين يُقَرُّون على كفرِهم ببذلِ الجزيةِ.

وقيلَ: هوَ عامٌّ؛ أي: ما تفرَّقوا في كلِّ عصرٍ إلَّا بعدَ أن بُعثَ إليهم الرُّسلُ، فحينئذٍ آمنَ قومٌ وكفرَ قومٌ، وقبلَ الشَّرائعِ لم يكن عليهم حُكمٌ.

* * *

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٢٦٩٥ و٢٦٩٦)، ومسلم (١٦٩٧)، من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٤٠٢) من حديث أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه بلفظ: «لن يُفلِحَ قومٌ أَسندوا أمرَهم إلى امرأةٍ». وإسناده صحيح. وهو بلفظ المصنف في «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٦٧).

(٥) ـ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

قولُه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: ما أُمِروا في التَّوراةِ والإنجيلِ، أو: ما أمَرَهم محمَّدٌ، إلَّا بإخلاصِ العبادةِ للهِ، واللَّامُ في ﴿لِيَعۡبُدُواْ﴾ بمعنى: «أنْ»؛ كقولِه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦]؛ أي: أن يبيِّنَ لكم، و﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ [الصف: ٨]، ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١]، وفي حرفِ عبدِ الله: (وما أُمِروا إلَّا أنْ يَعبدُوا اللهَ)[١].

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: موحِّدينَ لا يعبدونَ معه غيرَه؛ كما قالَ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [التوبة: ٣١].

﴿حُنَفَآءَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: على دينِ إبراهيمَ[٢]، والحنيفُ: المستقيمُ على الحقِّ.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: المكتوبةَ ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: عندَ وجوبِها ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾؛ أي: ذلكَ الدِّينُ [الَّذي][٣] أُمِروا به دينُ القَيِّمةِ؛ أي: الدِّينُ المستقيمُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ذلكَ دينُ الملَّةِ المستقيمةِ[٤]. فـ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ نعتُ موصوفٍ محذوفٍ، أو يُقالُ: ذلكَ دينُ الأُمَّةِ القيِّمةِ بالحقِّ؛ أي: القائمةِ بالحقِّ.

وفي حرفِ عبدِ اللهِ: (وذلكَ الدِّينُ القَيِّمة[٥]).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٢)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٥٣)، عن ابن مسعود.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢١٦).

(٣) من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤١٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٥٠).

(٥) في الأصل: «القيم»، والمثبت من المصادر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣١) و(٣/ ٤١ و٢٨٢)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٥٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٨).

وعندَ الفرَّاءِ: هوَ من بابِ إضافةِ الشَّيءِ إلى نفسِه، ودخلَت الهاءُ للمدحِ والمبالغةِ، ثمَّ أُضيفَ الدِّينُ إلى القيِّمةِ(١).

وقيلَ: أي: ذلكَ دينُ الكتبِ القيِّمةِ؛ لأنَّه جرى ذكرُ الكتبِ إذ قالَ: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: المُشركينَ وبعضَ أهلِ الكتابِ ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يومَ القيامةِ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يخرجونَ عنها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؛ أي: شرُّ الخليقةِ، والقياسُ: الهمزُ في «البريَّةِ»؛ لأنَّها مِن «برأَ اللهُ الخلقَ»، ولكن تُركَ الهمزُ كـ«النَّبيِّ» و«الذُّرِّيَّةِ» و«الخاينة»، وقد قُرِئَ بالهمزِ(٢)، وفيه فسادُ قولِ مَن قالَ: إنَّه من «البَرَى» وهوَ التُّرابُ؛ إذ لو كانَ كذلكَ لكانَ الهمزُ خطأً.

وقالَ قومٌ: هم شرُّ البريَّةِ الَّذينَ كانُوا في عصرِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ كما قالَ: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]؛ أي: على عالَمِي زمانِكم، ولا يبعدُ أن يكونَ في كفَّارِ الأممِ قبلَ هذا مَن هوَ شرٌّ منهم مثلَ فرعونَ وعاقرِ ناقةِ صالحٍ.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣١) و(٣/ ٤١ و٢٨٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤)، عن نافع وابن ذكوان.

(٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: صدقوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الأعمالَ الصَّالحاتِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ إمَّا على التَّعميمِ، أو خيرُ بريَّةِ عصرِهم.

وروى أبو هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «المؤمنُ أكرمُ على اللهِ من الملائكةِ الَّذينَ عندَه»(١).

ومَن قالَ: «البريَّةُ» من «البَرَى» ـ وهوَ التُّرابُ ـ قالَ: لا تدخلُ الملائكةُ تحتَ هذه اللَّفظةِ.

وقيلَ: «البريَّةُ» مِن «بَرَيْت القلَمَ»؛ أي: قَدَّرتُه، فتدخلُ فيها الملائكةُ. ولكنَّه قولٌ ضعيفٌ؛ لأنَّه يجبُ منهُ تخطئةُ مَن هَمَزَ.

* * *

(٨) ـ ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

قولُه: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾؛ أي: جنَّاتُ إقامةٍ.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: الجنَّةُ ورضا الرَّبِّ لمَن خشيَ ربَّه في الدُّنيا، وانتهى عن معاصيه.

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٤٧)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٩٩)، من طريق حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه هناد في «الزهد» (٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٢)، من هذه الطريق موقوفاً. وعلى كل فأبو المهزم متروك. وقال ابن حبان: كان شيخاً صالحاً لم يكن العلم صناعته، كان مِمَّن يهم ويخطئ فيما يروي فلمَّا كثر في روايته مخالفة الأثبات خرج عن حد العدالة قد تركه شعبة.

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾.

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾؛ أي: حرِّكَت حركةً شديدةً.

قالَ مجاهد: هذا في النَّفخةِ الأولى؛ كقولِه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦ ـ ٧]، ثمَّ تُزلْزَلُ ثانيةً فتُخرِجُ مَوْتاها، وهيَ الأثقالُ.

وذُكِرَ المصدرُ للتَّأكيدِ، ثمَّ أُضيفَ إلى الأرضِ لحالِ رؤوسِ الآيِ، وقد سبقَ القضاءُ للأرضِ بالزِّلزالِ، فلهذا قالَ: ﴿زِلۡزَالَهَا﴾، و«الزِّلزالُ» بالكسرِ: المصدرُ، وبالفتحِ: الاسمُ.

قولُه: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ قالَ أبو عُبيدةَ والأخفشُ: إذا كانَ الميِّتُ في بطنِ الأرضِ فهوَ ثِقلٌ لها، وإذا كانَ فوقَها فهوَ ثِقلٌ عليها.

وقيلَ: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾؛ أي: لفظَت ما فيها منَ الكنوزِ والموتى.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾؛ أي: قالَ الكافرُ الَّذي لم يؤمنْ بالبعثِ: ﴿مَا لَهَا﴾.

وقيلَ: أرادَ كلَّ إنسانٍ يشاهدُ ذلكَ عندَ قيامِ السَّاعةِ في النَّفخةِ الأولى.

﴿مَا لَهَا﴾؛ أي: ما للأرضِ؟ وهيَ كلمةُ تعجيبٍ؛ أي: لأيِّ شيءٍ تزلزلُ؟!

ويجوزُ أن يُحييَ اللهُ الموتى بعدَ وقوعِ النَّفخةِ الأولى، ثمَّ تتحرَّكُ الأرضُ

فتُخرجُ الموتى وقد رأوا الزَّلزلةَ وانشقاقَ الأرضِ عن الموتى أحياءً، فيقولونَ من الهولِ: ﴿مَا لَهَا﴾؟!

* * *

(٤) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

قولُه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؛ أي: تُخبرُ بما عُمِلَ عليها، وفي الخبرِ: «إنَّ الأرضَ لَتُخبرُ يومَ القيامةِ بكلِّ عملٍ عُملَ على ظهرِها»، وتلا قولَه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[1].

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: إنَّها تُحدِّثُ أخبارَها، فيقولُ النَّاسُ: ما لها تُحدِّثُ أخبارَها؟!

ولا بدَّ من تقديرِ الحياةِ لها في حالِ الإخبارِ بأعمالِ بني آدمَ، وقالَ قومٌ: هذا مثَلٌ، وكأنَّه جَعلَ ما ظهرَ من خروجِ الموتى حديثاً منها، كما تقولُ: «هذه الأرض تحدِّثُنا بأنَّها كانَت عامرةً مسكونةً»: إذا ظهرَت آثارُ العمارةِ فيها.

ويجوزُ أن يَخلقَ فيها أصواتاً وإن كانَت جماداً، ويَخلقَ فيها أماراتٍ تقومُ مقامَ الإخبارِ، إذ ليسَ من ضرورةِ الصَّوتِ الحياةُ.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.

قولُه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: تخبرُ الأرض بأعمالِ الخلقِ بإذنِ اللهِ لها ووحيِه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حسن غريب صحيح.

وقالَ أبو عُبيدةَ: ﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: أوحى إليها[1].

وقيلَ: ﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: أمرَها، وقيلَ: سخَّرَها.

قولُه: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾؛ أي: يرجعونَ عن موقفِ الحسابِ مُتفرِّقينَ؛ فالبعضُ إلى الجنَّةِ، والبعضُ إلى النَّارِ، وهوَ كقولِه: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

وقيلَ: هذا رجوعٌ من القبورِ، ويخرجونَ منها متفرِّقينَ، فيُصارُ بهم إلى موقفِ الحسابِ ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ في كتبِهم؛ أي: لِيُروا جزاءَ أعمالِهم؛ فكأنَّهم وَرَدوا القبورَ فدُفِنوا فيها، ثمَّ صَدَروا عنها، والواردُ: الجائي، والصَّادرُ: المُنْصَرِف.

﴿أَشۡتَاتٗا﴾؛ أي: يُبعثونَ من أقطارِ الأرضِ.

وقيلَ: يتفرَّقونَ إلى الجنَّةِ والنَّارِ.

﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: جزاءَ أعمالِهم في الجنَّةِ أو النَّارِ[2].

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: تحدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربَّك أَوْحَى لها؛ ليُرَوا أعمالَهم، واعترَضَ قولُه: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾.

والقراءةُ: ﴿لِّيُرَوۡاْ﴾ بضمِّ الياءِ[3].

***

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣٠٦)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤١٩)، وهو قول الفراء في «معاني القرآن» له (١/ ٢٥٠)، والأخفش في «معاني القرآن» له (٢/ ٥٨٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٢) من قول ابن عباس.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٢٨).

(٣) وقرئ في الشواذ: (ليَروا). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٧)، ونسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥١١) للحسن والأعرج وحماد والزهري وأبي حيوة.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ أي: زِنةَ ذرَّةٍ.

قالَ الكلبيُّ: الذَّرَّةُ: أصغرُ النَّملِ(١).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: إذا وضعتَ يدك على الأرضِ ورفعتَها، فكلُّ واحدٍ ممَّا لزقَ به من التُّرابِ مثقالُ ذَرَّةٍ(٢).

قيلَ: نزلَت في رجلَين كانَ أحدُهما يأتيه السَّائلُ فيَسْتَقِلُّ أن يعطِيَه التَّمرةَ والكِسْرةَ والجوزةَ، ويقولُ: ما هذا بشيءٍ، وإنَّما نُؤجرُ على ما نُعطي ونحن نحبُّه، وكانَ الآخرُ يتهاوَنُ بالذَّنبِ اليسيرِ من الكذبةِ والغِيبةِ والنَّظرةِ، ويقولُ: ليسَ من هذا عليَّ شيءٌ، إنَّما الوعيدُ بالنَّارِ على الكبائرِ، فنزلَت هذه الآيةُ ترغيباً في القليلِ من الخيرِ فإنَّه يوشِكُ أن يكثرَ، وتحذيراً من اليسيرِ من الذَّنبِ فإنَّه يوشِكُ أن يكثرَ(٣).

وقيلَ: مَن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ من خيرٍ يرهُ في الدُّنيا، وهوَ الكافرُ يرى ثوابَ ذلكَ في نفسِه وأهلِه ومالِه في الدُّنيا حتَّى يَرِدَ الآخرةَ وليسَ له فيها خيرٌ، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ وهوَ المؤمنُ يرى عقوبةَ ذلكَ في الدُّنيا في نفسِه ومالِه وأهلِه حتَّى يَرِدَ الآخرةَ وليسَ له فيها شرٌّ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٢٩) بلفظ: وزن نملة أصغر ما يكون من النمل.

(٢) رواه هناد في «الزهد» (١٩٣)، وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (١/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٩٢). وروى معناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٦) عن سعيد بن جبير.

وقيلَ: ﴿يَرَهُۥ﴾؛ أي: يرَ جزاءَه؛ لأنَّ ما عملَه قد مضى وعُدِمَ فلا يُرى.

قرأَ المعظَمُ: ﴿يَرَهُۥ﴾، وفي روايةٍ عن عاصمٍ: (يُرَهُ) بضمِّ الياءِ[1]، وقُرِئَ: ﴿يَرَهْ﴾ بالجزمِ[2].

وقيلَ: يَرَى الكافرُ حسناتِه محبَطةً وسيِّئاتِه مُعاقَباً عليها، والمؤمنُ يرى سيِّئاتِه مغفورةً وحسناتِه مُثاباً عليها.

* * *

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٧) من رواية هارون عن عاصم وزاد نسبتها لابن عباس وعلي بن الحسين وزيد بن علي، وذكرها في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥١٢) من رواية أبان عن عاصم، وزاد نسبتها لأبي حيوة، وحميد بن الربيع عن الكسائي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤)، عن هشام.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾.

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ قيلَ: أقسَمَ بالخيلِ الَّتي يغزوا عليها المؤمنونَ، وفي الخبرِ: «مَن لم يعرفْ حُرمةَ فرسِ الغازي ففيه شعبةٌ من النِّفاقِ»[١].

والضَّبحُ: أصواتُ أنفاسِ الخيلِ إذا عدَوْنَ؛ أي: والعادياتِ تضبحُ ضبحاً، والضَّبحُ ليسَ بصهيلٍ ولا حمحمةٍ، بل هوَ صوتُ نَفَسٍ.

ثمَّ قالَ البَصْرِيونَ: أي: والعادياتِ ضابحةً، فقولُه: ﴿ضَبْحًا﴾ نصبٌ على الحالِ[٢].

وقالَ الفرَّاء: العادياتِ بمعنى: الضَّابحاتِ، كأنَّه قالَ: والضابحاتِ ضبحاً، فهوَ نصبٌ على المصدرِ[٣].

---

(١) رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ١٨٤) من طريق أبي بكر بن أبي روضةَ النَّحْويِّ عن الحسن بن عطيَّةَ عن أبي عاتكةَ عن أنس بن مالكٍ رضي اللهُ عنه مرفوعاً: «مَن لم يعرِفْ حِرْفةَ فرس الغازي فهو منافقٌ، ومَن أَبغض غازيًا فقد أَبغضني...» الحديث. ثُم قال: «حديثٌ مُنْكرٌ، والحسن بن عطيَّة ضعيفٌ، تفرَّد به ابن أبي روضةَ وعنه الصيقلي وعهدته عليه». قلت: وابن أبي روضة قال عنه الخطيب: كان غير موثَّقٍ عندهم. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٣١). وأبو عاتكة اسمه طريف بْن سُلَيْمَان قال ابن حبان: شيخ من أهل العراق يروي عن أنس بن مالك إن كان رآهُ، مُنكر الحديث جدا، يروي عن أنس ما لا يشبه حديثه وربما روى عنه ما ليس من حديثه.

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٣٠٠).

(٣) لم أجده في «معاني القرآن» للفراء، وذكره عنه الشريف المرتضى في «أماليه» (١/ ١٠٦).

وقالَ أبو عُبيدةَ: الضَّبحُ والضَّبعُ بمعنى العَدْوِ والسَّيْر، يُقالُ: ضَبَحَتِ النَّاقةُ وضَبَعَت؛ أي: مدَّت ضَبُعَيها في السَّيرِ، والضَّبحُ عَدْوٌ فوقَ التَّقريبِ، فالمعنى: والعادياتِ عدواً(١).

وقيلَ: بعثَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ سَرِيَّةً إلى أُناسٍ مِن بني كِنانةَ، فمكثَ ما شاءَ اللهُ أن يمكثَ لا يأتيه خبرٌ، وكانَ استعملَ عليهم المنذرَ بنَ عمرٍو الأنصاريَّ، وكانَ أحدَ النُّقباءَ، فقالَ المنافقونَ: إنَّهم قُتلوا، فنزلَت هذه السُّورةُ(٢).

* * *

(٢) ـ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾.

قولُه: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ يعني: الخيلَ تقدحُ النَّارَ بحوافرِها في شدَّة عَدْوِها، يُقالُ: أورَيْتُ الزَّنْدَ؛ أي: استخرجْتُ النَّارَ، ووَرِيَ الزَّندُ يَرِي وَرْياً ورِيةً، مثلَ: وَعَى يَعِي وعياً وعِيَةً، ووَرِيَ أيضاً يَرِي مثلَ: وَلِيَ يَلِي، ووَرِيَ يَوْرَى أيضاً مثلَ: وَجِلَ يَوْجَلُ(٣).

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٧)، ولفظه: ﴿ضَبْحًا﴾؛ أي: ضبعاً، ضبحت وضبعت. وفي «تهذيب اللغة» (٤/ ١٢٩): وقال أبو عُبيدة: ضَبَحَت الخيلُ وضَبَعَت إذا عَدَتْ وهو السَّير، وقال في كتاب «الخيل»: هو أن يَمُدَّ الفرسُ ضَبْعيه إذا عَدَا حتى كأنَّه على الأرض طولاً، يقال: ضَبَحَتْ وضَبَعَتْ. ولم أجده في المطبوع من كتاب «الخيل».

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٣٠/ ١٧١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٣)، عن مقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٠١). ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «العلل» (٤/ ٦٠٨ ـ ٦١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٣)، من طريق عكرمة عن ابن عباس. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: هذا حديث منكر، والصحيح: عن عكرمة فقط.

(٣) في الأصل: «وحي يوحى»، والصواب المثبت. انظر: «تاج العروس» (مادة: وري).

و﴿قَدۡحٗا﴾ انتصَبَ بما انتصبَ به ﴿ضَبۡحٗا﴾.

وقيلَ: هذه الآياتُ في الخيلِ؛ ولكنْ إيراؤُها أنْ تُهيجَ الحربَ بين أصحابِها وبين عدوِّهم، ومنه يُقالُ للحربِ إذا التحمَت: حَمِيَ الوَطِيسُ، ومنه: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: أقسَمَ بالإبلِ في الحجِّ تَعْدُو مِن عرفةَ إلى المزدلفةِ، ثمَّ إلى منًى[1].

---

(١) رواه ابن وهب كما في «تفسير القرآن من الجامع» (١٣٦)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٣٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٠٧)، عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس أتاني رجل يسأل عن (الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم. فانفتل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن (الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) فقال: سألتَ عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أولُ غزوة في الإسلام لبدرٌ وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العادياتِ ضبحاً؟! إنما العادياتُ ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد احتجا بأبي صخر وهو حميد بن زياد الخراط المصري وبأبي معاوية البجلي وهو والد عمار بن أبي معاوية الدهني الكوفي»، فتعقبه الذهبي بقوله: «لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة، ولا احتج البخاري بأبي صخر، والخبر منكر».
قلت: ولعل النكارة في قوله: «ما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد» لمخالفته لما صح من طريق شُعْبَةَ، عن أبي إسحاقَ، عن حارثةَ بن مُضرِّبٍ، عن عليٍّ قال: ما كان فينا فارسٌ يومَ بدرٍ غيرَ المقداد. رواه الطيالسي (١١٦) عن شعبة، والإمام أحمد في «المسند» (١٠٢٣)، وأبو

وفي روايةٍ: هيَ الإبلُ الَّتي كانَت في وقعةِ بدرٍ، قالَ: ولم يكنْ معنا يومَ بدرٍ إلَّا فرسٌ واحدٌ عليه المقدادُ[1].

وعلى هذا فـ﴿الْمُوْرِيَاتِ قَدْحاً﴾ ليستِ الخيلُ.

يعلى (٢٨٠)، وابنُ خزيمة (٨٩٩)، وابن حبان (٢٢٥٧) عن عبد الرحمن بن مهدي، عنه. وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ حارثة بن مضرب، فمن رجالِ أصحاب السنن، وهو ثقة. وانظر التعليق الآتي.

(١) قوله: «وفي روايةٍ: هيَ الإبلُ الَّتي كانَت في وقعةِ بدرٍ...» كذا قال، وذكر نحو هذا أيضاً الكرماني في «لباب التفاسير» (١٠/ ٢٣٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٤٥١)، وأشار إليه الماتريدي في «تأويلات اهل السنة» (١٠/ ٦٠٠). وفيه نظر، فإن ما روي فيه لا يدل على هذا القول، فمن ذلك ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٠٦ ـ تكملة التفسير) عن أبي الأحوصِ، عن أبي إسحاقَ، عن حارثةَ بن مُضرِّبٍ؛ قال: كان عَلِيٌّ رضي الله عنه يقولُ: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ هي الإبلُ، وكان ابنُ عباسٍ يقولُ: هي الخيلُ؛ فقال عليٌّ لابن عباسٍ: ما كان معنا يومَ بدرٍ فارسٌ غيرُ فارسٍ واحدٍ: المقدادُ بن الأسود، وكان على فرسٍ له أَبلَقَ. وهذا إسناد صحيح، أبو الأحوص هو سلام بن سليم وهو ثقة روى له الجماعة.

وروى ابن المنذر وابن أبي حاتِم عن إبراهيم: قال عليّ بن أبي طالب: هي الإبل، وقال ابن عبَّاس: هي الخيل، فبلغ عليًّا قول ابن عبَّاس فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر! قال ابن عبَّاس: إنَّما كان ذلك في سريَّة بعثت.

وليس فيهما ما يدل على أنها في إبل بدر، بل كل ما هنالك هو نفي علي رضي الله عنه أن يكون المراد بها الخيل.

ومما يدل على أن المراد بالعاديات في قول عليٍّ الإبل في الحج ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٠٩ ـ تكملة التفسير)، وعبد بن حميد ـ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٠) ـ عن أبي صالح (مولى أم هانئ) قال: تقاولت أنا وعكرمة في شأن العاديات فقال: قال ابن عبَّاس: هي الخيل في القتال...، قال أبو صالح: فقلت: قال عليّ: هي الإبل في الحج، ومولاي كان أعلم من مولاك.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: همُ الَّذينَ يغزُونَ فيُوْرونَ باللَّيلِ نيرانَهم لحاجتِهم وطعامِهم[١].

وقيلَ: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ ليلةَ المزدلفةِ، وهم الحجيجُ إذا أوقدوا نيرانَهم بها.

وقيلَ: هيَ الألسنةُ تُوْرِي نارَ العداوةِ بعظيمِ ما يُتكلَّمُ به.

وقيلَ: هي أفكارُ الرِّجالِ تُورِي نارَ المكرِ والخديعةِ.

وقيلَ: مَن قَرُبَ من العدوِّ يُوقدُ نيراناً كثيرةً ليظنَّهم العدوُّ كثيراً، فهذا إقسامٌ بذلكَ.

ويحتملُ أن يريدَ بـ﴿المُوْرِيَات قَدْحاً﴾ الخيلَ، وإن كانَت العادياتُ الإبلَ.

وقيلَ: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾؛ أي: فالمنْجِحاتِ أمراً؛ يعني: البالغينَ نُجحَهم فيما قصدوا من الغزوِ والحجِّ؛ إذ يُقالُ للمُنجِحِ: وَرِيَ زنادُه، ثمَّ يرجعُ هذا إلى الجماعةِ المنجحةِ، أو إلى الخيلِ ينجحُ ركبانُها.

وقيلَ: أي: فالمورياتِ بالقدحِ؛ كما يُقالُ: الموجعاتُ ضرباً؛ أي: يضربْنَ حتَّى يُوجعْنَ.

* * *

(٣) ـ ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾.

قولُه: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ يعني: الخيلَ تُغيرُ على العدوِّ وقتَ الصَّبحِ، وكانُوا يُغيرون صباحاً لأنَّ ذلكَ الوقتَ وقتُ غَفلةِ النَّاسِ.

وقيلَ: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ يعني: الإبلَ تدفعُ بركبانِها يومَ النَّحرِ من جَمْعٍ إلى منىً.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٤١) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).

والإغارةُ: الإسـراعُ في السَّـيرِ، والسُّـنَّةُ أن لا يُغيرَ حتَّى يصبحَ، ومنه: «أشـرِقْ ثَبِيـرُ، كيما نُغِيرُ»؛ أي: كيما نسـرعُ فـي الإفاضةِ.

* * *

(٤) ـ ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾.

قولُه: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾ يعني: الخيلَ تثيرُ الغبارَ بشدَّةِ العَدْوِ في الموضعِ الَّذي أغَرْنَ، يُقالُ: أثرتُ الغبارَ؛ أي: هيَّجتُه.

﴿بِهِۦ﴾ ترجعُ الكنايةُ إلى المكانِ الَّذي انتهى إليه والموضعِ الَّذي تقعُ فيهِ الإغارةُ، وإذا عُلِمَ المعنى جازَ أن يُكْنَى عمَّا لم يَجرِ له ذكرٌ بالتَّصريحِ، وقد عُلِمَ أنَّ الإغارةَ تقعُ لا محالةَ في موضعٍ.

وقيلَ: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾؛ أي: أثرْنَ بالعَدْو ﴿نَقۡعٗا﴾، وقد تقدَّمَ ذِكْرُ العَدْو في قولِه: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾.

والنَّقعُ: الغبـارُ، وهـوَ من بـابِ «نَقَـعَ الصَّـوتُ»؛ أي: ارتفـعَ، وسُـمِّي الغبارُ نقعـاً لارتفاعِه.

وقيـلَ: هـوَ من النَّقعِ فـي الماءِ، فـكأنَّ صاحبَ الغبـارِ يغوصُ فيـهِ كما يُغاصُ في الماءِ.

وعُطـفَ قولُـه: ﴿فَأَثَرۡنَ﴾ على قولِـه: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾؛ لأنَّ المعنى: أغـرنَ صبحاً فأثـرنَ بموضعِ الإغـارةِ نقعاً.

* * *

(٥) ـ ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾.

قولُـه: ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾؛ أي: توسَّـطْنَ بركبانِهـنَّ العـدوَّ؛ أي: الجمـعَ الذيـن أغـاروا عليهم.

وقيلَ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: منًى.

ويُقالُ: وسطْتُ القومَ أَسِطُهم وَسْطاً وسِطَةً؛ أي: صِرتُ في وَسطِهم، وكذلكَ: وسَّطْتُها، وتَوَسَّطْتُها.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جوابُ القسَمِ؛ أي: طُبِعَ الإنسانُ على كُفْرانِ النِّعمةِ، ويُقالُ: كَنَدَ يَكْنِدُ ـ مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ ـ أي: كفرَ النِّعمةَ، والأرضُ الكَنودُ هيَ الَّتي لا تُنْبِتُ شيئاً، وامرأةٌ كُنُدٌ؛ أي: كَفورٌ للمواصلةِ، وسمِّيتْ كِنْدَةُ لهذا؛ لأنَّها قطعَت خيرَها[١].

وقيلَ: الكَنودُ: البخيلُ الَّذي يمنعُ رِفدَه، ويُجيعُ عبدَه.

وقيلَ: الكنودُ: الَّذي يَكفرُ النِّعمةَ، وقيلَ: العاصي لربِّه.

وفي الخبرِ: «الكنودُ: الكَفورُ الَّذي يَمنعُ رِفْدَه، ويأكلُ وحدَه، ويضربُ عَبْدَه»[٢].

* * *

(١) كذا في الأصل، ولم أجده، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٦): عن سماك أنه قال: إنما سميت كندة: أنها قطعت أباها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٥٨)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢١٢) ترجمة جعفر بن الزبير: «وروى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مئة حديث» وذكر منها هذا الحديث.

(٧) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.

قولُه: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أي: الإنسانَ على نفسِه شاهدٌ، والشَّهادةُ: البيانُ، والإنسانُ مبيِّنٌ عن نفسِه الكَنودِ، والشَّاهدُ يبيِّنُ للحاكمِ ما عندَه.

وقيلَ: أي: إنَّ اللهَ على كُفرِه لشهيدٌ.

***

(٨) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

قولُه: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخيرُ: المالُ؛ كقولِه: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]؛ أي: مالاً.

وقيلَ: إنَّه لحبِّ الصِّحَّةِ وطولِ العمرِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: لبخيلٌ بمالِه كنودٌ، ويُقالُ للبخيلِ: شديدٌ ومتشدِّدٌ.

وقيلَ: إنَّه في المنافسةِ في الدُّنيا متَّصلِّبٌ قويٌّ حريصٌ.

وقيلَ: أي: إنَّه شديدُ حبِّ الخيرِ، كقولِك: إنَّه لزيدٍ ضروبٌ؛ أي: إنَّه ضروبُ زيدٍ.

***

(٩ ـ ١١) ـ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾.

قولُه: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾؛ أي: أفلا يعلمُ هذا الإنسانُ إذا استُخرجَ ما في القبورِ من الأمواتِ؟ و﴿مَا﴾ بمعنى «مَن» أو بمعنى «الَّذي»، وقد مضى ذكرُ البَعثرةِ في قولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤].

قولُـه: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: مُيِّـزَ مـا فيهـا من الخيرِ والشَّـرِّ، وقيـلَ: بُيِّنَ وأُبـرِزَ، وقيـلَ: أي: وحُصِّـلَ ما في صـدورِ الصُّحُفِ.

قولُه: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾؛ أي: هوَ عالمٌ بهم فيُجازيهم، وخصَّ ذلكَ اليومَ ـ وإن كانَ لا يخفَى عليه شيءٌ قبلَ ذلكَ أيضاً ـ لأنَّ المقصودَ ذكرُ المجازاةِ، والجزاءُ إنَّما يقعُ ذلكَ اليومَ.

وقالَ: ﴿بِهِمْ﴾ لأنَّ ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ في معنى الجمعِ، وكُسرَت ﴿إِنَّ﴾ لمكانِ اللَّامِ في خبرِها.

* * *

سُورَةُ القَارِعَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

﴿**ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ**﴾ هوَ اسمٌ من أسماءِ السَّاعةِ، سُمِّيَت بها لأنَّها تَقرعُ القلوبَ بورودِها بغتةً.

وقالَ مقاتلٌ: لأنَّها تقرعُ أعداءَ اللهِ بالعذابِ[1].

والقرعُ: الضَّربُ بشدَّةِ اعتمادٍ، ويُقالُ للحادثةِ العظيمةِ: قارعةٌ.

ثم قالَ: ﴿**مَا ٱلْقَارِعَةُ**﴾ وهوَ تعجيبٌ من أمرِها وتعظيمٌ لشأنِها.

وقيلَ: ﴿**مَا**﴾ توكيدٌ؛ أي: القارعةُ القارعةُ، وهذا أيضاً وصفٌ لها في قَدْرِها وعِظَمِها.

قولُه: ﴿**وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ**﴾؛ أي: وما عِلمُك بمقدارِ أهوالِ القارعةِ قبلَ أن تشاهدَها؟

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾.

قولُه: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ**﴾؛ أي: القارعةُ تَقرعُ يومَ يكونُ النَّاسُ كذا.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٢١).

والمبثوثُ: المتفرِّقُ، والفَرَاشُ: ما يتساقطُ في النَّارِ والسِّراجِ، الواحدةُ: فراشةٌ، وإنَّما ذُكِّرَ على اللَّفظِ؛ كقولِه: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، ولو قالَ: «المبثوثةِ» جازَ؛ كقولِه: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

وقيلَ: أي: يجولُ بعضُهم في بعضٍ لمَّا بُعثوا كما يجولُ الفَراشُ المبثوثُ.

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾؛ أي: كغوغاءِ الجرادِ يركبُ بعضُه بعضاً[(١)].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ العِهنُ: الصُّوفُ ذو الألوانِ، وقيلَ: تتلوَّنُ الجبالُ يومئذٍ كالصُّوفِ المصبوغِ الملوَّنِ فيهِ أبيضُ ومنه أحمرُ؛ أي: تزلزلُ الأرضُ وتتقطَّعُ الجبالُ حتَّى تصيرَ كالصُّوفِ في تفرُّقِها وصِغَرِ أجزائِها، ثمَّ يُفنيها اللهُ بعدَ ذلك.

والنَّفشُ: مدُّ الصُّوفِ حتَّى يَنتفِشَ بعضُه عن بعضٍ.

وقيلَ: أي: تصيرُ [خفيفةً][(٢)] في السَّيرِ كالصُّوفِ الَّذي نُفشَ بالنَّدفِ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

قولُه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: ثَقُلَ وزنُ حسناتِه، ووزنُ الأعمالِ بوزنِ الصُّحفِ.

وقيلَ: يخلقُ اللهُ بعددِ أجزاءِ فعلِه جواهرَ، فيحملُ الوزنَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨)، وفيه: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضًا، كذلك النَّاس يومئذ يجول بعضهم فِي بعض.

(٢) من «البسيط» (٢٤/ ٢٦٤).

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: ذاتِ رضًا، يرضاها صاحبُها، وهيَ كقولِهم: لابنٌ وتامرٌ؛ أي: ذو لبنٍ [وتمر](١).

وقيلَ: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: مَرضيَّةٍ، وقد يُوضعُ المفعولُ مقامَ الفاعلِ، والفاعلُ مقامَ المفعولِ.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: قلَّت حسناتُه، فرجحَت السَّيِّئاتُ على الحسناتِ.

وقيلَ: ﴿مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: موزوناتُه من أعمالِه.

ثمَّ قيلَ: إنَّه ميزانٌ واحدٌ بيدِ جبريلَ يَزِنُ أعمالَ بني آدمَ، يُقالُ له: رُدَّ من بعضِهم على بعضٍ، فيَردُّ على المظلومِ من الظَّالمِ، فيأخذُ من حسناتِه، فإن لم تكنْ له حسنةٌ أخذَ من سيِّئاتِ المظلومِ فيردُّها على الظَّالمِ حتَّى تصيرَ عليه مثلَ الجبالِ.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: فمصيرُه إلى جهنَّمَ، وهيَ الَّتي تضمُّه كالأمِّ تضمُّ ولدَها، والهاويةُ: جهنَّمُ، سمِّيَت بها لأنَّها تهوي بأهلِها من أعلاها إلى أسفلِها.

وقيلَ: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: خسرَ نفسَه وهلكَ، يُقالُ: هَوَت أمُّه؛ أي: هلكَ.

وقيلَ: الأمُّ هاهنا: أمُّ الرَّأسِ؛ أي: يُلقى في النَّارِ على رأسِه.

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: أوزانُ حسناتِه وسيِّئاتِه، وقالَ: ﴿مَوَازِينُهُ﴾ فجَمَعَ؛ لجمعِ الحسناتِ(٢).

---

(١) ما بين معكوفتين من المصادر، أي: عنده لبن كثير وتمر كثير. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٤).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وفي «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٧)، وفيه: «وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا

وقيلَ: المرادُ بالموازينِ ميزانٌ واحدٌ؛ كما يُقالُ: خرجَ إلى مكَّةَ على البغالِ، وإن خرجَ على بغلٍ واحدٍ.

وقيلَ: هوَ من قولِك: لا وزنَ لفلانٍ عندي؛ أي: ليسَ له قَدْرٌ؛ أي: مَن حَسُنَ عملُه فهوَ في عيشةٍ راضيةٍ، ومن خفَّ وزنُه وقلَّ خطرُه فأمُّه هاويةٌ.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

قولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾؛ أي: ما أدراكَ ما الهاويةُ؟ والهاءُ في ﴿هِيَهۡ﴾ للوقفِ، وإذا وُصِلَ جازَ حذفُها، والاختيارُ الوقفُ عليها لاتِّباعِ المصحفِ.

قولُه: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾؛ أي: في الهاويةِ نارٌ في نهايةِ الحرارةِ.

* * *

﴿مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ووزنه، والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك ووزن دارك.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾.

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ألهاكُم؛ أي: شَغَلَكم، ولَهِيتُ عن كذا أَلْهَى لُهِيّاً؛ أي: تركتُه واشتغلتُ عنه، ومنه: ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١٠].

والتَّكاثرُ: التَّفاخرُ بكثرةِ المالِ والعددِ، وتكاثَرَ القومُ؛ أي: تفاخروا، فكَثَرَهم بنو فلانٍ؛ أي: غلَبوهم، وكلُّ مغلوبٍ مكثورٌ.

وهذا إخبارٌ عنهم، ويجوزُ أن يكونَ استفهاماً بمعنى التَّوبيخِ؛ أي: (آلهاكم)[١].

قولُه: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ أي: اشتغلتُم بالمباهاةِ بالأموالِ والأعدادِ عن طاعةِ اللهِ طولَ الحياةِ إلى وقتِ الوفاةِ، يُقالُ لمن ماتَ: قد زارَ قبرَه.

وقيلَ: أي: ألهاكُم التَّفاخرُ حتَّى عَدَدتمُ الأمواتَ أيضاً، فقلتم: ماتَ لنا فلانٌ وفلان.

وقيلَ: نزلَت الآيةُ في بني عبدِ مَنافٍ وبني سَهْم، تفاخروا أيُّهم أكثرُ عدداً، ففخرَت بنو عبدِ منافٍ بني سهمٍ بالمكارمِ والمساعي، ثمَّ ترقَّوا إلى ذكرِ الأمواتِ حتَّى أَتَوا المقابرَ فعدُّوها، فكَثَرَتهم بنو سهمٍ؛ لأنَّهم كانُوا أكثرَ عدداً في الجاهليَّةِ[٢].

---

(١) بالمد على الاستفهام عن ابن عباس وأبي عمران الجوني ومالك بن دينار وأبي الجوزاء. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥١٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨١٩). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٠٤)، والواحدي في «أسباب

فعلى هذا معنى ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾: حتَّى أتيتُم المقابرَ وعدَدْتُم الموتى.

وقيلَ: هذا وعيدٌ؛ أي: اشتغلتُم بمفاخرِ الدُّنيا حتَّى تزوروا المقابرَ فترَوا ما ينزلُ بكم من عذابِ اللهِ.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ هذا زجرٌ وتنبيهٌ؛ أي: ليسَ الأمرُ الَّذي ينبغي أن تكونوا عليه التَّكاثرَ بالدُّنيا.

﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾؛ أي: ستعلمونَ عاقبةَ تفاخرِكم بالدُّنيا في القبرِ أو في الآخرةِ ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ثَمَّ، هذا تأكيدٌ ووعيدٌ بعدَ وعيدٍ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: سوفَ تعلمونَ ما ينزلُ بكم من العذابِ في القبرِ[١].

وقيلَ: الأوَّلُ في القبرِ، والثَّاني في الآخرةِ، فالتَّكريرُ للحالتينِ.

وروى زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ عن عليٍّ رضي الله عنه قالَ: كنَّا نَشُكُّ في عذابِ القبرِ، حتَّى نزلَت هذه السُّورةُ[٢]. فأشارَ إلى أنَّ قولَه: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ يعني: في القبورِ.

* * *

النزول» (ص: ٤٦٤)، عن مقاتل والكلبي. وذكره دون عزو الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٧). وعن ابن بريدة نحوه لكن في قبيلتين من الأنصار، رواه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٩).

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٤)، وفي «التذكرة» (ص: ٣٨٨)، وزاد: «﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ في الآخرة إذا حل بكم العذاب». وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥١٩) نحوه عن علي. وفي «البسيط» (٢٤/ ٢٨٠) عن ابن عباس في رواية عطاء: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم، وتفاخركم إذا نزل بكم الموت، ثم كلا سوف تعلمون ذلك في القبر.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٥)، وقال: «حديث غريب».

(٥ ـ ٧) ـ ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أعادَ ﴿كَلَّا﴾ ـ وهوَ زجرٌ وتنبيهٌ ـ لأنَّه عَقَّبَ كلَّ واحدٍ بشيءٍ آخرَ، كأنَّه قالَ: لا تفعلوا فإنَّكم تندمونَ، لا تفعلوا فإنَّكم تستوجبونَ العقابَ.

وإضافةُ العلمِ إلى اليقينِ كقولِه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وقيلَ: اليقينُ هاهنا: الموتُ والبعثُ؛ لأنَّه إذا جاءَ زالَ الشَّكُّ؛ أي: لو تعلمونَ عِلْمَ الموتِ.

وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ؛ أي: لو تعلمونَ اليومَ من البعثِ ما تعلمونَه عندَ الموتِ لشغلَكم ذلكَ عن التَّكاثرِ بالدُّنيا.

قولُه: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ هذا وعيدٌ آخرُ، وهوَ على إضمارِ القسمِ؛ أي: لترَوُنَّ الجحيمَ في الآخرةِ؛ كما قالَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

والقراءةُ: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ بفتحِ التَّاءِ، وقُرِئَ بضمِّها من «أَرَيْتُه الشَّيءَ»؛ أي: تُحشرونَ إليها فترَونها وتُرونها، وهوَ قراءةُ الكسائيِّ وابنِ عامرٍ(١)، وقرأَ الجميعُ: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ بالفتحِ؛ أي: لترونَّ الجحيمَ بأبصارِكم على البعدِ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: مشاهَدةً.

وقيلَ: أي: لترونَّ عذابَ الجحيمِ؛ لأنَّ الجحيمَ يراها المؤمنونَ أيضاً، والوعيدُ في رؤيةِ عذابِها لا في رؤيتِها.

وقيلَ: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ إخبارٌ عن دوامِ مُقامِهم في النَّارِ؛ أي: هيَ رؤيةٌ دائمةٌ متَّصلةٌ.

* * *

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٨) ـ ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

قولُه: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾؛ أي: عن نعيمِ الدُّنيا، هل أدَّيتمُ الشُّكرَ فيه؟! وقيلَ: عن نعيمِ الآخرةِ؛ أي: لمَ فاتَكم؟! والغرضُ أن تعترفوا بالتَّقصيرِ.

وقولُه: ﴿ ثُمَّ ﴾؛ أي: أُخبرُكم[1] أنِّي أخلقُ لكمُ السَّمعَ.

ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ شربَ ماءً بارداً في منزلِ أبي الهيثمِ بنِ التَّيِّهانِ ومعه أبو بكرٍ وعمرُ، فقالَ: «هذا من النَّعيمِ الَّذي تُسألونَ عنه»[2].

وروى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ من النَّعيمِ أن يُقالَ له: ألم نصحِّحْ لكَ جسمَك ونَروِكَ من الماءِ البارِدِ؟»[3].

وقالَ قومٌ: هذا السُّؤالُ عن كلِّ نعمةٍ إنَّما يكونُ في حقِّ الكفَّارِ، فقد رُوِيَ: أنَّ أبا بكرٍ قالَ لمَّا نزلَت هذه الآيةُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ أَكْلةً أَكَلْتُها معكَ في بيتِ أبي الهيثمِ بنِ التَّيِّهانِ من خبزِ شعيرٍ ولحمٍ وبُسرٍ قد ذَنَّبَ وماءٍ عَذْبٍ، أيُخافُ علينا أن يكونَ هذا من النَّعيمِ الَّذي نُسألُ عنه؟ فقالَ عليه السَّلامُ: «إنما ذلكَ للكُفَّارِ، ثمَّ قرأَ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾»[4].

---

(١) قوله: «أي أخبركم»، يعني أن ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار لا لترتيب الوجود. انظر: «لباب التفاسير» للكرماني (١٠/ ٢٤٩)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي (١٥/ ٤٦٥). وقوله بعدها: «أني أخلق لكم السمع» غير ظاهر ارتباطه بالسياق.

(٢) قطعة من حديث طويل رواه الترمذي (2369) وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «هذا والذي نفسي بيدِه مِن النَّعيمِ الَّذي تُسألون عنه يومَ القيامة، ظلٌّ باردٌ، ورُطَبٌ طيِّبٌ، وماءٌ باردٌ». ورواه بنحوه مسلم (٢٠٣٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٠٠). قال الترمذي: حديث غريب.

(٤) ذكره بنحوه محمد بن الحسن في «الكسب» (ص: ١٠٠) دون سند ولا راو، وذكره السمرقندي

وقالَ الحسنُ: لا يُسأَلُ عن النَّعيمِ إلَّا أهلُ النَّارِ(١).

والجمعُ بينَ الأخبارِ: أنَّ الكلَّ يُسْألونَ، ولكن سؤالُ الكافرِ سؤالُ توبيخٍ لأنَّه تركَ الشُّكرَ، وسؤالُ المؤمنِ سؤالُ تشريفٍ لأنَّه شَكَرَ(٢).

وهذا النَّعيمُ عامٌّ في كلِّ نعمةٍ، وقيلَ: هوَ الأمنُ والصِّحةُ.

في «تفسيره» (٣/ ٦١٤) من رواية محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح (وتسمى سلسلة الكذب) عن ابن عباس، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٨٤) عن الكلبي. وأيد الواحدي هذا القول فقال: «الظاهر يشهد لهذا القول، وهو: أن الكفار لم يؤدوا حق النعمة حيث أشركوا به وعبدوا غيره، واستحقوا أن يسألوا عما أنعم عليهم توبيخًا لهم؛ هل قاموا بالواجب فيه، أم ضيعوا حق النعمة؟...».

وتعقبه ابن قيم الجوزية في «عدة الصابرين» (ص: ٣٦٤ ـ ٣٦٦) بقوله: «ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار، بل ظاهر القرآن وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بإلهاء التكاثر له، فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك.

ويدل على ذلك قول النبي ـ ﷺ ـ عند قراءة هذه السورة: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت...» الحديث، وهو في صحيح مسلم. وقائل ذلك قد يكون مسلمًا وقد يكون كافرًا... وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح، والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه». ويعني بالحديث الصحيح حديث أبي هريرة المتقدم عند مسلم والترمذي.

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٨٦). ولفظة «الحسن» تحرفت في الأصل إلى: «الحسين».

(٢) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠) عن المصنف كلامه هذا في الجمع ثم استحسنه حيث قال: «قلت: هذا القول حسن لأن اللفظ يعم» ثم استشهد لعمومه بأحاديث وأخبار تنظر ثمة.

وقيلَ: لمَّا نزلَت هذه السُّورةُ قالوا: يا رسولَ اللهِ، عن أيِّ نعيمٍ نُسألُ؟ فقالَ: «إنَّ ذلكَ سيكونُ»(١).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: قالَ عمرُ: وعن أيِّ نعيمٍ نُسألُ يا رسولَ اللهِ وقد أُخرجنا من ديارِنا وأموالِنا؟ فقالَ عليه السَّلامُ: «عن ظلالِ المساكنِ، وظلالِ الشَّجرِ، والأخبيةِ الَّتي تقيكُم من الحرِّ، وعن الماءِ الباردِ في اليومِ الحارِّ، والصِّحَّةِ»(٢).

وفي خبرٍ: «إنَّ ممَّا لا يُسألُ عنه العبدُ: لباساً يُواري سوأتَه، وطعاماً يُقيمُ به صُلْبَه، ومكاناً يُكِنُّه من الحرِّ والبردِ»(٣).

***

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٠٥)، والترمذي (٣٣٥٦) وحسنه، من حديث الزبير رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٤٠) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٨٨) من رواية عطاء عن ابن عباس، وإسناده واه.

(٣) نقله القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠) عن المصنف ثم قال: «وهذا مُنتزَعٌ من قوله عليه السَّلامُ: «ليس لابن آدمَ حقٌّ في سوى هذه الخصال: بيتٌ يسكنُه، وثوبٌ يُواري عورته، وجِلْف الخبز والماءِ» خرجه التِّرمذيُّ». وهو في «سنن الترمذي» (٢٣٤١) من حديث عثمان رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. و«جلف الخبز» يعني: ليس معه إدام. حكاه الترمذي عن النَّضر بن شُميل.

سُورَةُ العَصْرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أقسَمَ بالدَّهرِ[1]. وهوَ تنبيهٌ على ما فيهِ من الأعاجيبِ بتصرُّفِ الأحوالِ وتبدُّلِها، وما فيها من الدَّلالةِ على الصَّانعِ.

وقيلَ: أقسمَ بالعَشيِّ.

وقيلَ: أقسمَ باللَّيلِ في مواضعَ لِمَا فيهِ من السُّكونِ، فكذا بالعصرِ الَّذي هوَ آخرُ النَّهارِ.

وقيلَ: العصرُ: ما بعدَ زوالِ الشَّمسِ إلى غروبِها.

وقيلَ: هوَ قسَمٌ بصلاةِ العصرِ، يُقالُ: أُذِّنَ للعصرِ؛ أي: لصلاةِ العصرِ، وصُلِّيت العصرُ؛ أي: صلاةُ العصرِ، وقد قيلَ في قولِه تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]: إنَّها صلاةُ العصرِ.

وقيلَ: معناه: وربِّ العصرِ.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾؛ أي: إنَّ بني آدمَ كلَّهم في خُسرٍ إلَّا مَن آمنَ منهم، فـ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ اسمُ الجنسِ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٤٢٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣) وزاد نسبته لزيد بن أسلم.

وقيلَ: أرادَ به الكافرَ؛ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كالوليدِ بن المغيرةِ، والعاصِ بنِ وائلٍ، والأسودِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، وأبي لهبٍ، وأبي جهلٍ[1].

وحملُ الإنسانِ على جنسِ بني آدمَ أولى لاستثناءِ المؤمنينَ، فالخُسرُ والخسرانُ: النُّقصانُ وذهابُ رأسِ المالِ.

ثمَّ قيلَ: هذا الخسرُ في الدُّنيا، وهوَ الضَّلالُ؛ أي: إنَّ الإنسانَ لَفي ضلالٍ إلَّا مَن آمنَ، ومَن ماتَ على الضَّلالِ فقد دخلَ النَّارَ.

وقيلَ: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾؛ أي: لفي عقوبةٍ غداً فيخسرُ؛ أي: منزلَه وأهلَه ومالَه في الجنَّةِ، وعلى الجملةِ: مَن أعطى الفانيَ وحصَّلَ لنفسِه الباقيَ فقد ربحَ، ومَن قابلَ عملَه بما لا يجدي عليه خيراً فقد خسرَ.

* * *

(٣) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

قولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾؛ أي: صدَّقوا اللهَ ورسولَه، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: وعملوا الأعمالَ الصَّالحةَ.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: أوصى بعضُهم بعضاً، قيلَ: بالقرآنِ، وقيلَ: بالتَّوحيدِ.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطَّاعاتِ، وعن المعاصي.

وفي الخبرِ: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكرٍ، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ عمرُ، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ عثمانُ، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عليٌّ»[2].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٩٦) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤)، وذكره ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٢٤٦) كمثال لتفسير جهال المنتسبين للسنة في فضائل الخلفاء الأربعة. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ الويلُ: كلمةُ وعيدٍ، وفي التَّفسيرِ: أنَّه وادٍ في جهنَّمَ.

والهُمَزةَ: الَّذي يغتابُ النَّاسَ.

وقالَ المبرِّدُ: الهمزُ يكونُ باللِّسانِ واليدِ، واللَّمزُ: أن يغتابَ بلسانِه، وينظرَ النَّظرةَ المنكرةَ بعينِه.

وقيلَ لابن عبَّاسٍ: مَن الهُمزةُ اللُّمزةُ؟ فقالَ: المشَّاؤونَ بالنَّميمةِ، المفرِّقونَ بينَ الأحبَّةِ، الباغونَ للبُرآءِ العيبَ[(١)].

وقيلَ: الهمزةُ: مَن يهمزُ النَّاسَ؛ أي: يذهبُ بنشاطِهم، واللَّمزةُ: مَن يطعنُ عليهم في دِينِهم.

وقيلَ: الهمزُ: الغمزُ، ويُقالُ: هَمزْتُ رأسَه، وهمزتُ الجوزَ بكفِّي؛ أي: كَسَرتُ.

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (٤٤٧)، وهناد في «الزهد» (١٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧).
وفي بعض المصادر: «العنت» بدل «العيب».
وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٥٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله. أفلا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى، قال: «المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون البرآء العنت».

قيلَ: نزلَتِ الآيةُ في الأخنسِ بنِ شَريقٍ(١)، كانَ يَلمزُ النَّاسَ ويغتابُهم.

وقيلَ: في الوليدِ بنِ المغيرةِ(٢)، كانَ يغتابُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ من ورائِه، ويَقْدحُ فيهِ في وجهِه.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾.

قولُه: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قُرِئَ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ(٣)، والمالُ: اسمٌ لِمَا يقلُّ ويكثرُ ممَّا يُتموَّلُ، فإذا قُرِئَ: ﴿جَمَّعَ﴾ بالتَّشديدِ إشارةً إلى كثرةِ المالِ؛ أي: جمَّعَه من هاهنا ومن هاهنا.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ بالتَّشديدِ؛ أي: أعدَّه [لنوائب](٤) الدَّهرِ وادَّخرَه، وقيلَ: أحصاه.

والمقصودُ: الذَّمُّ على إمساكِ المالِ عن سبيلِ الطَّاعةِ؛ كما قالَ: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [ق: ٢٥]، وقالَ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

* * *

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصرح ابن الجوزي أنه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٣٠) عن الكلبي، فتكون رواية ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه، والكلبي متروك وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.
ووردت أيضاً من رواية الضحاك عن ابن عباس كما في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧٠)، وإسناده منقطع أيضاً.
ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٣) من قول السدي.

(٢) هو قول ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٦).

(٣) قرأ بها الكسائي وحمزة وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٤) من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧١).

(٣) ـ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

قولُـه: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾؛ أي: أَيظـنُّ أنَّ مالَـه هوَ الَّذي أبقـاهُ في الدُّنيا، وأنَّـه يمتنعُ به من عـذابِ اللهِ.

وقيلَ: ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾؛ أي: يُخلِّدُه، فهوَ ماضٍ بمعنى المستقبلِ، يُقالُ: هَلَكَ واللهِ فلانٌ، ودَخَل النَّارَ؛ أي: يدخلُ.

وقيلَ: أي: أيحسبُ أنَّ مالَه أخلدَه كلَّا.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾.

قولُه: ﴿كَلَّا﴾ هذا ردٌّ لحسبانِه؛ أي: لا يخلِّدُه مالُه، بل يقتلُه الله ويهلكُه، وفي الآخرةِ يدخلُه النَّارَ، وقد صدقَ هذا في العاصِ بن وائلٍ، والوليدِ بنِ المغيرةِ، وكانا من المستهزئينَ، قيلَ: كانَ رسولُ اللهِ يطوفُ بالبيتِ، فجاءَه جبريلُ، فمرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ، فأشارَ جبريلُ إلى أخمصِ رجلِهِ، فخرجَ على حمارٍ له يريدُ الطَّائفَ، فرَبضَ به حمارُه على شِبرقةٍ، فدخلَت شوكةٌ في أخمصِ رجلِه فقتلَته، ومرَّ به الوليدُ بنُ المغيرةِ، فأشارَ جبريلُ إلى جرحٍ بأسفلِ كعبِه كانَ أصابَه قبلَ ذلكَ بسنينَ ـ وكانَ مرَّ برجلٍ من خزاعةَ يَريشُ نبلاً، فتعلَّقَ سهمٌ من نبلِه بإزارِه فخدشَ رجلَه، وليسَ بشيءٍ ـ فانتقضَ به فقتلَه، وقُتِلَ أميَّةُ بنُ خلفٍ يومَ بدرٍ[1]، فما نفعَهم أموالُهم.

(١) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٣١)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى نحوه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٦ ـ ١٥١) عن عروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، ومقسم، وقتادة وغيرهم. وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾؛ أي: لَيُلْقَينَّ في جهنَّمَ.

وقيلَ: ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: حقًّا؛ أي: حقًّا ليُطْرَحَنَّ في النَّارِ، والحطمةُ مِن أسماءِ جهنَّمَ؛ لأنَّها تَحْطِمُ وتَدُقُّ وتكسِرُ ما أُلقي فيها.

قالَ الكلبيُّ: الحطمةُ: الدَّرجةُ الثَّانيةُ من درجِ النَّارِ[1]، وقيلَ: الدَّرجةُ السَّادسةُ.

قولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ هذا تفخيمٌ لأمرِها.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾.

قولُـه: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾؛ أي: هـيَ نـارُ اللهِ الَّتي أعدَّها للعُصـاةِ، وقد أُوقدَت وأُعدَّت.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾؛ أي: يخلُصُ حرُّها إلى القلوبِ، ثمَّ تُكسى لحماً جديداً، ثمَّ تُقبِلُ عليه فتأكلُه، وخصَّ الأفئدةَ لأنَّ الألمَ إذا صارَ إلى الفؤادِ ماتَ صاحبُه؛ أي: إنَّهم في حالِ مَن يموتُ وهم لا يموتونَ؛ كما قالَ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، فهم إذاً أحياءٌ في معنى الأمواتِ.

وقيلَ: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾؛ أي: تعلمُ مقدارَ ما يَستحقُّه كلُّ واحدٍ منهم من العذابِ، يُقالُ: اطَّلعَ فلانٌ على كذا؛ أي: عَلِمَه، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ﴾ [المعارج: ١٧]، وقال: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٢]، فوَصَفَها بهذا، فلا يَبعُدُ أن تُوصَفَ بالعلمِ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣١١).

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

قولُه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي: مُطْبَقةٌ؛ كقولِه: ﴿نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]، وإنَّما يُفعلُ هذا لِيَستحكمَ يأسُهُم.

قولُه: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾؛ أي: هيَ مُطبَقةٌ عليهم، وإنَّها في عَمَدٍ ممدَّدةٍ عليها؛ أي: على أبوابِها؛ أي: تطرحُ العمدُ على أبوابِها.

وقيلَ: هوَ إشارةٌ إلى ما في قولِه: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، فلجهنَّمَ سُرادقٌ، وللسُّرادقِ عمدٌ، فإذا مُدَّت تلكَ العمدُ أطبقَت جهنَّمُ على أهلِها.

قُرِئَ: ﴿عُمُدٍ﴾ بضمِّ العينِ والميمِ، و﴿عَمَدٍ﴾ بفتحِهما[١]، وهما جمعانِ للعمودِ، مثل: أدِيمٍ وأُدُمٍ وأَدَمٍ، فقالَ[٢] أبو عُبيدةَ: العمودُ: كلُّ مستطيلٍ من خشبٍ أو حديدٍ، وهوَ أصلٌ للبناءِ مثلُ العِمادِ.

والمعظَمُ على أنَّ العَمَدَ أوتادُ الأطباقِ الَّتي تُطْبَقُ على أهلِ النَّارِ، فتُشَدُّ تلكَ الأطباقُ بالأوتادِ حتَّى يرجعَ عليهم غمُّها وحرُّها فلا يدخلُ عليهم رَوْحٌ.

وقيلَ: ﴿فِي عَمَدٍ﴾؛ أي: بعمدٍ؛ أي: أُغلِقَت بعَمَدٍ مُدَّت عليها.

---

(١) قرأ بالأولى حمزة والكسائي وشعبة، والباقون بالثانية. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: «قاله»؛ فإن ما قبله لأبي عبيدة وما بعده من كلام الواحدي ذكره عقب قول أبي عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١١)، و«البسيط» (٢٤/ ٣١٥). وقد تابع القرطبيُّ المصنف في وهمه فنسب ما سيأتي لأبي عبيدة أيضاً. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧٦).

وقيلَ: أبوابُ النَّارِ مُطبقةٌ عليهم وهم ﴿فِي عَمَدٍ﴾؛ أي: فـي سلاسلَ وأغـلالٍ ممدودةٍ مُطوَّلةٍ، وهيَ أحكمُ وأرسخُ من القصيرةِ.

وقيلَ: هم ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾؛ أي: في عذابِها وآلامِها يُضْرَبونَ بها؛ أي: هم في الضَّربِ بعَمَدِ النَّارِ ممتحَنونَ بذلكَ الضَّربِ.

❊ ❊ ❊

سُورَةُ الفِيلِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾؛ أي: أَلَم تُخبَرْ؟ وقيلَ: أي: أَلَم تَعْلَم؟ وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أَلَم تسمعْ[1]؟ واللَّفظُ استفهامٌ، والمعنى تقريرٌ، والخطابُ للرَّسولِ ولكنَّه عامٌّ؛ أي: أَلَم تَروا ما فعلتُ بأصحابِ الفيلِ؛ أي: فقد رأيتُم ذلكَ، وعرفتُم موضعَ مِنَّتي عليكم، فما لكم لا تُؤمنون؟

وكانَ أبرهةُ بنُ الصَّبَّاحِ بنى كنيستَه بصنعاءَ، وأرادَ أن يصرفَ إليها حجَّ العربِ، فسارَ نحوَ الكعبةِ ليهدمَها، وقيلَ: سافرَ جماعةٌ من العربِ إلى بلدِ النَّجاشيِّ فأجَّجوا ناراً في بعضِ ما احتاجوا إليه، ثمَّ ارتحلوا ولم يُطفئوا نارَهم، فحملَتها الرِّيحُ حتَّى أحرقَت كنيستَهم، فهمَّ النَّجاشيُّ بهدمِ الكعبةِ وإحراقِها، وبعثَ أبرهةَ في جنودِه، فلمَّا بلغُوا ذا المجازِ مرُّوا براعٍ لعبدِ المطَّلبِ فاستاقوا إبلَه، فجاءَ الرَّاعي وقالَ: أتتكم السُّودانُ والفيلةُ. فركبَ إليهم عبدُ المطَّلبِ، فعرفَه رجلانِ منهم، فقالا له: ارجعْ فإنَّ الملكَ غضبان، فقالَ: واللَّاتِ والعُزَّى لا أرجعُ إلَّا بإبلي. وكانُوا قد ساقوا له مائتي جملٍ وناقةٍ، فقالوا للملكِ: إنَّه سيِّدُ قريشٍ، فرُدَّ عليه إبلَه اليومَ فإنَّها لكَ غداً. فردَّها عليه على جهةِ السُّخريةِ، ثمَّ إنَّ اللهَ أرسلَ إليهم طيراً خضراً من جهةِ البحرِ

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٢١).

طوالَ الأعناقِ وفي مناقيرِها وأرجلِها الحجارة، مع كلِّ طيرٍ ثلاثةُ أحجارٍ: حجرٌ في منقارِه، وحجرانِ في مخالبِه، وكانَ كلُّ حجرٍ أكبرُ منَ العدسِ دونَ الحِمِّصِ، مكتوبٌ عليه اسمُ صاحبِه، فأُرسلَت عليهم فكلُّ مَن أصابَه حجرٌ خرجَ من جانبِه الآخرِ ـ وقيلَ: كانَ الحجرُ مثلَ الفستقِ، وكانَ مخطَّطاً ـ وماتوا جميعاً، فخرجَ عبدُ المطَّلبِ إليهم ورآهم خموداً، فأخذَ ما أمكنَه أخذُه من الذَّهبِ والفضَّةِ الَّتي معهم، وكانَ ذلكَ سببَ سيادتِه قريشاً كما قيلَ، ثمَّ أخبرَ قريشاً فخرجوا إليهم وحملوا أمتعتَهم، وأرسلَ اللهُ سيلاً حتَّى حملَ الموتى إلى البحرِ، وكانَ الفيلُ إذا وُجِّهَ نحوَ البيتِ وقفَ ولم يَسر، وإذا وُجِّهَ في صوبٍ آخرَ سارَ هرولةً[1].

وقيلَ: كانَت الفيلةُ ثمانيةً[2]، وقالَ مقاتلٌ: كانَ معهم فيلٌ واحدٌ[3].

ثمَّ قيلَ: كانَ عامُ الفيلِ قبلَ مولدِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بأربعينَ سنةً، وقيلَ: بثلاثٍ وعشرينَ سنةً، والصَّحيحُ ما رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «وُلدتُ عامَ الفيلِ»[4].

---

(١) تنظر القصة في «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٦١ ـ ٦٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٣ ـ ٥٣)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٣٥ ـ ٦٤٢). ورواها الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦٦) فقال: «قال محمد بن إسحاق: كان من قصة أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وعمَّن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم...» وذكر القصة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٢٢)، عن الضحاك.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٣٠/ ٢٩٣).

(٤) لم أجده هكذا، وإنما المروي هنا عن قيسِ بن مَخْرَمةَ قال: «وُلِدْتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل». هكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٨٩١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٤٥)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٩٦)، والترمذي (٣٦١٩) وحسنه، وابن

وعُدَّت هذه الوقعةُ من معجزاتِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وإن كانَت قبلَه وقبلَ التَّحدِّي؛ لأنَّها كانَت توطيداً لأمرِه، وتمهيداً لشأنِه، ولمَّا تلا رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ عليهم هذه السُّورةَ كانَ بمكَّةَ عددٌ كثيرٌ ممَّن شهدَ تلكَ الوَقْعةَ، ولهذا قالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ولم يكن بمكَّةَ أحدٌ إلَّا وقد رأى قائدَ الفيلِ وسائقَه أعميَينِ يتكفَّفانِ النَّاسَ.

وقالَت عائشةُ رضي الله عنها مع حَداثةِ سنِّها: لقد رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائقَه بمكَّةَ أعميَيْنِ مُقعدَينِ يستطعمانِ[1].

وقالَ أبو صالحٍ: رأيتُ في بيتِ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ نحواً من قَفِيزٍ من تلكَ الحجارةِ، سوداً مُخطَّطةً بحُمْرةٍ[2].

أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١/ ٤٧٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٩٦٨) و(٥٩٦٩)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٣٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٨٣) وصححه، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٨٥)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٦ و٧٧).

وروي عن سويد بن غفلة نحوه، رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٣٦)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٩)، عنه قال: أنا لِدَةُ رسولِ الله ﷺ وُلدتُ عامَ الفيلِ.

وروى ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠١)، وابن معين في «تاريخه» برواية الدوري (١٦٨)، الحاكم في «المستدرك» (٤١٨٠) وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولد النبي ﷺ عام الفيل.

قال النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ١٠٠): وولد عام الفيل على الصحيح المشهور، وقيل: بعد الفيل بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وادعى القاضي عياض الإجماع على عام الفيل وليس كما ادعى.

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٧)، ومن طريقه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص: ٥٣)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٤٨)، والبزار في «البحر الزخار» (٣٠٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٥). وقوله: «وسائقه» جاء في أكثر المصادر: «وسائسه» بالسين، ولعله بالقاف تحريف.

(٢) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٢)، وابن مردويه وأبو نعيم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٣٣)، وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح، والكلبي متروك.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

قولُه: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾؛ أي: جعلَ سعيَهم في ضلالٍ؛ لأنَّهم قصدوا تخريبَ البيتِ فهلكوا.

قولُه: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: وأرسلَ الرَّبُّ عليهم، وهذا عطفٌ على معنى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾، لا على لفظِه، والمعنى: [جعلَ][1] كيدَهم في تضليلٍ وأرسلَ عليهم طيراً ﴿أَبَابِيلَ﴾؛ أي: مجتمعةً، وقيلَ: مُتتابعةً بعضُها في إثْرِ بعضٍ، وقيلَ: أقاطيعَ كالإبلِ المؤبَّلةِ.

وليسَ لـ﴿أَبَابِيلَ﴾ واحدٌ من لفظِه كـ: العباديدِ، وقالَ قومٌ: واحدُها إبَّالةٌ[2].

وقالَ الكسائيُّ: سمعتُ النَّحويِّينَ يقولونَ: إبَّوْل، مثل: عِجَّولٍ وعَجَاجِيلَ.

وقيلَ: الواحدُ إِبِّيلٌ، وقيلَ: إيبالٌ مثل: دنانيرَ وديناٍر.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هنَّ طيرٌ سودٌ جاءَت من قبلِ البحرِ فوجاً بعدَ فوجٍ، ولها خراطيمُ كخراطيمِ الطَّيرِ، وأَكُفٌّ كأَكُفِّ الكلابِ[3].

---

(١) من «البسيط» (٢٤/ ٣٢٤).

(٢) ذكره الفراء عن الرؤاسي، وهو أبو جعفر الكوفي النحوي أستاذ الكسائي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٢).

(٣) الخبر بهذا اللفظ مجموع من روايتين عن ابن عباس:

الأولى: إلى قوله: «فوجاً بعد فوج» ذكرها الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٢٤) من رواية عطاء عن ابن عباس، وإسناده واه.

والثانية: وهي قوله: «لها خراطيم...» رواها ابن وهب كما في «تفسير القرآن من الجامع» (٣٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٣٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، من رواية ابن سيرين عنه.

وقالَ عكرمةُ: كانَ لها رؤوسٌ مثلَ رؤوسِ السِّباعِ[١].

وقيلَ: هيَ طيرٌ بيضٌ، وقيلَ: خُضْرٌ.

***

(٤) ـ ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾.

قولُه: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيلَ: السِّجِّيلُ: كلُّ شيءٍ شديدٍ.

وقالَ الخليلُ: السِّجِّيلُ: حجارةٌ كالمَدَرِ، وهوَ من طينٍ وحجرٍ[٢].

وقيلَ: هوَ سنكَ وكِلْ بالفارسيَّةِ[٣].

وقيلَ: أي: ممَّا كتبَه اللهُ عليهم في اللَّوحِ المحفوظِ، وهوَ فِعِّيلٌ من «السِّجِلِّ»، وهوَ الكتابُ والصحيفةُ.

وقيلَ: أي: ممَّا صبَّه اللهُ عليهم من العذابِ، وهوَ من «السَّجْل»، وهوَ الدَّلوُ الممتلئةُ ماءً.

وقيلَ: أي: بحجارةٍ من جهنَّمَ، فإنَّ «سجِّين» اسمٌ من أسمائِها، فأُبْدِلت النُّونُ باللَّامِ.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٢١ ـ تكملة التفسير)، والعجلي في «الثقات» (١٢٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٣١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٣)، عن عكرمة قال: هي طير نشأت من قبل البحر، لها رؤوس كرؤوس السبَاع، لم تُرَ قبل يومِئذٍ ولا بعدُ، فجعلت ترميهم بحجارة فتجدر جلودهم فكان أول يوم رئي فِيهِ الجدري.

(٢) انظر: «العين» (٦/ ٥٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد بعضهم فيه: (حجر وطين).

وقيلَ: سجِّيلٌ: بحرٌ في الهواءِ أُرسلَت الحجارةُ منهُ.

وقيلَ: اسمٌ للسَّماءِ الدُّنيا.

❊ ❊ ❊

(٥) ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

قولُه: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ مضى معنى العصفِ في قولِه: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢]، والظَّاهرُ أنَّه التِّبنُ؛ أي: جعلَهم كزرعٍ وتبنٍ قد أكلَتهُ الدَّوابُّ وراثَتهُ فيبسَ وتفرَّقَت أجزاؤُه.

وقيلَ: يعني: أكلَ الدُّودِ؛ أي: صاروا لمَّا[1] أصابَهم الحجرُ وخرجَ من الجانبِ الآخرِ كالحبِّ الَّذي يثقبُه الدُّودُ.

وقيلَ: أي: كعصفٍ مأكولِ الحبِّ، وهوَ كما يُقالُ: فلانٌ حسنٌ؛ أي: حسنُ الوجهِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل: «كما».

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ قيلَ: هـذه السُّورةُ متَّصلةٌ بسورةِ الفيلِ فـي المـعنى؛ أي: فعلَ بأصحابِ الفيلِ ما فعلَ لإيلافِ قريشٍ؛ أي: لتأتَلفَ قريشٌ، أو: لِتبقى قريشٌ وإيلافُهم؛ أي: وما قد ألِفوا من رحلةِ الشِّتاءِ والصَّيفِ، والقومُ إنَّما صاروا كعصفٍ مأكولٍ لكفرِهم، ولكن كانَ ذلكَ سببَ إيلافِ قريشٍ واجتماعِ مالٍ لهم للتِّجارةِ، فاللَّامُ لامُ العاقبةِ.

وقيلَ: أي: اعجَبْ يا محمَّدُ لنعمةِ اللهِ على قريشٍ في إيلافِهم رحلةَ الشِّتاءِ والصَّيفِ. فليست اللَّامُ متعلِّقةً بما قبلَها.

وقالَ سيبويهِ والخليلُ: أي: لإيلافِ قريشٍ فليعبدوا ربَّ هذا البيتِ[1]؛ أي: ليجعلوا عبادتَهم شكراً لهذه النِّعمةِ.

قُرِئَ: (لإئلافِ قُريشٍ إئلافِهم)[2]، ....

---

(١) أي: أن اللام متصلة بما بعدها على تقدير: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش؛ أي: ليجعلوا عبادتهم شكرًا لهذه النعمة، واعترافًا بها. انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٤٤٨)، و«البسيط» للواحدي (٢٤/ ٣٢٤). وانظر: «كتاب سيبويه» (٣/ ١٢٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٠ ـ ١٨١) عن عاصم، ثم رجع عنها. كما في «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٨) وفيه: «قرأ عاصم في رواية أبي بكر: (لإئلاف قريش إئلافهم)

وقُرِئَ: ﴿إِلَافِهِمْ﴾[(١)]، وقُرِئَ: (إِلْفِهِم)[(٢)]، يُقالُ: أَلِفَ يَأْلَفُ إِلْفاً وإِلَافاً، وآلَفَ يُؤلِفُ إيلافاً= بمعنًى، ويُقالُ: آلفْتُ فلاناً الشَّيءَ أُؤلِفُه إيلافاً؛ أي: أَلزمتُه إيَّاه.

***

(٢) ـ ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾.

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ كرَّرَ؛ كما تقولُ: أعطيتُك لصيانةِ وجهِك، لصيانتِه عن كلِّ النَّاسِ.

ثمَّ: الإيلافُ هاهنا يجوزُ أن يكونَ من «آلَفَه الشَّيءَ»؛ أي: ألزمَه، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: لتألفَ قريشٌ رحلتَها، فهوَ بمعنى الإلفِ، وإنَّما كانَ يمكنُهم المقامُ بمكَّةَ ـ وهيَ بلدُ جدبٍ لا زرعَ به ولا ضرعَ ـ بسببِ الرِّحلتين، فكانَ بهما قِوامُ معاشِهم، فكانَ أشرافُ مكَّةَ يرتحلون هاتين الرِّحلتين، فيمتارون لأنفسِهم ولعشائرِهم بالبضائعِ الَّتي معهم ما يكفيهم، وكانَت الرِّحلةُ في الشِّتاءِ إلى اليمنِ، وفي الصَّيفِ إلى الشَّامِ.

وكان أصحابُ الإيلافِ أربعةَ إخوةٍ: هاشمٌ، وعبدُ شمسٍ، والمطَّلبُ، ونوفلٌ، بنو عبد مَناف، كانُوا يُجيرونَ قريشاً، فسُّموا: المُجِيرينَ؛ فأمَّا هاشمٌ فإنَّه أخذَ حبلاً من مَلِكِ الرُّومِ، وأخذَ نوفلٌ حبلاً من كسرى، وأخذَ عبدُ شمسٍ حبلاً من النَّجاشيِّ، وأخذَ المطَّلبُ حبلاً من ملوكِ حِمير، وكانَ تجَّارُ قريشٍ يختلفون إلى هذه الأمصارِ

بهمزتين الثَّانية ساكنة في وزن: لإعلان.. إعلانهم، ثمَّ رجع عنه فقرأ مثل حمزة بهمزة واحدة».
يعني: القراءة المشهورة قراءة حفص.

(١) وهي قراءة أبي جعفر: ﴿ليلاف قريش إلافهم﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٤٠٣).

(٢) وهي رواية أخرى عن أبي جعفر كما ذكر الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٤٦).

بحبالِ هؤلاءِ الإخوةِ فلا يَتَعَرَّضُ لهم أحدٌ، فكانَ هاشمٌ يُؤلفُ إلى الشَّامِ، وعبدُ شمسٍ إلى الحبشةِ، والمطَّلبُ إلى اليمنِ، ونوفلٌ إلى فارس[١].

ومعنى يُؤلفُ: يُجيرُ، والإجارةُ سببُ تآلُفِ العيرِ واجتماعِها، فقيلَ للجِوارِ: إيلاف، وللمُجيرِ مُؤلِفٌ.

وقيلَ: هذا الإيلافُ من الأُلفةِ؛ أي: نحنُ أدَمْنا لهم الألفةَ حتَّى لا يتفرَّقوا بالانجلاءِ عن أوطانِهم، بل يمتارون لأنفسِهم ولمَن وراءَهم ويرجعون إلى مكَّةَ فهوَ وطنهم.

وقيلَ: أي: أهلكتُ أصحابَ الفيلِ لتزولَ المخاوفُ عن قريشٍ بالنَّبيِّ الَّذي أُرسلُه، وجعلتُ إهلاكَ أصحابِ الفيلِ علامةً لنبوَّتِه؛ لتملكَ أمَّتُه البلدانَ ويستغنوا عن جِوارِ كلِّ ملكٍ.

والرِّحلةُ: الارتحالُ، فإحدى الرِّحلتين إلى اليمن، وكانَت اليمنُ أدفأَ من الشَّامِ، والثَّانيةُ إلى الشَّام.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَت قريشٌ إذا أصابَ قوماً منهم مخمصةٌ خرجوا بعيالِهم إلى موضعٍ، وضربوا على أنفسِهم الخِباءَ حتَّى يموتوا، فقالَ هاشمٌ وكانَ سيِّدَ زمانِه: إن بقيتم هكذا لم يبقَ منكم أحدٌ، وجمعَ كلَّ بني أبٍ على الرِّحلتين؛ في الشِّتاءِ إلى اليمنِ، وفي الصَّيفِ إلى الشَّامِ للتِّجاراتِ، فما ربحَ الغنيُّ قَسَمَه بينه وبينَ الفقيرِ، حتَّى كانَ فقيرُهم كغنيِّهم، فجاءَ الإسلامُ وهم على هذا، فلم يكن في العربِ بنو أبٍ أكثرَ مالاً من قريشٍ ولا أعزَّ منهم[٢].

---

(١) رواه الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٧٢) عن ابن الأعرابي، وعنه الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٤١).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٤٤) من رواية عطاء عن ابن عباس.

وسأَلَ معاويةُ ابنَ عبَّاسٍ: لم سُمِّيتْ قريشٌ قريشاً؟ فقالَ: قريشٌ دابَّةٌ في البحرِ تأكُلُ دوابَّ البحرِ ولا تُؤكَلُ، وتعلو ولا تُعْلَى(١).

وقيلَ: هوَ من «القَرشِ» وهوَ الجمعُ من هاهنا ومن هاهنا، سميت بذلكَ لتقرُّشِها؛ أي: لتجمُّعِها إلى مكَّةَ مِن حواليها، وكانُوا متبدِّدينَ في الأرض فتقرَّشَت؛ أي: اجتمعَت بعد التَّفرُّقِ حينَ جمعَهم قُصَيُّ بنُ كلابٍ في الحرمِ، ولهذا سمِّيَ مُجمِّعاً.

وقيلَ: التَّقريشُ: التَّفتيشُ، فسمُّوا قريشاً لأنَّهم كانُوا يفتِّشون الحجيجَ عن خَلَّتِهم فيسدُّونها، ويطعمونَ جائعَهم، ويكسونَ عاريَهم.

وقريشٌ ولدُ النَّضْرِ بنِ كنانَة، ومَن لم يلده النَّضْرُ فليسَ بقرشيٍّ، وفي الخبرِ قالَ عليه السَّلامُ: «إنَّا بني النَّضرِ بنِ كنانَةَ، لا نَقْفو أُمَّنا، ولا نَنْتفِي من أَبِينا»(٢).

* * *

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٢)، والختلي في «الديباج» (ص: ٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥٦). وزادوا: وأنشد:

وقُرَيْشٌ هي التي تسْكُن البَحْـ ـرَ بها سُمِّيت قُرَيْشٌ قُرَيشَا

والبيت من قصيدة نسبها المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٤٦٩) للمشمرج بن عمرو الحميري جاهلي قديم، قال: وقد روي لغيره. وتعقب الحموي هذا الخبر والشعر في «معجم البلدان» (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) بقوله: وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد.

(٢) رواه ابن المبارك في «مسنده» (١٦١)، والطيالسي في «مسنده» (١٠٤٩)، وأحمد في «المسند» (٢١٨٣٩)، وابن ماجه (٢٦١٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٩٧) و(٢٤٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٩٢٩)، والضياء في «المختارة» (١٤٨٨) و(١٤٨٩)، من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾؛ أي: فليوحِّدوا ربَّ هذا البيتِ، وهوَ الكعبةُ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾؛ أي: بعدَ جوعٍ ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾؛ أي: آمنَهم في الحرمِ حتَّى لم يتعرَّضْ لهم أحدٌ في رحلتِهم.

وقيلَ: شقَّ عليهم السَّفرُ في الصَّيفِ والشتاءِ، فألقى اللهُ في قلوبِ الحبشةِ أن يحملوا الطَّعامَ في السُّفنِ إلى مكَّةَ، وكانَ أهلُ مكَّةَ يخرجونَ إلى جُدَّةَ بالإبلِ والحُمُرِ، فيشترونَ الطَّعامَ على مسيرةِ ليلتَينِ(١).

وقيلَ: هذا الإطعامُ هوَ أنَّهم لمَّا كذَّبوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ دعا عليهم، فقالَ: «اللَّهمَّ اجعلْها عليهم سِنينَ كَسِني يُوسفَ» فاشتدَّ القَحْطُ، فقالوا: يا محمَّدُ، ادعُ الله لنا فإنَّا مؤمنون، فدعا فأَخصبَتْ تَبالةُ والجَنَدُ وجُرَشُ من بلادِ اليمنِ، فحملوا الطَّعامَ إلى مكَّةَ، وأخصبَ أهلُها(٢).

وقالَ الضَّحَّاكُ وسفيانُ والرَّبيعُ: ﴿آمنهم مِّنْ خَوْفٍ﴾؛ أي: من خوفِ الجُذامِ، فلا يصيبُهم ببلدِهم الجُذامُ(٣).

وقيلَ: أي: كفاهم أخذَ الإيلافِ من الملوكِ.

* * *

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٨٦٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٥٠) عن الكلبي. وحديث الدعاء عليهم رواه البخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٦٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٥٢) ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٥) عن الضحاك وسفيان، ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قال: الخوفُ: الجُذامُ.

سُورَةُ المَاعُونِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾.

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ قيلَ: نزلَت في العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمِيِّ[١].

وقيلَ: في الوليدِ بنِ المغيرةِ[٢].

وقيلَ: كانَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ ينحرُ كلَّ أسبوعٍ جَزورَينِ، فأتاه يتيمٌ فسألَه شيئاً فقَرَعه بعصاه، فأنزلَ اللهُ السُّورةَ[٣].

والدِّينُ: الحسابُ والجزاءُ، ومَن كذَّبَ بالجزاءِ والبعثِ فقد عُدمَ كلَّ خيرٍ، والاستفهامُ هاهنا للتَّوبيخِ.

والاختيارُ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ بإثباتِ الهمزةِ الثَّانيةِ؛ إذ لا يُقالُ في «رأيتَ»: رَيْت، ولكنَّ ألفَ الاستفهامِ [لمَّا كانتْ في بدايةِ الكلام] سهَّلَت إلقاءَ الهمزةِ؛ ذكره الزَّجَّاجُ[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٥)، عن مقاتل والكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٧١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١) عن السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٥)، عن ابن جريج. ولا يصح لأن أبا سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٧) وما بين معكوفتين منه. وقد قرئ في السبعة: ﴿أَرَيْتَ﴾ بحذفِ الهمزة، قرأ بها الكسائي كما في «السبعة» (ص: ٢٥٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩٨).

(٢ ـ ٣) ـ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

قولُه: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾؛ أي: يدفعُه عن حقِّه بعنفٍ، ومنه: ﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، وهذا ذمٌّ بتركِ المواساةِ مع اليتيمِ، يُقالُ: دَعْدَعتُ المكيالَ؛ أي: حرَّكتُه، وفيه نوعُ دفعٍ لِمَا فيه[١]، فدعُّ اليتيمِ: دفعُه عن حقِّه، وتركُ المواساةِ معه وإن لم تكن واجبةً، وقد يُذمُّ المرءُ بتركِ النَّوافلِ، لا سيَّما إذا استندَ ذلكَ إلى النِّفاقِ.

قولُه: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي: لا يحثُّ هذا المنافقُ غيرَه على إطعامِ المحتاجِ إلى الطَّعامِ.

وقيلَ: لا يحثُّ نفسَه على ذلكَ للبخلِ.

***

(٤ ـ ٧) ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

قولُه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ يعني: المنافقَ الَّذي يصلِّي مُراءاةً ولا يعتقدُها قربةً، بل هوَ غافلٌ ساهٍ عن الصَّلاةِ وتعظيمِها، ولهذا قالَ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الآيةُ في المنافقينَ، ولو قالَ: في صلاتِهم ساهونَ، لكانَت في المؤمنينَ[٢].

وقيلَ: يعني بهذا السَّهوِ: تركَ الصَّلاةِ حتَّى يفوتَ الوقتُ.

---

(١) أي: لما في المكيال.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٥٨) من رواية عطاء عن ابن عباس.

قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾؛ أي: يتركونَ الصَّلاةَ في السِّرِّ ويأتونَ بها في العلانيةِ؛ كما قالَ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

قولُه: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾؛ أي: زكاةَ أموالِهم.

والماعونُ: اسمٌ لآلاتِ المنزلِ كالقِدْرِ والفأسِ والدَّلْو، ممَّا يُستعارُ في العُرفِ، وقيلَ لعكرمةَ: مَن منعَ شيئاً من المتاعِ كانَ له الويلُ؟ فقالَ: لا، ولكنْ مَن جمعَ ثلاثتَهنَّ فله الويلُ؛ يعني: تركَ الصَّلاةِ والرِّياءَ والبخلَ بالماعونِ(١).

وقالَ الفرَّاءُ: سمعتُ بعضَ العربِ يقولُ: الماعونُ: الماءُ(٢).

وقالَ أبو عُبيدةَ: الماعونُ في الإسلامِ: الزَّكاةُ والطَّاعةُ(٣).

وقيلَ: هوَ فاعولٌ من «المَعْنِ»، وهوَ الشَّيءُ القليلُ، ومنه: ما له سَعْنةٌ ولا مَعْنةٌ؛ أي: كثيرٌ وقليلٌ(٤).

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٤٥)، والفريابي وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٣).

(٤) مذكور في كثير من كتب اللغة والأدب. انظر: «الإبل» للأصمعي (ص: ٥٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٨٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٧٠)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٩٥٣)، و«ديوان الأدب» (١/ ١٤٧)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٦٣) و(٣/ ١٣)، و«الصحاح» (مادة: سعن ومعن)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٣١).

سُورَةُ الكَوْثَرِ

مكيَّةٌ، وهيَ ثلاثُ آياتٍ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ الكوثرُ: فَوْعَلٌ من الكثرةِ، ومعناه: الخيرُ الكثيرُ، ويُقالُ للرَّجلِ الكثيرِ العطاءِ: الكوثرُ؛ يعني: أعطيناك النُّبوَّةَ والوحيَ والقرآنَ، والنَّصرَ على الأعداءِ، والشَّفاعةَ، والخيرَ الكثيرَ.

وفي التَّفسيرِ: الكوثرُ: نهرٌ في الجنَّةِ وحوضٌ فيها، وفي الخبرِ: «إنَّه نهرٌ في الجنَّةِ وَعَدَنيهِ رَبِّي، عليه خيرٌ كثيرٌ، لذلكَ النَّهرِ حوضٌ تَرِدُ عليه أمَّتي يومَ القيامةِ، آنيتُهُ عددَ النُّجومِ»[1].

ثمَّ يجوزُ أن يُسمَّى ذلكَ النَّهرُ كوثراً لكثرةِ الواردةِ والشَّاربةِ من أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ هناك، أو يُسمَّى به لِمَا فيهِ من الخيرِ الكثيرِ والماءِ الكثيرِ.

وقيلَ: الكوثرُ: العددُ الكثيرُ من الأصحابِ والأشياعِ.

* * *

(٢) ـ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾.

قولُه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾؛ أي: فاشكرِ اللهَ وتقرَّبْ إليه بالعبادةِ، والمرادُ

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

بالصَّلاةِ: الفرضُ، وقيلَ: صلاةُ الأضحى، ولهذا قالَ: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، والنَّحرُ يقعُ بعدَ الصَّلاةِ يومَ الأضحى.

وقيلَ: أي: صلِّ بعرفاتٍ وجمعٍ ومنىً وانحرِ البُدْنَ بمنًى.

وقيلَ: إنَّما كانَ هذا يومَ الحديبيةِ حيثُ أُحصِروا، أمرَه أن يصلِّيَ وينحرَ للإحلالِ، ثمَّ ينصرفَ إلى المدينةِ(١).

وقالَ عليٌّ: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: ضعْ يديكَ على النَّحرِ في الصَّلاةِ(٢).

وقالَ الكلبيُّ والفرَّاءُ: استقبلِ القبلةَ بنحرِك(٣).

وقيلَ: أي: ارفعْ يديكَ في الدُّعاءِ إلى نحرِكَ. والنَّحرُ: الصَّدرُ.

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: هوَ انتصابُ الرَّجلِ في الصَّلاةِ بإزاءِ المحرابِ(٤)، من قولِهم: منازلُهم تتناحَرُ؛ أي: تتقابلُ(٥).

* * *

(٣) - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ نزلَت في العاصِ بنِ وائلٍ، دخلَ المسجدَ يوماً ورسولُ اللهِ كانَ يخرجُ فتحدَّثا، فقالَ له جمعٌ من صناديدِ قريشٍ وهم جلوسٌ في

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (١٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٥).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٤٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩١)، والدارقطني في «سننه» (١٠٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٠) و(٣٩٨١).

(٣) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٨٠). وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٦).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٥)، و«البسيط» (٢٤/ ٣٨١). وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٦)، و«البسيط» (٢٤/ ٣٨١).

المسجدِ الحرامِ: مَن الَّذي كنتَ تحدِّثُ؟ فقالَ: ذاك الأبتر، وكانَ قد تُوفِّيَ قبلَ ذلكَ عبدُ اللهِ ابنُ رسولِ اللهِ وكانَ من خديجةَ، وكانَوا يُسمُّونَ مَن ليسَ له ابنٌ: الأبترَ، ونزلَت هذه السُّورةُ(١).

وكان إذا مرَّ بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ قالَ: إنِّي أَشْنَؤُكَ، فقالَ اللهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾(٢)، فلا خيرَ له في الدِّينِ والدُّنيا.

والشَّنآنُ: البغضُ والعداوةُ، والبترُ: القطعُ، يُقالُ: بَتَرتُه بَتراً، وبَتِرَ هو؛ أي: صارَ أبترَ، وهوَ المقطوعُ الذَّنَبِ، و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ بمعنى: المنقطِعِ العقِبِ، أو بمعنى: المنقطِعِ عن كلِّ خيرٍ.

وقيلَ: هذا إخبارٌ بأنَّ المُلْكَ لا يبقى في أعقابِ مُبغِضِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

* * *

---

(١) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٥٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكون الآية نزلت في العاص رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٢٠) عن الكلبي، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٧ ـ ٦٩٩) عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

(٢) رواه بنحوه الزبير بن بكار في «المنتخب من كتاب أزواج النبي» (ص: ٣١) عن جعفر بن محمد عن أبيه.

سُورَةُ الكَافِرُون

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٦) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: قالَت قريشٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: نحن نعطيكَ من المالِ[1] ما تكونُ بهِ أغنى رجلٍ بمكَّةَ، ونزوِّجُكَ مَن شئتَ، ونطأُ عَقِبَكَ[2]، وكُفَّ عن شتمِ آلهتِنا، فإن لم تفعل فنحن نعرضُ عليكَ خصلةً واحدةً، هي لنا ولك صلاحٌ، تعبدُ آلهتَنا اللَّاتَ والعُزَّى سنةً، ونحن نعبدُ إلهَك سنةً، فنزلَت هذه السُّورةُ، فقرأها عليهم، فأيسُوا منهُ عند ذلك[3].

وقيلَ: خاطَبَ الله بهذا أقواماً علِمَ أنَّهم لا يؤمنونَ كما علمَ أنَّ محمداً لا يكفرُ.

وأمَّا وجهُ التَّكريرِ فقد قيلَ: إنَّه للتَّأكيدِ في قطعِ أطماعِهم؛ كما تقولُ: واللهِ لا أفعلُ كذا، ثمَّ واللهِ لا أفعلُه.

وقيلَ: هذا على مطابقةِ قولِهم: تعبدُ آلهتَنا ونعبدُ إلهَك، ثمَّ تعبدُ آلهتَنا ونعبدُ

---

(١) في الأصل: «عن مال».

(٢) أي: نمشي خلفَك، ونتَّبعُك.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٣) عن ابن عباس وسعيد بن مينا مولى البختري، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٧). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٧) عن ابن إسحاق.

إلَهك، فنَجري على هذا أبداً سنةً وسنةً، فأُجيبوا عن كلِّ ما قالوه بضدِّه؛ أي: إنَّ هذا لا يكونُ أبداً.

وقيلَ: أي: لا أعبدُ السَّاعةَ ما تعبدون ولا أنتم عابدونَ السَّاعةَ ما أعبدُ، ثمَّ قالَ: ولا أنا عابدٌ في المستقبلِ ما عبدتُم ولا أنتم في المستقبلِ عابدونَ ما أعبدُ.

ويحتملُ أنَّهم قالوا: تعبدُ آلهتَنا سنةً ونعبدُ إلهَك سنةً، فقالَ: لا أعبدُ آلهتكم وأنتم لا تعبدونَ إلهي إن كانَ الأمرُ على هذا الشَّرطِ، قالوا: فاعبدْ آلهتَنا شهراً نعبدْ إلهَك شهراً، فقالَ: وهذا لا يكونُ أيضاً.

و«ما» في قولِه: ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ بمعنى «مَن».

وقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، علِّمْني كلاماً أقولُه عندَ منامي، فقالَ: «اقرأْ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ عند منامِكَ؛ فإنَّها براءةٌ مِن الشِّركِ»[1].

قولُه: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ هوَ كقولِه: ﴿لَنَآ أَعۡمَـٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَـٰلُكُمۡ﴾ [القصص: ٥٥]؛ أي: إن رضيتُم بدينِكم فقد رضينا بدينِنا، وكانَ هذا قبلَ الأمرِ بالقتالِ، فنُسخَ بآيةِ القتالِ.

وقيلَ: أي: لكم جزاءُ دينِكم ولي جزاءُ ديني.

وقيلَ: هوَ تهديدٌ؛ كقولِه: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

قُرِئَ ﴿وَلِيَ﴾ بفتحِ الياءِ وسكونِها[2].

﴿وَلِيَ دِينِ﴾؛ أي: ديني، فحذفَ الياءَ لمشاكلةِ رؤوسِ الآي.

وقولُه: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: ما تعبدونَه، فحذفَ الهاءَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨٠٧)، وأبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي بإثر الحديث (٣٤٠٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠٢)، من حديث نوفل الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) قرأ بها نافع وهشام وحفص، والبزي بخلف عنه. انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٩)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

سُورَةُ النَّصْرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؛ أي: إذا جاءَكَ يا محمَّدُ نصرُ اللهِ على العدوِّ ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾؛ أي: فتحُ مكَّةَ.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: قبائلَ العربِ وأهلَ اليمنِ يُؤمنونَ.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اشكرْهُ على عِظَمِ نعمِهِ.

ولمَّا فُتِحَت مكَّةُ قالَت العربُ: أمَا إذ ظفرَ محمَّدٌ بأهلِ الحرمِ وقد أجارَهم اللهُ من أصحابِ الفيلِ، فليسَ لكم به يَدَانِ، فكانُوا يدخلونَ في دينِ اللهِ أفواجًا[١]؛ أي: جماعاتٍ كثيرة.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا نزلَت هذه السُّورةُ علمَ رسولُ اللهِ أنَّه نُعِيَتْ إليه نفسُه[٢].

وقالَ مقاتلٌ: عاشَ بعد نزولِ هذه الآيةِ سنتين[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٣٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٠٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٧٦)، عن الحسن.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٠١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٢) عن قتادة. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٠٥)، وفيه: «فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يوما....».

وقالَ ابنُ مسعودٍ: كانَ بعدَ هذا يكثرُ أن يقولَ: «سُبحانَك اللَّهمَّ وبحمدِكَ، اغفرْ لي، إنَّكَ أنتَ التَّوابُ»(١).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾؛ أي: على المسبِّحينَ والمستغفرينَ، يتوبُ عليهم فيرحمُهم ويقبلُ توبتَهم.

وإذا كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ -وهوَ معصومٌ- يُؤمَرُ بالاستغفارِ، فما الظَّنُّ بغيرِه؟!

والأظهرُ: أنَّ السُّورةَ نزلَت بعدَ فتحِ مكَّةَ، وقالَ قومٌ: قبلَه، وقد قيلَ: بقيَ بعدَ هذه السُّورةِ سنةً.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٦٨٣)، وأبو يعلى (٥٢٣٠)، والشاشي (٩٣٣)، والطبراني في «الدعاء» (٥٩٨).

وله شاهد من حديث عائشة عند البخاري (٤٩٦٧) و(٤٩٦٨)، ولفظه: قالت: «ما صلى النبي صلاة بعد أن أنزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

سُورَةُ المَسَدِ

بسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: صعدَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ الصَّفا فقالَ: «يا صباحاهُ» فاجتمعَت إليه قريشٌ، فقالوا له: ما لكَ؟ فقالَ: «أرأيتُم لو أخبرتُكم أنَّ العدوَّ مُصبِّحُكم أو مُمسِّيكُم أمَا كنتُم تُصدِّقونَني؟» قالوا: بلى، قالَ: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ» فقالَ أبو لهبٍ: تباً لكَ، لهذا دعوتَنا جميعاً، فأنزلَ اللهُ السُّورةَ[١].

﴿تَبَّتۡ﴾؛ أي: خَسِرَت يدا أبي لهبٍ وخسرَ هو.

قالَ الفرَّاءُ: الأوَّلُ دعاءٌ، والثَّاني خبرٌ؛ كما يُقالُ: أهلكَه اللهُ، وقد أهلكَه، وفي قراءةِ عبدِ اللهِ: (وقد تبَّ)[٢].

والعربُ تقولُ: خسرَتْ يداهُ؛ أي: خسرَ هو.

وأبو لهبٍ هوَ ابنُ عبدِ المطَّلبِ، واسمُه عبدُ العزَّى، وكانَ شديدَ المعاداةِ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، قالَ طارقُ بنُ عبدِ اللهِ المحاربيُّ: إنِّي بسوقِ ذي المجازِ إذا أنا بشابٍّ

---

(١) رواه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٨). والقراءة وردت أيضا في حديث ابن عباس عند البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

يقولُ: «يا أيُّها النَّاسُ قولُوا: «لا إلهَ إلَّا اللهُ» تُفلحُوا» وإذا رجلٌ خلفَه يَرميهِ، قد أدمَى ساقَيهِ وعُرقوبَيهِ، ويقولُ: أيُّها النَّاسُ، إنَّه كذَّابٌ فلا تصدِّقوهُ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالوا: محمَّدٌ، يزعمُ أنَّه نبيٌّ، وهذا عمُّه أبو لهبٍ يزعمُ أنَّه كذَّابٌ(١).

وقيلَ: سُمِّيَ باللَّهبِ لحُسنِه، فكانَ يتلهَّبُ مِن حُسنِه.

والتَّبابُ: الخسران، قالَ الله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، وقالَ في موضعٍ آخرَ: ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].

قولُه: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾؛ أي: ما دفعَ عنه عذابَ اللهِ ما جمعَ مِن المالِ ﴿وَمَا كَسَبَ﴾؛ أي: وما حصَّلَه منهُ.

وقيلَ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾؛ أي: وما ولَدَ، وولدُ الرَّجلِ مِن كَسبِه.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا أنذرَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ عشيرتَه النَّارَ، قالَ أبو لهبٍ: إن كانَ ما تقولُه حقًّا، فإنِّي أفتدي نفسي بمالي وولدي، فنزلَ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾(٢).

ثمَّ قولُه: ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ خبرٌ؛ أي: لم يُغنِ، ويجوزُ أن يكونَ استفهاماً؛ أي: أيَّ شيءٍ أغنى؟ ﴿وَمَا كَسَبَ﴾؛ أي: والذي كسَبَ، وقيلَ: «ما» مصدريَّةٌ؛ أي: ما أغنى عنه مالُه وكسبُه.

* * *

(١) رواه الحسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١١٦٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٥)، وأبو يعلى في «المفاريد» (١٠٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٦٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣ ـ ٥) ـ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

قولُه: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا وعيدٌ له؛ أي: مآلُه النَّارُ ذاتُ اللَّهبِ.

﴿وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الحَطَبِ﴾؛ أي: أنَّها ستصلَى النَّارَ أيضاً وهيَ حمَّالةُ الحطبِ.

قيلَ: كانَت تمشي بالنَّميمةِ بينَ النَّاسِ فتهيجُ بينهم العداوةَ(١)، يُقالُ: حَطَبَ فلانٌ بفلانٍ؛ أي: سَعَى به.

وقيلَ: كانَت تحملُ العِضاهَ والشَّوكَ فتطرحُه على طريقِ رسولِ اللهِ لتعقرَه(٢).

وهيَ أمُّ جميلٍ بنتُ حربٍ أختُ أبي سفيانَ.

وقيلَ: كانَت تُعيِّرُ رسولَ اللهِ بالفقرِ، ثمَّ كانَت مع كثرةِ مالِها تحملُ الحطبَ على ظهرِها لشدَّةِ بخلِها، فعُيِّرَت بالبخلِ.

والتَّقديرُ: سيَصلَى هوَ وامرأتُه، وحسُنَ حذفُ «هوَ» لِمَا جرى من الفصلِ بينهما.

وقيلَ: و﴿امرأتُه﴾ مبتدأٌ، و﴿حَمَّالةُ الحطبِ﴾ وصفٌ لها، وقولُه: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ خبرُ المبتدأِ، وعلى الأوَّلِ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ في موضعِ الحالِ.

وقُرِئَ: ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنَّصبِ(٣)؛ أي: أعني: حمَّالةَ الحطبِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٠ ـ ٧٢١) عن عكرمة ومجاهد وقتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٩ ـ ٧٢٠) عن ابن عباس والضحاك وعطية الجدلي ويزيد بن زيد وابن زيد.

(٣) قراءة عاصم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٧٠٠) و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ أي: الحبلُ الَّذي كانَت تحتطبُ به في الدُّنيا. والمسدُ: اللِّيفُ.

وقيلَ: يعني: سلسلةً من حديدٍ في النَّارِ.

وقيلَ: بل سلسلةً من نارٍ.

والمَسْدُ: الفَتْلُ. ومَسَدَ الحبلَ يَمسُدُه مَسْداً؛ أي: أجادَ فَتْلَه، والمَسَدُ ـ بفتحِ السِّين ـ: ما مُسِدَ؛ أي: فُتلَ مِن أيِّ شيءٍ كانَ.

وقيلَ: المسَدُ ليفُ المُقلِ.

وقيلَ: حبلٌ من شجرٍ ينبتُ باليمنِ.

وقيلَ: يُفتَلُ من لحاءِ شجرِ الحرمِ.

وقد اعترُضَ فقيلَ: إن كانَ ذلكَ حبلُها الَّذي تحتطِبُ به، فكيف يبقى في النَّارِ؟! وأجيبَ عنه: بأنَّ اللهَ قادرٌ على تجديدِه كلَّما أُحرقَ.

والحكمُ ببقاءِ أبي لهبٍ وامرأتِه في النَّارِ مشروطٌ ببقائِهما على الكفرِ، فلمَّا ماتا على الكفرِ صدقَ الإخبارُ عنهما، ففيه معجزةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ.

* * *

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قيلَ: جاءَ ناسٌ من اليهودِ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فقالوا: صفْ لنا ربَّك؛ فإنَّ اللهَ أنزلَ نعتَه في التَّوراةِ، فأخبرْنا به مِن أيِّ شيءٍ هو؟ ومِن أيِّ جنسٍ هوَ؟ أمِن ذَهبٍ هوَ أم نحاسٍ أم فضَّة؟ وهل يأكلُ ويشربُ؟ وعمَّن ورثَ الدُّنيا؟ ومَن يرثُها عنه؟ فأنزلَ الله هذه السُّورةَ[1].

وهيَ نسبةُ اللهِ خاصَّة.

وقيلَ: قالَ المشركونَ: انسُبْ لنا ربَّكَ[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧١)، عن قتادةَ ومقاتلٍ والضَّحَّاكِ. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨) عن سعيد.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ورواه الترمذي عن أبي العالية عن النبي ﷺ مرسلاً، ولم يذكر عن أُبيّ، قال: «وهذا أصحُّ»، وكلا الروايتين فيها أبو جعفر الرازي صدوق سيئ الحفظ، إلا أن الرواية الأولى فيها أيضًا أبو سعد محمد بن ميسر الصاغاني وهو ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥٢).

وفي الباب عن جابر، رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٨٧)، وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٨) عن جابر، وفيه أن السائل أعرابي. وفي إسناده مجالد بن سعيد أيضاً.

وقيلَ: إنَّما قالَه وفدُ نجرانَ(١).

﴿هُوَ﴾ كنايةٌ عن ذكرِ الله؛ أي: الَّذي سألتُم تبيينَ نسبِه هوَ اللهُ أحدٌ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿هُوَ﴾ بمعنى الأمرِ والقصَّةِ؛ كما تقولُ: هوَ زيدٌ قائمٌ؛ أي: الأمرُ زيدٌ قائمٌ، فالمعنى: الأمرُ اللهُ أحدٌ(٢).

فمَن قالَ: ﴿هُوَ﴾ كنايةٌ عن اسمِ اللهِ، كانَ قولُه: ﴿ٱللَّهُ﴾ رفعاً لأنَّه خبرُ الابتداءِ، ويجوزُ في قولِك(٣): ﴿أَحَدٌ﴾ ما يجوزُ في قولِك: زيدٌ أخوكَ قائمٌ.

ومَن قالَ: ﴿هُوَ﴾ كنايةٌ عن القصَّةِ والأمرِ والحديثِ، فقولُه: ﴿ٱللَّهُ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، و﴿أَحَدٌ﴾ خبرُه.

وقالَ الزَّجَّاج: ﴿أَحَدٌ﴾ مرفوعٌ على معنى: هوَ أحدٌ؛ أي: هوَ اللهُ وهوَ أحدٌ(٤).

وقالَ الكسائيُّ: ﴿هُوَ﴾ عمادٌ(٥).

---

(١) رواه الجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٠) من رواية عطاء عن ابن عباس. وفي إسناده موسى بنُ عبدِ الرحمن الثَّقَفيُّ الصنعانيُّ، وقد نَسب ابنُ حبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٤٢) موسى هذا إلى وضعِ الحديثِ، ورواه عن موسى عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدٍ الثقفيُّ وهو ضعيف. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٥) من رواية الضحاك عن ابن عباس، وإسناده منقطع.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٣) كذا في «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٥٨)، و«البسيط» للواحدي (٢٤/ ٤٢٨)، وفي «تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٥٩): «قوله»، وهو أظهر.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٩)، وفيه: وقد قال الكسائيّ فيه قولًا لا أراه شيئًا؛ قال: هو عماد، مثل قوله:
﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، جعل ﴿أَحَدٌ﴾ مرفوعًا بـ﴿ٱللَّهُ﴾، وجعل ﴿هُوَ﴾ بمنزلة الهاء فِي ﴿إِنَّهُۥٓ﴾، ولا يكون العمادُ مستأنفًا به حتَّى يكون قبله (إن) أو بعض أخواتها، أو (كان) أو الظن.

وقالَ الأزهريُّ: الأحدُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ استأثرَ بها، لا يَشركُهُ فيها شيءٌ، فلا يُقالُ: درهمٌ أحدٌ، ورجلٌ أحدٌ، وإن كانَ يُقالُ: درهمٌ واحدٌ، ورجلٌ واحدٌ. فالأحدُ اسمٌ خالصٌ له(١).

ويجوزُ أن يكونَ صفةً له بمعنى التَّعظيمِ بأنَّه لا شريكَ له ولا نظيرَ، واللهُ واحدٌ بمعنى: أنَّه ليسَ كمثلِه شيءٌ، فلا نظيرَ له، وبمعنى: أنَّه ليسَ بذي أبعاضٍ وأجزاءٍ، وبمعنى: أنَّه لا شريكَ له ولا ثانيَ في القِدمِ.

وأصلُ «أحَدٍ»: وَحَدٌ، فأُبدِلَت الواوُ همزةً، وأكثرُ ما يفعلونَ هذا في الواوِ المضمومةِ والمكسورةِ مثل: وُجوهٍ وأُجوهٍ، ووُقِّتَت وأُقِّتَت، ووِرْثٌ وإِرْثٌ، ووِسادةٍ وإِسادةٍ.

وقراءةُ العامَّةِ: ﴿أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ بالتَّنوين، وقرأ أبو عمرٍو بغيرِ تنوينٍ(٢).

* * *

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

قولُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ الَّذي لا جوفَ له(٣)، ولا يأكلُ شيئاً ولا يشربُ(٤)، ولا يخرجُ منهُ شيءٌ(٥).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٢٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٨٣) عن نصر بن عاصم وأبي عمرو، ورويت عن عمر كما قال ابن خالويه.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٥)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢١٥)، من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠)، من طريق عطية عن ابن عباس.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٢)، عن الشعبي.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٧ ـ ٦٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٤)، عن عكرمة.

وقيلَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الَّذي اكتملَ سُؤدَدُهُ.

وفي الخبرِ: أنَّه عليه السَّلامُ سُئِلَ عن الصَّمدِ فقالَ: «الَّذي يُصمَدُ إليه في الأمرِ»[١].

ويُقالُ للقاصدِ إلى حاجتِهِ: صامِدٌ، وللمقصودِ المرغوبِ إليه: السَّيِّدُ الصمدُ، وصَمَدْتُ صَمْدَهُ؛ أي: قصدْتُ قَصْدَهُ، و«الصَّمْدُ» بفتحِ الصَّادِ وسكونِ الميم: ما أشرَفَ من الأرضِ.

وقالَ الكسائيُّ: صمدتُ البعيرَ إلى البعيرِ، وصمدتُ الأسيرَ إلى الأسيرِ، وصفَّدتُه؛ أي: قَرَنتُه، فمعنى الصَّمدِ؛ أي: تُقرنُ الحوائجُ بعضُها إلى بعضٍ فتُرفعُ كلُّها إليه[٢].

وقالَ: إنَّ تفسيرَ الصَّمدِ ما بعدَه، وهوَ: الَّذي لم يَلد ولم يُولَد[٣].

---

(١) رواه الجوزجاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٥)، كلاهما من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده واه، وقد تقدم الكلام عليه قريباً. لكن معناه صحيح قد ذكر في كثير من كتب اللغة والتفسير. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٤٤)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٣٦)، و«مسألة سبحان» لنفطويه (ص: ٣٨١)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٨٣) وفيه: وقال أهل اللغة أجمعون لا اختلاف بينهم في ذلك: الصمد عند العرب: السيِّد الذي ليسَ فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٤) من قول أبي العالية ومحمد بن كعب وأبي سعيد الصنعاني. وورد عقب الحديث الذي رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٩٥)، من طريق أبي العالية عن أبيٍّ بن كعبٍ، أن السورة نزلت جواباً لقول المشركين: انْسُب لنا ربَّك، وفيه: «قال: فالصَّمدُ: الذي لم يَلِد، ولم يولدْ، لأنَّه ليس شيءٌ يلدُ أو يُولد إلَّا سيموت، وليس بشيءٍ يموت إلَّا يُورَثُ، وإنَّ الله لا يموت ولا يُورثُ..»، والغالب على الظن أنه من قول أبي العالية؛ لأن الطبري رواه من قوله منفصلاً كما ذكرنا. وقد تقدم الكلام على حديث أبيٍّ رضي الله عنه.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

قولُـه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ قـالَ ابـنُ عبَّـاسٍ: لـم يَلِد كمـا وَلـدَت مريمُ، ولـم يُولَـد كمـا وُلِـدَ عيسـى وعُزيـرٌ[١]. وهـوَ ردٌّ علـى النَّصـارى، وعلى مَـن قالَ: عزيرٌ ابـنُ الله.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ أي: لم يكن أحدٌ مِثلاً له، ويُقالُ: «كُفُوٌ» بضمِّ الفاءِ ثمَّ يُخفَّفُ، مثلَ: طُنُبٍ وطُنْبٍ، وعُنُقٍ وعُنْقٍ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٤٥) من طريق عطاء عن ابن عباس.

سُورَةُ الفَلَقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ وردَ في الصِّحاحِ: أنَّ غلاماً من اليهودِ كانَ يخدمُ رسولَ الله ﷺ، فدبَّت[1] إليه اليهودُ، ولم يزالوا به حتَّى أخذَ مُشاطةَ رأسِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ ـ و«المُشاطةُ» بضمِّ الميمِ: ما سقطَ من الشَّعرِ عندَ المَشطِ ـ وأخذَ عدَّةً من أسنانِ مُشطِهِ، فأعطاها اليهودَ فسحرُوه فيها، وكانَ الَّذي تولَّى ذلكَ لَبيدَ بنَ أعصمَ اليهوديَّ، ثمَّ دسَّها في بئرٍ لبني زُريقٍ يُقالُ لها: ذَروانُ، فمرضَ رسولُ الله ﷺ وانتشرَ شَعرُه، وكانَ يرى أنَّه يأتي النِّساءَ ولا يأتيهنَّ، وجعلَ يذوبُ ولا يدري ما عَرَاه، فبينا هوَ نائمٌ ذاتَ يومٍ إذ أتاهُ ملكانِ فقعدَ أحدُهما عندَ رأسِه والآخرُ عندَ رجلِه، فقالَ الَّذي عند رجليه للَّذي عندَ رأسِه: ما بالُ الرَّجلِ؟ قالَ: طُبَّ، قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ، وقال: ومَن سحرَه؟ قالَ: لبيدُ بنُ أعصمَ، قالَ: وبمَ طبَّه؟ قالَ: بمشطٍ ومُشاطةٍ، قالَ: وأينَ هو؟ قالَ: في جُفِّ طلعةٍ تحتَ راعوفةٍ في بئرِ ذَروان[2].

---

(١) «فدبت» كذا في «الأصل»، ومثله في «تفسير الثعلبي» و«تفسير ابن كثير»، وجاء في «أسباب النزول» للواحدي: «فأتت»، وفي «تفسير القرطبي» و«غرائب التفسير» للكرماني: «فدست».

(٢) إلى هنا رواه بنحوه البخاري (٣٢٦٨) وأطرافه، ومسلم (٢١٨٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها دون قوله في أوله: «أنَّ غلاماً من اليهودِ كانَ يخدمُ رسولَ الله ﷺ ـ إلى ـ فأعطاها اليهودَ فسحرُوه فيها»، وهذه القطعة مذكورة في رواية الثعلبي، وسيأتي الكلام على هذه الرواية قريباً. ولفظ الصحيحين: «بئر أروان».

والجفُّ: قشرُ الطَّلعِ، والرَّاعوفةُ: حجرٌ في أسفلِ البئرِ يقومُ عليه المائحُ.

فانتبَهُ النَّبيُّ عليه السَّلامُ، وقالَ: «يا عائشةُ، أمَّا شَعَرتِ أنَّ اللهَ أخبرَني بِدائِي»، ثمَّ بعثَ عليًّا والزُّبيرَ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنزحُوا ماءَ تلكَ البئرِ كأنَّه نُقاعةُ الحِنَّاء، ثمَّ رفعُوا الصَّخرةَ وأخرجُوا الجُفَّ، فإذا فيهِ مُشاطةُ رأسِه وأسنانُ مشطِه، ووَتَرٌ معقودٌ فيهِ إحدى عشرةَ عقدةً، مغروزةٌ بالإبرِ، فأنزلَ الله المعوِّذتَينِ، فجعلَ كلَّما قرأَ آيةً انحلَّت عقدةٌ ووجدَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ خفَّةً، حتَّى انحلَّت العقدةُ الأخيرةُ، فقامَ رسولُ اللهِ كأنَّما أُنشِطَ من عِقالٍ، فجعلَ جبريلُ يقولُ: «بسمِ اللهِ أرقيكَ، من كلِّ شيءٍ يُؤذيكَ، ومِن حاسدٍ وعينٍ واللهُ يشفيكَ» فقالوا: يا رسولَ الله، أفلا نأخذُ الخبيثَ فنقتلَه؟ فقالَ: «أمَّا أنا فقد شفاني الله، وأكرهُ أن أثيرَ على النَّاسِ شرًّا»[(١)].

واعترضَ أقوامٌ وقالُوا: لا يجوزُ أن يُسحرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ الكفَّارَ عيَّروهُ بأنَّه مسحورٌ، واللهُ نفى عنه السِّحرَ.

وهذا باطلٌ؛ لأنَّ القصَّةَ منقولةٌ في «الصحيحين»، وفي نصِّ القرآنِ: ﴿وَمِن

---

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢) عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم. وهكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧٣)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤١١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٩١)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٠). وعن الثعلبي نقله ابن كثير في «تفسيره» عند هذه السورة ثم قال: هكذا أورده بلا إسنادٍ، وفيه غرابةٌ، وفي بعضه نكارةٌ شديدةٌ، ولبعضه شواهد مما تقدم.

قلت: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٩٢ ـ ٩٤) من طريق عمرة عن عائشة رضي الله عنها بنحو رواية الثعلبي، وإسناده ضعيف كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢٣٥)، وقد ذكرنا ما فيه من الصحيحين، ومما يشهد لبعضه أيضاً ما رواه مسلم (٢١٨٦) عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه: «أنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا محمَّدُ، أشتكيتَ؟ فقالَ: نعم، قالَ: بسمِ اللهِ أَرقيكَ، من كلِّ شيءٍ يُؤذيكَ، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ اللهُ يشفيكَ، بسمِ اللهِ أَرقيكَ».

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَـدِ﴾، وأمرَ عليه السَّلامُ بالاستعاذةِ من شرِّ السِّحر، فالسِّحرُ الَّذي نفَى عنه الرَّبُّ هوَ الَّذي يؤثِّرُ في العقلِ والنُّبوَّةِ، ويقدحُ في الرِّسالة، وكانَ الكفَّارُ يقولونَ: إنَّه مجنونٌ أو مختلٌّ بسحرٍ أصابَه، فنفى الله عنه ذلكَ، فأمَّا أن يكونَ مسحوراً بوصفٍ يجدُه في بدنِه، أو مرضٍ يَحلُّ به من غيرِ اختلالٍ وقدحٍ في تبليغِ الرِّسالةِ، فهذا ممَّا لا ينكرُه عاقلٌ.

وقد شُجَّ وجهُه وكُسرَت رَبَاعيَتُه ولم يَقْدحْ ذلكَ في نبوَّتِه، وكانَ يمرضُ حتَّى يبلغَ به المرضُ الإغماءَ ولم يقدحْ في نبوَّتِه، فكذا أمثالُ هذا السِّحرِ.

ثمَّ القدرةُ الحادثةُ لا تُؤثِّرُ في الغيرِ، ولكن لا يَبعدُ أن يخلقَ الله أثراً في شخصٍ عند حركاتٍ تحصلُ في آخرَ، وتأثيرُ وسوسةِ الشَّيطانِ من هذا القبيلِ أيضاً.

وقالَ ابنُ مسعودٍ: لمَّا وجدَ رسولُ اللهِ ﷺ هذا الَّذي أصابَه، ونُبِّهَ على الأمرِ وجاءَ البئرَ، استخرجَ منها تمثالَ صورةٍ من عجينٍ قد غُرِزَ فيها الإبرُ، وشعرةً قد عُقدَ فيها إحدى عشرةَ، فأمرَه الله أن يتعوَّذَ بالمعوِّذتينِ، وهما إحدى عشرةَ آيةً، على كلِّ عقدةٍ آيةٌ، يقرأُ آيةً وتُحلُّ عقدةٌ[1].

وفي بعضِ الرِّواياتِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ جاءَ إلى رأسِ البئرِ فاطَّلعَ فيها، فأذهبَ اللهُ عنه كلَّ ما يجدُ، فقالَت عائشةُ: ما منعَكَ أن تستخرجَه؟ قالَ: «خشيتُ أن يصيبَ النَّاسَ منهُ شيءٌ»[2].

---

(١) ذكره عن ابن مسعود أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٥٤٥). وورد ضمن حديث عمرة عن عائشة السابق.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وفي رواية البخاري (٦٣٩١): فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، فهلاَّ أخرجْتَه؟ قال: «أمَّا أنا فقد شفاني اللهُ، وكرهتُ أنْ أُثِيرَ على النَّاس شرًّا». وفي رواية مسلم (٢١٨٩): فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أفلَا أحرقْتَه؟ قال: «لا، أمَّا أنا فقد عافاني الله، وكَرهتُ أنْ أُثيرَ على النَّاس شرًّا، فأمرتُ بها فدُفنتْ».

الفلـقُ: الصُّبـحُ؛ أي: أعـوذُ بربِّ الصُّبـحِ، يُقالُ: هـوَ أبْيَنُ من فلَـقِ الصُّبحِ، و: مِـن فَرَقِ الصُّبحِ، وقيلَ: الفلَـقُ: الخَلْقُ، ومنـه: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ويُقـالُ: فلـقَ الأرضَ بالنَّبـاتِ والسَّـحابَ بالقَطْـرِ، فالفَلَـقُ جميـعُ المخلوقـاتِ، ويدخـلُ فيـهِ فلَـقُ الصُّبـحِ.

وقالَ السُّدِّيُّ: الفلَقُ: بيتٌ في النَّارِ إذا فُتحَ صاحَ أهلُ النَّارِ من شدَّةِ حرِّه(١).

وقالَ الكلبيُّ: جُبٌّ في جهنَّمَ، أو وادٍ في جهنَّم.

وقيلَ: هوَ اسمٌ من أسماءِ جهنَّم.

* * *

(٢) - ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

قولُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ أي: من شرِّ النَّاسِ والجنِّ والشَّياطينِ والسِّباعِ والحيَّاتِ وكلِّ شيءٍ ضارٍّ.

ويجوزُ أن يُرادَ به: من الأسقامِ والأشياءِ المؤلِمةِ والغُمومِ، ولفظُ «الشَّرِّ» يشملُ الكلَّ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]، وفي خبرٍ: أنَّ جبريلَ قالَ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّ عِفريتًا مِن الجنِّ يكيدُكَ فتعوَّذْ إذا أويتَ إلى فراشِكَ بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(٢).

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ عن السدي، ورواه ابن وهب كما في «التفسير من الجامع» (٦١)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٢ - ٧٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣١)، من قول كعب الأحبار.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٣٥)، من قول رجل من أصحاب النبي ﷺ، وهكذا ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٥٦) ثم قال: «وهو قول السدي قال: جب في جهنم». قلت: قوله: «هو قول السدي» لعله منه نسب المصنف اللفظ أعلاه للسدي.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٦٥٣)، ولم أجده مسنداً بهذا اللفظ،

وقيلَ: ﴿مَا﴾ بمعنى: الَّذي؛ أي: مِن شرِّ الَّذي خَلقَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ يعني: إبليسَ خاصَّةً؛ لأنَّ اللهَ لم يخلقْ خلقاً هوَ شرٌّ منه[1].

***

(٣) ـ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

قولُه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: مِن شرِّ ما يحدثُ باللَّيلِ إذا دخلَ، فالغاسقُ: اللَّيلُ إذا أقبلَت ظُلمتُه من المشرقِ، يُقالُ: غَسَقَ وأغسَقَ؛ أي: أظلَمَ[2].

وقالَ الزَّجَّاجُ: الغاسقُ: البارد، وقيلَ للَّيلِ: غاسقٌ؛ لأنَّه أبردُ من النَّهار[3].

وقيلَ: الغاسقُ: السَّائلُ، من غَسَقَت العينُ؛ أي: سالَت بالغَمَصِ والماءِ، وسُمِّيَ اللَّيلُ غاسقاً لانصبابِ ظلامِه على الأرضِ.

ولعل فيه وهماً، فقد روى عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٨٣١) عن أبي رافعٍ: أنَّ خالدَ بن الوليد جاء إلى النَّبيِّ ﷺ فشكا إليه وَحشةً يجدُها، فقال له: «أَلَا أُعلِّمُكَ ما علَّمني الرُّوحُ الأمينُ جبريلُ، قال لي: إنَّ عِفريتًا من الجِنِّ يَكيدُكَ، فإذا أَويت إلى فِراشك فقل: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّلاتي لا يجاوزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ،...» الحديث وليس فيه ذكر المعوذتين.

وروى ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٢٦٤)، وابن أبي الدنيا في «مكائد السيطان» (٦٧)، عن الحسن قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ أتاني فقال: إن عفريتًا من الجِنِّ يَكيدكَ، فإذا أويت إلى فراشكَ فقلْ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتَّى تختم آية الكرسيّ».

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٥٨) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) في هامش الأصل: «ويجوز أن يراد بالغاسق: ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى، فإن الجمادات خالية عن جميع القوى النفسانية، فالظلمةُ فيها خاصةً، والأنوار عنها زائلةٌ، وهي المراد من قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٩).

وخُصَّ اللَّيلُ بالاستعاذةِ من شرِّه لأنَّ اللَّيلَ يُخرجُ السِّباعَ من آجامِها، والهوامَّ من مساكنِها، ويبعثُ أهلَ العَيثِ على الفساد.

ورُوِيَ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أخذَ بيدِ عائشةَ وأشارَ إلى القمرِ وقال: «استعيذِي باللهِ من شرِّ هذا، فإنَّه الغاسقُ إذا وَقَبَ»(١).

قالَ ابنُ قُتيبةَ: سُمِّيَ القمرُ غاسقاً لأنَّه يُكسَفُ ويَغسِقُ؛ أي: يذهبُ ضوءُه ويسودُّ، فعلى هذا معنى ﴿وَقَبَ﴾: دخلَ في الكسوفِ(٢).

وفي هذا الخبرِ توقُّفٌ لأهلِ الحديثِ.

وقيلَ: يعني: الثُّريا إذا سقطَت، وكانَت الأسقامُ تكثرُ عند وقوعِها وتزولُ عند طلوعِها، فسُمِّيَت غاسقاً لانصبابِها عند وقوعِها في المغربِ، ووقوبُها: دخولُها إذا غابَت عن الأعينِ(٣)، يُقالُ: وَقَبَ يَقِبُ وُقوباً؛ أي: دخلَ، والوَقبةُ: النُّقرةُ؛ لأنَّه يُدخلُ فيها.

وقيلَ: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: ذهبَ.

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٨٠٢)، والترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٦٤). قال الترمذي: حسن صحيح. ورواه الجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٧٢٢) ثم قال: هذا حديثٌ صحيحٌ، اتَّفق [أبو] عبد الرَّحمن النَّسائيُّ، وأبو عيسى التِّرمِذيُّ على إخراجه في كتابيهما.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٤٢)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٣٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٦١)، وهو منقول عن ابن قتيبة بالمعنى.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٧٤)، وفيه: ووُقوبُه (أي: نجم الثريا): دخولُه تحت الأرض وغيبوبتُه عن الأعيُن.

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

قولُـه: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾؛ أي: السَّـواحرِ، والنَّفـثُ: النَّفـخُ، والعقـدُ: الإصْـرُ، وهـي جمـعُ عُقدةٍ، وهـي عُقَـدٌ تُعقدُ.

وإنَّما قالَ: ﴿ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ ﴾؛ لأنَّه أرادَ الجماعاتِ؛ نحو: ﴿ وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ ﴾ ﴿ والتاليات ﴾ ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ ﴾.

وقالَ الجُرْجانيُّ: أنَّثَ لأنَّه إنَّما تُعرفُ هذه الصِّناعةُ بالنِّساءِ؛ لأنَّهنَ يَعقِدنَ ويَنفُثْنَ[١].

وقالَ أبو عبيدةَ: النَّفَّاثاتُ: بناتُ لبيدِ بنِ أعصمَ، سحرنَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ[٢].

قولُه: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ يعني: اليهودَ، حسدوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ، وهوَ عامٌّ في كلِّ الحُسَّادِ، وفي الخبرِ: «أوَّلُ خطيئةٍ كانَت على ظهرِ الأرضِ الحسدُ من أحدِ ابني آدمَ لأخيهِ»[٣].

* * *

(١) انظر: «البسيط» (٢٤/ ٤٦٤)، وفيه: «وقال صاحب «النظم» [وهو الجرجاني]: إنما أنث النفاثات من بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي ﷺ.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٧٤).

(٣) لم أجده هكذا، لكن روى ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (١/ ١٢٥)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٧١) من طريق مجاهد عَن جُنَادَة بن أبي أُميَّة قال: أول خطيئة كانت الحسد؛ حسد إبليس آدم أن يسجد له حين أمر فحمله الحسد على المعصية.

سُورَةُ النَّاسِ

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٦) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ... مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾(١)؛ أي: الشَّيطانِ ذي الوَسواسِ؛ فحُذِفَ المضافُ.

وقيلَ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بفتحِ الواوِ بمعنى الاسمِ؛ أي: أعوذُ من شرِّ الموسوِسِ، وبكسرِ الواوِ المصدرُ بمعنى: الوَسوَسةِ، وكذا الزَّلزالُ والزِّلزال.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾؛ أي: الشَّيطانُ يجثمُ على قلبِ ابنِ آدمَ، فيوسوسُ إذا غفلَ، ويخنسُ إذا ذكرَ الله.

وقالَ مقاتلٌ: هوَ شيطانٌ في صورةِ خنزيرٍ يجري في جسدِ العبدِ مجرى

---

(١) جاء هنا في هامش الأصل: «اعلم أنَّ في هذه السُّورة لطيفة أخرى، وهيَ: أنَّ المستعاذَ به في السُّورةِ الأولى مذكورٌ بصفةٍ واحدةٍ، وهيَ أنَّ الله تعالى ربُّ الفلق، والمستعاذُ منهُ ثلاثةُ أنواعٍ من الآفاتِ: من الغاسقِ والنَّفَّاثاتِ والحاسدِ، وأمَّا في هذه السُّورةِ فالمستعاذُ به مذكورٌ بصفاتٍ ثلاثٍ، وهيَ: الرَّبُّ والملكُ والإلهُ، والمستعاذ منهُ آفةٌ واحدةٌ، وهيَ الوسوسةُ، وما الفرقُ بين الموضعَينِ: الثَّناءُ يجبُ أن يتقدَّرَ بقَدْرِ المطلوبِ، والمطلوبُ في السُّورةِ الأولى سلامةُ النَّفسِ والبدن، وفي السُّورةِ الثَّانيةِ سلامةُ الدِّينِ، وهذا يُنبِّهُ على أنَّ مضرَّةَ الدِّينِ وإن قلَّت أعظمُ من مضارِّ البدنِ والدُّنيا وإن عَظُمَت».

الـدَّمِ، فـإذا سـها ابتلعَ قلبَه فوسـوسَ، وإذا ذكـرَ الله خنسَ عنه فخرجَ من جسـدِه[(١)].

وفي الخبرِ: «إنَّ الشَّيطانَ واضعٌ خَطمَهُ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا ذكرَ الله خَنَس، وإذا نسيَ الله الْتقَمَ قلبَهُ»[(٢)].

قولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بالكلامِ الخفيِّ الَّذي يصلُ مفهومُه إلى القلبِ.

وقيلَ: تقديرُه: من شرِّ الوسواسِ في صدورِ النَّاس الخنَّاس؛ أي: عند ذكرِ اللهِ.

قولُه: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أخبرَ أنَّ الموسوِسَ قد يكونُ من الجنِّ[(٣)]، فقالَ الحسنُ: هما شيطانانِ، أمَّا شيطانُ الجنِّ فيوسوسُ في صدورِ النَّاس، وأمَّا شيطانُ الإنسِ فيأتي علانيةً[(٤)].

وقيلَ: أي: يوسوسُ إبليسُ في صدورِ الجنِّيِّ كما يوسوسُ في صدورِ الإنسيِّ، ولفظُ «النَّاسِ» قد ينطلقُ على الجنِّ كما ينطلقُ لفظُ «النَّفرِ» عليهم في قولِه: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ولفظُ «الرِّجالِ» في قولِه: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ، وبه الإعانةُ وإليهِ المآبُ[(٥)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٤٣)، و«الوسيط» (٢٤/ ٤٧٠) وعنه نقل المصنف، وزاد الواحدي: فهو الوسواس إذا سها ابن آدم، وهو الخناس إذا ذكر.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٢٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٣٠١)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٩): فيه عَديُّ بن أبي عمارةَ وهو ضعيفٌ.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «الإنس»، فإن الأصل في الموسوس أنه من الجن.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٧٢).

(٥) جاء بعدها في الأصل: «والحمدُ للهِ وحدَه، وصلاتُه على سيِّدي محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه، تمَّ على يدي عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ العزيزِ الدولعيِّ (غير واضحة) رزقَه الله فهمَ ما فيهِ في ليلةِ الأوَّلِ من الشَّهرِ المباركِ ذي الحجَّةِ من سنةِ ثمانٍ وأربعينَ وخمسمائةٍ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ المعينُ بمدينة السلام بغداد».

سقوطات

مِن سُورَةِ النُّورِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾

مقصودُ هذهِ السُّورةِ ذكرُ أحكامِ العقابِ والسَّترِ، ثمَّ ينجرُّ الكلامُ إلى ما يخرجُ منها.

وكتبَ عمرُ إلى الكُوفةِ: علِّموا نساءَكُم سورةَ النُّورِ(١).

(١) ـ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿سُورَةٌ﴾؛ أي: قطعةٌ، مِن أَسأَرْتُ الماءَ في الإناءِ، أو درجةٌ مِنَ الكتابِ الَّذي وُعِدْتَ إنزالَهُ عليكَ، مِن سورِ البناءِ، أو: السَّورة الَّتي هيَ المجدُ والرِّفعةُ.

﴿أَنزَلْنَاهَا﴾؛ أي: مِنَ الذِّكرِ الحكيمِ الَّذي هوَ أمُّ الكتابِ إلى السَّماءِ الدُّنيا جملةً؛ لينزلَ بهِ جبريلُ عليهِ السَّلامُ بها إليكَ نجماً نجماً، وكلامُ اللهِ مُنزلٌ على معنى: أنَّ جبريلَ سمعَ قولَهُ، فنزلَ وأدَّى كما سمعَ؛ كما يُقالُ: نزلتُ برسالةِ الأميرِ مِنَ القصرِ.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٤١)، وسعيد بن منصور في «سننه» (١٠٠٤ ـ تفسير)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣٧)، عن أبي عطية الهمداني قال: «كتب إلينا عمر رضي الله عنه..». وأبو عطية هو مالك بن عامر ـ وقيل في اسم أبيه غير ذلك ـ الوادعي، الهَمْداني، مشهور بكنيته، ثقة من رجال «التهذيب». ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٣٣) من طريق زياد بن جارية عن عمر رضي الله عنه. وزياد بن جارية تميمي دمشقي يقال: له صحبة، وثقه النسائي. عن «التقريب».

قالَ أبو عبيدةَ والأخفشُ: ﴿سُورَةٌ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُها ﴿أَنزَلْنَهَا﴾[(١)].

وقالَ الزَّجَّاجُ والفَرَّاءُ والمبرِّدُ: ﴿سُورَةٌ﴾ رفعٌ لأَنَّهُ خبرُ الابتداءِ؛ لأَنَّها نكرةٌ، ولا يُبتدأُ بالنَّكرةِ في كلِّ موضعٍ؛ أي: هذهِ سورةٌ[(٢)].

﴿وَفَرَضْنَهَا﴾ قُرِئَ بالتَّخفيفِ، ثمَّ ليسَ كلُّ ما في هذهِ السُّورةِ فرضاً، ولكنْ جملةُ الدِّينِ فُرِضَ فيها أن يُعتقدَ ما أُريدَ بها مِن واجبٍ أو ندبٍ، فيرجعُ الفرضُ إلى هذا.

وقيلَ: ﴿فرضناها﴾؛ أي: بيَّنَّاها[(٣)].

ويرجعُ القولانِ إلى فرضِ ما فيها؛ أي: أوجَبْنا العملَ بما فيها، أو: بيَّنَّا ما فيها.

وقالَ أبو عليٍّ: فرَضْنا فرائضَها المذكورةَ فيها، فحُذِفَ المضافُ[(٤)].

وقُرِئَ: ﴿فرَّضْناها﴾ بالتَّشديدِ[(٥)]؛ لكثرةِ ما فيها مِنَ الفرائضِ.

وقيلَ: فَرَضْناها عليكُم وعلى مَن بعدَكُم إلى القيامةِ، فالتَّشديدُ إشارةٌ إلى هذا.

وقالَ أبو عمرٍو: ﴿فرَّضْناها﴾ بالتَّشديدِ؛ أي: قطَّعْناها في الإنزالِ نجماً نجماً، والفرضُ: القطعُ، ومنهُ فُرضةُ القوسِ، وفرائضُ الميراثِ، وفرضُ النَّفقةِ[(٦)].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٣)، وعن الأخفش «تفسير الثعلبي» (١٩/ ١٢)، وعنهما «البسيط» (١٦/ ٩١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧)، وعن الثلاثة «البسيط» (١٦/ ٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٠٩)، و«البسيط» (١٦/ ٩٣).

(٥) قرأ بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٦) ذكره بحرفه القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٠١)، ولعله أخذه من المصنف، وذكر النحاس في

وهذا يَقرُبُ مِن معنى البيانِ؛ لأنَّ ما بيَّنَهُ فقد قطَعَهُ عن غيرِهِ.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: أنزلْنا في هـذهِ السُّورةِ آياتٍ واضحاتٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتتَّعِظُوا وتأخذُوا بها.

***

(٢) ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قولُهُ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ القراءةُ بالرَّفعِ للاستئنافِ، وكانَ بيانُ أمرِ الزِّنا منتظَراً لقولِهِ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥]، فنزلَتْ هذهِ الآيةُ؛ أي: مَن زنَى فاجلدُوهُ، خاطبَ المسلمينَ؛ لأنَّ إقامةَ مراسِمِ الدِّين واجبةٌ على المسلمينَ، ثمَّ الإمامُ ينوبُ عنهُم إذ لا يمكنُهُمُ الاجتماعُ على إقامةِ الحدودِ.

والجَلْدُ: ضربُ الجِلدِ؛ كما يُقالُ: رَأَسَهُ وبَطَنَهُ؛ أي: ضربَ رأسَهُ وبطنَهُ، وهذا حدُّ الزَّاني إذا كانَ حُرّاً بالغاً بكراً غيرَ مُحصَنٍ، وكذلكَ الزَّانيةُ، فالحكمُ جلدُ مئةٍ بنصِّ الكتابِ، وثبتَ بالسُّنَّةِ تغريبُ عامٍ، وأمَّا المملوكانِ فالواجبُ خمسونَ جلدةً؛ لقولِهِ: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، وهذا في الأَمَةِ، ثمَّ العبدُ في معناها.

فأمَّا المُحصَنُ مِنَ الأحرارِ فعليهِ الرَّجمُ دونَ الجَلدِ، وفي العلماءِ مَن قالَ: يُجلَدُ مئةً، ثمَّ يُرجَمُ(١).

«إعراب القرآن» (٣/ ٨٨)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: فرض) عن أبي عمرو أن المعنى على التشديد: فصَّلناها.

(١) قال الحازمي في «الاعتبار» (ص ٢٠١): «اختلف أهلُ العلم في هذا الباب، فذهبت طائفة إلى أن

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾؛ أي: لا تمتَنِعوا عن إقامةِ الحدودِ شفقةً على المحدودِ، أو: لا تخفِّفوا الضَّربَ مِن غيرِ إيجاعٍ، والإيجاعُ في حدِّ الزِّنا أبلغُ مِنَ الإيجاعِ في حدِّ الشُّربِ.

ويُقالُ: رَؤُفَ يَرْؤُفُ رَأْفةً ورَآفةً، ورَأَفَ يَرْأَفُ.

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حُكمِ اللهِ؛ كقولِهِ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي: في حكمِهِ.

وقيلَ: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طاعةِ اللهِ فيما أمرَكُم مِن إقامةِ الحدِّ.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: سبيلُ المؤمنِ أن لا يعطِّلَ حدودَ اللهِ، وقيلَ: أي: إذ كنتُم تؤمنونَ.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقالَ مجاهدٌ: رجلٌ فما فوقَهُ إلى ألفٍ(١)، والغرضُ: التَّنكيلُ، وقيلَ: ليُدعَى لهما بالتَّوبةِ والرَّحمةِ.

المُحصَنَ الزاني يجلد مئة ثم يُرجَم عملاً بحديث عبادة [أخرجه مسلم (١٦٩٠)] ورأوه محكماً، وممن قال به: أحمدُ بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وداود بن علي الظاهري، وأبو بكر بن المنذر من أصحاب الشافعي، وخالفهم في ذلك أكثرُ أهلِ العلم، وقالوا: بل يرجم ولا يُجلَدُ».

قلت: قول ابن المنذر في «الإشراف» (٧/ ٢٥٢) قال: «وممن استعمل هذا علي بن أبي طالب، وبه قال الحسن البصري وإسحاق بن راهويه». وقول الظاهري نسبه القاضي عبد الوهاب في «عيون المسائل» (ص: ٤٥٩) لعموم الظاهرية، حيث جعل القول بالرجم دون جلد قول سائر الفقهاء، ولم يستثن سوى أهل الظّاهر. أما الإمام أحمد فهو إحدى الروايتين عنه كما في «الإرشاد» لابن أبي موسى (ص: ٤٧٠).

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٥٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الطَّائفةُ الرَّجلُ فما فوق.

وقالَ المبرِّدُ: فيه[١] معنى الجزاءِ؛ أي: إنْ يَزْنِ زانٍ فافعلوا بهِ كذا، ولهذا[٢] دخلَتِ الفاءُ، فقالَ: ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾، وهكذا: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨][٣].

* * *

(٣) ـ ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قولُهُ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾: هذا ترغيبٌ في نكاحِ العفائفِ، وتزهيدٌ في نكاحِ الزَّواني والزُّناةِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: نزلَتْ في نساءٍ بَغايا معروفاتٍ بمكَّةَ والمدينةِ، وكنَّ كثيراتٍ، منهُنَّ تسعٌ صواحبُ راياتٍ، لهُنَّ راياتٌ كراياتِ البَيْطارِ يُعرَفْنَ بها، وكنَّ إماءً في الأغلبِ، فأرادَ ناسٌ مِنَ المسلمينَ نكاحَهُنَّ؛ ليتَّخِذُوهُنَّ مأكلةً، فنزلَتِ الآيةُ، ونهى اللهُ المؤمنينَ عن ذلكَ[٤].

وقيلَ: قدمَ المهاجرونَ المدينةَ وفيهِم فقراءُ ليسَتْ لهُم أموالٌ، وبالمدينةِ بغايا مُسافحاتٌ، فرغبَ الفقراءُ فيهِنَّ لخصبِ رحالِهِنَّ وحُسنِ حالِهِنَّ، فنزلَتِ الآيةُ صيانةً لهُم عن ذلكَ[٥]، وليُعلمَ أنَّ التَّزوُّجَ بالزَّانيةِ صحيحٌ.

---

(١) أي: في قوله تعالى: ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾.

(٢) في الأصل: «أو لهذا»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «الكامل» للمبرد (٢/ ١٩٦).

(٤) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣١٥) عن عكرمة، ومن ضمنه أسماء الجواري التسعة وأسيادهن، وروى معناه من طرق عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣١٥) عن المفسرين. وهذا مجموع من روايات عند

وإذا زَنَتْ زوجُ الرَّجلِ لم يَفسُدِ النِّكاحُ، ولو زنا الزَّوجُ لم يَفسُدْ نكاحُهُ معَ زوجتِهِ.

وزنَى رجلٌ بامرأةٍ في زمنِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ، فجلدَهُما مئةً، ثمَّ زوَّجَ أحدَهُما مِنَ الآخرِ مكانَهُ، ونفاهُما سنةً(١).

ورُوِيَ مِثْلُ ذلكَ عن عمرَ وابنِ مسعودٍ وجابرٍ(٢).

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَثَلُ ذلكَ مَثَلُ رجلٍ سرقَ مِن حائطٍ ثمرةً، ثمَّ أتى صاحبَ البستانِ فاشترى منهُ ثمرةً، فما سرقَ حرامٌ، وما اشترى حلالٌ(٣).

فإذاً الآيةُ منسوخةُ الحكمِ بقولِهِ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، ويدخلُ فيهِ الزَّواني مِنَ الأَيامى المسلمينَ وغيرُ الزَّواني.

وأمَّا حكمُ المشرِكِ والمشرِكةِ فمذكورٌ في موضعِهِ.

وقالَ قومٌ مِنَ المتقدِّمينَ: الآيةُ مُحكَمةٌ غيرُ مَنْسوخةٍ، وعندَ هؤلاءِ مَن زنى فسدَ النِّكاحُ بينَهُ وبينَ زوجتِهِ، وإذا زَنَتِ الزَّوجةُ فسدَ النِّكاحُ بينَها وبينَ زوجِها.

الطبري وغيره عن جمع من الصحابة والتابعين، ومنه ما رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٠ و١٥٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ومجاهد: كنَّ نساء معلومات، قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهن لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك.

(١) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٧٧٨) عن عمر وفيه قصة، و(١٦٧٨١) عن ابن مسعود و(١٦٧٩٠) عن جابر، وخبر عمر وابن مسعود رواهما ايضاً أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧٥) و(١٧٦).

(٣) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧٨) من رواية عكرمة عن ابن عباس بلفظ: «إنما مثل ذلك مثل رجل أتى حائطاً فسرق منه، ثم أتى صاحبه فاشترى منه، فما سرق..».

وقالَ قومٌ مِن هؤلاءِ: لا ينفسخُ النِّكاحُ بذلكَ، ولكنْ يُؤمَرُ الرَّجلُ بطلاقِها إذا زَنَتْ، ولو أمسكَها أَثِمَ، ولا يجوزُ التَّزوُّجُ بالزَّانيةِ، ولا مِنَ الزَّاني، بلى؛ لو ظهرَتِ التَّوبةُ فحينَئذٍ يجوزُ النِّكاحُ.

وفيهِ قولٌ ثالثٌ؛ قالَ ابنُ عبَّاسٍ في روايـةٍ: ليسَ هذا في التَّزويجِ، إنَّما هوَ في الوطءِ؛ أي: الزَّاني لا يزني إلَّا بزانيةٍ مثلِهِ، ولا تزني المرأةُ إلَّا بزانٍ مثلِها[١]، فإنَّ أحدَهُما إذا كانَ زانياً فالثَّاني[٢] زانٍ أيضاً في الغالبِ؛ لأنَّ الفعلَ واحدٌ، وعلى هذا فلا حاجةَ إلى دعوى النَّسخِ.

وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ النِّكاحَ لم يردْ في القرآنِ إلَّا بمعنى العقدِ، ثمَّ لو كانَ هذا بمعنى الوطءِ فأيُّ فائدةٍ للكلامِ؟! فإنَّ كلَّ أحدٍ يعلمُ أنَّ الزَّانيةَ تَزْني بالزَّاني، إلَّا أن يحملَ هذا على التَّغليظِ والتَّشهُّرِ باسمِ الزَّاني، على أنَّهُ قد يتحقَّقُ الزِّنا مِن أحدِ الجانبَينِ إذا كانَ عالماً بالتَّحريمِ، ولا يتحقَّقُ في الجانبِ الثَّاني إذا كانَ جاهلاً بالتَّحريمِ.

وقيلَ: أي: سبيلُ المؤمنِ أن لا يرغبَ إلَّا في العفائفِ المسلماتِ، وهوَ كقولِهِ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦].

وقولُهُ: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: حُـرِّمَ الـزِّنا والشِّـركُ، أو: حُرِّمَ نكاحُ البغايا على وجهِ القصدِ؛ للتَّكسُّبِ بهِنَّ، والارتفاقِ بما يأخذْنَ مِنَ المالِ، والنِّكاحُ على هذهِ المقاصدِ مُحرَّمٌ وإن كانَ ينعقدُ.

ثمَّ؛ ليسَ المرادُ أنَّ الزَّانيَ لا ينكحُ قطُّ إلَّا زانيةً؛ إذ قد يُتصوَّرُ أن يتزوَّجَ غيرَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٣)، من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) في الأصل: «والزاني»، والمثبت أنسب بالسياق.

زانيةٍ، ولكنَّ المعنى: أنَّ مَن تزوَّجَ بزانيةٍ فهوَ زانٍ، فكأنَّهُ قالَ: لا ينكحُ الزَّانيةَ إلَّا زانٍ، فقلبَ الكلامَ، وذلكَ لأنَّهُ لا ينكحُ زانيةً إلَّا وهوَ راضٍ بزناها، وإنَّما يرضَى بالزِّنا إذا كانَ هوَ أيضاً يزني.

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا [لا][1] يدلُّ على أنَّ الزِّنا مباحٌ للكافرِ، بل هُم مخاطبونَ بالتَّفاصيلِ أيضاً، ولكنْ خَصَّ المؤمنينَ لأنَّهُم أتَوْا بالإيمانِ الَّذي يتفرَّعُ منهُ تحريمُ الزِّنا، وأنَّهُ يُحدُّ المؤمنُ فأمَّا المشرِكُ فلا يُحدُّ في الدُّنيا.

* * *

(٤) - ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ هذا أمرٌ بالسَّترِ، فمَن قذفَ مُحصَنةً أو مُحصَناً وعجزَ عن تحقيقِ ما نَسبَ إليهِ مِن الزِّنا بأربعةِ شهودٍ فعليهِ حدُّ القذفِ وتُردُّ شهادتُهُ.

﴿يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾؛ أي: يقذفونَ، ولم يقلْ: بالزِّنا؛ لأنَّ فيما تقدَّمَ مِن ذكرِ الزَّانيةِ والزَّاني دليلاً على أنَّ المعنى ذلكَ.

وشرطُ الإحصانِ: البلوغُ، والعقلُ، والحرِّيَّةُ، والعفَّةُ عنِ الزِّنا، فمَن قذفَ مَن لم يوجَدْ فيه جميعُ هذهِ الأوصافِ فالواجبُ التَّعزيرُ.

وحدُّ الحرِّ ثمانونَ، وحدُّ العبدِ أربعونَ، ويُقامُ الحدُّ فوقَ الثِّيابِ.

وذكَرَ المحصَنةَ ثمَّ المحصَنُ في معناها، وقالَ قومٌ: أرادَ بالمحصَناتِ: الفروجَ؛ كما قالَ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، فيدخلُ فيهِ فروجُ الرِّجالِ والنِّساءِ.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وفيهِ بعدٌ؛ لأنَّ لفظَ المحصَنِ يقعُ على الشَّخصِ.

وقيلَ: ذكرَ المرأةَ الأجنبيَّةَ إذا قُذفَتْ ليَعطفَ عليها ذِكْر قذفِ الرَّجلِ زوجتَهُ، ثمَّ العلماءُ يعلمونَ أنَّهُ لا فرقَ بينَ المقذوفِ والمقذوفةِ؛ كما لا فرقَ بينَ القاذفِ والقاذفةِ.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾؛ أي: على ما رمَوْهُنَّ بهِ.

﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾؛ أي: القاذفينَ بالزِّنا ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ وهذا خطابٌ لجميعِ النَّاسِ، ثمَّ ينوبُ عنهُمُ الإمامُ.

والقاذفُ إذا تابَ قُبِلَتْ شهادتُهُ عندَ الشَّافعيِّ، وقولُهُ: ﴿أَبَدًا﴾ لتراخي مدَّةِ التَّوبةِ، لا لتخليدِ ردِّ الشَّهادةِ، وهوَ كقولِهِ: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]؛ أي: المدَّةُ وإن تراخَتْ فالعداوةُ بينَنا باقيةٌ حتَّى يكونَ الإيمانُ منكُم.

وقالَ عمرُ للَّذين شهدوا على المغيرةِ: مَن أكذبَ نفسَهُ أَجزْتُ شهادتَهُ فيما استقبلَ، ومَن لم يفعلْ لم أُجزْ شهادتَهُ، فأكذبَ الشِّبلُ بنُ معبدٍ ونافعُ بنُ الحارثِ بنِ كَلَدةَ أنفسَهُما وتابا، وأبى أبو بكرةَ أن يفعلَ، فكانَ لا يَقبلُ شهادتَهُ[1].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٦٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٢). وبنحوه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٢٩)، والإمام الشافعي في «السنن المأثورة» (٤٢٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٣٥٦٥)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٧٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦١٣٥). وجاء في «صحيح البخاري» قبل الحديث (٢٦٤٨) تعليقاً مجزوما به: «وجَلَد عمر أبا بكرةَ وشِبل بن مَعبد ونافعًا بقذف المغيرة، ثم استتابهم وقال: من تاب قبلت شهادته».

(٥) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

قولُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: الاستثناءُ يرجعُ إلى الجملِ السَّابقةِ؛ وهوَ اختيارُ أبي عبيدٍ، قالَ: وليسَ مَن يَنسبُ إلى الزِّنا بأعظمَ جُرماً مِن مرتكبِ الزِّنا، ثمَّ الزَّاني إذا تابَ قُبِلَتْ شهادتُهُ لأنَّ التَّائبَ مِنَ الذَّنبِ كمَن لا ذنبَ لهُ، وإذا قبلَ اللهُ التَّوبةَ مِنَ العبدِ كانَ العبادُ بالقَبولِ أَولى، معَ أنَّ مثلَ هذا الاستثناءِ موجودٌ في مواضعَ مِنَ القرآنِ؛ منها قولُهُ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣] إلى قولِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور: ٥]، ولا شكَّ أنَّ هذا الاستثناءَ يرجعُ إلى الجميعِ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: وليسَ القاذفُ بأشدَّ جُرماً مِنَ الكافرِ، فحقُّهُ إذا تابَ وأصلحَ أن تُقبَلَ شهادتُهُ، قالَ: فقولُهُ: ﴿أَبَدٗا﴾ أي: ما دامَ قاذِفاً؛ كما يُقالُ: لا تُقبَلُ شهادةُ الكافرِ أبداً، ثمَّ معناهُ: ما دامَ كافِراً[٢].

وقد قالَ الشَّعْبيُّ للمخالفِ في هذهِ المسألةِ: يَقبلُ اللهُ توبتَهُ، ولا تقبلونَ شهادتَهُ[٣]؟!

ثمَّ إنْ كانَ الاستثناءُ يرجعُ إلى الجملةِ الأخيرةِ عندَ أقوامٍ مِنَ الأُصوليِّينَ فقولُهُ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ تعليلٌ، لا جملةٌ مُستقلَّةٌ بنفسِها؛ أي: لا تقبَلوا شهادتَهُم لفسقِهِم، فإذا زالَ الفسقُ فلِمَ لا تُقبَلُ شهادتُهُم؟

ثمَّ؛ توبةُ القاذفِ: إكذابُه لنفسه.

---

(١) انظر «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) انظر «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٥٧٦) وقال: وبه آخذ، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٨١)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ تكملة التفسير» (١٥٣٩) و(١٥٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٦٣).

وقيلَ: التَّوبةُ مِنَ القذفِ كالتَّوبةِ مِن سائرِ الذُّنوبِ.

ولا خلافَ أنَّهُ إذا لم يُجلَدِ القاذفُ بأنْ ماتَ المقذوفُ قبلَ أن يَطلبَ القاذفَ بالحدِّ، أو لم يَرفعْ إلى السُّلطانِ، أو عفا المقذوفُ= فالشَّهادةُ مقبولةٌ؛ لأنَّ عندَ الخصمِ في المسألةِ النَّهيُ عن قَبولِ الشَّهادةِ معطوفٌ على الجَلدِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾.

وعندَ هذا قالَ الشَّافعيُّ: هوَ قبلَ أن يُحدَّ شرٌّ منهُ حينَ حُدَّ؛ لأنَّ الحدودَ كفَّاراتٌ، فكيفَ تُردُّ شهادتُهُ في أحسنِ حالَيهِ دونَ أخسِّهما[1]؟!

﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ يُريدُ: إظهارَ التَّوبةِ، وقيلَ: وأصلَحوا العملَ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنبِهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهِم؛ حيثُ تابوا، وقبلَ توبتَهُم.

* * *

(٦ ـ ٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لـمَّا نزلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ قالَ سعدُ بنُ عبادةَ: أهكذا أُنزلَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ عليهِ السَّلامُ: «ألا تسمعونَ يا معشرَ الأنصارِ إلى ما يقولُ سيِّدُكُم؟»، فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّهُ رجلٌ غَيورٌ، واللهِ ما تزوَّجَ امرأةً قطُّ إلَّا بِكراً، ولا طلَّقَ امرأةً قطُّ فاجترأَ رجلٌ منَّا على أن يتزوَّجَها؛ مِن شدَّةِ غيرتِهِ، فقالَ سعدٌ: واللهِ يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي لأعلَمُ أنَّها حقٌّ، وأنَّها مِن عندِ اللهِ،

(١) انظر «الأم» (٧/ ٤٨).

ولكنْ قد تعجَّبْتُ إذ لو وجدْتُ لكاعِ قد تَفخَّذَها رجلٌ لم يكنْ لي أن أَهيجَهُ ولا أحرِّكَهُ حتَّى آتيَ بأربعةِ شهداءَ، فواللهِ إنِّي لا آتي بهم حتَّى يقضيَ حاجتَهُ.

قالَ: فما لبثوا إلَّا يسيراً حتَّى جاءَ هلالُ بنُ أُميَّةَ مِن أرضِهِ عشيًّا فوجدَ عندَ أهلِهِ رجلاً، فرأى بعينَيهِ وسمعَ بأذنَيهِ، فلم يَهجْهُ، حتَّى أصبحَ فغدا على رسولِ اللهِ ﷺ فأخبرَهُ، فاشتدَّ على رسولِ اللهِ ﷺ ما جاءَ بهِ، فقالَ سعدُ بنُ عبادةَ: الآنَ يَضربُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ هلالَ بنَ أميَّةَ ـ يعني: حدَّ القذفِ ـ وتَبطلُ شهادتُهُ في المسلمينَ، فقالَ هلالٌ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي قد أَرى ما قد اشتدَّ عليكَ بما جئتُكَ بهِ، واللهُ يَعلم[1] إنِّي لصادقٌ، فواللهِ إنَّ رسولَ الله يريدُ أن يأمرَ بضربِهِ إذ نزلَ عليهِ الوحيُ، وكانَ إذا نزلَ عليهِ الوحيُ عرفوا ذلكَ [في] تربُّدِ لونِه، فأمسكُوا عنهُ حتَّى فرغَ مِنَ الوحيِ، فنزلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ الآياتِ، فسُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «أبشِرْ يا هلالُ، فقد جعلَ اللهُ لكَ فَرَجاً ومخرَجاً»، فقالَ هلالٌ: قد كنتُ أرجو ذلكَ مِن ربِّي[2].

وقيلَ: قرأَ النَّبيُّ ﷺ على النَّاسِ في الخطبةِ يومَ الجمعةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾، فقالَ عاصمُ بنُ عديٍّ الأنصاريُّ: جعلَني اللهُ فداكَ؛ لو أنَّ رجلاً منَّا وجدَ على بطنِ امرأتِهِ رجلاً فتكلَّمَ وأخبرَ بما جرى جُلدَ ثمانينَ جلدةً، وسمَّاهُ المسلمونَ فاسقاً، فلا تُقبلُ شهادتُهُ، فكيفَ لأحدِنا عندَ ذلكَ بأربعةِ شهودٍ؟! وإلى أن يلتمسَ أربعةَ شهودٍ فقد فرغَ الرَّجلُ مِن حاجتِهِ، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «كذلكَ أُنزِلَتْ

(١) في الأصل: «والله إني تعلم»، وهو من أخطاء النساخ، والتصويب من مصادر التخريج وستأتي.

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٦٦٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٣١) واللفظ له، وأبو داود (٢٢٥٦)، وأبو يعلى (٢٧٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣٠). وبنحوه مختصراً البخاري (٤٧٤٧). وله تتمة ستأتي قريباً.

يا عاصمَ بنَ عديٍّ»، فخرجَ عاصمٌ سامِعاً مُطِيعاً، فاستقبلَهُ هلالُ بنُ أميَّةَ يَسترجِعَ، فقالَ: ما وراءَكَ؟ قالَ: شرٌّ، وجدْتُ شريكَ بنَ السَّحْماءِ على بطنِ امرأتي خولةَ يزني بها، وخولةُ هذهِ بنتُ عاصمِ بنِ عديٍّ، فقالَ: هذا ـ واللهِ ـ سؤالي النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ آنِفاً، فرجعا إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ، فأخبرَهُ هلالٌ بما رأى، فبعثَ عليهِ السَّلامُ إليها، فقالَتْ: رآني وشريكاً نُطيلُ السَّهرَ ونتحدَّثُ، فلا أدري أدركَتْهُ الغيرةُ أو بخلَ عليَّ بالطَّعامِ، فأنزلَ اللهُ آيةَ اللِّعانِ[(١)].

وقيلَ: الَّذي وجدَ امرأتَهُ معَ شريكِ بنِ السَّحماءِ عُويمرٌ ابنُ عمٍّ لعاصمِ بنِ عديٍّ[(٢)]، وامرأتُهُ خولةُ بنتُ قيسِ بنِ محصنٍ، وكانَ عُويمرٌ وخولةُ وشَريكٌ بني عمِّ عاصمٍ[(٣)].

وقالَ الكَلبيُّ: الَّذي وجدَ معَ امرأتِهِ شريكَ بنَ السَّحماءِ [هو عاصم بن عدي، رجع يومًا إلى أهلِه فوجَدَه على بطنِ امرأتِه، فأتى النبيَّ ﷺ وأخبره بما رأى، فنزل آية اللعان][(٤)].

والأظهرُ: أنَّ الَّذي وَجدَ معَ امرأتِه شريكَ بنَ السحماءِ عُويمرٌ العجلانيُّ؛ لكثرةِ ما رُوِيَ أنَّهُ عليهِ السَّلامُ لاعنَ بينَ العجلانيِّ وامرأتِهِ[(٥)].

---

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وهذه الرواية مخالفة لسياق رواية الصحيحين في قصة عاصم بن عدي. انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه البخاري (٤٧٤٧) و(٥٣١٠)، ومسلم (١٤٩٢)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ١٨٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٣٥) عن مقاتل بن حيان.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٣٣) وما بين معكوفتين منه.

(٥) وهذا في الصحيجين من حديث حديث سهل بن سعد رضي الله عنه كما تقدم. وفي البخاري

فمَن قذفَ زوجتَهُ ولم يكنْ ثمَّةَ بيِّنةٌ فلهُ أن يأتيَ بكلماتِ اللِّعانِ، فينتفي عنهُ حدُّ القذفِ، ويجبُ الحدُّ على المرأةِ ونزولُ الفراشِ؛ ليزولَ عنِ الرَّجلِ العارُ، وقد جعلَ اللهُ للمرأةِ مخرجاً مِنَ الحدِّ بما جعلَ لها مِنَ اللِّعانِ، والغالبُ: أنَّ الزِّنا يجري خُفيةً، فقد لا يطَّلعُ عليهِ الزَّوجُ، والغالبُ أنَّهُ لا يفضحُ نفسَهُ هَزْلاً، فلهُ شهادةُ الحالِ غيرَ أنَّها ناقصةٌ، فكمِّلتْ بكلماتِ اللِّعانِ؛ كشهادةِ المرأةِ لـمَّا ضعُفَتْ قوِّيَتْ بزيادةِ المرأةِ، وشهادةِ الواحدِ قوِّيَتْ باليمينِ.

﴿فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍ﴾ بالرَّفعِ على أنَّهُ خبرُ الابتداءِ.

وقُرِئَ: ﴿أربَعَ﴾ بالنَّصْبِ[١]؛ أي: أن يشهدَ أربـعَ شهاداتٍ، ثـمَّ يُؤكِّدَ الأمرَ بالكلمةِ الخامسةِ الَّتي تتضمَّنُ اللَّعنَ مِنَ الغضبِ[٢].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لـمَّا نزلَتِ الآيةُ في هلالِ بنِ أميَّةَ أرسلوا إلى امرأتِهِ، فجاءَتْ، فتلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ الآيةَ عليهِما، وقالَ: «إنَّ عذابَ الآخرةِ أشدُّ مِن عذابِ الدُّنيا»، فقالَ هلالٌ: واللهِ يا رسولَ اللهِ؛ لقد صدَقْتُ عليها، فقالَتْ: كذبْتَ، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «اللهُ يعلمُ أنَّ أحدَكُما كاذبٌ، فهل منكُما تائبٌ؟»، فقالَ هلالٌ: صدقتُ وما

(٤٧٤٧) أيضاً من حديث ابن عباس أنه هلال بن أمية، قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٥٠): فمنهم مَن رَجَّح أنَّها نزلت في شأن عُويمرٍ، ومنهم مَن رَجَّح أنَّها نزلت في شأن هلال، ومنهم مَن جمع بينهما بأنَّ أولَ مَن وقع له ذلك هلالٌ وصادفَ مجيءُ عُويمرٍ أيضًا، فنزلتْ في شأنهما معًا في وقتٍ واحدٍ، وقد جَنح النَّوويُّ إلى هذا وسبقه الخطيبُ فقال: لعلهما اتّفق كونهما جاأا في وقتٍ واحدٍ.

(١) هي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عَمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) «من الغضب» كذا في الأصل، ولعل الصواب: «من الغضب»، ومع ذلك فالمعنى مشكل، ويستقيم بأن يكون بدل «من»: «أو»؛ أي: «اللعن أو الغضب»، على أن اللعن للرجال والغضب للنساء.

قلتُ إلَّا حقّاً، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «لاعِنوا بينَهُما»، فشهدَ هلالُ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الصَّادقينَ، فلمَّا كانَ في الخامسةِ قيلَ لهُ: يا هلالُ؛ اتَّقِ اللهَ، فإنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ مِن عذابِ الآخرةِ، وإنَّ هذهِ الموجبةَ الَّتي توجِبُ عليكَ العذابَ، فقالَ: واللهِ لا يُعذِّبُني اللهُ عليها كما لم يَجلدْني عليها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ، فشهدَ الخامسةَ أنَّ لعنةَ اللهِ عليهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذبينَ، ثمَّ قيلَ لها: اشهَدِي، فشهدَتْ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الكاذبينَ، فلمَّا كانَتِ الخامسةُ قيلَ لها: اتَّقي اللهَ، فتلكَّأَتْ ساعةً، ثمَّ قالَتْ: لا أفضحُ قَومي سائرَ اليومِ، فشهدَتِ الخامسةَ أنَّ غضبَ اللهِ عليها إنْ كانَ مِنَ الصَّادقينَ، ففرَّقَ بينَهُما رسولُ اللهِ ﷺ، وقضَى أن لا يُدْعى ولدُها لأبٍ، ولا تُرمَى هيَ، ولا يُرمَى ولدُها، ومَن رماها أو ولدَها فعليهِ الحدُّ. قالَ عكرمةُ: فكانَ بعدَ ذلكَ أميراً على مصرَ، وما يُدعى لأبٍ[1].

قولُهُ: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ قُرِئَ: ﴿أنْ﴾ مخفَّفةً ﴿لعنةُ﴾ بالرَّفعِ، وقُرِئَ: ﴿أنَّ﴾ مُشدَّدةً ﴿لعنةَ﴾ بالنَّصبِ[2].

قولُهُ: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾: أيِ: الحدَّ الَّذي وجبَ عليها، والألفُ واللَّامُ إشارةٌ إلى عذابٍ قد عُرِفَ، وهوَ الجَلدُ في حقِّ البِكرِ، والرَّجمُ في حقِّ الثَّيِّبِ.

والدَّرءُ: الدَّفعُ، وتَدارأَ القومُ: تدافَعوا.

قولُهُ: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾: قُرِئَ: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ﴾ بالنَّصبِ؛ أي: وتَشهدُ الخامسةَ؛ لأنَّ في الكلامِ ما يدلُّ عليهِ، وأمَّا ﴿الخامسة﴾ الأُولى فهيَ مرفوعةٌ لم

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٣١)، وبعضه في رواية البخاري (٤٧٤٧). وتقدم أوله قريباً.

(٢) ﴿أنْ لعنتُ الله﴾ قراءة نافع ويعقوب، وقرأ باقي العشرة: ﴿أنَّ لَعْنَتَ اللهِ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١)، و«النشر» (٢/ ٣٣٠).

يختلفوا فيها، وإنْ كانَ يجوزُ في القياسِ النَّصبُ، وقُرِئَ: ﴿والخامسةُ﴾ بالرَّفعِ(١)؛ أعني: في الثَّانيةِ، وقُرِئَ: ﴿أنْ غَضِبَ اللهُ﴾ و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾(٢).

* * *

(١٠) - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: جوابُهُ متروكٌ؛ لأنَّ المعنى معلومٌ، وهوَ كما تقولُ للرَّجلِ يشتمُكَ: لولا أبوكَ؛ أي: لولا أبوكَ لشتمتُكَ؛ أي: لولا فضلُ اللهِ لنالَ الكاذبَ عذابٌ عظيمٌ، أو لأَطْلَعَ على الكاذبِ مِنَ الزَّوجَينِ فحُدَّ.

* * *

(١١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: وصَلَ بما ذكرَ مِن حدِّ القذفِ قصَّةَ الإفكِ، وتوعَّدَ مَنِ ارتكبَ ذلكَ، وقد رُوِيَ في الصَّحيحَينِ: أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أرادَ أن يسافرَ أقرعَ بينَ نسائِهِ، فخرجَ سَهْمي مرَّةً، فخرجْتُ معَهُ، وذلكَ بعدَما نزلَتْ آيةُ الحِجابِ، وأنا أُحمَلُ في هَوْدجي وأُنزَلُ فيهِ، فسِرْنا حتَّى فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن غَزْوِهِ - وهيَ غزوةُ بني المصطَلَقِ -

---

(١) قرأ بالنصب حفص، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).
أما (والخامسة) الأولى فقرئ بنصبها في الشاذ وممن قرأ به أبو عبد الرحمن السلمي وطلحة بن مصرف والحسن والأعمش وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٨٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٦٦)، و«البحر» (١٦/ ٣١).

(٢) قرأ بالأولى نافع، وباقي السبعة بالثانية، وقرأ يعقوب من العشرة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١)، و«النشر» (٢/ ٣٣٠).

وقفلَ، ودنوْنا مِنَ المدينةِ، فآذَنَ ليلةً للرَّحيلِ، فقمْتُ، فمشيْتُ حتَّى جاوزْتُ الجيشَ، فلمَّا قضيْتُ شأني أقبلْتُ إلى الرَّحلِ، فلمسْتُ صَدْري فإذا عِقدٌ مِن جَزْعِ ظَفَارِ قدِ انقطعَ، فرجعْتُ ألتمِسُهُ، وأقبلَ الرَّهْطُ الَّذينَ كانوا يَرحَلُوني فحملوا هَوْدجي، وحَمَلوهُ على بَعيري وهُم يحسبونَ أنِّي فيهِ، وكانَتِ النِّساءُ إذا ذاكَ خِفافاً، إنَّما يأكلْنَ البُلغةَ مِنَ الطَّعامِ.

ووجدْتُ عقدي، فجئْتُ وقدِ استمرَّ الجيشُ، فقعدْتُ وظننْتُ أنَّ القومَ سيفقدونَني فيرجعونَ إليَّ، فغلبَتْني عينايَ.

وكانَ صفوانُ بنُ المعطَّلِ الذَّكْوانيُّ قد عرَّسَ مِن وراءِ الجيشِ، فادَّلجَ، فأصبحَ فرأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فعرفَني، وقد كانَ يراني قبلَ أن يُضربَ علينا الحِجابُ، فاستيقظْتُ باسترجاعِهِ حينَ عرفَني، فخمَّرْتُ وجهي بجلبابي، واللهِ ما تكلَّمَ بكلمةٍ، وأناخَ راحلتَهُ، فوطِئَ على يدَيها فركبْتُها، فانطلقَ يقودُها حتَّى أتيْنا الجيشَ بعدَ ما نزلوا، وهلكَ مَن هلكَ فيَّ، وكانَ الَّذي تولَّى كِبْرَهُ منهُم عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ.

فقدمْنا المدينةَ، فاشتكيتُ حينَ قدمْتُها شهراً، والنَّاسُ يُفيضونَ في قولِ أهلِ الإفكِ ولا أشعرُ بشيءٍ منهُ، ويَريبُني في وجعي أنِّي كنتُ لا أرى مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ اللُّطفَ الَّذي كنتُ أرى منهُ حينَ أشتكي، إنَّما كانَ يدخلُ فيسلِّمُ، ثمَّ يقولُ: «كيفَ تيكُم؟» فكانَ يَحزنُني ذلكَ ولا أعرفُ بالشَّرِّ، حتَّى خرجْتُ بعدَما نَقَهْتُ، وخرجَتْ معي أمُّ مِسْطَحٍ ـ وهيَ بنتُ أبي رُهمِ بنِ المطَّلبِ[1] [بن عبدِ منافٍ]، وأمُّها بنتُ صخرِ [بن عامر] خالةُ أبي بكرٍ ـ فخرجْنا ليلاً قِبَلَ المناصعِ، وهيَ مُبتَرَّزُنا، ولا نخرجُ إلَّا ليلاً إلى ليلٍ قبلَ أن نتَّخذَ الكُنُفَ، فعثَرَتْ أمُّ مِسْطَحٍ في

---

(١) في الأصل: «عبد المطلب»، والتصويب من المصادر.

مِرطِها، فقالَتْ: تعسَ مِسْطَحٌ، فقلْتُ لها: أتسبِّينَ رجلاً شهدَ بدراً معَ رسولِ اللهِ؟! فقالَتْ: أي هَنْتاهْ، أولم تسمعي ما قالَ؟ قلْتُ: وما قالَ؟ فأخبرَتْني بقولِ أهلِ الإفكِ، فازددْتُ مرضاً إلى مرضي، فلمَّا رجعْتُ إلى بيتي، ودخلَ عليَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ فقالَ: «كيفَ تيكُم؟»، قلْتُ: تأذنُ لي في أنْ آتيَ أبويَّ؟ فأذِنَ، فجئْتُ أبويَّ، فقلْتُ: يا أُمَّه؛ ما يتحدَّثُ النَّاسُ؟ قالَتْ: يا بُنيَّةُ؛ هوِّني عليكِ، فواللهِ ما كانَتِ امرأةٌ قطُّ وضيئةٌ عندَ رجلٍ ولها ضرائرُ إلَّا أكثرْنَ عليها، فقلْتُ: سبحانَ اللهِ! أوقد تحدَّثَ النَّاسُ بهذا؟! قالَ: فبكيتُ تلكَ اللَّيلةَ حتَّى أصبحْتُ لا يرقأُ لي دمعٌ.

ودعا رسولُ اللهِ ﷺ عليًّا وأسامةَ بنَ زيدٍ حينَ استَلْبَثَ الوحيُ ليستشيرَهُما في فراقِ أهلِهِ، فأمَّا أسامةُ فأشارَ بالَّذي يَعلمُ مِن براءةِ أهلِهِ، وأمَّا عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: لم يضيِّقِ اللهُ عليكَ والنِّساءُ سِواها كثيرٌ، وإن تسألِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ بَريرةَ، وقالَ لها: «هل رأيتِ شيئاً يَريبُكِ مِن عائشةَ؟»، قالَتْ: والَّذي بعثَكَ بالحقِّ؛ إنْ رأيتُ عليها أمراً قطُّ أَغْمِصُهُ عليها أكثرَ مِن أنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ تنامُ عن عجينِ أهلِها، فيأتي الدَّاجنُ فيأكلُهُ.

فقامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ فاستعذَرَ مِن عبدِ اللهِ بنِ أبيٍّ وهوَ على المنبرِ، وقالَ: «يا معشرَ المسلمينَ؛ مَن يَعذِرُني مِن رجلٍ قد بلغَني أذاهُ في أهلِ بيتي؟ فواللهِ ما علمْتُ على أهلي إلَّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمْتُ عليهِ إلَّا خيراً، وما كانَ يدخلُ على أهلي إلَّا معي»، فقامَ سعدُ بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ أنا أَعذِرُكَ منهُ، إنْ كانَ مِنَ الأوسِ ضربْتُ عنقَهُ، وإنْ كانَ مِن إخوانِنا مِنَ الخزرجِ أمرْتَنا ففعلْنا أمرَكَ، فقامَ سعدُ بنُ عُبادةَ ـ وكانَ رجلاً صالحاً، ولكنِ احتملَتْهُ الحميَّةُ ـ فقالَ لسعدِ بنِ معاذٍ: كذبْتَ، لعَمرُ اللهِ لا تقتلُهُ، ولا تقدرُ على قتلِهِ، فقامَ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ ـ وهوَ ابنُ عمِّ سعدِ بنِ معاذٍ ـ فقالَ لسعدِ بنِ عُبادةَ: كذبْتَ، لعَمرُ اللهِ لنقتلَنَّهُ، وإنَّكَ

منافقٌ تجادلُ عنِ المنافقينَ، وثارَ الحيَّانِ الأوسُ والخزرجُ، وهمُّوا أن يَقتتِلوا، فلم يزلْ رسولُ اللهِ ﷺ يخفِّضُهُم حتَّى سكنوا.

قالَتْ: وبكيتُ يومي ذلكَ لا يرقأُ لي دمعٌ، وأبوايَ يظنَّانِ أنَّ البكاءَ فالقٌ كَبدي.

قالَتْ: فبينا هما جالسانِ عندِي استأذنَتْ عليَّ امرأةٌ مِنَ الأنصارِ، فأذنْتُ لها، فجلسَتْ تبكي معي، قالَتْ: فبينا نحنُ على ذلكَ إذ دخلَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ، فسلَّمَ ثمَّ جلسَ، قالَتْ: ولم يجلسْ عندي مذ قيلَ ما قيلَ، وقد لبثَ شهراً لا يُوحَى إليهِ في شأني بشيءٍ، قالَتْ: فتشهَّدَ ثمَّ قالَ: «أمَّا بعدُ، يا عائشةُ؛ فإنَّهُ بلغَني عنكِ كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً فسيبرِّئُكِ[1] اللهُ، وإن كنتِ ألممْتِ بذنبٍ فاستغفري اللهَ وتُوبي إليهِ، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبِهِ ثمَّ تابَ تابَ اللهُ عليهِ».

فلمَّا قضى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ مقالتَهُ قلَصَ دَمعي حتَّى ما أحسُّ منها قطرةً، فقلْتُ لأبي: أجِبْ عنِّي رسولَ اللهِ ﷺ فيما قالَ، فقالَ: واللهِ ما أدري ما أقولُ، فقلْتُ لأمِّي: أجيبي رسولَ اللهِ ﷺ، قالَتْ: واللهِ ما أدري ما أقولُ، فقلْتُ ـ وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ لا أقرأُ كثيراً مِنَ القرآنِ ـ: واللهِ لقد عرفتُ أنَّكُم سمعتُم هذا حتَّى استقرَّ في أنفُسِكُم وصدَّقْتُم بهِ، ولئنْ قلتُ لكُم: إنِّي بريئةٌ ـ واللهُ يعلمُ أنِّي منهُ بريئةٌ ـ لا تصدِّقونَني بذلكَ، واللهِ ما أجدُ لي ولكُم مثَلاً إلَّا ما قالَ أبو يوسفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثمَّ تحوَّلْتُ واضطجعْتُ على فراشي، وأنا ـ واللهِ ـ حينئذٍ أعلمُ أنِّي بريئةٌ، وأنَّ اللهَ يُبرِّئُني ببراءتي، ولكنْ ـ واللهِ ـ ما كنتُ أظنُّ أن ينزلَ في شأني وحيٌ يُتلَى، بل كنتُ أرجو أن يَرى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ رؤيا يبرِّئُني اللهُ بها.

---

(١) بعدها في الأصل: «أي قال لا إله إلا الله»، ولعل مكانها عقب قوله: «فتشهد»، وعلى كل فليست في المصادر.

قالَتْ: فواللهِ ما رامَ رسولُ اللهِ ﷺ منزلَهُ، ولا خرجَ مِن أهلِ البيتِ أحدٌ، حتَّى أنزلَ اللهُ على نبيِّهِ عليهِ السَّلامُ، وأخذَهُ ما كانَ يأخذُهُ مِنَ البُرحاءِ عندَ الوحيِ حتَّى إنَّهُ ليتحدَّرُ عنهُ مثالُ الجُمانِ مِنَ العرقِ في اليومِ الشَّاتي، فلمَّا سُرِّيَ عنهُ سُرِّيَ وهوَ يضحكُ، فكانَ أوَّلَ كلمةٍ تكلَّمَ بها أنْ قالَ: «أبشِري يا عائشةُ، أمَّا اللهُ فقد برَّأَكِ»، فقالَتْ أمِّي وأبي: قُومي إليهِ، فقلْتُ: واللهِ لا أقومُ إليهِ، ولا أحمدُ إلَّا اللهَ، هوَ الَّذي أنزلَ براءتي، قالَتْ: فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآياتِ العشرَ.

فقالَ أبو بكرٍ ـ وكانَ ينفقُ على مِسْطَحٍ لقرابتِهِ ـ: واللهِ لا أنفقُ عليهِ شيئاً أبداً بعدَ أنْ قالَ ما قالَ، فنزلَ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢] إلى قولِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، فقالَ: واللهِ؛ أحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فرجعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفقةَ(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾؛ أي: بالكذبِ على عائشةَ، يُقالَ: أفَكَ الشَّيءَ؛ أي: قلبَهُ عن وجهِهِ ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: جماعةٌ منكُم أيُّها المؤمنونَ، وكانَ ابنُ أبيٍّ مُنافقاً، فقالَ: ﴿مِّنكُمْ﴾؛ أي: في ظاهرِ الحالِ، فإنَّ المنافقينَ كانوا معدودينَ مِنَ المسلمينَ في إجراءِ الأحكامِ عليهِم.

والظَّاهرُ أنَّ مثلَ هذا الإفكِ لا يصدرُ إلَّا عن كافرٍ، فقالَ: ﴿مِّنكُمْ﴾ ليبيِّنَ أنَّ جماعةً مِنَ المؤمنينَ خاضُوا فيهِ أيضاً، وهوَ تعجيبٌ مِنِ استزلالِ الشَّيطانِ إيَّاهُم.

وفي مصحفِ حفصةَ: (عصبةٌ أربعةٌ)(٢).

(١) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) ذكرها القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٦٦)، ولعله نقلها من المصنف.

والَّذينُ ذُكِروا منهُم في الأخبارِ: عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ، ومِسْطَحٌ، وحسَّانُ بنُ ثابتٍ، وحَمْنةُ بنتُ جحشٍ أختُ عبدِ اللهِ بنِ جحشٍ الأسديِّ.

﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُم﴾: هذا تسليةٌ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها؛ أي: لا تظنُّوا إفكَهُم شرّاً لكُم، بل هوَ خيرٌ لكُم؛ إذ فيهِ الأجرُ وتكفيرُ الخطايا.

وقولُهُ: ﴿لَّكُم﴾: خطابٌ لعائشةَ وصفوانَ، ومَن كانَ منهُما بسببٍ؛ كالنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ، وأبي بكرٍ، وأمِّ عائشةَ[(١)].

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم﴾؛ أي: مِنَ العصبةِ الكاذبةِ ﴿مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِ﴾؛ أي: على كلِّ امرئٍ ما اكتسبَ مِنَ الإثمِ؛ كقولِهِ: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعلَيْها.

﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: تولَّى معظَمَ ذلكَ، قُرِئَ: ﴿كِبۡرَهُۥ﴾ بكسرِ الكافِ، وقرأَ يعقوبُ وشرذمةٌ بضمِّها[(٢)]، وكِبرُ الشَّيءِ وكُبرُهُ: معظمُهُ.

وقيلَ: الكِبرُ بالكسرِ: الإثمُ، وكُبرُ الشَّيءِ: معظمُهُ.

والمعنى: إنَّ الذي استقلَّ بإشاعةِ هذا الإثمِ عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ، وهوَ الَّذي رأى

---

(١) وفي هذا الحصر بمن ذكر نظر، فإن الأولى أن تعم الآية جميع المسلمين حتى من لم يحضر تلك الواقعة ممن جاء بعدُ من المؤمنين، فإنه يكفي في خيريتها لهم أنه نزل في براءة أم المؤمنين قرآن يتلى إلى قيام الساعة؛ بياناً لفضلها، وتشنيعاً على من يطعن في عرض النبي ﷺ، وأنه إنما يطعن في القرآن قبل أن يفعل ذلك. وقال الزمخشري: نزلت فيه ثماني عَشْرةَ آيةً كُلُّ واحدةٍ منها مُستَقِلَّةٌ بما هو تَعظيمٌ لشَأنِ رسول الله ﷺ وتَسليةٌ له، وتَنزيهٌ لأُمِّ المُؤمِنين رضوانُ الله عليها، وتَطهيرٌ لأهل البيْت، وتَهويلٌ لمَن تَكلَّم في ذلك أو سَمع به فلم تَمجّه أذُناه، وعِدَّةُ أَلْطافٍ للسَّامعين والتَّالِينَ إلى يَوم القيامة، وفوائدُ دِينيَّةٌ، وأحكامٌ وآدابٌ لا تخفَى عَلى مُتَأمِّلِهَا. انظر: «الكشاف» (٦/ ٢٦).

(٢) قراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في «النشر» (٢/ ٣٣١).

صفوانَ آخِذاً بزمامِ ناقةِ عائشةَ، فقالَ: واللهِ ما نجَتْ منهُ، وما نجا منها، وقالَ: امرأةُ نبيِّكُم باتَتْ معَ رجلٍ حتَّى أصبحَتْ ثمَّ جاءَ يقودُ بها[1].

وقالَ قومٌ: الَّذي تولَّى كبرَهُ منهُم حسَّانُ بنُ ثابتٍ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قيلَ: رُؤي حسَّانُ عندَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وكان قد عَمِيَ، فقيلَ لها: أيدخلُ عليكِ هذا وقد كانَ منهُ ما كانَ؟ فقالَتْ عائشةُ: وأيُّ عذابٍ أعظمُ مِنَ العمى[2]؟!

والمرادُ بالعذابِ في الدُّنيا: حدُّ القذفِ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جلدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ ابنَ أبيٍّ ثمانينَ جلدةً، ولهُ في الآخرةِ النَّارُ[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١٠٠) من رواية ابن أبي مليكة، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها. وروى قوله: «امرأة نبيكم..» الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٩٦) عن ابن زيد. وحديث قصة الإفك في الصحيحين من طريق الزُّهريِّ، عن عُروةَ بن الزُّبير وسعيد بن المسيِّب وعلقمةَ بنِ وَقَّاصٍ اللَّيثيِّ وعُبَيد الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتبةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها، وليس فيه هذا القول.

(٢) رواه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨)، وتتمته: إنه كان ينافح ـ أو يهاجي ـ عن رسول الله ﷺ. وليس في هذا الحديث تصريح بأن الذي تولى كبره هو حسان رضي الله عنه، بل هو مردود بما جاء في حديث الإفك المتقدم في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها نفسها من قولها تصريحاً: «.. وكان الذي تَولَّى كِبْرَه عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ..».

وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية عن القول بأن المتولي كبره هو حسان: وهو قول غريب، ولولا أنَّه وقع في «صحيح البُخاريّ» ما قد يدل على إيراد ذلك لَمَا كان لإيراده كبير فائدة، فإنَّه من الصّحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره أنَّه كان يذب عن رسول الله ﷺ، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «هاجهم وجبريل معك». أخرجه البخاري (٤١٢٣)، ومسلم (٢٤٨٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٣٧) من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي، عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وعن مقاتل بن سليمان، عن الضَّحَّاك بن مزاحمٍ، عن ابن عباس.

وفـي الخبـرِ: أنَّ رسـولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ لـمَّا نزلَـتِ الآيةُ عليهِ جلـدَ رجلَينِ وامرأةً[١].

والَّذي ثبتَ في الأخبارِ: أنَّهُ ضربَ ابنَ أبيٍّ، وضربَ حسَّانَ وحَمْنةَ، وأمَّـا مِسْطَحٌ فلم يثبتْ عنهُ قذفٌ صريحٌ، ولكنَّهُ كانَ يَستمعُ ويُشيعُ مِن غيرِ تصريحٍ[٢].

قال ابن حبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٤٢): «موسى بنُ عبد الرَّحمن الصَّنْعانيُّ شيخٌ دجَّالٌ يضع الحديثَ، روى عنه عبد الغَنيِّ بن سعيد الثَّقَفيُّ، وضعَ على ابنِ جريجٍ عن عَطاءٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ كتاباً في التَّفْسِير جمَعه من كلام الكَلْبِيِّ وَمُقَاتِلِ بن سُلَيْمَان، وألزقه بابن جريجٍ عن عطاء عن ابن عبَّاس... لا تحل الرِّوَاية عن هذا الشَّيخ ولا النَّظرُ فِي كتابه إلَّا على سَبِيل الاعْتِبار».

قلت: ومقاتل بن سليمان قال عنه الحافظ في «التقريب»: كذبوه وهجروه.

وروى الطبراني أيضاً في «الكبير» (٢٣/ ١٢٤ و١٢٥) من حديثي أبي اليسر وابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ضربه حدين، وفي كليهما إسماعيل بن يحيى التيمي وهو كذاب كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٠).

(١) رواه أبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، وابن ماجه (٢٥٦٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

(٢) كذا قال، وفي إثباته الحد على ابن أبيٍّ ونفيه عن مسطح نظر، فإنه لم يصح في ضرب ابن أبيٍّ الحدَّ حديث كما تقدم، بينما ضربُ مسطحٍ ومعه حسانُ وحمنةُ الحدَّ روي من طرق بعضها حسن، فقد رواه البزار (٢٦٦٣ ـ كشف) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦). وفي رواية لحديث عائشة المتقدم عند أبي داود (٤٤٧٥) عن محمد بن إسحاق ـ لم يذكر عائشة ـ قال: «فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، قال النفيلي (هو عبد الله بن محمَّد بن علي بن نُفَيل الحراني شيخ أبي داود): ويقولون: المرأة: حمنة بنت جحش.

وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلد رسول الله ﷺ الذين قالوا لعائشة رضي الله عنها ما قالوا ثمانين ثمانين: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة،

(١٢) ـ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

قولُهُ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾؛ أي: مِنَ العصبةِ الكاذبةِ؛ يعني: حَمْنَةَ وحسَّانَ ومِسْطَحاً ﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: بأهلِ دينِهِم؛ لأنَّ المسلمينَ كنفسٍ واحدةٍ؛ كما قالَ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقالَ: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وقيلَ: هذا خطابٌ لِمَن سمعَ فسكتَ، أو تردَّدَ ولم يكذِّبْ، أي: هلَّا إذ سمعْتُم ذلكَ كذَّبْتُم وردَدْتُم.

وقيلَ: الخطابُ لِمَن سكتَ ولِمَن ذكرَ.

وقيلَ: هلَّا إذ سمعْتُم ظننْتُم بعائشةَ ظنَّكُم بأنفُسِكُم.

وقالَتِ امرأةُ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ لأبي أيُّوبَ: أمَا تسمعُ ما يقولُ النَّاسُ في

وحمنة بنت جحش. وهكذا رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٩٣٢) عن عروة بن الزبير، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٢) عن سعيد بن جبير.

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن ابن أبيٍّ لم يُحد، منهم القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٨/ ٢٧٩)، وأبو العباس القرطبي في «المفهم» (٧/ ٣٧٩)، وتلميذه القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٧٠). قال القرطبي وتلميذه: ولم يُسمع بحد لعبد الله بن أُبي، والظاهر من الأخبار والأحاديث أنه لم يحد، وإنما لم يحد عدو الله لأنَّ الله قد أعد له في الآخرة عذاباً عظيماً؛ ولو حُدَّ في الدنيا لكان نقصاً من عذابه في الأخرى وتخفيفاً عنه، وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾...، وإنما حُد هؤلاء المسلمون ليكفَّر عنهم إثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الآخرة، وقد قال النبي ﷺ في الحدود: إنها كفارة لمن أقيمت عليه». وحديث أن الحدود كفارة رواه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

عائشةَ؟ قالَ: بلى، وذلكَ الكذبُ، أكنتِ ـ يا أمَّ أيُّوبَ ـ فاعلةً ذلكَ؟ قالَتْ: لا واللهِ، قالَ: فعائشةُ ـ واللهِ ـ خيرٌ منكِ(١).

﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: كذبٌ ظاهرٌ.

* * *

(١٣) ـ ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

قولُهُ: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾: هذا توبيخٌ لأهلِ الإفكِ.

﴿فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: هُم في حكمِ اللهِ كاذبونَ، وقد يعجزُ الرَّجلُ عن إقامةِ البيِّنةِ وهوَ صادقٌ، ولكنَّهُ في حكمِ الشَّرعِ وظاهرِ الأمرِ كاذبٌ.

وقيلَ: هذا في قذفِ عائشةَ خاصَّةً؛ لأنَّ اللهَ أعلمَ كذبَهُم؛ أي: فاعلَموا أنَّهُم كاذبونَ عندِي كما أنَّهُم كاذبونَ في الظَّاهرِ، فقولُهُ: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ على هذا؛ أي: في علمِ اللهِ.

* * *

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٣٤) عن أفلح مولى أبي أيوب.
ورواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٠٢) ـ ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٢٩) ـ عن أبيه عن بعض رجال بني النجار.
ورواه ابن راهويه (١٦٩٨) عن محمد بن عمرٍو، عن أبيه، عن بعض الأنصار.
ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها ضمن حديث الإفك بشيء من الاختصار.

(١٤) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ﴾؛ أي: بسببِ ما قلْتُم في عائشةَ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ، ولكنَّهُ برحمتِهِ سترَ عليكُم في الدُّنيا، ويرحمُ في الآخرةِ مَن أتاهُ تائباً.

﴿أَفَضْتُمْ﴾؛ أي: خضْتُم، مِن أفاضَ القومُ في الحديثِ؛ أي: أَخذوا فيهِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ أي: لمسَّكُمُ العذابُ العظيمُ إذ يرويهِ بعضُكُم عن بعضٍ، وذلكَ أنَّهُ كانَ يَلْقَى الرَّجلُ الآخرَ فيقولُ: بلغَني كذا، فيتلقَّى البعضُ مِنَ البعضِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: يُلقيهِ بعضُكُم إلى بعضٍ[١]؛ لتشيعَ الفاحشةُ.

وقيلَ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾؛ أي: تَقبلونَهُ ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ لأنه قد يَتلقَّى الشَّيءَ مِن غيرِهِ بالكِتبةِ وبغيرِ اللِّسانِ.

وقُرِئَ: (تُلْقُونه) مِن: ألقى يُلقي، وقرأَتْ عائشةُ: (إذ تَلِقُونه) مِن الوَلْقِ[٢]؛ وهوَ الاستمرارُ على الكذبِ؛ أي: تكذِبونَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٨).

(٢) انظر هاتين القراءتين وغيرهما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٠٤). قال ابن خالويه: وفي هذا الحرف عشر قراءات.

قلت: وكلها من الشواذ سوى إدغام الذَّالِ في التَّاء فهي رواية البزي عن ابن كثير. انظر: «التيسير» (ص: ٨٣).

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: تقولونَهُ بلا تحقيقٍ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾؛ أي: شيئاً يسيراً، لا يلحقُكُم بهِ إثمٌ ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزرِ، تستحقُّونَ عليهِ العقوبةَ لِمَا فيه مِن أذى رسولِ اللهِ وأذى زوجتِهِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ قيلَ: لـمَّا قالَتْ زوجةُ أبي أيُّوبَ لهُ: ألم تسمعْ ما يتحدَّثُ النَّاسُ بهِ في عائشةَ؟ قالَ أبو أيُّوبَ: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ وأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ[1].

﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾؛ أي: ما يَحلُّ لنا؛ أي: هلَّا تبرَّأْتُم مِن أن تتكلَّمُوا في هذا حتَّى يتلقَّى منكُم سبحانَهُ كلمةَ تعجيبٍ؛ أي: العجبُ ممَّن يتكلَّمُ بهذا وهوَ بهتانٌ وكذبٌ شنيعٌ.

وقيلَ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: نُنزِّهُكَ عن أن نعصيَكَ بهذهِ المعصيةِ الَّتي هيَ قذفُ عائشةَ.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾؛ أي: يحذِّرُكُم أن تعودُوا لمثلِ ما فعلْتُمُوهُ؛ مِنَ الاستماعِ إلى الإفكِ، والتَّلقِّي لهُ، والقولِ بهِ مِن غيرِ قيامِ البيِّنةِ عليهِ.

---

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٣) عن عائشة رضي الله عنها. وفي بعض روايات البخاري (٧٣٧٠) عنها الإشارة إليه بقولها: «وقال رجل من الأنصار».

قولُهُ: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾؛ أي: الأمورَ الَّتي هيَ علاماتٌ لدينِهِ بما ينزلُ عليكُم مِنَ الأمرِ والنَّهيِ، والوعدِ والوعيدِ.

***

(١٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قولُـهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾؛ أي: تفشُـوَ، يُقـالُ: شـاعَ الشَّـيءُ شُـيوعاً وشَـيْعاً وشَـيَعاناً وشَـيْعوعةً؛ أي: ظهـرَ وتفـرَّقَ.

﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: فـي المحصَنينَ والمحصَناتِ بأنْ ينسبُوها إليهِم، ويُشِيعُوا في النَّاسِ أنَّهُمُ ارتكبُوها.

قيلَ: أرادَ باللَّفظِ العامِّ عائشةَ وصفوانَ.

وقيلَ: يحبُّونَ الإشاعةَ فيما بينَ المؤمنينَ بـأنْ يذكرُوها في مجالسِهِم، لا أنَّهُم يرتكبونَها.

والفاحشةُ: الفعلُ القبيحُ المفرِطُ القبحِ.

وقيلَ: الفاحشةُ في هذهِ الآيةِ: القولُ السَّيِّئُ في المؤمنينَ والمؤمناتِ، فمَن أحبَّ أن يَفشُوَ ذلكَ حتَّى يتحدَّثَ النَّاسُ بهِ مِن غيرِ بيِّنةٍ استحقَّ العذابَ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: الحدُّ ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: عذابُ النَّارِ.

وقيلَ: العذابُ الأليمُ في الدُّنيا: ما أمرَ بهِ مِن لعنِهِم، وما يمتحنُهُم بهِ مِنَ الآلامِ في أبدانِهِم؛ مثلَ عمَى حسَّانٍ، ومستمِعُ البهتانِ يتحقَّقُ فيهِ هذا الوعيدُ؛ لأنَّهُ أحبَّ الشُّيوعَ في الفاحشةِ وإنْ لم يوجَدْ منهُ تصريحٌ بالقذفِ.

وقيلَ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن أصرُّوا ولم يتوبُوا.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾؛ أي: مقاديرَ هذهِ المعاصي في العِظَمِ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ، واللهُ يعلمُ مَن يحبُّ إشاعةَ الفاحشةِ فيجازيهِم.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾؛ أي: لَعاقَبَكُم فيما قلْتُم، أو لَشاعَتِ الفاحشةُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريدُ مِسْطَحاً وحسَّانَ وحَمْنةَ[1].

* * *

(٢١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ذقولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: تسلكُوا مسالكَ الشَّيطانِ في الإصغاءِ إلى البهتانِ، والخوضِ في الباطلِ، وإيذاءِ الرَّسولِ ومَن يتَّصلُ بهِ ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: بعصيانِ اللهِ، وبما يُستنكرُ في الشَّرعِ.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٤٧) من طريق موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وعن مقاتل بن سليمان، عن الضَّحَّاك بن مزاحمٍ، عن ابن عباس. وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد قريباً.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ أي: ما صلحَ، يُقالُ: زكا يَزْكو؛ أي: صلحَ.

وقيلَ: ﴿مَا زَكَىٰ﴾؛ أي: ما طَهُرَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: ما قَبِلَ توبةَ أحدٍ منكُم فيما خاضَ فيهِ مِن أمرِ عائشةَ(١).

وقيلَ: هوَ عامٌّ؛ أي: لولا فضلُ اللهِ لَمَا اهتدَى أحدٌ منكُم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾، أي: يُصلحُ مَن يشاءُ، ويتوبُ على مَن يشاءُ.

وقالَ الكِسائيُّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مُعترِضٌ، وقولُهُ: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ جوابٌ لقولِهِ أوَّلاً وثانياً: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ كانَ مِسْطَحٌ فقيراً يَعولُهُ أبو بكرٍ لقرابتِهِ منهُ، فلمَّا كانَ منهُ الإفكُ حلفَ أبو بكرٍ أن لا يُنفقَ عليهِ، فأمرَهُ اللهُ بالعودِ إلى الإنفاقِ عليهِ، وأن يُحنِثَ نفسَهُ في يمينِهِ(٢).

﴿لا يَأْتَلِ﴾؛ أي: لا يَحلِفْ، والأَلِيَّةُ: الحَلِفُ، ومنهُ: آلَى يُؤْلي إيلاءً، وتألَّى [يتألَّى] تألِّياً، وائْتلى [يأتَلِي] ائتلاءً(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٣٠ و١٤٨) من طريق موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وعن مقاتل بن سليمان، عن الضَّحَّاك بن مزاحمٍ، عن ابن عباس. وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد قريباً.

(٢) قطعة من حديث الإفك الطويل في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وقد تقدم.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣١٠)، و«البسيط» (١٦/ ١٧٢)، وما بين معكوفتين منهما.

وقالَ أبو عبيدةَ: يَأْتَلي يَفْتعِلُ مِن: أَلَوْتُ أن أفعلَ كذا؛ أي: قصَّرتُ، وما آلو جُهداً؛ أي: ما أُقصِّرُ[١].

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾؛ أي: الغِنى ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ مِنَ المالِ.

وقالَ مجاهدٌ: حلفَ أبو بكرٍ أن لا ينفعَ يتيماً كانَ في حجرِهِ، فنزلَتِ الآيةُ[٢].

﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾؛ أي: [أنْ] لا يُؤتوا، فحذفَ (لا)؛ كقولِ القائلِ:

فقلْـتُ: يميـنُ اللهِ أبـرحُ قاعِـداً[٣]

أي: لا أبرحُ قاعداً، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٤]،..................................

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٦٥)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣١٠)، و«البسيط» (١٦/ ١٧٢) وعنه نقل المصنف، ولفظ أبي عبيدة: مجازه ولا يفتعل من آليت: أقسمت، وله موضع آخر من ألوت بالواو.

(٢) رواه آدم بن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤٨). وقد جاء في بعض رواياته أن اليتيم هو مسطح، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: «أبو بكر حلف لا ينفع يتيماً كان في حجره»، قال عبد الملك (هو ابن جريج): هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب أشاع ذلك». ورجاله ثقات كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٩). وكونه كان يتيماً في حجره رواه البزار (٢٦٦٣ ـ كشف) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦). ورواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٦) عن سفيان، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٤) عن سعيد بن جبير، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٦) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» (ص: ١٣٧)، و«الكتاب» (٣/ ٥٠٤)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٤)، وعجزه:

ولـو قطَّعـوا رأسـي لدَيـكِ وأوْصَالي

(٤) أي: ذكر هذا القول بإضمار (لا)، لكنه لم يذكر الشعر. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦).

وعلى قولِ أبي عبيدةَ[1] لا حاجةَ إلى إضمارِ (لا).

﴿وَلْيَعْفُوا﴾؛ أي: عن مِسْطَحٍ، أو عن ذلكَ اليتيمِ.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: لـمَّا سمعَ أبو بكرٍ هذا قالَ: بلى واللهِ؛ لا أمنعُهُ معروفاً بعدَ اليومِ، قد جعلْتُ لهُ مثلَيْ ما كانَ قبلَ اليومِ[2].

وقيلَ: قالَ مِسْطَحٌ لأبي بكرٍ: واللهِ ما قذفْتُ عائشةَ، فقالَ أبو بكرٍ: قد أعجبَكَ الَّذي قيلَ لها، فقالَ: قد كانَ بعضُ ذلكَ، ونزلَتِ الآيةُ[3].

وقد قيلَ: إنَّما نزلَتْ لأنَّ مِسْطَحاً كانَ تابَ عمَّا قالَ، أو عمَّا مالَ إليهِ واستمعَ[4].

والعفـوُ: مِـن عفـا الرَّبـعُ؛ أي: درَسَ، فهـوَ مَحْـوُ الذَّنبِ حتَّـى يعفُوَ كمـا يعفُو أثـرُ الرَّبعِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أخبرَ أنَّ الَّذينَ رَمَوْا عائشةَ ملعونونَ في الدُّنيا والآخرةِ، ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ أي: العفائفَ.

---

(١) في الأصل: «عبيد»، والتصويب من «البسيط» (١٦/ ١٧٥) والكلام منه، والمراد ما تقدم من قوله بأن معنى ﴿يَأْتَلِ﴾: يقصر.

(٢) ذكره هكذا مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١٩٣)، وعنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٦) عن سعيد بن جبير، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٥٠) عن قتادة وعن سعيد بن جبير، دون قوله: «قد جعلت له...».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٤)، عن مقاتل بن حيان، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٧٦).

(٤) ذكره معناه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٧٧) عن الكلبي.

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عنِ الفواحشِ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: باللهِ ورسولِهِ، والبعثِ والحسابِ.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: أُبعِدُوا عنِ الثَّناءِ الحسنِ على ألسنةِ المؤمنينَ، وأُبعِدوا في الآخرةِ عن رحمةِ اللهِ، فهُم في الدَّارَينِ ملعونونَ؛ يلعنُهُمُ الملائكةُ والنَّبيُّونَ والمؤمنونَ، وأهلُ النَّارِ أيضاً؛ كما قالَ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سِوى اللَّعنِ، يُعذَّبونَ بهِ في جهنَّمَ.

قالَ مقاتلٌ: هذا خاصٌّ في ابنِ أبيٍّ ورميِهِ عائشةَ(١).

وقالَ ابنُ جُبيرٍ: الآيةُ في كلِّ مَن قذفَ عائشةَ(٢).

وقالَ قومٌ: هذهِ الآيةُ في عائشةَ وسائرِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، فلا تَنفعُ التَّوبةُ، ومَن قذفَ مُحصَنةً غيرَهُنَّ فقد جعلَ اللهُ لهُ توبةً؛ لأنَّهُ قالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ إلى قولِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾، فجعلَ لهؤلاءِ توبةً، ولم يجعلْ لأولئكَ توبةً، قالَهُ الضَّحَّاكُ(٣).

---

(١) انظر «تفسير مقاتل» (٣/ ١٩٣)، وعنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٧٨)، وعنه نقل المصنف.

(٢) رواه عن سعيد بن جبير سفيان الثوري في «تفسيره» (٧١٨) و(٧١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٥١ و١٥٢). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٦ - ٢٥٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٣١) وصححه، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٢)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٤)، عن الضحاك قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي - ﷺ - خاصة.

لكن السياق الذي ذكره المصنف مروي عن ابن عباس، رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٥٥٢ - تكملة التفسير)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٥)، من طريق

وقيلَ: هذا الوعيدُ لِمَن أصرَّ على القذفِ، ولم يَتُبْ.

وقيلَ: الآيةُ في مُشرِكي مكَّةَ؛ لأنَّهُم كانوا يقولونَ للمرأةِ إذا هاجرَتْ: إنَّما خرجَتْ لتفجرَ(١).

***

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾.

قولُهُ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾؛ أي: لهُم عذابٌ عظيمٌ يومَ القيامةِ، وتشهدُ عليهِم ألسنتُهُم ذلكَ اليومَ بما تكلَّمُوا بهِ.

﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾؛ أي: تتكلَّمُ الجوارحُ بما عملوا في الدُّنيا، وشهادةُ الجوارحِ وردَتْ في القرآنِ في صفةِ المشرِكينَ، فمَن قذفَ زوجاتِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ يُسلبونَ الإيمانَ حتَّى يَصيروا مِن أهلِ شهادةِ الجوارحِ.

ومِسْطَحٌ ممَّن تابَ إنْ قلْنا: توبةُ قاذفِهِنَّ مقبولةٌ، ومَن قالَ: لا تُقبَلُ، قالَ: مِسْطَحٌ لم يُصرِّحْ، ولكنَّهُ استمعَ ومالَ إليهِ، وهذا حكمُ حسَّانٍ، واللهُ أعلمُ.

قولُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: يجازيهِم جزاءً تامّاً، والدِّينُ: الجزاءُ والحسابُ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ صفةُ الدِّينِ هاهنا.

العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل ـ وعند الطبري وابن شبة: «من بني أسد»، وكاهلٌ هو ابن أسد بن خزيمة ـ عن ابن عباس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٠): فيه راوٍ لم يسمّ، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٦) عن أبي حمزة الثمالي قال: «بلغنا...» فذكره. ورواه بنحوه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٣) عن أنس رضي الله عنه.

وقيلَ: يُوفِّيهِمُ اللهُ دينَهُم حقّاً؛ أي: صِدقاً لا خُلفَ فيهِ، فأدخلَ الألفَ واللَّامَ.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هُمُ اليومَ شاكُّونَ، ويومَ القيامةِ يعلمونَ أنَّ اللهَ هوَ الحقُّ، فتزولُ الشُّكوكُ، وهذا في المنافقينَ الَّذينَ قذفوا عائشةَ.

وقيلَ: يُوفِّيهِمُ اللهُ جزاءَ دينِهِمُ الحقَّ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾؛ أي: الكلماتُ الخبيثةُ للرِّجالِ الخبيثينَ.

أو: القذفُ والكلامُ القبيحُ يَصدُرُ مِنَ الخبيثِ.

وقيلَ: أي: الخبيثُ مِنَ القولِ يَعلَقُ بالخبيثِ مِنَ النَّاسِ، فأمَّا مَن كانَ طيِّباً فلا يَعلقُ بهِ إلَّا الكلامُ الطَّيِّبُ(١)، والتاءُ في الخبيثاتِ ترجعُ إلى الكلماتِ، والعربُ تقولُ(٢): قالَ فلانٌ العَوراءَ؛ أي: الكلمةَ العوراءَ، وهيَ القبيحةُ.

وقيلَ: يدخلُ في الخبيثاتِ والطيِّباتِ القولُ والعملُ.

وقالَ ابنُ زيدٍ: أي: الخبيثاتُ مِنَ النِّساءِ للخبيثينَ مِنَ الرِّجالِ، والخبيثونَ مِنَ الرِّجالِ للخبيثاتِ مِنَ النِّساءِ، وكذلكَ التَّرتيبُ في الطَّيِّباتِ والطَّيِّبينَ(٣).

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾؛ أي: الطَّيِّبونَ مُبرَّؤونَ ممَّا رماهُم بهِ الخبيثونَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٦/ ٢٨)، وفيه: والمعْنى: أنَّ الخبيثَ من القول لا يَليقُ إلاَّ بالخبيث من النَّاس، والطيبَ لا يَليقُ إلَّا بالطيب من النَّاس.

(٢) في الأصل: «والعرف يقول»، والصواب المثبت.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١٢٠)، وهذا هو معنى كلامه على ما رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٧).

وقيلَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يرجعُ إلى المذكورينَ في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ أي: المحصَناتُ الغافلاتُ والمحصَنونَ مبرَّؤونَ ممَّا يقولُ القَذَفةُ، وأخبرَ بلفظِ الذُّكرانِ فقالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيهاً على أحوالِ الرِّجالِ وإن ذكرَ المحصناتِ الغافلاتِ في الابتداءِ.

﴿لهم مغفرة﴾؛ أي: لهؤلاءِ المبرَّئينَ مغفرةٌ مِنَ اللهِ في الآخرةِ ﴿ورزق كريم﴾ أي: جليلُ القَدْرِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

قولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ أدَّبَ عبادَهُ بما يرجعُ إلى السَّترِ عليهِم؛ لئلَّا يطَّلِعَ أحدٌ منهُم لأحدٍ على عورةٍ؛ أي: لا يدخلْ أحدٌ منكُم بيتَ غيرِهِ بغتةً مِن غيرِ إعلامٍ وغيرِ إذنٍ، بلِ استأنِسوا؛ أي: أبصِروا هل في ذلكَ البيتِ إنسانٌ، فإنْ أُعلمْتُم أنَّ فيه إنساناً فسلِّموا على أهلِ البيتِ، وهوَ أن يقولَ الَّذي يُريدُ الدُّخولَ: السَّلامُ عليكُم، أأدخلُ؟ فإنْ أذنَ لهُ فلْيدخُلْ.

قيلَ: قالَتِ امرأةٌ مِنَ الأنصارِ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أحبُّ أن يَراني عليها أحدٌ، لا والدٌ ولا ولدٌ، فيأتي الأبُ فيدخلُ عليَّ، وإنَّهُ لا يزالُ يدخلُ عليَّ رجلٌ مِن أهلي وأنا على تلكَ الحالِ، فكيفَ أصنعُ؟ فنزلَتْ هذهِ الآيةُ[١].

فقالَ أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ؛ أفرأيتَ الخاناتِ والمساكنَ في طرقِ الشَّامِ،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٤)، من حديث عدي بن ثابت رضي الله عنه.

ليسَ فيها ساكنٌ؟ فأنزلَ اللهُ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[(١)].

وقولُهُ: ﴿بُيُوتًا﴾؛ أي: بيوتاً ليسَتْ لكُم، ولهذا قالَ: ﴿بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾.

﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ قيلَ: حتَّى تستأذِنوا، يُقالُ: آنسْتُ منهُ كذا؛ أي: علمْتُ منهُ، ويُقالُ: آذنتُهُ؛ أي: أعلمْتُهُ، فيَقرُبُ الإيذانُ والإيناسُ في المعنى، فيُقالُ: اذهبْ فاستأنسْ: هل ترى أحداً؟ أيِ: انظرْ هل ثَمَّ أحدٌ؟

وقالَ مجاهدٌ: يُريدُ التَّنحنُحَ[(٢)]. والكلُّ يرجعُ إلى الاستعلامِ.

وقيلَ: أي: حتَّى تطلبوا الأُنسَ بالإذنِ لكُم.

﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ قيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: حتَّى تُسلِّموا على أهلِها وتستأذِنوا[(٣)]، وهكذا في مصحفِ عبدِ اللهِ[(٤)]، فإذاً لا يجوزُ دخولُ دارِ الغيرِ إلَّا بالاستئذانِ، والسُّنَّةُ أن يقولَ: «السَّلامُ عليكُم، أأدخلُ»[(٥)]؟

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٠) عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٥).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١) من طريق سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٥٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواها عنه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١)، وذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣).

(٥) رواه أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠) عن كلدة بن حنبل، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب». ورواه أبو داود (٥١٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٥)، عن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر. ورجال إسناده ثقات إلا أنَّ فيه انقطاعًا.

وفي بعضِ الأخبارِ: الاستئذانُ ثلاثةٌ، فإنْ لم يؤذَنْ لهُ فلْينصرفْ[1].

قيلَ: الأُولى ليُسمعَ، والثَّانيةُ ليأخذوا حذرَهُم، والثَّالثةُ إنْ شاؤوا أذِنوا وإن شاؤوا ردُّوا.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: تركُ الدُّخولِ بغيرِ إذنٍ أنفعُ لكُم في دينِكُم؛ لأنَّكُم إن هجمْتُم مِن غيرِ إذنٍ ربَّما تهجمونَ على ما يسوءُكُم ويسوءُ المدخولَ[2] عليهِ فتأثمونَ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ السَّلامَ والاستئذانَ خيرٌ، فتأخذونَ بهِ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾؛ أي: في بيوتِ غيرِكُمُ الَّتي تُريدونَ دخولَها ﴿أَحَدًا﴾ يأذنُ لكُم بالدُّخولِ ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ وانصرِفوا.

قالَ المبرِّدُ: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾؛ أي: فإنْ لم تعلموا؛ إذ لو كانَ مِن وجدانِ الضَّالَّةِ كانوا غيرَ ممنوعينَ مِنَ الدُّخولِ.

وهذا ليسَ بشيءٍ؛ لأنَّهُ لا يجوزُ دخولُ دارِ الغيرِ بغيرِ إذنٍ وإنْ لم تجدْ ثَمَّ أحداً.

﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي: حتَّى يحضرَ مَن يأذنُ لكُم.

﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾؛ أي: لا تقعدُوا ثَمَّ، ولا تُلازِموا.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: أطهرُ في دينِكُم، وأبعدُ مِنَ الإثمِ.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
ورواه مسلم (٢١٥٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «الدخول»، والصواب المثبت.

مِن سُورَةِ الفُرْقَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: أي: بيَّنَّاهُ بياناً.

وقيلَ: فرَّقْناهُ في التَّنزيلِ.

وقيلَ: فصَّلْناهُ تفصيلاً.

وقيلَ: أنزلْناهُ على التَّرتيلِ؛ وهوَ ضدُّ العجلةِ.

والرَّتَلُ بفتحِ التَّاءِ: تنسيقُ الشَّيءِ، ومنهُ: ثغرٌ رَتِلٌ؛ أي: حسَنُ التَّنضيدِ، ورتَّلْتُ الكلامَ؛ أي: أتيتُ بهِ على تُؤَدةٍ.

وكانَ بينَ أوَّلِ نزولِ القرآنِ وآخرِهِ ثلاثٌ وعشرونَ سنةً.

وأيضاً في القرآنِ ما هوَ جوابٌ عن أمورٍ سألُوها، فهوَ سببٌ مِن أسبابِ تفريقِ النُّزولِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: قيلَ: لا يأتيكَ هؤلاءِ المشركونَ بشيءٍ يماثلُ ما كانَ تأتي بهِ الأممُ السَّالفةُ في محاجَّةِ الأنبياءِ وإيرادِ الأسولةِ؛ كما قالَ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣]، وقالَ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨].

وقيلَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ إشارةٌ إلى قولِهِم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: ٧]، و: هلَّا أُلقي إليه كنزٌ، و: هلَّا جُعلتْ له جنةٌ؛ أي: لا يتعلَّلونَ بشيءٍ مِن هذهِ الأشياءِ ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ لتردَّ بهِ باطلَهُم، وتُزيلَ تمويهَهُم، والمثَلُ: الشَّبهُ.

وقيلَ: لا يأتونَكَ ﴿بِمَثَلٍ﴾ كقولِهِم في صفةِ عيسى: إنَّهُ خُلقَ مِن غيرِ أبٍ ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بما فيهِ نقضُ حجَّتِهِم؛ كآدمَ إذ خلقَ مِن غيرِ أبٍ وأمٍّ.

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾؛ أي: مِن مَثَلِهِم، فحُذفَ لدلالةِ الكلامِ عليهِ؛ كما تقولُ: رأيتُ زيداً وعَمراً وكانَ زيدٌ أحسنَ وجهاً، ففي الكلامِ دليلٌ على أنَّكَ تُريدُ: مِن عمرٍو.

وقيلَ: كانَ المشركونَ يستمدُّونَ مِن أهلِ الكتابِ، وكانَ قد غلبَ على أهلِ الكتابِ التَّحريفُ والتَّبديلُ، فكانَ ما يأتي بهِ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ أحسنَ تفسيراً ممَّا عندَهُم؛ لأنَّهُم كانوا يخلطونَ الحقَّ بالباطلِ، والحقُّ المحضُ أحسنُ مِن حقٍّ مُختلطٍ بالباطلِ، ولهذا قالَ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢].

* * *

(٣٤) ـ ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

قولُهُ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: هؤلاءِ الَّذينَ يتسقَّطونَ النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ، ويقولونَ: هلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ شرٌّ مكاناً؛ لأنَّهُم في جهنَّمَ.

وقالَ مقاتلٌ: قالَ الكفَّارُ لأصحابِ مُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ: هُم شرُّ الخلقِ، فنزلَتْ هذهِ الآيةُ[١].

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٣٨)، و«البسيط» (١٦/ ٤٩٦).

وسُئِلَ عليهِ السَّلامُ: كيفَ يحشَرُ أهلُ النَّارِ على وجوهِهِم؟ فقالَ: «إنَّ الَّذي أمشاهُم على أرجُلِهِم قادرٌ على أن يمشيَهُم على وجوهِهِم»(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: مَصيراً؛ أي: في النَّارِ.

وقيلَ: أي: هُم في الدُّنيا شرٌّ مكاناً؛ أي: شرٌّ صنيعاً؛ لأنَّهُم يكفرونَ باللهِ ويرتكبونَ المحارمَ، فالمكانُ اسمٌ للمرتبةِ عندَ ذوي العقولِ؛ كما يُقالُ: لفلانٍ عندَ النَّاسِ مكانٌ.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي: ديناً وطريقاً؛ لأنَّ طريقتَهُم تُفْضِي بهِم إلى النَّارِ.

ونظمُ الآيةِ: لا يأتونكَ بمثلٍ إلَّا جئْناكَ بالحقِّ، وأنتَ منصورٌ عليهِم بالحججِ الواضحةِ، وهُم محشورونَ على وجوهِهِم إلى جهنَّمَ.

* * *

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، ثمَّ ذكرَ جماعةً مِنَ الأنبياءِ، وذكرَ ما حلَّ بمَن كذَّبَهُم؛ ليَعتبرَ بها كفَّارُ عصرِ نبيِّنا عليهِ السَّلامُ، ويَنزجِروا عن تكذيبِه وضربِ الأمثالِ لهُ؛ أي: أعطيْنا موسى التَّوراةَ، وجعلْنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ نبيًّا ﴿وَزِيرًا﴾.

والوزيرُ: مِنَ الوَزَرِ؛ وهوَ ما يُلتجأُ إليهِ.

وقيلَ: الوزيرُ: الموازِرُ؛ كالأكيلِ بمعنى المُواكِلِ، والشَّريبِ بمعنى المُشارِبِ.

وقيلَ: هوَ مِنَ الوِزْرِ؛ وهوَ الثِّقلُ؛ أي: عوناً يتحمَّلُ عنهُ الأثقالَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ﴾: الخطابُ لهُما، وقولُهُ في موضعٍ آخرَ: ﴿فاذهب إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] لا ينافي هذا؛ لأنَّهُم إذا كانا مأمورَينِ فكلٌّ واحدٍ مأمورٌ، ويجوزُ أن يُقالَ: أُمرَ موسى أوَّلاً، ثمَّ لـمَّا قالَ: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩] قالَ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٤٣].

﴿إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: فرعونَ وقومِهِ، وهُم بعدُ لم يعرفوا آياتِ موسى حتَّى يكذِّبوا بها، فالمرادُ: اذهبَا بآياتِنا إلى القومِ الَّذينَ كذَّبوا؛ إذ كانَ معروفاً[1] منهُم تكذيبُ الرُّسلِ، أو: كذَّبوا بآياتِ الأنبياءِ السَّابقينَ.

وقيلَ: أي: اذهبا إلى الكفَّارِ، وأخبرَ عنهُم في وقتِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ بأنَّهُم كذَّبوا بتلكَ الآياتِ الَّتي رأوا مِن موسى.

﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكْناهُم بالعذابِ وهوَ الإغراقُ، وفيهِ إضمارٌ؛ أي: فذهبا وكُذِّبا فدمَّرْناهُم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾؛ أي: وأغرقْنا قومَ نوحٍ ﴿لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾.

قيلَ: مَن كذَّبَ نبيًّا فقد كذَّبَ جميعَ الرُّسلِ.

وقيلَ أيضاً: ما مِن رسولٍ إلَّا وهوَ يؤمنُ بجميعِ الرُّسلِ، فمَن كذَّبَ هذا الرَّسولَ فقد كذَّبَ الكلَّ.

(١) في الأصل: «معروف»، والمثبت هو الجادة.

وقيلَ: ذكرَ الجنسَ والمرادُ نوحٌ؛ كما تقولُ لِمَن ينفقُ درهماً: أنتَ ممَّن يُنفِقُ الدَّراهمَ؛ أي: ممَّن نَفَقَتُهُ مِن هذا الجنسِ.

﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بالطُّوفانِ، قيلَ: أمطرَ اللهُ عليهِمُ السَّماءَ أربعينَ يوماً، وخرجَ ماءُ الأرضِ أربعينَ يوماً، فصارَتِ الأرضُ بحراً واحداً[1].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾؛ أي: جعلْناهُم لِمَن بعدَهُم علامةً على قدرتِنا.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: في الآخرةِ.

وقيلَ: أي: هذا سبيلي في كلِّ مَن ظلمَ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ نصبٌ بالتَّدميرِ، أو: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾.

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ الرَّسُّ: الموضعُ المحفورُ كالقبرِ والمعدِنِ والبئرِ، والجمعُ: رِساسٌ[2].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: سألْتُ كعباً عن أصحابِ الرَّسِّ، قالَ: صاحبُ (يس)

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٢) عن الكلبي.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٣)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١٩/ ٤٣٠)، و«البسيط» (١٦/ ٥٠٤)، و«اللسان» (مادة: رسس). والمعدن: المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه. انظر: حاشية «تفسير الطبري» (١٩/ ٢٧٠) تحقيق أحمد شاكر. واستدل أبو عبيدة وابن قتيبة على المعدن بقول النابغة الجعديّ:

سَبَقْتُ إلى فَرَطٍ ناهِلٍ ... تنابلةً يحفرون الرِّساسا

قال أبو عبيدة: والرّساس المعادن. وقال ابن قتيبة: أي: آبار المعدن. وانظر: «الديوان» (ص: ٨٢).

الَّـذي قـالَ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] قتلَهُ قومُهُ ورسـوهُ فـي بئرٍ لهُم يُقالُ لـهُ: الـرَّسُّ[(١)]؛ أي: طرحُـوهُ فيها.

وقيلَ: الرَّسُّ بئرٌ بأَنْطاكيةَ قتلوا فيها حبيباً النَّجَّارَ، فنُسِبُوا إليها[(٢)].

وقالَ وَهْبٌ: هُم قومٌ بعثَ اللهُ إليهِم شُعيباً فكذَّبُوهُ وآذَوهُ، وكانوا على بئرٍ فانهارَتِ البئرُ بهِم وبديارِهِم فهلكُوا[(٣)].

وقيلَ: الرَّسُّ: قريةٌ بفَلَجِ اليمامةِ، قتلَ أهلُها نبيَّهُم، فأهلكَهُمُ اللهُ[(٤)].

وقيلَ: الرَّسُّ: ماءٌ ونخلٌ لبني أسدٍ[(٥)].

وقيلَ: هُم قومٌ مِن ثَمودَ، أهلكوا قوماً مِنَ المؤمنينَ، وقتلوا نبيَّهُم في بئرٍ.

وقيلَ: كانوا بينَ المدينةِ ووادي القرى.

وقيـلَ: الـرَّسُّ: الثَّلْـجُ المتراكِـمُ فـي الجبـالِ، فربَّمـا زلقَـتْ عـن أماكنِهـا في

---

(١) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٥) الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٥)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٧)، عن السدي، وهو الذي قبله نفسه؛ فإن حبيباً هو مؤمن آل ياسين، وهم أهل أنطاكية، وبذلك صرح السدي في هذا الخبر.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٢)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٦).

(٤) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) عن قتادة، ورواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥١) بلفظ: «كانوا بحجر بناحية اليمامة على آبار»، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢) بلفظ: «الرس قرية من اليمامة يقال لها: الفلج».

(٥) حكاه ابن الأنباري في «شرح القصائد السبع» (ص: ٢٥٠)، والقفال كما في «غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ٨١٦).

وقـتِ الحـرِّ فكنسَـتْ أقواماً، فهُم قـومٌ هلكـوا وأهلكوا بعـضَ الأنبيـاءِ وقومَهُ بما يشـبهُ هذا السَّـببَ.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾؛ أي: أُمماً لا يعلمُهُم إلَّا اللهُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

قـولُـهُ: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: قـالَ الـزَّجَّـاجُ: أي: وأنذرْنا كلّاً ضربْنا لـهُ الأمثالَ(١)، وبيَّنَّا لهُمُ الحجَّةَ، ولم يضربْ لهُمُ الأمثال الباطِلة كما تفعلُهُ هؤلاءِ الكفرةُ.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾؛ أي: أهلكْنـا بالعـذابِ، وتبَّرْتُ الشَّـيءَ؛ أي: كسَّـرتُه، ومنـهُ: التِّبرُ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾؛ أي: أتى هؤلاءِ المشركونَ في أسفارِهم على قريةِ قومِ لوطٍ؛ وهيَ سَدُومُ، أُمطِرَ أهلُها الحجارةَ عقوبةً لهُم على عصيانِ لوطٍ.

قـالَ مقاتـلٌ: ﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾؛ أي: الحجـارةَ، كلُّ حجـرٍ فـي العِظَم علـى قَدْرِ إنسانٍ(٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٦٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥). وروى ابن المنذر وابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور»

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾؛ أي: في أسفارِهِم ليعتبرُوا.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَتْ قُريشٌ في تجارَتِها إلى الشَّامِ تمرُّ بمدائنِ قومِ لوطٍ؛ كما قالَ اللهُ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧](١).

﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أي: إنَّما منعَهُم مِن تصديقِ محمَّدٍ ـ وإن شاهدُوا ما شاهدُوا ـ أنَّهُم كانوا لا يصدِّقونَ بالبعثِ.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: ذكرَ شيئاً آخرَ مِن كفرِهِم؛ وهوَ أنَّهُم جعلوا يسخرونَ منهُ إذا رأَوْهُ؛ أي: لا يتَّخذونَكَ إلَّا سخريةً وهزواً، ولا يرونَكَ أهلاً للتَّعظيمِ والطَّاعةِ.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؛ أي: يقولونَ على وجهِ السخريةِ: أهذا الَّذي بعثَهُ اللهُ رسولاً إلينا، وجوابُ ﴿إذا﴾ هذا المضمَرُ؛ وهوَ: قالوا، أو: يقولونَ، وقولُهُ: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ كلامٌ مُعترِضٌ(٢).

(٦/ ٢٦٠) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ قال: هي سدوم قرية قوم لوط ﴿ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ قال: الحجارة.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٩)، ولم أجده مسنداً.

(٢) وأجاز النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٢) أن يكون هذا هو الجواب؛ لأن معناه ـ كما قال ـ: يتخذونك.

قولُهُ: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾؛ أي: وقالوا: قد كادَ أن يصرفَنا عن آلهتِنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾؛ أي: حبسْنا أنفُسَنا على عبادَتِها، وكانوا يرونَ عبادةَ الأصنامِ رشاداً لأنفُسِهِم.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: هذا مِن قولِ اللهِ؛ أي: سوفَ يعلمونَ حينَ يُعايِنُونَ العذابَ في الآخرةِ ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هُم أم مَن كانَ يدعوهُم إلى تركِ الأصنامِ؟

***

(٤٣) ـ ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾.

قولُهُ: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾: عجَّبَ النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ مِن إصرارِهِم على الشِّركِ هوًى وإلفاً مِن غيرِ حجَّةٍ.

قالَ الكَلبيُّ: كانَتِ العربُ إذا هَوِيَ الرَّجلُ منهُم شيئاً عبدَهُ مِن دونِ اللهِ، فإذا رأى أحسنَ منهُ تركَ الأوَّلَ وعبدَ الأحسنَ[١].

فعلى هذا يعني: أرأيتَ مَنِ اتَّخذَ إلهَهُ بهواهُ، فحُذِفَ الجارُّ، أو: أرأيتَ مَنِ اتَّخذَ إلهَهُ ما يهواهُ، فسُمِّيَ المفعولُ باسمِ المصدرِ، ويُقالُ: فلانٌ هوًى لفلانٍ؛ أي: يهواهُ.

وقيلَ: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾؛ أي: أطاعَ هواهُ.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: لا يمكنُكَ خلقُ الإيمانِ في قلوبِهِم، وليسَتِ الهدايةُ والضَّلالةُ موكولتَينِ إلى مشيئتِكَ، وإنَّما عليكَ التَّبليغُ.

والوكيلُ: الحافظُ، وقيلَ: الكفيلُ، وأصلُهُ مِن: وكَلْتُ الشَّيءَ إليهِ؛ أي: فوَّضْتُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥١٢)، وما بعده منه.

ثمَّ؛ قيلَ: نسخَتْها آيةُ السَّيفِ[١].

وقيلَ: لم تُنسخْ، وإنَّما الآيةُ تسليةٌ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

قولُهُ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: أم تتوهَّمُ أنَّ أكثرَ المجرمينَ يعملونَ عملَ مَن يسمعُ الحقَّ، أو يقولُ الحقَّ؛ أي: لا تحسبَنَّ ذلكَ، فإنَّهُم وإنْ سمعُوا حسًّا فليسوا يتدبَّرُونَ ليعرفوا الحقَّ، ودخولُ (أم) على إضمارِ شيءٍ دلَّ عليهِ الكلامُ؛ أي: أفأنتَ تكونُ عليهِ وكيلاً حتَّى تردَّهُ عنِ الكفرِ، أم تحسبُ أنَّهُم يسمعونَ ويعقلونَ.

وقيلَ: (أم) بمعنى (بل) في مثلِ هذا الموضعِ.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾؛ أي: في الأكلِ والشُّربِ لا يُفكِّرونَ في الآخرةِ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ إذ لا حسابَ ولا عقابَ على الأنعامِ.

قالَ مقاتلٌ: البهائمُ تعرفُ ربَّها وتذكرُهُ، وأهلُ مكَّةَ لم يعرفُوه[٢].

وقيلَ: أي: الأنعامُ تنقادُ لأربَابِها، وهؤلاءِ لا يُطيعونَ الرَّبَّ الَّذي خلقَهُم ورزقَهُم.

---

(١) في الأصل: «نسخها آية» ثم كلمة غير واضحة مضروب عليها. والمثبت من «البسيط» للواحدي (١٦/ ٥١٤) وذكر هذا القول عن الكلبي. وقد رده ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ١٧٧) بقوله: وليس بصحيح، لأن المعنى: أفأنت تكون حفيظاً عليه تحفظه من اتباع هواه؟ فليس للنسخ وجه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٦).

وقيلَ: لأنَّ البهائمَ إن لم تعقلْ حجَّةَ التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ لم تعتقدْ بطلانَ ذلكَ أيضاً.

وإنَّما قالَ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ لأنَّهُ كانَ فيهم مَن علمَ اللهُ أنَّهُ سيؤمِنُ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: نبَّهَ على كمالِ قدرتِهِ:

قيلَ: أي: ألم ترَ إلى فعلِ ربِّكَ، فحُذِفَ المضافُ.

وقيلَ: ألم تعلمْ؛ أي: قد علمْتَ أنَّ ربَّكَ مدَّ الظِّلَّ، وهذا رؤيةُ القلبِ، ويجوزُ أن يكونَ مِن رؤيةِ العينِ.

وقيلَ: هوَ مقلوبٌ؛ أي: ألم ترَ إلى الظِّلِّ كيفَ مدَّهُ ربُّكَ.

﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾؛ أي: بسطَهُ.

وقيلَ: أرادَ مِن طلوعِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمسِ، فإنَّ الظِّلَّ مُطبِقُ الأرضِ مِن غيرِ شمسٍ ولا ليلٍ؛ كقولِهِ في صفةِ الجنَّةِ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]؛ أي: لا شمسَ معَهُ ولا ظلمةَ.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾؛ أي: لجعلَ[١] هذا الظِّلَّ دائماً مُستقرّاً لا تنسخُهُ الشَّمسُ.

وقيلَ: هذا مِنَ السُّكنى لا مِنَ السُّكونِ؛ لأنَّ الظِّلَّ ساكنٌ أبداً، يُقالُ: سكنَ فلانٌ بلدَ كذا؛ أي: أقامَ فيهِ.

(١) بعدها في الأصل كلمة: «الظل»، ولعله سهو أو خطأ من الناسخ.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾؛ أي: جعلْنا الشَّمسَ بنسخِها الظِّلَّ دالَّةً على أنَّ الظِّلَّ شيءٌ ومعنًى؛ لأنَّ الأشياءَ تُعرَفُ بأضدادِها، ولولا الشَّمسُ ما عُرِفَ الظِّلُّ، ولولا النُّورُ ما عُرِفَتِ الظُّلمةُ، فالدَّليلُ فَعِيلٌ بمعنى الفاعلِ.

وقيلَ: بمعنى المفعولِ؛ كالقتيلِ والرَّهينِ والخصيبِ؛ أي: دلَلْنا الشَّمسَ على الظِّلِّ حتَّى ذهبَتْ بهِ؛ أي: أتبَعْناها إيَّاهُ.

وقيلَ: جعَلْنا الشَّمسَ لـمَّا أزالَتِ الظِّلَّ دليلاً عليهِ أنَّهُ مِن خَلْقي أُوجِدُهُ إذا شئتُ وأُعدِمُه إذا شئتُ، فالشَّمسُ دليلٌ؛ أي: حجَّةٌ وبرهانٌ.

ولم يُؤنَّثِ الدَّليلُ ـ وهو صفةُ الشَّمسِ ـ لأنَّهُ في معنى الاسمِ؛ كما يُقالُ: الشَّمسُ برهانٌ، والشَّمسُ حقٌّ.

﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾؛ أي: قبضْنا ذلكَ الظِّلَّ الممدودَ إلينا إلى حيثُ أردْنا قبضَهُ مِنَ الأرضِ، وهذا القبضُ مُوقَعٌ بالشَّمسِ؛ لأنَّها إذا طلعَتْ أخذَ الظِّلُّ في الذَّهابِ شيئاً شيئاً.

وقالَ قومٌ: قبضُها بغروبِ الشَّمسِ؛ لأنَّها ما لم تَغربْ فالظِّلُّ فيهِ بقيَّةٌ، وإنَّما زوالُهُ بمجيءِ اللَّيلِ، وعلى هذا ﴿قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾؛ أي: سهلاً علينا لا تعبَ فيهِ.

وقيلَ: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ﴾؛ أي: قبضْنا ضياءَ الشَّمسِ بالفيءِ ﴿قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾.

وقيلَ: ﴿يَسِيرٗا﴾؛ أي: سريعاً.

وقيلَ: الظِّلُّ: سوادُ اللَّيلِ وظلمتُهُ، وقبضُها بنورِ الشَّمسِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: أَلبسْتُ اللَّيلَ الظُّلمةَ ليُسكنَ فيهِ[1]؛ أي: جعلَ اللَّيلَ ذا لباسٍ مِنَ الظُّلمةِ؛ [أي: أُلبسَ الظُّلمةَ ليُتركَ فيه العملُ والتصرُّفُ].

وقيلَ: جعلَهُ ستراً وغطاءً للأشياءِ كلِّها بظلامِهِ، وإذا سترَ بظلمتِهِ الأشياءَ صارَ سببَ السُّكونِ فيهِ.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحةً لأبدانِكُم بانقطاعِكُم عنِ الأشغالِ، وأصلُ السُّباتِ من التَّمدُّدِ، يُقالُ: سبتَتِ المرأةُ شعرَها؛ أي: نقضَتْهُ وأرسلَتْهُ، ورجلٌ مسبوتٌ؛ أي: ممدودُ الخِلقةِ، وقيلَ للنَّومِ: سُباتٌ؛ لأنَّهُ بالتَّمدُّدِ يكونُ، وفي التَّمدُّدِ معنى الرَّاحةِ.

وقيلَ: السَّبتُ: القطعُ، فالنَّومُ: انقطاعٌ عنِ الأشغالِ، ومنهُ: سَبْتُ اليهودِ؛ لانقطاعِهِم عنِ الأعمالِ فيهِ.

وقيلَ: هوَ مِن: أَسْبتَ الرَّجلُ؛ أي: أخذَتْهُ سكتةٌ، فالنَّومُ سُباتٌ على معنى: أنَّهُ سكونٌ عنِ الاضطرابِ والحركةِ.

وقالَ الخليلُ: السُّباتُ نومٌ ثقيلٌ[2]؛ أي: جعلْنا نومَكُم ثقيلاً ليكملَ الإجمامُ والرَّاحةُ.

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾: مِنَ الانتشارِ للمعاشِ، وكأنَّهُ نشورٌ مِن وفاةِ[3]

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٢٤)، وما سيأتي بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «العين» (٧/ ٢٣٨)، وفيه: السُّباتُ: النوم الغالب الكثير. وهو بلفظ المصنف في «الفائق» للزمخشري (٣/ ٣٩).

(٣) غير واضحة في الأصل، والمثبت مناسب للسياق.

النَّـومِ، وكانَ عليـهِ السَّـلامُ إذا أصبـحَ قـالَ: «الحمـدُ للهِ الـذي أَحيانَـا بَعْدَمـا أَماتَنا وإليـهِ النُّشـورُ»[(١)].

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: ذكَّرَهُم نعمةً أُخرى؛ وهيَ المطرُ والرِّيحُ.

قُرِئَ: ﴿نُشُراً﴾: برفعِ النُّونِ والشِّينِ، بلفظِ الكثرةِ؛ كقولِهِ: ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]، والمعنى: جعلَ الرِّياحَ سببَ حياةِ النَّباتِ؛ لأنَّها سببُ المطرِ.

وقيلَ: النُّشُرُ: جمعُ نَشُورٍ بفتحِ النُّونِ، على فَعُولٍ، مِن: نَشَرَ يَنْشُرُ، فالنُّشُرُ بمعنى: النَّاشراتِ؛ مثلُ: صُبُرٍ وصابراتٍ؛ أي: أرسلَ الرِّياحَ ناشراتٍ للغيمِ باسطاتٍ كما يُنشَرُ المطويُّ.

وقُرِئَ: ﴿نُشْراً﴾: برفعِ النُّونِ وسكونِ الشِّينِ، وهوَ مثلُ (نُشُرٍ) بضمِّهما.

وقُـرِئَ: ﴿نَشْـراً﴾: بفتـحِ النُّـونِ وسـكونِ الشِّـينِ[(٢)]، والمعنى: أرسـلَ الرِّياحِ بَسْـطاً للغيـمِ، ثمَّ يجـوزُ أن يكونَ هذا البسـطُ مِن فعـلِ الرِّيحِ، والأحسـنُ أن نقولَ: مِـن فعـلِ اللهِ؛ أي: نَشْـراً منهُ للسَّـحابِ بيـنَ يدَيْ مـا يُنزِلُه مِـنَ المطرِ.

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. ورواه البخاري أيضاً (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ومسلم (٢٧١١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين، وابن عامر: ﴿نُشْراً﴾ بضم فسكون، وعاصم: ﴿بُشْراً﴾ بالباء، وقرأ الباقون: ﴿نَشْراً﴾ بفتح فسكون. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

وقيلَ: النَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ قدَّامَ المطرِ.

وقيلَ: ﴿نَشْراً﴾؛ أي: مُتفرِّقةً في الجهاتِ.

وقُرِئَ: (بُشُراً): بضمِّ الباءِ والشِّينِ[١]، والبُشُرُ: جمعُ البَشُورِ؛ مثلُ: شَكُورٍ وشُكُرٍ، والمعنيُّ بِهِ التَّبشيرُ، وأمَّا جمعُ البشيرِ فبُشَراءُ؛ مثلَ: خطيبٍ وخُطباءَ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾؛ أي: مِنَ السَّحابِ، فقالَ الحسنُ: المطرُ مِنَ السَّماءِ، والسَّحابُ علَم ينزلُ عليهِ الماءُ مِنَ السَّماءِ[٢].

والطَّهُورُ: ما يُتطهَّرُ بهِ في الوضوءِ والغُسلِ وغسلِ النَّجاساتِ؛ كالوَقودِ والسَّحورِ والفَطورِ.

يُبيِّنُ أنَّ الماءَ المنزلَ مِنَ السَّماءِ طاهرٌ في نفسِهِ مُطهِّرٌ لغيرِهِ، ويدخلُ في كونِهِ طَهُوراً: تطهيرُ الأرضِ مِنَ الحدثِ على طريقِ التَّوسُّعِ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: لنُنبتَ بهِ أرضاً لا نباتَ فيها، وقولُهُ: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالمطرِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: قالَ: ﴿مَّيْتًا﴾ لأنَّ معنى البلدةِ والبلدِ واحدٌ[٣].

وقيلَ: أرادَ بالبلدةِ: المكانَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧١)، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٥٥) عن ابن عباس والسلمي بخلاف وعاصم بخلاف لكن في سورة الأعراف.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٢٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧١).

﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾؛ أي: ونُسقِيَ هذا الماءَ ﴿أنعاماً﴾؛ أي: بهائمَ ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾؛ أي: بَشَراً كثيراً، وواحدُ الأناسيِّ: إِنْسيٌّ؛ مثلُ: كُرسيٍّ وكَراسيَّ.

وقيلَ: الأناسيُّ: جمعُ إنسانٍ، والياءُ الأخيرةُ بدلٌ مِنَ النُّونِ، والأصلُ: أناسينُ؛ مثلَ: سَراحينَ.

قالَ الفَرَّاءُ: أناسينُ، مثلُ: بستانٍ وبساتينَ.

قالَ: ويجوزُ: (أناسِيْ كثيراً) بتخفيفِ الياءِ؛ كأنَّهُم أسقطوا الياءَ الَّتي تكونُ فيما بينَ لامِ الفعلِ وعينِهِ، مثلَ: قَرَاقِيرَ وقَرَاقِرَ[١].

وقالَ: ﴿كَثِيرًا﴾ ولم يقل: كثيرينَ؛ لأنَّ فَعِيلاً قد يُرادُ بهِ الكثرةُ؛ نحوَ: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠]، والمرادُ الكثرةُ؛ لقولِهِ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، وكذلكَ: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾: قيلَ: المطرَ؛ أي: قسَّمْنا هذا الماءَ المنزلَ مِنَ السَّماءِ على تفاوُتٍ بينَهُم في القلَّةِ والكثرةِ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: المطرُ في كلِّ عامٍ واحدٌ[٢]،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٦٩). وقوله: «قراقير وقراقر» تحرفتا في الأصل لكلمتين مبهمتين، والمثبت من المصدر. وقراقير: جمع قرقور، وهي السفينة العظيمة. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: قرقر).

(٢) في الأصل: «في كل عام مرة واحدة»، والمثبت هو الأنسب بالسياق، وسيأتي لفظه في المصادر.

ولكنْ يختلفُ على حسبِ مَن يُصْرفُ إليهِم، فما زيدَ لبعضٍ نُقِصَ مِن غيرِهِم[١]، فهوَ معنى التَّصريفِ.

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾؛ أي: ليتذكَّروا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾؛ أي: إلَّا كُفرانَ النِّعمةِ، فصرَفوا نزولَ المطرِ إلى الأنواءِ، وقالوا: مُطِرْنا بنَوءِ كذا.

وقيلَ: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ليعلموا[٢] أنَّ الَّذي أنزلَهُ فأحيا بهِ الأرضَ قادرٌ على أن يُحيِيَ الموتى ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ بالبعثِ.

وروى ابنُ مسعودٍ عنِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ أنَّهُ قالَ: «ما مِن سنةٍ بأمطرَ مِن أُخرى، ولكنْ إذا عملَ قومٌ بالمعاصي صرَفَ اللهُ ذلكَ إلى غيرِهِم، فإذا عصَوا جميعاً صرفَ اللهُ ذلكَ إلى الفيافي والبحارِ»[٣].

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٨٥)، وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق» (٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠) وصححه. ولفظه: «ما عام بأكثر مطراً من عام، ولكنَّ الله يصرِّفه بين خلقه» ثم قرأ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾، وفي رواية: «ولكنه يصرفه في الأرضين».

(٢) في الأصل: «ويعلموا»، والصواب المثبت.

(٣) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٩)، وإسناده منقطع وفيه إسحاق بن بشر وهو كذاب. ورواه من طريق آخر العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٦٣) بلفظ: «ما أحد بأكسب من أحد، ولا عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يحب»، قال العقيلي: «وذكر نحوه موقوفا وهو أولى». وقال البيهقي: «كذا روي مرفوعاً بهذا الإسناد والصحيح موقوف». وروى الموقوف الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩ ـ ٤٠)، والداني في «الفتن» (٢١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» عقب المرفوع.

وحصل من هذه الأخبار كما ذكر العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١٩/ ٥١) أن مقدار المطر في العام لا تختلف كميته وإنما يختلف توزيعه، قال: وهذه حقيقة قررها علماء حوادث الجو في القرن الحاضر، فهو من معجزات القرآن العلمية.

وقيلَ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ ويعلموا أنَّ مَن أنعمَ بهذهِ الأشياءِ لا يجوزُ الإشراكُ بهِ، وقد سبقَ ذِكرُ القرآنِ في قولِهِ: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الفرقان: ٢٩]، وقولِهِ: ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

قُرِئَ: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بالتَّشديدِ مِنَ التَّذكُّرِ، وبالتَّخفيفِ مِنَ الذِّكرِ[(١)]؛ أي: ليَذْكُروا موضعَ النِّعمةِ ويشكروا، والتَّذكُّرُ قريبٌ مِنَ الذِّكرِ، غيرَ أنَّ التَّذكُّرَ يُطلَقُ فيما بَعُدَ عنِ القلبِ، فيحتاجُ إلى تكلُّفٍ في التَّذكُّرِ.

***

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾؛ أي: نبيّاً ينذرُهُم، ولكنَّا لم نفعلْ، بل جعلْناكَ نذيراً للكلِّ، فاشكرْ نعمةَ اللهِ عليكَ، وجاهِدْهُم بالقرآنِ؛ أي: جادِلْهُم بهِ، أو: جاهِدْهُم بالسَّيفِ على ما فيهِ، والأوَّلُ أشبهُ؛ لأنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ، ونزلَتْ قبلَ الأمرِ بالقتالِ.

وقيلَ: أي: ولو شئْنا لبعثْنا في كلِّ بلدةٍ نبيّاً ليَخِفَّ عنكَ الأمرُ، ولكنَّا حمَّلْناكَ ثقلَ الجميعِ لتستوجبَ بصبرِكَ عليهِ الثَّوابَ العظيمَ.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يدعونَكَ إليهِ مِنِ اتِّباعِ آلهتِهِم.

والجهادُ الكبيرُ: الشَّديدُ، وهذا أمرٌ ببذلِ الجهودِ في إحياءِ الدِّينِ، وبيَّنَ أنَّهُ لا شيءَ أكثرُ قَدْراً مِنَ الجهادِ الَّذي هوَ إحياءُ الدِّينِ وإماتةُ الكفرِ.

وقالَ الحسنُ: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: اقتُلْهُم أو يُسلِموا[(٢)].

---

(١) بالتخفيف حمزة والكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٢) ذكره الكرماني في «لباب التفاسير» (٦/ ٣٧٠).

(٥٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ عادَ الكلامُ إلى ذكرِ النِّعَمِ؛ أي: خلَّاهُما وأرسَلَهُما في الأرضِ، فأحدُ البحرَينِ عذبٌ فراتٌ؛ أي: حلوٌ شديدُ العذوبةِ، والبحرُ الآخرُ ملحٌ أُجاجٌ؛ أي: فيهِ مُلوحةٌ ومَرارةٌ.

وقيلَ: أرادَ الأنهارَ العظامَ، والبحرُ عندَهُم: كلُّ نهرٍ عظيمٍ؛ يعني: أنَّ اللهَ أرسلَ المياهَ في الأرضِ ضربَينِ: منها عذبٌ، ومنها مِلْحٌ، وكلُّ واحدٍ بحرٌ؛ لأنَّهُ نهرٌ عظيمٌ، فالفراتُ العذبُ كالنِّيلِ والفُراتِ ودِجلةَ وسَيْحانَ، والمِلْحُ الأُجاجُ: البحارُ المعروفةُ.

ثمَّ جعلَ بينَ البحرَينِ ﴿بَرْزَخًا﴾؛ أي: حاجزاً ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: ستراً مستوراً يمنعُ أحدَهُما مِنَ الاختلاطِ بالآخرِ فيُفسدَ على النَّاسِ مياهَهُم، فإذا كانَ يومُ القيامةِ زالَ الحاجزُ واختلطَتِ المياهُ؛ كما قالَ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقيلَ: أرادَ: بحراً واحداً مِنَ البحارِ المعروفةِ يجتمعُ فيهِ الماءُ المِلْحُ والماءُ العذبُ، ثمَّ معَ اجتماعِهِما في نهرٍ واحدٍ لا يختلطانِ.

والمرجُ: الاختلاطُ، وفي الخبرِ في صفةِ النَّاسِ في آخرِ الزَّمانِ: «مَرِجتْ عُهودُهم»[١]؛ أي: فسدَتْ واختلطَتْ.

أخبرَ أنَّهُ خلطَهُما، ثمَّ جعلَ بقدرتِهِ بينَهُما حاجزاً لا يلتقيانِ.

وقيلَ: البرزخُ: مدَّةُ ما بينَ الدُّنيا والآخرةِ؛ أي: جعلَ بينَ العذبِ والملحِ مهلةً؛ وهيَ مدَّةُ الدُّنيا، فإذا انقضَتْ اختلطَ أحدُهُما بالآخرِ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤٣)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٦٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

والعَـذْبُ: الطَّيِّـبُ، يُقـالُ: عَـذُبَ الماءُ يَعْـذُبُ عُذُوبـةً، فهوَ عَـذْبٌ، وأعذبَ القـومُ؛ أي: عَـذُبَ ماؤُهُـم، وأصلُهُ: المنعُ، فالمـاءُ العَذْبُ هوَ الَّـذي يمنعُ العطشَ، يُقـالُ: عَذَبَـهُ عَذْبـاً؛ أي: مَنعَـهُ، وعَـذَبَ عُذوبـاً؛ أي: امتَنـعَ، والعـاذِبُ: الفـرسُ الَّـذي يمتنِـعُ مِـنَ العلَـفِ، والعـذابُ يمنـعُ المعاقَـبَ عـن معـاودةِ الفعـلِ الَّـذي عُوقِبَ عليهِ.

والفُراتُ: أعذبُ المياهِ، وفَرُتَ الماءُ يَفْرُتُ فروتةً؛ أي: عَذُبَ ـ مثلَ: عَظُمَ يَعْظُمُ ـ فهوَ فُراتٌ.

والمِلْـحُ: خـلافُ العـذْبِ مِنَ المـاءِ، يُقالُ: ماءٌ مِلْـحٌ، ولا يُقالُ: مالـحٌ، إلَّا في الشَّاذِّ.

والأُجاجُ: أشدُّ الماءِ ملوحةً؛ كأنَّهُ يُحرِقُ بملوحتِهِ، وأصلُهُ مِن تأجُّجِ النَّارِ؛ لأنَّ الماءَ الشَّديدَ الملوحةِ قد يَسخنُ سخونةً مُفرِطةً، ويُقالُ: أَجَّ الماءُ يؤُجُّ أجًّا وأُجُوجاً؛ أي: صارَ ماءً مِلْحاً.

وقالَ الخليلُ: يُسمَّى البحرُ بحراً لانبساطِهِ وسَعَتِهِ، واستَبحرَ فلانٌ في العلمِ، وتبحَّرَ الرَّاعي: [وقَع] في رعيٍ كثيرٍ[(١)].

وقـد ذكرْنـا أنَّ البـرزخَ: الحاجـزُ، وقـالَ ابنُ عبَّـاسٍ: ﴿بَرْزَخًا﴾؛ أي: قضـاءً مِن قضـاءِ اللهِ ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: حرامـاً محرَّمـاً أنْ يعذُبَ هذا المالـحُ بالعَذْبِ، أو يَمْلُحَ هـذا العـذبُ بالمالح[(٢)].

---

(١) انظر: «العين» (٣/ ٢١٩) وما بين معكوفتين منه، و«البسيط» (٢/ ٥٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٤٦). وفيه بدل «المالح»: «الملح»، وهو الجادة كما أشار إليه المصنف قريباً.

وقالَ الفَرَّاءُ: أي: حراماً محرَّماً أن يغلِبَ أحدُهُما صاحبَهُ(١). فلا بدَّ مِن إضمارٍ؛ أي: حراماً [محرماً] أن يُفسدَ أحدُهُما الآخرَ(٢).

***

(٥٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾؛ أي: خلق مِنَ النُّطفةِ إنساناً ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾؛ أي: فجعلَ الإنسانَ ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾: النَّسبُ: نسبُ القراباتِ، والصِّهرُ: حرمةُ الخُتونة.

وقالَ الأصمعيُّ وغيرُهُ: الأحماءُ مِن قِبَلِ الزَّوجِ، والأختانُ مِن قِبَلِ المرأةِ، والصِّهرُ يجمعُهُما(٣).

وقيلَ: ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾؛ أي: آدمَ، فإنَّهُ خُلقَ مِن طينٍ، وخُلقَ الطِّينُ مِنَ الماءِ، والبشرُ على هذا كقولِهِ: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، وقولِهِ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾؛ أي: فجعلَ آدمَ ﴿نَسَبًا﴾ لأولادِهِ، فهُم بنو آدمَ يُنسَبونَ إليهِ ﴿وَصِهْرًا﴾؛ أي(٤): جعلَ مِن أولادِهِ صهراً؛ أي: جعلَ بعضَهُم لبعضٍ صهراً بأنْ أباحَ لهُمُ النِّكاحَ، وقد عَدَّ قبلَ هذا ما هوَ قِوامُ المعاشرةِ، ثمَّ بيَّنَ أنَّ قِوامَ العالمِ أيضاً في النَّسبِ والصِّهرِ.

وقالَ الفَرَّاءُ: النَّسبُ ما لا يحلُّ مِنَ القرابةِ، والصِّهرُ ما يحلُّ نكاحُهُ مِنَ القرابةِ وغيرِ القرابةِ(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٠)، و«البسيط» (١٦/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧).

(٢) انظر: «البسيط» (١٦/ ٥٤٧) وما بين معكوفتين منه.

(٣) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢٤١)، و«تهذيب اللغة» (٧/ ١٣٢)، و«البسيط» (١٦/ ٥٤٨).

(٤) كلمة: «أي» رسمت في الأصل هكذا: «لذي»، والصواب المثبت.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٠).

وقيلَ: النَّسبُ: آدمُ، والصِّهرُ: حوَّاءُ؛ أي: خلقَ مِنَ الماءِ بشراً، فجعلَهُ زوجَينِ رجلاً وامرأةً، صارَ أحدُهُما أبَ البشرِ، والثَّاني أمّاً لهُم.

وفي الآيةِ إضمارٌ؛ أي: فجعلَهُ ذا نسبٍ وصهرٍ؛ أي: ذا قراباتٍ لا يحلُّ لهُ التَّزوُّجُ بهِنَّ، وذا نسبٍ لا يحرِّمُ التَّزوُّجَ(١).

وقالَ الكَلبيُّ والفَرَّاءُ: النَّسبُ سبعةُ أصنافٍ مِنَ القرابةِ، وهيَ ما في قولِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ إلى قولِهِ: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، والصِّهرُ مَن لا قرابةَ لهُ ويحرمُ بالنَّسبِ، وهوَ خمسٌ: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قولِهِ: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣]. فعلى هذا فالصِّهرُ محرِّمٌ كالنَّسبِ(٢).

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾؛ أي: قادراً على ما أرادَ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾: لمَّا عدَّدَ نِعمَهُ، وبيَّنَ كمالَ قدرتِهِ، عجَّبَ مِنَ المشركينَ في إشراكِهِم بهِ مَن لا يقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ؛ أي: إنَّ اللهَ هوَ الَّذي خلقَ ما ذكرَهُ، ثمَّ هؤلاءِ لجهلِهِم يعبدونَ مِن دونِهِ أمواتاً جماداتٍ لا تنفعُ ولا تضرُّ.

---

(١) أي: وذا نسب لا يحرم عليه ذلك النسب التزوُّج؛ كالأخوين يتزوجان بأختين، فصهر أحد الأخوين لم يحرِّم مصاهرة الأخ الثاني. وكذلك الرجل يتزوج بالمرأة، وابنه بابنتها، وما شاكل هذا من باب المصاهرة. انظر: «البسيط» (١٦/ ٥٤٧)، وقد ذكر الواحدي هذا بناء على ما أورده من قول علي رضي الله عنه: النسب: ما لا يحل نكاحه، والصهر: ما يحل نكاحه. وهو عين قول الفراء المتقدم.

(٢) انظر: «البسيط» (١٦/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩).

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾؛ أي: مُظاهِراً؛ مثلَ: أَكيلٍ وشريبٍ وقديرٍ.

وقيلَ: الظَّهيرُ: العونُ؛ أي: عوناً على اللهِ للشَّيطانِ على معصيتِه؛ أي: يُطيعُ الشَّيطانَ فيما يدعوهُ إليهِ، فيزدادُ الشَّيطانُ معصيةً على معصيةٍ؛ كما قيلَ: «مَن سَنَّ سُنَّة سيئةً كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِل بها»[1]، فالكافرُ يعاوِنُ الشَّيطانَ على معصيةِ اللهِ.

وقيلَ: وكانَ الكافرُ على أولياءِ اللهِ عوناً؛ يُعينُ على معاداتِهم وإيصالِ المكروهِ إليهِم.

وقيلَ: وكانَ الكافرُ على ربِّهِ الَّذي يَعبدهُ ـ وهوَ الصَّنمُ ـ قويّاً غالباً يعملُ بِهِ ما يشاءُ؛ لأنَّ الجمادَ لا قدرةَ لهُ على دفعٍ ونفعٍ.

وقيلَ: أي: إنَّ الكافرَ يستظهِرُ بهذهِ الأصنامِ على اللهِ؛ لأنَّهُم كانوا يطمعونَ أن يغلبوا بذلكَ رسولَ اللهِ، فجعلَ استظهارَهُم بذاكَ على مغالبةِ الرَّسولِ استظهاراً على اللهِ.

وقالَ أبو عبدةَ: ﴿ظَهِيرًا﴾ أي: مظهوراً لهُ؛ أي: هيِّناً على اللهِ، يُقالُ: ظهرْتَ بحاجتي؛ أي: لم تلتفتْ إليها وألقيتَها خلفَ ظهرِكَ[2]؛ أي: كذا الكافرُ هيِّنٌ على اللهِ، واللهُ مُستهينٌ بِهِ لأنَّ[3] كفرَهُ لا يضرُّهُ.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧٧).

(٣) في الأصل: «والله مستهان به ولأن»، والصواب المثبت.

(٥٦ ـ ٥٩) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾.

قولُهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾؛ أي: بالجنَّةِ ﴿وَنَذِيرٗا﴾ مِنَ النَّارِ؛ أي: هُم يتعاونونَ في الكفرِ فلا تَنشغِلْ[1] بهِم، فليسَ عليكَ إلَّا التَّبليغُ، فبلِّغْ.

قولُهُ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾؛ أي: قلْ: لم أخالفْكُم لطمعٍ في الدُّنيا، بل لتَتوسَّلوا إلى اللهِ بالطَّاعةِ والإيمانِ.

﴿عَلَيۡهِ﴾؛ أي: على القرآنِ وتبليغ الوحيِ ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾: ﴿مِنۡ﴾ للتَّأكيدِ.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ مُنقطعٌ.

وقيلَ: اتِّخاذُ السَّبيلِ إلى اللهِ: الإيمانُ برسلِهِ وكتبِهِ، والتزامُ أوامرِهِ.

قولُهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾؛ أي: على اللهِ الَّذي لا زوالَ لملكِهِ ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾؛ أي: صلِّ للهِ، وتُسمَّى الصَّلاةُ تسبيحاً.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾؛ أي: كفى هوَ عالماً بذنوبِ عبادِهِ، فهوَ يجازِيهِم.

قولُهُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾: مضى معناهُ في الأعرافِ، وبيَّنَ أنَّهُ إن أخَّرَ عقوبةَ مَن عصاهُ فليسَ يفوتُهُ شيءٌ.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾؛ أي: استولَى على ما خلقَ[2].

---

(١) في الأصل: «يشغل»، والصواب المثبت.

(٢) كذا فسر المصنف الاستواء بالاستيلاء، وهذا على مذهب بعض الخلف القائلين بالتأويل في آيات الصفات، والذي لجؤوا إليه بعد ظهور الفرق الضالة من المشبهة والمعطلة وغيرهم، أما الذين

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: هوَ الرَّحمنُ الَّذي لا يجوزُ أن يُعبَدَ غيرُهُ، فـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

﴿فَسَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[1]؛ أي: فسَلْ يا محمَّدُ الرَّحمنَ عن ذلكَ، فإنَّكَ تسألُ خبيراً بما خلقَ، لا يخفَى عليهِ شيءٌ منهُ، وكانَ اليهودُ يقولونَ في ابتداءِ الخلقِ أشياءَ، فأخبرَ أنَّ الأمرَ كما عرفَهُ اللهُ لا كما يقولُ الكافرُ، فقولُهُ: ﴿خَبِيرًا﴾ منصوبٌ بقولِهِ ﴿فَسَلْ﴾.

وقيلَ: فسلْهُ خبيراً، فهوَ نصبٌ على الحالِ مِنَ الهاءِ المضمرةِ[2].

ذهبوا مذهب السلف فقالوا: إذا وردَ صفةٌ من صفات الله تعالى موهمةٌ بمشابهةِ المخلوقين؛ كورودِ لفظ اليد والعين ونحوهما، فإننا نُؤمِنُ بها مع القطعِ بأنَّه تعالى ليس كمثلِه شيءٌ في صفاته ولا ذاته، ونُوْكِلُ معرفةَ كيفيَّها وكيفيَّةِ تعلُّقِها به تعالى إلى الله، ونجريها على ما أجراها الله تعالى ورسوله عليه من غير تأويلٍ ولا تكييفٍ، وقد ذكر أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط» (٥/ ٦٦) قصة الإمام مالك التي تبين منهج السلف في هذا الأمر، وذلك حين جاءه رجل فسأله: كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليّاً وعلَته الرحضاء [عَرَق يغسل الجلد كثرةً] ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًّا. ثم أمر به فأُخرج. روى القصة البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧).

وقد شنع ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٩٠) على من فسر الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وجعله من تحريف الكَلِم عن مواضعه، فإنه إنما يقال: استوى على الشيء، إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرشُ الرب لم يكن ممتنعاً عليه حتى يقال: استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء.

(١) هذه قراءة ابن كثير والكسائي، والباقون: ﴿فاسأل﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٢).

(٢) قوله: «المضمرة» كذا قال، ولعل أصحاب هذا القيل لا يذهبون إلى إضمار الهاء، بل إلى كون الباء صلة، والهاء هي نفس الضمير الذي في ﴿بِهِۦ﴾، وهو منقول عن الطبري كما سيأتي قريباً.

وقيلَ: أي: فسلْ عنهُ خبيراً، فالباءُ بمعنى: عن، ويكثرُ ذلكَ معَ السُّؤالِ، قالَ اللهُ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١]، وتقولُ: رميتُ عنِ القوسِ، وبالقوسِ؛ أي: فسَلِ الرَّحمنَ عن خلقِ السَّماواتِ والأرضِ خبيراً.

وقيلَ: فسَلِ النَّاسَ: هل يعرفونَ أخبَرَ بالأشياءِ وأعلمَ بها مِنَ اللهِ.

وقيلَ: فسَلْ أهلَ العلمِ، فإنَّهُم يخبرونَكَ أنَّهُ هوَ الرَّحمنُ، وهوَ[١] الَّذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، وهوَ كما قالَ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، والخطابُ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ والمرادُ غيرُهُ.

وقيلَ: ﴿فَسَلْ بِهِ خَبِيراً﴾؛ أي: لا تَطلبْ حوائجَكَ إلَّا باللهِ، ولا تتوكَّلْ إلَّا عليهِ، فإنَّهُ الخبيرُ بما يَفعلُ، فقولُهُ: ﴿بِهِۦ﴾ على مجازِ قولِكَ: أعوذُ بكَ منكَ، وأهربُ منكَ إليكَ[٢]، وهوَ كقولِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١].

وقيلَ: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالسُّؤالِ؛ أي: سلْ عالماً بسؤالِكَ، ويرجعُ إلى ما ذكرَ مِن خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، والخبيرُ هو الله تعالى، وقيل: جبريلُ عليه السلام[٣].

قالَ ابنُ جريرٍ: ﴿فَسَلْ بِهِ﴾؛ أي: فسلْهُ، فالباءُ زائدةٌ[٤].

***

(١) في الأصل: «هو»، والصواب المثبت.

(٢) فيكون على هذا بمعنى: سلِ اللهَ بالله. انظر: «التيسير في التفسير» للنسفي (١١/ ٢٣٢).

(٣) قوله: «ويرجعُ إلى ما ذكرَ مِن خلقِ السَّماواتِ... الخ» وقع في الأصل قبل قوله: «وقيلَ: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالسُّؤالِ»، وحقه أن يكون هنا، فإن الظاهر أنه من لوازم هذا القيل، والله أعلم.

(٤) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٤٨٦)، و«البسيط» (١٦/ ٥٥٧)، وفيهما: كان ابن جرير يذهب إلى أن المعنى: فاسأله خبيرًا، والباء صلة، و﴿خَبِيرًا﴾ منصوب على الحال. ولفظ الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨١): والخبير في قوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ منصوبٌ على الحال من الهاء التي في قوله: ﴿بِهِۦ﴾.

(٦٠) ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾.

قولُهُ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾؛ أي: صلُّوا للهِ واخضعوا لهُ ﴿قَالُواْ﴾ لفرطِ جهلِهِم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: إنَّ الرَّحمنَ ممَّا لا نعرفُهُ فنسجدَ لهُ ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ مِن غيرِ معرفةٍ، فهوَ استفهامُ إنكارٍ.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾؛ أي: زادَهُم قولُكَ: ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ نُفوراً عنِ الإسلامِ، وكانوا يقولونَ: ما نعرفُ إلَّا رحمنَ اليمامةِ؛ أي: مُسيلمةَ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ما كانوا يعرفونَ هذا الاسمَ مِن أسماءِ اللهِ تعالى[١].

وقيلَ: لم يذهبْ على العربِ هذا الاسمُ، فلعلَّهُ في قومٍ لم يعرفوا هذا الاسمَ مِنَ الثَّنَويَّةِ والمجوسِ وغيرِهِم.

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُنا﴾؛ بالياءِ؛ أي: أنسجدُ لمسيلمةَ؟ فإنَّا لا نعرفُ مِنَ الرَّحمنِ إلَّا مسيلمةَ.

وعلى ما تقدَّمَ؛ أي: أنسجدُ لِمَا يأمرُ بهِ محمَّدٌ ونحن لا نَعرفُ ذلكَ المسجودَ لهُ؟

وقيلَ: أي: أنسجدُ لأمرِ محمَّدٍ لنا بالسُّجودِ لِمَا لا نعرفُ.

وقيلَ[٢]: ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالتَّاءِ للمخاطبةِ.

وقيلَ: إنَّما قالوا على طريقِ الاستهزاءِ: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ حتَّى نسجدَ لهُ؟!

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٣).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «وقرئ». وقد قرأ بالياء حمزة والكسائي، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٦١) - ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾.

قولُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾؛ أي: بروجَ النَّجومِ؛ أي: منازِلَها الاثنَي عشرَ، كلُّ برجٍ منها منزلانِ ونصفٌ مِن منازلِ القمرِ.

وقالَ مجاهدٌ: البروجُ: النَّجومُ الكبارُ(١).

قالَ الزَّجَّاجُ: سُمِّيَتِ الكواكبُ بُروجاً لظهورِها وارتفاعِها، والبَرَجُ: تَباعُدُ ما بين الحاجبَينِ(٢)، وبَرَج فلانٌ؛ أي: ظَهَر.

وقيلَ: هيَ قصورٌ فيها الحرسُ.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾؛ أي: جعلَ معَ البروجِ سِراجاً؛ أي: شمساً كالسِّراجِ بالنَّهارِ يستضيئونَ بها؛ كما قالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾؛ أي: قمراً باللَّيلِ مُضيئاً كضوءِ الشَّمسِ بالنَّهارِ.

وقرأَ حمزةُ: ﴿سُرُجاً﴾ على الجمع(٣).

ثمَّ؛ قيلَ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي: في البروجِ؛ لأنَّ الشَّمسَ والقمرَ مِنَ البروجِ؛ أي: جعلَ في جملتِها، وقيلَ: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في السَّماءِ.

***

---

(١) رواه الطبري بهذا اللفظ في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٣) عن أبي صالح، وروى عقبه على أنه من المعنى نفسه عن مجاهد قوله: «الكواكب».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٣).

(٣) وقرأ بها الكسائي أيضاً، والباقون: ﴿سراجاً﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٦٢) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾؛ أي: مُختلفَين إلى النَّاسِ يجيءُ كلُّ واحدٍ حيناً ويذهبُ حيناً، ولم يجعلْ واحداً منهُما سَرْمداً؛ ليعلمَ النَّاسُ عددَ السِّنينَ والحسابَ، وليكونَ النَّهارُ للتَّصرُّفِ، واللَّيلُ للسُّكونِ.

قالَ أبو عبيدةَ: الخلفةُ: [كلُّ شيءٍ] بعدَ شيءٍ، فكلُّ واحدٍ مِنَ اللَّيلِ والنَّهارِ يَخلفُ صاحبه[١].

ويُقالُ للمبطونِ: أصابَهُ خِلفةٌ؛ أي: قيامٌ وقعودٌ يخلفُ هذا ذاكَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: مَن فاتَهُ شيءٌ مِنَ الخيرِ باللَّيلِ أدركَهُ بالنَّهارِ، ومَن فاتَهُ بالنَّهارِ أدركَهُ باللَّيل[٢].

وقيلَ: أي: يتعاقبانِ في الضِّياءِ والظَّلامِ، والزِّيادةِ والنُّقصانِ.

وقيلَ: هوَ مِن بابِ حذفِ المضافِ؛ أي: جعلَ اللَّيلَ والنَّهارَ ذوَيْ خلفةٍ؛ أي: اختلافٍ.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾؛ أي: يتذكَّرَ فيعلمَ أنَّ اللهَ لم يجعلْهُ كذلكَ عبَثاً.

وقرأَ حمزةُ: ﴿لِمَنْ أرادَ أنْ يَذْكُرَ﴾ بالتَّخفيفِ[٣]؛ أي: يَذكُرَ ما نسيَهُ في أحدِ الوقتَينِ في الوقتِ الآخرِ، أو ليذكرَ تنزيهَ اللهِ وتسبيحَهُ فيهِما.

وقيلَ: ﴿يَذْكُرَ﴾ و﴿يَذَّكَّرَ﴾ بمعنًى واحدٍ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٤٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ يُقالُ: شكرَ يشكرُ شُكراً وشُكوراً؛ مثلُ: كفرَ يكفرُ كُفراً وكُفوراً، وهذا الشُّكرُ على أنَّهُ جعلَهُما قِواماً لمعاشِهِم، وكأنَّهُم لمَّا قالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؟ قالَ: هوَ الَّذي يقدرُ على هذهِ الأشياءِ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾: لمَّا ذكرَ جهالاتِ المشركينَ وطعْنَهُم في القرآنِ والنُّبوَّةِ ذكرَ عبادةَ المؤمنينَ أيضاً، وذكرَ صفاتِهِم؛ أي: عبادُهُ في الحقيقةِ همُ المؤمنونَ الَّذي صفتُهُم كذا، وأضافَهُم إلى عبوديَّتِهِ تشريفاً لهُم؛ أي: عبادُهُ الَّذينَ رضيَ عنهُم، وكأنَّ مَن لم يُطِعْ فقد أخرجَ نفسَهُ عنِ العبوديَّةِ، وهوَ كما أنَّ مَن لم يَشغلْ سمعَهُ وبصرَهُ ولسانَهُ وعقلَهُ بما أمرَهُ اللهُ سمَّاهُ أصمَّ أعمى أبكمَ، وجعلَهُ مِنَ الأنعامِ، وكأنَّهُ قالَ: وعبادُ الرَّحمنِ همُ الَّذينَ يمشونَ على الأرضِ، فحذفَ (هم)؛ كقولِكَ: زيدٌ الأميرُ؛ أي: زيدٌ هوَ الأميرُ.

﴿هَوْنًا﴾ الهَونُ: مصدرُ الهيِّنِ؛ وهوَ مِنَ السَّكينةِ والوقارِ، وفي التَّفسيرِ: يمشونَ على الأرضِ حلماءَ متواضعينَ، يمشونَ في اقتصادٍ(١).

وقيلَ: لا يتكبَّرونَ على النَّاسِ.

وانتصبَ ﴿هَوْنًا﴾ لأنَّهُ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: يمشونَ مشياً هَوناً.

وقيلَ: لا يمشونَ لإفسادٍ ومعصيةٍ، بل في طاعةِ اللهِ تعالى والأمورِ المباحةِ

---

(١) انظر: «البسيط» (١٦/ ٥٧٣) عن الحسن وعطاء والضحاك ومقاتل.

مِـن غيرِ هَزْلٍ، فقد قالَ اللهُ تعالـى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾؛ أي: قالوا سلاماً مِنَ القولِ، وسداداً مِنَ النُّطقِ؛ أي: يصونونَ أنفُسَهُم عن مشاتمةِ السُّفهاءِ.

وقالَ الكَلبيُّ: نسخَها آيةُ القتالِ(١).

وقيلَ: ﴿سَلَـٰمًا﴾؛ أي: قولاً يسلمونَ فيهِ مِنَ الإثمِ، ولا حاجةَ إلى دعوى النَّسخِ.

وقيلَ: الخبرُ قولُهُ في آخرِ السُّورةِ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥].

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ ذكرَ نهارَهُم إذا خرجوا، ثمَّ ذكرَ ليلَهُم؛ أي: يتهجَّدونَ باللَّيلِ قِياماً، والبيتوتةُ: دخولُكَ في اللَّيلِ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَن صلَّى ركعتَينِ أو أكثرَ بعدَ العشاءِ فقد باتَ للهِ ساجداً وقائماً(٢).

﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: فـي وقتِ السُّـجودِ ﴿وَقِيَـٰمًا﴾؛ أي: علـى أرجُلِهِم في وقتِ القيامِ.

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٧٤). وزاد الثعلبي نسبته لأبي العالية.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٧٨).

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: هُم معَ طاعاتِهم مُشفِقونَ مِن عذابِ اللهِ، فقيلَ: أي: يقولونَ ذلكَ في سجودِهِم وقيامِهِم في الصَّلاةِ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: هَلاكاً.

وقيلَ: إنَّ عذابَها كانَ لازماً، ومنهُ: رجلٌ مُغرمٌ بالحبِّ، ومُغرَمٌ مِنَ الغُرمِ[1] والدَّينِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الغرامُ أشدُّ العذابِ[2].

قولُهُ: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي: يتعوَّذُونَ مِن جهنَّمَ وعذابِها على عِلْمٍ منهُم بأنَّها بئسَ المقامُ، وإذا قالوا عن علمٍ كانوا أعرفَ بعظيمِ قَدْرِ ما يطلبونَ، فيكونُ ذلكَ أقربَ في النُّجْحِ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾؛ أي: لم يجاوِزُوا الحدَّ ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾.

قُرِئَ: ﴿يُقْتِرُوا﴾ بضمِّ الياءِ مِن: أَقْتَرَ، وقُرِئَ: ﴿لم يَقْتُرُواْ﴾: مثلَ: نصرَ ينصُرُ، و﴿لم يَقتِروا﴾ مثلَ: ضرَبَ يضرِبُ[3]، والمعنى: لم يُضيِّقُوا.

---

(١) في الأصل: «الغرام»، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٥).

(٣) قرأ بفتح الياء وكسر التاء ابن كثير وأبو عمرو، وبفتح الياء وضم التاء عاصم وحمزة والكسائي، وبضم الياء وكسر التاء نافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

وقيـلَ: أقتـرَ؛ أي: افتقـرَ، والمُقْتِـرُ: الفقيـرُ؛ أي: لم يَفتقِـروا فـي إنفاقِهم؛ لأنَّ المسـرفَ مُشـرفٌ علـى الافتقـارِ، والمعنى: يكـونُ إنفاقُهـم على حُكـمِ الاقتصادِ.

وقالَ عمرُ: مِنَ السَّرفِ أن لا يشتهيَ الرَّجلُ شيئاً إلَّا أكلَهُ(١).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَن أنفقَ مئةَ ألفٍ في حقٍّ فليسَ بسرفٍ، ومَن أنفقَ درهماً في غيرِ حقِّهِ فهوَ مُسرِفٌ، ومَن منعَ مِن حقٍّ فقد قترَ(٢).

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾؛ أي: بينَ الإسرافِ والإقتارِ، والقَوَامُ مِنَ العيشِ: ما أقامَكَ وأغناكَ، وقَوَامُ الجسمِ: تمامُهُ.

* * *

(٦٨ ـ ٧١) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: نزلَتْ في قومٍ مِنَ المشركينَ قتلوا فأكثروا، وزنَوا فأكثروا، ثمَّ قالوا للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: إنَّ ما تدعو إليهِ لَحسنٌ لو تخبِرُنا أنَّ لِمَا عمِلْنا كفَّارةً(٣).

وقالَ ابنُ مسعودٍ: قلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أيُّ الذَّنبِ أعظمُ؟ فقالَ: «أنْ تجعلَ للهِ ندًّا وهوَ خلقَكَ»، فقلْتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قالَ: «أن تقتلَ ولدَكَ مخافةَ أن يَطعمَ معَكَ»، قلْتُ

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٠٠) عن الحسن.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٨٦) من رواية الضحاك عن ابن عباس.

(٣) رواه البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

ثمَّ أيٌّ؟ قالَ: «أن تُزانيَ حليلةَ جارِكَ»، فأنزلَ اللهُ تصديقَها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[١].

وفي روايةٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: أتى وحشيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: أتيتُكَ مُستجيراً فأَجِرْني حتَّى أسمعَ كلامَ اللهِ، فقالَ: «قد كنتُ أحبُّ أن أراكَ على غيرِ جوارٍ، فأمَّا إذْ أتيتَ مُستجيراً فأنتَ في جواري حتَّى تسمعَ كلامَ اللهِ»، فقالَ: فإنِّي أشركْتُ باللهِ، وقتلْتُ النَّفسَ الَّتي حرَّمَ اللهُ، وزنيتُ، فهل يَقبلُ اللهُ توبتي؟ فصمَتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ، فنزلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، فتلاها عليهِ رسولُ اللهِ، فقالَ: أرى شرطاً، فلعلِّي لا أعملُ عملاً صالحاً، أنا في جوارِكَ حتَّى أسمعَ كلامَ اللهِ، فنزلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدعا بهِ فتلاها عليهِ، فقالَ: فلعلِّي ممَّن لا يشاءُ، أنا في جوارِكَ حتَّى أسمعَ كلامَ اللهِ، فنزلَ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣]، فقالَ: الآنَ لا أرى شرطاً، فأسلمَ[٢].

﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: بيَّنَ أنَّ الحربيَّ مباحُ الدَّمِ إلَّا بالحقِّ؛ أي: بما يحقُّ أن تُقتلَ بهِ النُّفوسُ: مِن كفرٍ بعدَ إيمانٍ، أو زناً بعدَ إحصانٍ، أو قتلِ نفسٍ بغيرِ نفسٍ.

﴿وَلَا يَزۡنُونَ﴾ فيستبيحونَ الفروجَ بغيرِ نكاحٍ ولا مِلكِ يمينٍ، ودلَّتِ الآيةُ على أنَّهُ ليسَ بعدَ الكفرِ باللهِ شيءٌ أعظمُ مِنَ قتلِ النَّفسِ بغيرِ الحقِّ، ثمَّ الزِّنا، ولهذا ثبتَ في حدِّ الزِّنا القتلُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): فيه أبينُ بن سليمان وهو ضعيف.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما قدَّمْنا ذكرَهُ، فلهذا ذكرَ ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي: عقوبةً، يُقالُ: لقيَ فلانٌ أثامَ ذلكَ؛ أي: جزاءَهُ.

وقال الفرَّاءُ: يقالُ: أَثَمه اللهُ يَأْثِمُه إثماً وأَثاماً؛ أي: جازاه جزاءَ الإثم، والعبدُ مأثومٌ؛ أي: مجزيٌّ جزاءَ إثمه(١).

وقال الخليلُ وسيبويه: أي: يَلْقَ جزاءَ الأَثَامِ(٢).

وفي التفاسير: أثامٌ وادٍ في جهنمَ من قيحٍ ودمٍ فيه حياتٌ وعقاربُ في فقارِ إحداهن سبعون قُلَّةَ سمٍّ، والعقربُ منها مثلُ البغلةِ المُوْكَفة(٣).

ورَوَى أبو أُمامةَ الباهليُّ عن النبيِّ ﷺ قال: «الغيُّ والأثامُ بئرانٌ يسيلُ فيهما صديدُ أهلِ النار»(٤).

قولُهُ: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ ﴿وَيَخْلُدْ﴾ بالجزمِ فيهما على البدلِ مِنَ الفعلِ الَّذي هوَ جزاءُ الشَّرطِ وهوَ ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي: يلقَ تضعيفَ العذابِ.

وقُرِئَ: ﴿يضاعفُ﴾ بالرَّفعِ فكأنَّه قطعَ ممَّا قبلَهُ واستُؤنِفَ.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ١١٧)، و«البسيط» (١٦/ ٥٩١). ولم أجده في «معاني القرآن» للفراء.

(٢) انظر قولهما في «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٦)، وعنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٩٢). وانظر: «الكتاب» (٣/ ٨٧).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٨)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٣٧)، من قول شفي بن ماتع الأصبحي.

(٤) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ص: ٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٣١)، ولفظه: «بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل جهنم، فهذا الذي ذكر الله في كتابه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] و﴿أَثَامًا﴾». قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٤٦): «هذا حديث غريب ورفعه منكر».

وقُرِئَ: ﴿يُضعَّفُ﴾ بالتَّشديدِ [و]رفعِ الفاءِ(١).

قولُهُ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: إنَّما يَلْقى العذابَ مَن لقيَ اللهَ مُصرًّا على هذهِ الأجرامِ، فأمَّا مَن تابَ فإنَّ اللهَ يقبلُ توبتَهُ.

ونزلَتِ الآيةُ لـمَّا قالَ المشركونَ: ما يُغني عنَّا الإسلامُ؟ فقد عدَلْنا باللهِ، وقتلْنا، وارتكبْنا الفواحشَ(٢).

وقيلَ: قالوا: كيفَ نتَّبعُكَ وأنتَ تقولُ: «مَن أشركَ أو زنى أو قتلَ فهوَ في النَّارِ»؟ فنزلَتِ الآيةُ(٣).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هذهِ الآيةُ منسوخةٌ بقولِهِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣](٤).

وقالَ مرَّةً: الَّذي في هذهِ السُّورةِ فيمَن كانَ مُشركاً ثمَّ آمنَ، فأمَّا المسلمُ إذا قتلَ فلا توبةَ لهُ(٥).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ أي: يُبـدِّلُ بقبائـحِ أعمالِهِم في الشِّـركِ محاسـنَ الأعمالِ في الإسـلامِ، فيُبدِّلُ بالشِّـركِ إيمانـاً، وبقتلِ المؤمنِ قتـلَ الكفَّارِ، وبالزِّنا عفَّـةً وإحصاناً.

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفعلين والباقون بجزمهما، وابن كثير وابن عامر على أصلهما في الفعل الأول يحذفان الألف ويشددان العين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٧٦٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٢) عن السدي.

(٤) رواه مسلم (٣٠٢٣/ ٢٠).

(٥) رواه البخاري (٣٨٥٥)، ومسلم (٣٠٢٣/ ١٩).

وقيلَ: يمحو اللهُ السَّيِّئَةَ عنِ العبدِ، ويُثبتُ لهُ بدلَها الحسناتِ يومَ القيامةِ؛ وفي الخبرِ: ليتمنَّيَنَّ أقوامٌ أنَّهُم أكثروا مِنَ السَّيِّئاتِ، قيلَ: مَن هُم؟ قالَ: «الَّذينَ بدَّلَ اللهُ سيِّئاتِهِم حسناتٍ»[١].

وقيلَ: أي: إذا وافوا ربَّهُم مؤمنينَ وجدوا بدلَ قبائحِ أعمالِهِم في الكفرِ حسناتٍ في ديوانِهِم.

وقيلَ: أي: يَغفرُ اللهُ لهُم تلكَ السَّيِّئاتِ[٢]، لا أن يَقلبَها حسناتٍ.

وقيلَ: اسمُ السَّيِّئةِ يقعُ على العقابِ، واسمُ الحسنةِ على الثَّوابِ؛ كما قالَ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]؛ أي: بالعذابِ، فقد قالَ في موضعٍ آخرَ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧]، فالمعنى: يرحمُهُم ويغفرُ لهُم ويثيبُهُم بدلَ العقابِ.

وفي الخبرِ: «مَن أحسنَ في الإسلامِ لم يؤاخَذْ بما عملَ في الجاهليَّةِ، ومَن أساءَ في الإسلامِ أُخذَ بالأوَّلِ والآخِرِ»[٣].

واعلمْ أنَّ مَن قتلَ مُسلماً متعمِّداً بغيرِ حقٍّ وتابَ فهوَ داخلٌ في قولِهِ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، وإذا كانَ الكفرُ يزولُ بالتَّوبةِ فالقتلُ بذلكَ أحقُّ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم، ورمز له السيوطي بالصحة كما في «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٣٥١).

(٢) وقع بعدها في الأصل: «قيلَ: مَن هُم؟ قالَ: الَّذين بدَّلَ اللهُ سيِّئاتِهِم حسناتٍ، وقيلَ: أي: إذا وافَوا ربَّهُم مؤمنينَ وجدوا بدلَ قبائحِ أعمالِهِم في الكفرِ حسناتٍ في ديوانِهِم، وقيلَ: أي: يغفرُ اللهُ لهُم تلكَ السَّيِّئاتِ». وهو تكرار ولعله سبق نظر من الناسخ.

(٣) رواه البخاري (٦٩٢١)، ومسلم (١٢٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ والضَّحَّاكُ وجماعةٌ: هذه[(١)] الآيةُ فيمَن تابَ عنِ الشِّركِ وآمنَ، فالإسلامُ يجبُّ ما قبلَهُ، فأمَّا المسلمُ إذا قتلَ مُسلماً عمداً فلا توبةَ لهُ.

وهذا غيرُ بعيدٍ لو صحَّ فيهِ خبرٌ[(٢)]، فإنَّ قَبولَ التَّوبةِ لا يجبُ عقلاً، فلو وردَ خبرٌ مقطوعٌ بهِ بأنَّهُ لا يُقبلُ توبةُ شخصٍ على التَّعيينِ، أوِ التَّوبةُ مِن كبيرةٍ على التَّعيينِ، لم يَبعدْ في العقلِ.

قولُهُ: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾: لا يُقالُ: «مَن قامَ فإنه يقومُ» فكيف قال: ﴿وَمَن تَابَ.. فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ﴾؟

قال ابن عباسٍ: أي: مَن آمَنَ مِن أهل مكةَ وهاجَرَ ولم يكنْ قَتَل وزَنَى، بل عَمِل صالحاً وأدَّى الفرائضَ ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾؛ أي: فإنِّي فضَّلْتُهم وقدَّمْتُهم على مَن قاتَلَ النبيَّ ﷺ واستَحَلَّ المحارم[(٣)].

فالمعنى: مَن آمنَ ولم يكنْ ممَّن قتلَ وزنى فهوَ مُقدَّمٌ على مَن قتلَ وزنى ثمَّ تابَ وآمنَ.

وقالَ القَفَّالُ: يحتملُ أن تكونَ الآيةُ الأولى فيمَن تابَ مِنَ المشركينَ، ولهذا

---

(١) في الأصل: «أهل هذه»، والصواب المثبت.

(٢) وقد صح عن ابن عباس حيث هو مروي في الصحيحين كما تقدم، لكنه موقوف وليس مرفوعاً، ثم إنه محمول على التغليظ والتحذير؛ وقال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٨/ ١٥٩): وروي عنه ـ أي: ابن عباس ـ أن له توبة وجواز المغفرة له؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم، وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل والتورية في المنع منه.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٩٨) من رواية عطاء عن ابن عباس.

قالَ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ ثمَّ عطفَ عليهِ مَن تابَ مِنَ المسلمينَ، وأتبعَ توبتَهُ عملاً صالحاً؛ أي: فلهُ حكمُ التَّائبينَ أيضاً، فيُبدِّلُ اللهُ سيِّئاتِهِ حسناتٍ.

وقيلَ: نزلَتِ الأولى في أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ لـمَّا تابوا مِن ذنوبِهِمُ السَّابقةِ في حالِ الشِّركِ؛ مِن قتلٍ أو زناً، ثمَّ قالَ: ومَن تابَ منكُم أيُّها المشركونَ بعدَ نزولِ هذهِ الآيةِ مِن شركِهِ وعملَ صالحاً في إيمانِهِ فإنَّهُ تائبٌ، ولهُ الحكمُ السَّابقُ أيضاً مِن تبديلِ السَّيِّئاتِ بالحسناتِ، فكأنَّهُ قالَ: قبلْنا توبةَ أصحابِ النَّبيِّ ممَّا صدرَ عنهُم في حالِ الشِّركِ مِنَ الكبائرِ، وكلُّ مَن تابَ بعدَهُم فتُقبلُ توبتُهُ أيضاً.

وقيلَ: أي: مَن تابَ عن ذنوبِهِ فإنَّهُ يرجعُ إلى ثوابِ اللهِ وإحسانِهِ، والتَّوبةُ الرُّجوعُ، فالتَّوبةُ الأولى رجوعٌ عنِ الشِّركِ والمعاصي، والثَّانيةُ رجوعٌ إلى اللهِ للجزاءِ، قالَ اللهُ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]: أي: إليهِ رجوعي.

وقيلَ: أي: مَن تابَ بلسانِهِ ولم يحقِّقْ ذلكَ بفعلِهِ فليسَتْ تلكَ التَّوبةُ نافعةً، بلى مَن تابَ وعملَ صالحاً فحقَّقَ توبتَهُ بالأعمالِ الصَّالحةِ فهوَ الَّذي تابَ إلى اللهِ مَتاباً؛ أي: تابَ حقَّ التَّوبةِ.

﴿مَتَابًا﴾: هوَ تأكيدٌ بالمصدرِ؛ كقولِهِ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ أي: فإنَّهُ يتوبُ إلى اللهِ حقًّا، فيَقبلُ اللهُ توبتَهُ حقًّا.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾: هذا مِن صفاتِ المؤمنينَ؛ أي: لا يحضرونَ الكذبَ والباطلَ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الزُّور: الشركُ[١]، وفي روايةٍ: أعيادُ المشركين[٢].

والزُّورُ في اللُّغةِ: الكذبُ.

وقالَ ابنُ الحنفيَّةِ: الزُّورُ هاهنا الغناءُ[٣].

وقيلَ: أي: لا يحضرونَ مجالسَ الخنا.

وقيلَ: يعني: شهادةَ الزُّورِ.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ﴾: اللَّغوُ: ما يُلغَى ويُطَّرحُ، وهوَ المعاصي كلُّها.

﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾؛ أي: لا يرضونَهُ، ولا يمالئونُ أهلَهُ؛ أي: مرُّوا مِنَ الكرامِ الَّذينَ لا يدخلونَ في الباطلِ، ويُقالُ: تكرَّمَ فلانٌ عمَّا يَشينُهُ؛ أي: تنزَّهَ وأكرمَ نفسَهُ عنهُ.

وقيلَ: أي: إذا سمعوا مِنَ الكُفَّارِ الشَّتمَ والأذى مرُّوا مُعرِضينَ؛ كقولِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

وقالَ مجاهدٌ: كانوا إذا أتَوا على ذكرِ النِّكاحِ كَنَوا عنهُ[٤]، وهذا إذا اقتضَى الحالُ الإعراضَ.

وقيلَ: [من] المرورُ باللَّغوِ كريماً: أنْ[٥] يأمرُ بالمعروفِ وينهى عنِ المنكرِ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٩٨) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) رواه عن ابن عباس الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٧) عن الضحاك. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٠٤) عن مجاهد.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٢) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٤)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٩).

(٥) في الأصل: «أي»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (١٥/ ٤٨٦)، وما بين معكوفتين منه.

(٧٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: إذا قُرِئَ عليهِمُ القرآنُ ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾؛ أي: لم يعملوا ما يعملُهُ الأصمُّ الأعمى، بل أنكروا بقلوبِهِم؛ كما قالَ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقيلَ: أي: إذا تُلِيَتْ عليهِم آياتُ اللهِ وَجِلَتْ قلوبُهُم فخرُّوا سُجَّداً وبُكيّاً، ولم يخرُّوا عليها صُمّاً وعمياناً.

وقالَ الفَرَّاءُ: أي: لم يقعدوا على حالِهِمُ الأُولى كأنْ لم يسمعوا[1].

وقيلَ: هوَ كقولِكَ للشَّيءِ تفهمُهُ: قد وقعتُ عليهِ؛ أي: لم يكنِ استماعُهُم لها استماعَ مَن [لا][2] يَفهمُ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

قولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾؛ أي: مِن نسائِنا ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾؛ أي: أولادِنا، والذُّرِّيَّةُ يكونُ واحداً وجمعاً، وكونُها للواحدِ قولُهُ: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، وهوَ كقولِهِ: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى﴾ [مريم: ٥ ـ ٦]، وكونُها للجمعِ قولُهُ: ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ [النساء: ٩].

قُرِئَ: ﴿وذُرِّيَّتِنا﴾ وأرادَ الجمعَ، وقُرِئَ: ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾[3] وهوَ كما يُجمعُ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٤).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قرأ بالأولى أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي، والباقون بالثانية. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

القـومُ علـى أقـاومَ، والرَّهـطُ علـى أراهـطَ، وقـد يُجمـعُ بالألـفِ والتَّـاءِ والـواوِ والنُّـونِ الجمـوعُ المكسـرةُ؛ كقولِهـمُ: الجـدراتُ والطُّرقـاتُ، وفي الخبـرِ: «إنَّكُنَّ صواحبـاتُ يوسـفَ»[(١)].

﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لم يقلْ: قرَّاتِ أعينٍ؛ لأنَّهُ فعلٌ[(٢)]، والفعلُ لا يكادُ يُجمعُ، ولهذا قالَ: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]، والقرَّةُ مصدرٌ، تقولُ: قرَّتْ عينُكَ قرَّةً؛ أي: اجعلْ مِن ذرِّيَّاتِنا أبراراً أتقياءَ تقرُّ بهِم أعينُنا.

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: طلبوا الرِّياسةَ في الدِّينِ؛ أي: بحيثُ يُقتدَى بنا في الدِّينِ ليكثرَ أجرُنا، فإنَّ مَن سنَّ سنَّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عملَ بها إلى القيامةِ.

وقالَ: ﴿إِمَامًا﴾، ولم يقلْ: أئمَّةً؛ كما قالَ: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] للاثنَينِ، فهوَ مِنَ الواحدِ الَّذي أُريدَ بهِ الجمعُ.

وقالَ الأخفشُ: الإمامُ: جمعُ آمٍّ، مِن أمَّ يَؤُمُّ، جُمِعَ على فِعالٍ؛ نحوُ: صاحِبٍ وصِحابٍ.

وقيلَ: الإمامُ مصدرٌ سُمِّيَ بهِ، يُقالُ: أمَّ فلانٌ فلاناً إماماً؛ كقولِكَ: قامَ قِياماً، وصامَ صِياماً.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٧٠٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وهو عند البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠)، لكن بلفظ: «صواحب». ورواه ابن ماجه (١٢٣٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. وهو عند البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨)، لكن بلفظ: «صواحب». وورد لفظ «صواحبات» في حديث آخر عند البخاري (١١٥) عن أم سلمة رضي الله عنها، وفيه: «أيقظوا صواحبات الحُجَرِ».

(٢) أي: مصدر. انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٤٨٩).

وقيلَ: أي: واجعلْ كلَّ واحدٍ منَّا إِماماً؛ كما قالَ: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: كلَّ واحدٍ.

وقيلَ: هوَ مِن بابِ القلبِ؛ أي: اجعلْنا مؤتمِّينَ بمَن قبلَنا؛ أي: اجعل[1] المتقينَ لنا إماماً، فقيلَ: اجعلْنا إماماً للمُتَّقينَ، ومِن ضرورتِهِ أن يتبعَ المتَّقينَ حتَّى يصلحَ لأنْ يقتديَ بنا المتَّقونَ.

وقيلَ: دعَوا لِمَن لم يُسلمْ بعدُ مِن أهليهِم؛ أي: وفِّقْهُم للإيمانِ.

ثمَّ؛ قيلَ: قرَّةُ العينِ: بردُ دمعِها، فإنَّ دمعَ السُّرورِ باردٌ، ودمعَ الحزنِ حارٌّ.

وقيلَ: قرَّةُ العينِ: نومُها؛ لأنَّ النَّومَ يكونُ معَ ذهابِ الحزنِ والآلامِ.

وقيلَ: أي: واجعلْنا للمُتَّقينَ إماماً في الآخرةِ نَقْدمُهُم إلى الجنَّةِ.

* * *

(١) تحرفت في الأصل إلى: «اجعلنا» والتصويب من المصادر. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٥١١)، و«البسيط» (١٦/ ٦١٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٤٩٠)، ونسبوه لمجاهد. وروى معناه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٠٤)، وسعيد بن منصور في «سننه» (١٦٤٩ ـ تكملة التفسير)، وزهير بن حرب في «العلم» (٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٢)، بلفظ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال: «مُؤتَمِّين بهم مُقتدين بهم»، زاد ابن منصور: «نقتدي بمَنْ كانَ قبلَنا حتى يأتمَّ بنا مَن خَلْفَنا». وإسناده صحيح، وليس فيه التصريح بالقلب كما تأوله من تأوله.
وقد ذكر القول بالقلب الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤) وعده من الغرائب. وذكره أيضاً ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٢٦) ثم رده بقوله: وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهباً؛ لأن الشعراء تقلب اللفظ، وتزيل الكلام، على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت... والله تعالى لا يغلط ولا يضطر.

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: يُجزونَ بأفعالِهِمُ الجميلةِ في الجنَّةِ، والغرفةُ: العِلِّيَّةُ، وكلُّ بناءٍ عالٍ مرتفعٍ غرفةٌ، وأصلُها مِنَ الغَرْفِ وهوَ القطعُ والفصلُ، وغَرَفْتُ ناصيتَهُ؛ أي: قطعْتُها، فالغرفةُ: بيتٌ مقطوعٌ مِن غيرِهِ بعلوِّهِ وارتفاعِهِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريدَ غرفَ الزَّبرجدِ والدُّرِّ والياقوتِ[1].

وقيلَ: الغرفةُ: الجنَّةُ.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: عنِ المعصيةِ، وعلى الطَّاعةِ.

﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾: قُرِئَ بالتَّشديدِ، وقُرِئَ: ﴿يَلْقونَ﴾ بالتَّخفيفِ[2].

﴿تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾؛ أي: مِن قِبَلِ اللهِ، وهما بمعنًى واحدٍ.

وقيلَ: يُحيِّي بعضُهُم بعضاً بالسَّلامِ.

وقيلَ: سلَّمَ اللهُ أمرَهُم، وتجاوزَ عنهُم، وأسمعَهُمُ التَّحيَّةَ.

وقيلَ: تُحيِّيهِمُ الملائكةُ مِن عندِ أنفُسِهِم، ويُبلِّغونَهُم سلامَ اللهِ عليهِم.

قولُهُ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ هوَ حالٌ مِن قولِهِ: ﴿يلقون﴾.

﴿حَسُنَتۡ﴾ الغرفةُ ﴿مُسۡتَقَرّٗا﴾؛ أي: موضعَ قرارٍ ﴿وَمُقَامٗا﴾؛ أي: موضعَ إقامةٍ، وهذا يرجعُ إلى ما في الغرفِ والجنانِ مِنَ الثَّوابِ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٦١٧).

(٢) بفتح الياء وتخفيف القاف قراءة حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ الباقون: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ بضم الياء وتشديد القاف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٥).

(٧٧) ـ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾.

قولُهُ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى﴾ بيَّنَ أنَّهُ لا حاجةَ بهِ إلى الخلقِ، ولكنَّهُ دعا عبادَهُ إلى طاعتِهِ، فمَن كذَّبَ أفضى بهِ التَّكذيبُ إلى عذابٍ لازمٍ، يُقالُ: ما أعبأُ بهذا الأمرِ؟ أي: ما أصنعُ بهِ؟ كأنَّكَ تستحقرُهُ، والعبءُ: الثِّقْلُ، وعبَّأْتُ المتاعَ؛ أي: جعلْتُ بعضَها على بعضٍ، وما عبأْتُ بكذا؛ أي: ما لهُ عندي وزنٌ.

﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أي: لولا دعاؤُهُ إيَّاكُم لتعبدُوهُ؛ أي: أيُّ مقدارٍ لكُم عندَ اللهِ لولا أنَّهُ خلقَكُم لتعبدُوهُ وتوحِّدُوهُ؟!

وقيلَ: لولا عبادتُكُم.

بيَّنَ أنَّ مَن لا يَعبدُ اللهَ فلا وزنَ لهُ.

وقيلَ: ما يعبأُ بعذابِكُم ربِّي لولا ما تدعونَهُ مِن دونِهِ مِنَ الشَّريكِ والولدِ.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الخطابُ لأهلِ مكَّةَ؛ أي: كذَّبْتُم مُحمَّداً ولم تُؤمِنوا ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ هذا التَّكذيبُ ﴿لِزَامًۢا﴾؛ أي: يَلزمُكُم ولا يفارِقُكُم، عنَى القتلَ يومَ بدرٍ.

وقيلَ: عذابَ الآخرةِ.

وقيلَ: فسوفَ يُلزِمُكُمُ العقوبةَ بتكذيبِكُم.

وقيلَ: فسوفَ يكونُ تكذيبُكُم لِزاماً فلا تُرزقونَ التَّوبةَ.

وقالَ أبو عبيدةَ: اللزامُ فصلُ الشَّيءِ(١)، وهوَ ضدُّ اللُّزومِ(٢)؛ أي: فسوفَ يكونُ

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٨٢)، وفيه: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾؛ أي: جزاء وهو الفيصل. وعنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٦٢٥)، ولفظه: ﴿لِزَامًۢا﴾: فيصلا.

(٢) في الأصل: «اللزام»، والصواب المثبت.

[القتل والهلاك، أو العذاب، أو تكذيبكم، على معنى: جزاء تكذيبكم] فيصلاً بينكُم وبينَ المؤمنينَ(١).

وقيلَ: اللِّزامُ: الهلاكُ.

* * *

(١) انظر: «البسيط» (١٦/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦)، وما بين معكوفتين منه.

مِن سُورَةِ الشُّعَرَاءِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

﴿طسٓمٓ﴾: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿طسٓمٓ﴾ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ(١).

وهوَ بعيدٌ؛ إذ لا يُقالُ في الدُّعاءِ: يا طسم.

وقيلَ: هيَ اسمُ السُّورةِ، أوِ اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ.

ثمَّ؛ مِنَ القُرَّاءِ مَن أخفى النُّونَ في (سين)، ومنهُم مَن بيَّنَ؛ لأنَّ حروفَ الهجاءِ في تقديرِ الانفصالِ والانقطاعِ عمَّا بعدَها.

قولُهُ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أشارَ إلى ما تقدَّمَ نزولُهُ، وقيلَ: أي: هذهِ.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾.

قولُهُ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾؛ أي: مُهلِكٌ، يُقالُ: بخعَ نفسَهُ؛ أي: أهلكَها؛ أي: لا تتأسَّفْ عليهِم بعدَما بلَّغْتَ، وإنَّما قالَ هذا لشدَّةِ حرصِهِ على إيمانِهِم، وكثرةِ حزنِهِ على كفرِهِم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٢)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧).

﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لتركِهِمُ الإيمانَ.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾؛ أي: إن شِئنا أنزلْنا آياتٍ تُصيِّرُ معارفَهُم ضروريَّةً، ولكنْ سبقَ الحكمُ بأنْ تكونَ المعارفُ اليومَ نظريَّةً.

﴿فَظَلَّتْ﴾؛ أي: فتظلُّ، تقولُ: إن أتيتَني أكرمْتُكَ؛ أي: أكرِمْكَ، فيوضَعُ الماضي موضعَ المستقبلِ.

﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾ هيَ جمعُ العُنقِ.

﴿خَٰضِعِينَ﴾ لم يقلْ: خاضعةً؛ لرؤوسِ الآيِ، وجازَ ذلكَ؛ لأنَّ الأعناقَ إذا خضعَتْ فأربَابُها خاضعونَ، فتُركَ الخبرُ عنِ الأعناقِ وأُخبرَ عن أربَابِها.

وقيلَ: عُني بالأعناقِ: الرُّؤساءُ والكُبراءُ منهُم؛ أي: ظلَّتْ رؤساءُ القومِ لها خاضعينَ.

وقيلَ: الأعناقُ: الجماعاتُ، يُقالُ: جاءَني عنقٌ مِنَ النَّاسِ.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قولُهُ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾؛ أي: ما يتجدَّدُ نزولُ آيةٍ إلَّا أعرضوا عنهُ، والذِّكرُ هاهنا: القرآنُ؛ كما قالَ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥].

وقيلَ: الذِّكرُ: الرَّسولُ؛ لأنَّهُ كانَ منهُ الذِّكرُ.

قولُهُ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾؛ أي: أعرَضُوا، ومَن أعرضَ عن شيءٍ ولم يقبلْهُ فهوَ تكذيبٌ منهُ لهُ.

﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ﴾ هذا وعيدٌ لهُم؛ أي: فسوفَ يأتيهِمُ العذابُ.

قيلَ: عُني قتلُ يومِ بدرٍ.

وقيلَ: عُني عقابُ الآخرةِ.

وقيلَ: أي: سيكونُ لهذا الأمرِ نبأٌ، وليظهرَنَّ هذا الدِّينُ على سائرِ الأديانِ.

* * *

(٧ ـ ٩) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قولُهُ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ نبَّهَ على ما إذا تأمَّلُوهُ عرَفُوا أنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ، ولهُ أنْ يتصرَّفَ في ملكِهِ بانبعاثِ الرُّسلِ؛ أي: أولم يرَ هؤلاءِ المشرِكونَ كم أنبَتْنا في الأرضِ بعدَ أنْ كانَتْ ميتةً لا نباتَ فيها.

﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾؛ أي: مِن كلِّ صنفٍ مِن أصنافِ النَّباتِ والفواكهِ حسَنٍ طيِّبٍ، يُقالُ: نخلةٌ كريمةٌ؛ أي: طابَ حملُها، أو كثرَ.

وقيلَ: نبَّهَ بهذا على البعثِ؛ أي: مَن قدرَ على هذا قدرَ على ذلكَ.

قولُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾؛ أي: إنَّ فيما ذُكرَ مِنَ الإنباتِ في الأرضِ لَدَلالةً على أنَّهُ قادرٌ لا يعجزُهُ شيءٌ ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: في علمِ اللهِ.

قولُـهُ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أي: هـوَ المنيعُ المنتقِمُ مِـن أعدائِهِ، الرَّحيمُ بأوليائِهِ.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾.

قولُهُ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ عرَّفَنا أنَّهُ قد أرسلَ رسلاً وأُوذوا فصبرُوا، فكانَتِ العاقبةُ المحمودةُ للرُّسلِ؛ أي: واتلُ عليهِم إذ نادى ربُّكَ موسى، أو: واذكرْ إذ نادى ربُّكَ، كما صرَّحَ بِهِ قولُهُ: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقولُهُ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [ص: ٤٥]، وقولُهُ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ [مريم: ١٦].

وقيلَ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ كانَ كذا وكذا.

والنِّداءُ: الدُّعاءُ بـ(يا فلانُ)؛ أي: قالَ ربُّكَ: يا موسى ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾؛ أي: المشرِكينَ الَّذينَ ظلمُوا[١] أنفسَهم بالكفرِ، وظلمُوا بني إسرائيلَ بسومِهِمُ العذابَ.

قولُهُ: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾؛ أي: ائتِ قومَ فرعونَ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ ﴾؛ أي: أَلَا يتَّقونَ عقابَ اللهِ بأنْ يُؤمِنُوا.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

قولُهُ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾؛ أي: في الرِّسالةِ ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾؛ أي: بتكذيبِهِم آياتي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾؛ أي: لا ينبعثُ بالكلامِ، وكانَ في لسانِهِ عُقدةٌ؛ أي: لا ينطلقُ لساني في المحاجَّةِ على ما أحبُّ.

فقولُهُ: ﴿يَضِيقُ ﴾ بالرَّفعِ عطفاً على ﴿أَخَافُ﴾، وقرأَ يعقوبُ: ﴿ويضيقَ﴾ ﴿ولا ينطلقَ﴾ بالنَّصبِ[٢] ردّاً على قولِهِ: ﴿أَن يُكَذِّبُونِ ﴾.

---

(١) بعدها في الأصل: «على»، والصواب المثبت.

(٢) والرفع قراءة باقي العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٥).

﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾؛ أي: أرسلْ إليهِ جبريلَ بالوحيِ، واجعلْهُ رسولاً معي، ولم يقلْ: ليُعينَني؛ لأنَّ المعنى كانَ معلوماً، وقد قالَ في موضعٍ آخرَ: ﴿أرسله مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤]، وكأنَّ موسى أُذِنَ لهُ في هذا السُّؤالِ، ولم يكنْ ذلكَ استعفاءً مِنَ الرِّسالةِ، بل طَلب مَن يعينُهُ.

قولُـهُ: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾؛ أي: قتلْـتُ منهُـمُ القبطـيَّ إذ وكزْتُـهُ فماتَ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ بقَتْلـي إيَّاهُ.

وقيلَ: أي: لهُم عليَّ ذنبٌ بزعمِهِم، أو لهُم عليَّ مطالبةٌ بحقٍّ أو باطلٍ.

* * *

مِنْ سُورَةِ المُمْتَحَنَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾؛ أي: لكُم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ إلَّا في استغفارِهِ لأبيهِ المشركِ، فإنَّ إبراهيمَ إنَّما استغفرَ لموعدةٍ منهُ سبقَتْ، فلمَّا تبيَّنَ لهُ إصرارُهُ على الكفرِ تبرَّأَ منهُ.

وقيلَ: هوَ استثناءٌ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ قولُ إبراهيمَ لأبيهِ: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ إنَّما جرى لأنَّهُ ظنَّ أنَّهُ أسلمَ، فلمَّا بانَ أنَّهُ لم يُسلمْ تبرَّأَ منهُ، وعلى هذا فيجوزُ الاستغفارُ لِمَن يُظنُّ أنَّهُ أسلمَ؛ أي: وأنتُم لم تجدوا مثلَ هذا الظَّنِّ فلِمَ توالونَهُم؟

﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: هذا مِن قولِ إبراهيمَ؛ أي: ما أدفعُ عنكَ عذابَ اللهِ إنْ أشركْتَ بهِ.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾: هذا مِن دعاءِ إبراهيمَ وأصحابِهِ.

وقيلَ: علَّمَ المؤمنينَ أن يقولوا هذا؛ أي: تبرَّؤُوا مِنَ الكُفَّارِ، وتوكَّلُوا على اللهِ، وقولُوا: ربَّنا عليكَ توكَّلْنا.

قولُهُ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: لا تُظهِرْ عدوَّنا علينا، فيفتتنَ بنا الكُفَّارُ ويظنُّوا أنَّهُم على حقٍّ.

وقيلَ: لا تُشمِتْ بنا الكُفَّارَ فيظنُّوا أَنَّهُ إنَّما نالَنا الهمُّ لأنَّا على باطلٍ.

وقيلَ: لا تُسلِّطْهُم علينا فيَفْتِنونا عن دينِنا، وتقول: هذا قدرةُ اللهِ؛ أي: مقدورُهُ، فكذلكَ الفتنةُ مصدرٌ بمعنى المفعولَ.

***

(٦) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

قولُهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾؛ أي: في إبراهيمَ والَّذينَ معَهُ مِنَ المؤمنينَ ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: في التَّبرُّؤِ مِنَ الكُفَّارِ ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ هوَ بدلٌ مِن قولِهِ: ﴿لَكُمْ﴾، وكُرِّرَ ليبينَ أنَّ الاقتداءَ بهِم إنَّما يكونُ ممَّن يرجو اللهَ.

وقيلَ: كُرِّرَ للتَّأكيدِ.

وقيلَ: نزلَ الثَّاني بعدَ الأوَّلِ بمدَّةٍ، وما أكثرَ المكرَّراتِ في القرآنِ على هذا الوجهِ!

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾؛ أي: عنِ الإسلامِ بقَبولِ هذهِ المواعظِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنهُ، وهوَ ﴿حميد﴾ في نفسِهِ وصفاتِهِ.

***

(٧) ـ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قولُهُ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ وهذا بأن يُسلمَ الكافرُ، وقد أسلمَ قومٌ منهُم، وخالطَهُمُ المسلمونَ، ونكحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ أمَّ حبيبةَ، ولانَ لهُم أبو سفيانَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريدُ نفراً مِن قُريشٍ آمَنوا بعدَ فتحِ مكَّةَ؛ كأبي سفيانَ بنِ حربٍ،

وأبي سفيانَ الحارثِ، والحارثِ بنِ هشامٍ، وسهيلِ بنِ عمرٍو، وحكيمِ بنِ حزامٍ[١].

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على إثباتِ المودَّةِ بينكُم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذا تابُوا وأسلمُوا.

قولُهُ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ أرادَ المعاهَدينَ، وهُم خُزاعةُ، وقد أمرَ النَّبيُّ بالوفاءِ لهُم إلى مدَّةِ أجلِهِم.

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ: قدمَتْ قتيلةُ بنتُ عبدِ العُزَّى أمُّ أسماءَ على ابنتِها أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ بهدايا وصِنابٍ وسمنٍ وأَقِطٍ، فلم تقبلْ أسماءُ هداياها، ولم تدخِلْها منزلَها، فسألَتْ لها عائشةُ رسولَ اللهِ عن ذلكَ، فنزلَتْ هذهِ الآيةُ، فأدخلَتْها منزلَها، وقبلَتْ هداياها[٢].

فعلى هذا المرادُ بقولِهِ: ﴿لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: النِّساءُ والصِّبيانُ.

وقيلَ: أرادَ قوماً مِن بني هاشمٍ منهُمُ العبَّاسُ، أُخرِجوا يومَ بدرٍ كرهاً[٣].

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾؛ أي: عن أن تبرُّوا الَّذينَ لم يقاتِلُوكُم في الدِّينِ ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: بالصِّلةِ وغيرِها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: أهلَ البرِّ والتَّواصُلِ.

وقيلَ: أي: أنْ تعدلوا لهُم وتَفُوا بالعهدِ، ويُقالُ: أقسطْتُ الرَّجلَ؛ أي: عاملْتُهُ بالعدلِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٢ ـ ٤١٣).

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٦٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وفيه مصعب بن ثابت وهو ضعيف، وأصله عند البخاري (٥٩٧٨)، ومسلم (١٠٠٣)، عن أسماء رضي الله عنها. الصِّنَاب: الخردل المعمول بالزبيب، وهو صباغ يؤتدم به. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٣٥٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم أجده مسنداً.

وقالَ مجاهدٌ: نزلَتْ في الَّذينَ آمنوا بمكَّةَ ولم يُهاجِروا[١].

والأمرُ بقطعِ الموالاةِ عنِ الكُفَّارِ كانَ تشدُّداً في الدِّينِ، فأمَّا البرُّ والإهداءُ والدَّعوةُ إلى الإسلامِ فلا نهيَ فيها.

قولُهُ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: مَن أمنْتُم جانبَهُ مِنَ النِّساءِ والصِّبيانِ، والمنقطعينَ مِنَ الكُفَّارِ عن إيذاءِ المسلمينَ، فلا نهيَ عنِ البرِّ إليهِم، وعن قَبولِ برِّهِم.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾؛ أي: عن أن تتولَّوْهُم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١).

مِنْ سُورَةِ القَلَمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: لِأَنْ[1] كانَ؛ أي: لا تُطِعْهُ لمالِهِ وبنيهِ.

وقُرِئَ: ﴿أَأَنْ﴾ بهمزتَينِ[2]؛ أي: أَلِأَنْ كانَ ذا مالٍ وبنينَ تطيعُهُ؟ أو: أَلِأَنْ كانَ ذا مالٍ وبنينَ إذا تُتلى عليهِ آياتُنا قالَ: إنَّها أساطيرُ الأوَّلينَ.

وقيلَ: أي: جحدَ آياتِنا لأنْ كانَ ذا مالٍ وبنينَ.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: يُقالُ: وسمْتُهُ وَسْماً، وهوَ علامةٌ تُعرفُ بها الملائكةُ، أو قطعُ أنفٍ أو غيرِها، والخُرطومُ: الأنفُ.

وقيلَ: أي: على شفتِهِ سمةٌ تُشوِّهُ خِلقتَهُ، فيُعرَفُ بها أنَّهُ مِن أهلِ النَّارِ.

وقالَ الفَرَّاءُ: عُبِّر بالأنفِ عن جميعِ الوجهِ؛ كما يُقالُ: أرغمْتُ أنفَهُ، وشمخَ فلانٌ بأنفِهِ، ومعنى الآيةِ: سنسوِّدُ وجهَهُ[3]؛ كما قالَ: ﴿يوم تسود وجوه﴾، فتسودُّ وجوهُ الكفَّارِ، وللوليدِ بنِ المغيرةِ مزيدُ إهانةٍ وسوادٍ يعرَفُ بهِ.

---

(١) في الأصل: «لا»، والصواب المثبت.

(٢) بهمزتين محققتين قرأ بها شعبة وحمزة، وقرأ ابن عامر بهمزة واحدة ممدودة، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٣) بمعناه في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٤).

وقالَ قومٌ: لحقَهُ هذا الوعيدُ في الدُّنيا، وهوَ أنَّهُ قاتلَ يومَ بدرٍ، فخُطمَ بالسَّيفِ في القتالِ(١).

وقيلَ: أي: تشهَّرَ اسمهُ بالقبيحِ؛ كما تقولُ: وسمْتُ فلاناً؛ أي: قلْتُ فيهِ قولاً قبيحاً فيما يُذكرُ بهِ، وقد فعلَ اللهُ بهِ هذا؛ لأنَّهُ ما وُصِفَ في القرآنِ أحدٌ سِواهُ بهذهِ الأوصافِ الذَّميمةِ.

وقالَ النَّضرُ بنُ شُميلٍ: الخُرطومُ: الخمرُ؛ أي: سنعاقِبُهُ أو نحدُّهُ على شربِ الخمرِ(٢).

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾؛ أي: أعطَيْناهُمُ الأموالَ لا ليَبطَرُوا ويستعينُوا بها على معاداةِ الرَّسولِ، لكنْ تعبَّدْناهُم بالشُّكرِ كما تعبَّدْنا أهلَ الجنَّةِ المعروفِ خبرُها عندَهُم.

وذلكَ أنَّها كانَتْ بأرضِ اليمنِ بالقربِ منهُم على فراسخَ مِن صَنْعاءَ(٣)، وكانَتْ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٠٩). وعده الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩) من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٥) عن سعيد بن جُبير قال: «هي أرض باليمن يقال لها: ضَرْوان، من صنعاء على ستة أميال». وقال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: مَرَرْت بها فيما بين صنعاء وقرية عبد الرزاق، فرأيت أنا الأرض، وهي يُقال لها: ضروان، أرض سوداء لا يَنبت فيها شيء، إذا خرجت من آخرها أرض حمراء تعلم أنها محترقة.

ونقل عنه المروذي قوله: هذه مدينة ضروان قد مررت بها، وهي قريبة من عبد الرزاق، رأيتها سوداء حمراء، أثر النار يتبين فيها، ليس فيها أثر زرع ولا خضرة. انظر: «العلل برواية عيد الله» (٥٨٥٥)، و«بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٩).

لرجلٍ يُؤدِّي حقَّ اللهِ منها، فلمَّا ماتَ صارَتْ إلى ولدِهِ، فمَنعُوا النَّاسَ خيرَها، وبخلُوا بحقِّ اللهِ فيها، فأهلكَها اللهُ مِن حيثُ لم يمكنْهُم دفعُ ما حلَّ بها.

أي: بلوْناهُم كما بلَوْنا أصحابَ الجنَّةِ، ثمَّ أهلُ الجنَّةِ لمَّا بَطروا حلَّ بهِمُ العذابُ، كذلكَ هؤلاءِ.

قالَ الكَلبيُّ: كانَ بينَهُم وبينَ صَنْعاءَ فَرسخانِ، ابتلاهُمُ اللهُ بأنْ أحرقَ جنَّتَهُم بالنَّارِ(١).

﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾؛ أي: حلفُوا ليقطعُنَّ ثمرَ نخيلِهِم إذا أصبحوا بسُدْفةٍ مِنَ اللَّيلِ؛ لئلَّا يتنبَّهَ المساكينُ لهُم، يُقالُ: صرمَ العذقَ عنِ النَّخلةِ، وأصرمَ النَّخلُ؛ أي: حانَ وقتُ صرامِهِ.

﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾؛ أي: لم يقولُوا(٢): إنْ شاءَ اللهُ.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٦).

(٢) في الأصل: «لا يقول»، والصواب المثبت. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٧)، و«تفسير أبي الليث السمرقندي» (٣/ ٤٨٣)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٥/ ٢١)، و«تفسير السمعاني» (٦/ ٢٣)، و«تفسير البغوي» (٨/ ١٩٥)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٦٠٧)، وغيرها.
وقد ذكر العلماء في معنى الآية أقوالاً أخر، قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٧): وقيل: المعنى: ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم.
وهذا مروي عن عكرمة كما في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧) أن المعنى: لا يستثنون من المساكين.
وذكر معناه ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٨١) فقال: ومعنى ﴿لَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾: أنَّهم لا يستثنون من الثَّمَرة شيئًا للمساكين، أي: أقسموا لَيَصْرِمُنَّ جميعَ الثَّمَر ولا يتركون منه شيئًا.
ومما قيل في معناها أيضا ما ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٩): ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾: ولا يتوقفون في ذلك، أو: ولا ينثنون عن رأي منع المساكين.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أحاطَ بها النَّار فاحترقَتْ[1].

﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي: على الجنَّةِ.

وقيلَ: أرسلَ عليها ناراً مِنَ السَّماءِ فاحترقَتْ.

وقيلَ: ﴿طَآئِفٌ﴾؛ أي: عذابٌ، والطَّائفُ لا يكونُ إلَّا باللَّيلِ.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾؛ أي: سوداءَ كاللَّيلِ المظلِمِ.

قالَ شمرٌ: الصَّريمُ: اللَّيلُ، والصَّريمُ: النَّهارُ؛ أي: يتصرَّمُ هذا عن ذاكَ، وذاكَ عن هذا[2].

وقيلَ: سُمِّيَ اللَّيلُ صريماً لأنَّهُ يَقطعُ بظلمتِهِ عنِ التَّصرُّفِ، وعلى هذا فَعِيلٌ بمعنى فاعِلٍ.

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّ النَّهارَ يُسمَّى صَريماً ولا يَقطعُ عن تصرُّفٍ.

وقيلَ: الصَّريمُ بمعنى المصرومِ؛ أي: المقطوعِ ما فيهِ.

وقالَ الحسنُ: أي: صُرِمَ عنها الخيرُ، فليسَ فيها شيءٌ[3]. فالصَّريمُ مَفْعولٌ أيضاً.

وقالَ المؤرِّجُ: أي: كالرَّملةِ انصرمَتْ مِن معظَمِ الرَّملِ[4]، يُقالُ: صَريمةٌ وصَرائمُ، فالرَّملةُ لا تُنبتُ شيئاً يُنتفَعُ بهِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٧).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٣١)، و«البسيط» (٢٢/ ٩٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٩).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٩)، وعده الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩) من العجائب.

وقالَ الأخفشُ: أي: كالصُّبحِ انصرمَ مِنَ اللَّيلِ[1].

وقالَ المبرِّدُ: أي: كالنَّهارِ فلا شيءَ فيها، فالصَّريمُ النَّهارُ، ويُقالُ: لكَ سوادُ الأرضِ وبياضُها، فالسَّوادُ العامرُ، والبياضُ الخرابُ[2].

﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ إنَّما قالَ: (أصبحَتْ) وإن طافَ عليها الطَّائفُ؛ لأنَّهُم إنَّما نظروا إليها صباحاً؛ أي: فأصبحَتْ لهُم كالصَّريمِ، ويُقالُ للَّيلِ والنَّهارِ: الأصرمانِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ ينصرمُ عن صاحبِهِ؛ أي: ينقطعُ.

* * *

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: لمَّا أصبحوا قالَ بعضُهُم لبعضٍ: اخرجُوا إلى الثِّمارِ نقطعْها.

﴿أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: الزُّروعَ والثِّمارَ والأعنابَ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾؛ أي: مُتقدِّمينَ[3] على صرامِ النَّخلِ والأعنابِ.

وقيلَ: أرادُوا الغدوَّ إلى جنَّتِهم لحصادِ الزَّرعِ، ثمَّ المُقامَ بها إلى وقتِ القطافِ، فإنَّهُما لا يجتمعانِ في وقتٍ واحدٍ.

و﴿أَنِ﴾ في قولِهِ: ﴿أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: (أي)؛ كما قالَ: ﴿أَنِ ٱمْشُوا﴾ [ص: ٦]: أي امشُوا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٩).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٩).

(٣) قوله: «متقدمين» كذا في الأصل، ولعل الصواب: «مقدمين» بمعنى: عازمين، وهكذا فسرها الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٠٨): أي: إن كنتم عازمين على صرام النخل.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴾.

﴿ فَٱنطَلَقُواْ ﴾؛ أي: ذهبُوا إلى جنَّتِهِم ﴿ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾؛ أي: يُسِرُّونَ الكلامَ بينَهُم حتَّى لا يَعلمَ المساكينُ، وكانَ أبوهُم يخبرُ الفقراءَ والمساكينَ ليَحضروا وقتَ الحصادِ والصِّرامِ.

﴿ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴾؛ أي: يُسرُّونَ هذا القولَ؛ لئلَّا يعلمَ المساكينُ.

* * *

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

(التي استشهد بها المصنف)

الآية	رقم الآية	ج/ ص
سورة يونس		
﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾	١٦	٨/ ٢٢٤
سورة هود		
﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾	٦٣	٨/ ٣٦٤
﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾	١٠١	٨/ ٣٦٤
﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾	١٠٣	٨/ ١٦٩
﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾	١٠٥	٨/ ٨٣
سورة يوسف		
﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	١٢	٨/ ١٧٨
﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾	٩٣	٨/ ١٥
سورة الرعد		
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	١١	٨/ ١٨١، ٢٩٢
﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	٢٤	٨/ ٤٤
سورة إبراهيم		
﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾	٥٠	٨/ ١٩٧
سورة الحجر		
﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦	٨/ ٣
﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾	٢٢	٨/ ٥٣

الآية	رقم الآية	ج/ ص
سورة ص		
﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾	٣٢	٨/ ١٦
﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾	٦٧ ـ ٦٨	٨/ ٧٠
سورة الزمر		
﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾	٧	٨/ ٣١
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٨/ ٨٢
﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾	١٦	٨/ ٦٣
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾	٣١	٨/ ٦٥
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	٣٣	٨/ ٢٧٤
﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾	٣٦	٨/ ٢٦٥
سورة غافر		
﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾	٩	٨/ ٢٢
﴿فَأَطَّلِعَ﴾	٣٧	٨/ ١١٣
﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾	٥٧	٨/ ١٠٣
سورة فصلت		
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾	٩ ـ ١٠	٨/ ١٠٣
﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾	٤٠	٨/ ٣٦٠
﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾	٥٠	٨/ ١١٨
﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾	٥١	٨/ ٣٧٦
سورة الشورى		
﴿إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾	٤٨	٨/ ٢٧٤
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾	٥٢	٨/ ١٨٩

الآية	رقم الآية	ج/ ص
﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾	٣١	٨/ ١٦١
﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾	٣٢	٨/ ٢٩
﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾	٣٥ـ٣٦	٨/ ٢٠٠
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾	٣٨ـ٣٩	٨/ ١٦٢
سورة المعارج		
﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾	١٠	٨/ ١٢٢
﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ﴾	١٧	٨/ ٣٣٦
﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾	١٨	٨/ ٣٣٤
سورة الجن		
﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾	٦	٨/ ٣٨٢
سورة المزمل		
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾	١٤	٨/ ٩٥
سورة المدثر		
﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾	٥٤	٨/ ١١٥
سورة القيامة		
﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٣	٨/ ٢٨٧
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾	٢٤	٨/ ١٤
سورة الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾	١	٨/ ١٧٧، ١٩٧
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾	٣	٨/ ١١٨، ٢٣٨
﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾	٣١	٨/ ٥٢

الآية	رقم الآية	ج/ ص
سورة الأعلى		
﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾	٦	٨/ ١١
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾	١٤	٨/ ١١٥
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾	١٨	٨/ ١١٥
سورة الفجر		
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾	٢٢	٨/ ٨٤
سورة البلد		
﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾	١١	٨/ ١٩
﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا﴾	١٤ـ ١٥	٨/ ٦١، ١٥٣
﴿نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾	٢٠	٨/ ٣٣٧
سورة الشمس		
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾	٥	٨/ ٢٢٥
سورة الليل		
﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾	٣	٨/ ٢٢٤
سورة التين		
﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾	٨	٨/ ٢٦٥
سورة الزلزلة		
﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾	٢	٨/ ١٣٨
سورة القارعة		
﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾	١ـ ٣	٨/ ١٤٧
سورة التكاثر		
﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾	٣ـ ٤	٨/ ٢٦٩

* * *

فهرس الآيات
التي ذُكرت فيها وجوه القراءات المتواترات

رقم الآية	القراءة المتواترة	الجزء والصفحة
٣٣	﴿جِمَٰلَتٌ﴾	٨/ ٦٤
	سورة النبأ	
١	﴿ٱلنَّبَإِ﴾	٨/ ٧٠
٢٣	﴿لَٰبِثِينَ﴾	٨/ ٧٧
٢٥	﴿وَغَسَّاقًا﴾	٨/ ٧٩
٢٨	﴿كِذَّابًا﴾	٨/ ٨٢
٣٧	﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾	٨/ ٨٣
	سورة النازعات	
١١	﴿نَّخِرَةً﴾	٨/ ٩٨
١٦	﴿طُوًى﴾	٨/ ١٠٠
١٨	﴿تَزَكَّىٰ﴾	٨/ ١٠١
	سورة الطلاق	
٣	﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾	٨/ ١٠٨
	سورة الأنفال	
١٨	﴿مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٨/ ١٠٨
	سورة عبس	
٤	﴿فَتَنفَعَهُ﴾	٨/ ١١٣
٦	﴿تَصَدَّىٰ﴾	٨/ ١١٤
٢٥	﴿أَنَّا صَبَبۡنَا﴾	٨/ ١١٩

رقم الآية	القراءة المتواترة	الجزء والصفحة
	سورة الطارق	
٤	﴿لَّمَّا﴾	٨/ ١٨١
	سورة الأعلى	
٣	﴿قَدَّرَ﴾	٨/ ١٨٨
١٦	﴿تُؤْثِرُونَ﴾	٨/ ١٩٤
	سورة الغاشية	
٤	﴿تَصْلَىٰ﴾	٨/ ١٩٨
١١	﴿تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾	٨/ ٢٠١
	سورة الفجر	
٣	﴿وَالْوَتْرِ﴾	٨/ ٢٠٩
٤	﴿يَسْرِ﴾	٨/ ٢١٠
٩	﴿بِالْوَادِ﴾	٨/ ٢١٤
١٥	﴿أَكْرَمَنِ﴾	٨/ ٢١٦
١٦	﴿فَقَدَرَ﴾	٨/ ٢١٧
١٧	﴿تُكْرِمُونَ﴾	٨/ ٢١٧
١٨	﴿تَحَٰضُّونَ﴾	٨/ ٢١٨
٢٥	﴿يُعَذِّبُ﴾	٨/ ٢٢١
٢٦	﴿يُوثِقُ﴾	٨/ ٢٢١
	سورة البلد	
١٣ ـ ١٤	﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾	٨/ ٢٣١

❊ ❊ ❊

فهرس القراءات الشواذ

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة القيامة	
١٠	المَفِرُّ [بكسر الفاء]	٨/ ٩
	سورة المرسلات	
١٧	سنُتبِعُهمُ الآخرين	٨/ ٥٩
١٧	ثمَّ نُتبعْهم [بالجزم]	٨/ ٥٩
٣٣	جُمالاتٌ [بضم الجيم]	٨/ ٦٥
	سورة النبأ	
٢٨	كِذَابًا [بالتخفيف]	٨/ ٨٠
	سورة النازعات	
١٦	طِوى [بكسر الطاء]	٨/ ١٠٠
	سورة عبس	
٢	آنْ جاءَه الأعمى	٨/ ١١٣
	سورة الفجر	
٨	الذي لم يُخلَقْ مثلُهم في البِلادِ	٨/ ٢١٤
٣٠	فادخُلِي فِي عَبدِي	٨/ ٢٢٢

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة الليل	
٣	والذَّكرِ والأنثى	٨/ ٢٤٦
	سورة التين	
٥	أسفلَ السَّافِلينَ	٨/ ٣٧٥
	سورة البينة	
٥	وما أُمِروا إلَّا أنْ يَعبدُوا الله	٨/ ٣٠٢
٥	وذلكَ الدِّينُ القَيِّمة	٨/ ٣٠٢
	سورة الزلزلة	
٦	ليَرَوا	٨/ ٣٠٧
٧ ـ ٨	يُرَهُ [بضم الياء]	٨/ ٣٠٩
	سورة التكاثر	
١	آلهاكم	٨/ ٣٢٥
	سورة قريش	
١	لإئلافِ قُريشٍ إئلافِهِم	٨/ ٣٤٥
١	إلْفِهِم	٨/ ٣٤٦
	سورة الإخلاص	
١	أحد [بغير تنوين]	٨/ ٣٦٩

* * *

فهرس أسباب النزول

الآية	سبب النزول	ج/ص
سورة القيامة		
﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾	نزلَت في عديٍّ بنِ ربيعةَ، قالَ للنَّبيِّ عليه السّلامُ: حدِّثني عن يومِ القيامةِ، فلما أخبره كذب ولم يؤمن	٨/ ٤
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾	نزلَت في أبي جهلٍ إذ أنكر البعثِ فما صدَّقَ وما صلَّى	٨/ ١٨
سورة الإنسان		
﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾	نزلَتِ في عليٍّ وفاطمةَ رضي الله عنهما نذرا في مرضِ الحسنِ والحسينِ صومَ ثلاثةِ أيّامٍ، فاستقرضوا ثلاثةَ أصواعٍ من شعيرٍ فلـمّا أرادوا الإفطارَ أتاهم مسكينٌ وفي اليومِ الثّاني يتيمٌ وفي الثّالثِ أسيرٌ، فآثروا على أنفسِهم ولم يأكلوا	٨/ ٣٣
﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾	نزلَتِ الآيةُ في أبي جهلٍ	٨/ ٤٨
سورة النازعات		
﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾	نزلَت في النَّضرِ وأبيهِ الحارثِ	٨/ ١٠٦
﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾	نزلَت في مُصعبِ بنِ عُميرٍ، هاجرَ وحضرَ بدراً، ووقى النَّبيّ عليه السَّلامُ في أُحدٍ حينَ تفرَّقَ النَّاسُ عنه	٨/ ١٠٦

الآية	سبب النزول	ج/ ص
	سورة عبس	
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾	نزلَت في ابنِ أمِّ مكتومٍ، وذلكَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كانَ مشغولاً يوماً بمَن حضرَه من وجوهِ قريشٍ يدعوهم إلى الله، فكانَ منهُ ما لو تمَّ لقطعَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ ما كانَ فيهِ من وعظِهِ القومَ، فظهرَت الكراهيةُ في وجههِ عليه السلام لقطعِه كلامَه	٨/ ١١١
	سورة المطففين	
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾	نزلت حين قَدِمَ رسولُ الله عليه السَّلامُ المدينةَ فكانُوا من أخبثِ النَّاسِ كيلاً	٨/ ١٤٣
	سورة الطارق	
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾	نزلَت في أبي طالبٍ، أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فبينا هوَ جالسٌ يأكلُ، إذِ انحطَّ نجمٌ فامتلأَ ما ثَمَّ ناراً	٨/ ١٧٩
	سورة الأعلى	
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾	نزلت في النبي عليه السلام كانَ إذا نزلَ عليه القرآنُ أكثرَ تحريكَ لسانِه مخافةَ أن ينسى	٨/ ١٩٠
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	نزلَت في عثمانَ رضي الله عنه	٨/ ١٩٣
	سورة الغاشية	
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	نزلـت لَمَّـا ذكـرَ سـبحانه الـسُّرُرَ المرفوعـةَ، فقال الكفـار: كيـفَ نصعدُهـا؟ فبـيَّنَ أنَّ الإبـلَ تبرُكُ حتَّـى يُحمَـلَ عليها	٨/ ٢٠٣

الآية	سبب النزول	ج/ص
	سورة الفجر	
﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾	نزلَت في قُدامةَ بنِ مظعونٍ، وكانَ يتيماً في حجرِ أُميَّةَ بنِ خلفٍ	٨/ ٢١٨
	سورة البلد	
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾	نزلَت في رجلٍ من بني جُمَح يُكنَّى أبا الأشدَّين، كانَ يجعلُ تحتَ قدميه الأديمَ العُكاظِيَّ، ثمَّ يأمرُ بالعشرةِ فيجذبونَه من تحتِ قدميه، فيتمزَّقُ الأديمُ ولم تَزُلْ قدماه	٨/ ٢٢٦
	سورة الليل	
﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾	نزلَت في أبي بكرٍ رضي الله عنه وأُميَّةَ، إذ كان أبو بكر ينفقُ مالَه، ويشتري المماليكَ المسلمينَ الَّذينَ كانُوا للمشركينَ، وكانُوا يعذِّبونَهم ليفتنوهم عن دينِهم، وكانَ أميَّةُ مُكذِّباً بالحُسنى بخيلاً بالإنفاقِ	٨/ ٢٤٥ ـ ٢٥٢
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾	نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالاً فأعتقه إذ كان لعبدِ الله بنِ جُدعانَ، فسَلَحَ على الأصنام، فسلَّمَه عبدُ الله إلى المُشركينَ ليُعذِّبوه بما فعلَ، فكانُوا يُعذِّبونَه في الرَّمضاءِ	٨/ ٢٥١
	سورة الضحى	
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	نزلت حين أبطأ جبريلُ عليه السَّلامُ على النَّبيِّ، فقالَ المشركون: قد قَلاه اللهُ وودَّعَه	٨/ ٢٥٥

الآية	سبب النزول	ج/ص
	سورة العلق	
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾	نزلَ إلى آخرِ السُّورةِ في أبي جهلٍ	٨/ ٢٨٢
﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾	نزلت في قول أبي جهل واللهِ إنَّك لتعلمُ ما بها نادٍ أكثرَ منِّي	٨/ ٢٨٣
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ﴾	نزلت في قول أبي جهل لَئنْ رأيتُ محمداً يُصلي لأطأن على رقبته	٨/ ٢٨٤
	سورة الزلزلة	
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾	نزلَت في رجلَين كانَ أحدُهما يأتيه السَّائلُ فيَسْتَقِلُّ أن يعطِيَه التَّمرةَ وكانَ الآخرُ يتهاوَنُ بالذَّنبِ اليسيرِ	٨/ ٣٠٨
	سورة العاديات	
﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا...﴾	نزلت في قول المنافقين في السرية التي بعثها رسول الله إلى أناس من بني كنانة أنهم قتلوا	٨/ ٣١٢
	سورة التكاثر	
﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾	نزلَت في بني عبدِ مَنافٍ وبني سَهْم، تفاخروا أيُّهم أكثرُ عدداً	٨/ ٣٢٥
	سورة الهمزة	
﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾	نزلَتِ الآيةُ في الأخنسِ بنِ شَريقٍ، كانَ يَلمزُ النَّاسَ ويغتابُهم	٨/ ٣٣٤
	سورة الماعون	
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾	نزلَت في العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمِيِّ	٨/ ٣٥١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الكوثر		
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾	نزلَتْ في العاصِ بن وائلٍ حين سمى النبي عليه السلام الأبتر، وكانَ قد تُوفِّيَ قبلَ ذلكَ عبدُ اللهِ ابنُ رسولِ اللهِ وكانَ من خديجةَ	٨/ ٣٥٧
سورة الكافرون		
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	نزلت في قول قريش للنبي عليه السلام نحن نعرض عليك خصلة واحدة هي لنا ولك صلاح تعبدُ آلهتَنا اللَّتَ والعُزَّى سنةً، ونحن نعبدُ إلهَك سنةً	٨/ ٣٥٩
سورة المسد		
﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾	نزلت في قول أبي لهب للنبي عليه السلام لَّما صعدَ الصَّفا فنادى قريشاً ودعاهم للإسلام وأنذرهم تباً لك، ألهذا دعوتَنا؟	٨/ ٣٦٣
﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾	نزلت في قول أبي لهب للنبي لما أنذر عليه السلام عشيرته بالنار: إن كانَ ما تقولُه حقًّا، فإنِّي أفتدي نفسي بمالي وولدي	
سورة الإخلاص		
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	نزلت في سؤال ناس من اليهود للرسول عليه السلام: صفْ لنا ربَّك	٨/ ٣٦٧
سورة الفلق ـ سورة الناس		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾	نزلت حين أخذ اليهود مُشاطةَ رأسِ النبي عليه السلام ووَتَرٌ معقودٌ إحدى عشرةَ عقدةً وعِدَّةً من أسنانِ مُشطِهِ، فسحرُوه بها	٨/ ٣٧٤

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
اقرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ عند منامِكَ	نوفل الأشجعي	٨/ ٣٦٠
أقلُّ النَّاسِ خَدماً في الجنَّةِ مَن يخدمُه ألفُ غلامٍ		٨/ ٤٣
أَكْثِروا عليَّ الصَّلاةَ يومَ الجمعةِ؛ فإنَّه يومٌ مشهودٌ تشهَدُه الملائكةُ	أبو الدرداء	٨/ ١٦٨
إن الأرضَ لَتُخبرُ يومَ القيامةِ بكلِّ عملٍ عُملَ على ظهرِها	أبو هريرة	٨/ ٣٠٦
إنَّ الشَّيطانَ واضعٌ خَطمَهُ على قلبِ ابنِ آدمَ	أنس بن مالك	٨/ ٣٨٢
إنَّ أهلَ الجنَّةِ لَيَرونَ أهلَ عِلِّيِّينَ كما يُرى الكوكبُ	أبو سعيد الخدري	٨/ ١٥١
إنَّ بينَ أيديكم عقبةً كؤوداً	أبو هريرة	٨/ ٢٣٠
إنَّ ذلكَ سيكونُ ـ أي نعيم نسأل ـ	محمود بن لبيد	٨/ ٣٣٠
إنَّ عِفريتًا مِن الجنِّ يكيدُكَ فتعوَّذْ إذا أويتَ إلى فراشك		٨/ ٣٧٦
إنَّ ممَّا لا يُسألُ عنه العبدُ لباساً يُواري سوأَته	عثمان بن عفان	٨/ ٣٣٠
إنَّ هذا الأمرَ لا يُترَكُ على حالِه حتَّى يُردَّ على حافرتِه		٨/ ٩٧
إنَّا بني النَّضرِ بنِ كنانَةَ	الأشعث بن قيس	٨/ ٣٤٨
إنَّه نهرٌ في الجنَّةِ وَعَدَنيهِ رَبِّي ـ الكوثر ـ	أنس بن مالك	٨/ ٣٥٥
أوَّلُ خطيئةٍ كانَت على ظهرِ الأرضِ الحسدُ	جنادة بن أبي أمية	٨/ ٣٧٩
أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ من النَّعيمِ	أبو هريرة	٨/ ٣٢٨
تعطيني نخلتَك المائلةَ الَّتي فرعُها في دارِ فلانٍ	عبد الله بن عباس	٨/ ٢٥٢
خشيتُ أن يصيبَ النَّاسَ منهُ شيءٌ	عائشة	٨/ ٣٧٥
الَّذي أمشاهُم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمشيهَم على وُجوهِهم	أنس بن مالك	٨/ ١٥
الَّذي يُصمَدُ إليه في الأمرِ ـ الصمد ـ	عبد الله بن عباس	٨/ ٣٧٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الرُّوحُ في هذه الآيةِ جندٌ من جنودِ اللهِ ليسوا بملائكةٍ	عبد الله بن عباس	٨/ ٨٤
سبحانَكَ اللَّهمَّ بلى	موسى بن أبي عائشة	٨/ ٢٣
سُبحانَك اللَّهمَّ وبحمدِكَ اغفرْ لي	عبد الله بن مسعود	٨/ ٣٦٢
سجِّينٌ أسفلَ سبعِ أرضينَ	البراء بن عازب	٨/ ١٤٦
سجِّينٌ جُبٌّ في جهنَّمَ	أبو هريرة	٨/ ١٤٦
صدقتُك على ذي الرَّحمِ صَدقةٌ وصِلةٌ	سلمان بن عامر	٨/ ٢٣١
الضَّريعُ شيءٌ يكونُ في النَّارِ شبيهَ الشَّوكِ		٨/ ٢٠٠
عن ظلالِ المساكنِ، وظلالِ الشَّجرِ	عبد الله بن عباس	٨/ ٣٣٠
عندَ اللهِ أحتسبُكَ ـ مصعب بن عمير ـ	عبد الله بن عباس	٨/ ١٠٦
غرَّهُ الجهلُ	الحسن البصري	٨/ ١٣٨
كانَ عليه السّلامُ إذا نزلَ الوحيُ حرَّكَ لسانَه مع الوحي	عبد الله بن عباس	٨/ ١١
كانَ عليه السَّلامُ بعدَ هذا إذا نزلَ جبريلُ أطرقَ	عبد الله بن عباس	٨/ ١٢
كانَ في بني إسرائيلَ غلامٌ يرسلُه أبوه إلى ساحرٍ	صهيب الرومي	٨/ ١٧١
الكنودُ الكَفورُ الَّذي يَمنعُ رِفْدَه	أبو أمامة	٨/ ٣١٧
لأقضِينَّ بينكما بكتابِ اللهِ	أبو هريرة	٨/ ٣٠١
لقد سألتُ ربِّي مسألةً ودِدْتُ أنِّي لم أكن سألتُه	عبد الله بن عباس	٨/ ٢٥٩
لن يَغْلِبَ ـ إن شاءَ اللهُ ـ عُسْرٌ يُسْرَين		٨/ ٢٦٨، ٢٦٩
اللَّهم آتِ نفسي تقواها	أبو هريرة	٨/ ٢٤٠
اللَّهمَّ اجعلْها عليهم سِنينَ كَسِني يُوسفَ	أبو هريرة	٨/ ٣٤٩
اللَّهمَّ حاسِبني حساباً يسيراً	عائشة	٨/ ١٥٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لو قلتُ: إنَّ فاكهةً نزلَت من الجنَّةِ	أبو ذر الغفاري	٨/ ٢٧١
ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ أَذَنَه لنبيٍّ حَسنِ الصَّوتِ بالقرآنِ	أبو هريرة	٨/ ١٥٧
ما أفلحَ قومٌ قيِّمَتُهم امرأةٌ	أبو بكرة	٨/ ٣٠١
ما هممتُ بشيءٍ ممَّا كانَ في أهلِ الجاهليَّةِ يعملونَ به غيرَ مرَّتَين	علي بن أبي طالب	٨/ ٢٦٠
مرحبًا بمَن عاتبَني فيهِ ربِّي	قتادة	٨/ ١١٢
المملوكُ والمسجونُ	أبو سعيد الخدري	٨/ ٣٤
مَن أرادَ أن ينظرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّه رأيُ عَينٍ	عبد الله بن عمر	٨/ ١٢٥
مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ فبها ونعمت	سمرة بن جندب	٨/ ٢٤٣
مَن لَبِسَه في الدُّنيا لم يلبَسْه في الآخرةِ	عمر بن الخطاب	٨/ ٣٧
مَن لم يعرفْ حُرمةَ فرسِ الغازي ففيه شعبةٌ من النِّفاقِ	أنس بن مالك	٨/ ٣١١
من نُوقشَ الحسابَ عُذِّبَ	عائشة	٨/ ١٦٠
المؤمنُ أكرمُ على اللهِ من الملائكةِ الَّذينَ عندَه	أبو هريرة	٨/ ٣٠٤
نضَّرَ اللهُ عبداً سمعَ مقالتي	عبد الله بن مسعود	٨/ ١٣
نعم التَّجَافي عن دارِ الغُرورِ ـ انشراح الصدر ـ	عبد الله بن مسعود	٨/ ٢٦٥
نهى رسول الله أن يأتيَ الرَّجلُ أهلَه طُرُوقاً	جابر بن عبد الله	٨/ ١٧٩
هذا من النَّعيمِ الَّذي تُسألونَ عنه ـ الماء البارد ـ	أبو هريرة	٨/ ٣٢٨
واكْفِتوا صِبيانَكم، فإنَّ للشَّيطانِ انتشاراً	جابر بن عبد الله	٨/ ٦١
وُلدتُ عامَ الفيلِ		٨/ ٣٤٠
يا خولةُ دثِّريني	عائشة	٨/ ٢٥٧

* * *

فهرس الآثار

* * *

فهرس الأشعار

الصدر	العجز	القائل	ج/ ص
	ء		
مَلَكْتُ بها كَفِّي فأَنْهَرْت فَتْقَها	يَرَى قائمٌ مِن دُونِها ما وراءَها	قيس بن الخطيم	٨/ ٢٦٣
	ل		
ويَومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ	فقالَتْ: لَكَ الوَيْلاتُ إِنَّكَ مُرجِلِي	امرؤ القيس	٨/ ٢١

* * *

فهرس الأرجاز

الرجز	القائل	ج/ ص
ر		
إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بَدَرْ تَقَضِّيَ البَازِي إذا البَازِي كَسَرْ	رؤبة بن العجاج	٨/ ١٩
ق		
نحنُ بناتُ طارِقٍ	هند بنت عتبة	٨/ ١٨٠

* * *

فهرس الأعلام

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	ج/ص

❊ ❊ ❊